محبوب القلوب

المقالة الاولى

في احوال الحكماء واقوالهم من ادم عليه السلام الى بداية الاسلام

تأليف

قطب الدين محمد بن الشيخ علي الإشكوري الديلمي اللاهيجي

تقديم وتصحيح

الدكتور ابراهيم الديباجي الدكتور حامد صدقي

مَحبوبُ القُلوبِ

المَقالةُ الأُولى

في أَحوالِ الحُكَماءِ وأَقوالِهِم مِن آدم ـ عليه السلام ـ

إلى بِدايةِ الإسلامِ

تأليف

قُطبُ الدّين محمّد بن الشيخ علي الإشكوري الدَّيلَمي اللّاهيجي

تقديم وتصحيح

الدكتور إبراهيم الديباجي	الدكتور حامد صدقي

دیلمی، محمد بن علی
محبوب القلوب / تألیف قطب الدین محمد بن علی الاشکوری الدیلمی اللاهیجی؛ تقدیم و تحقیق ابراهیم الدیباجی، حامد صدقی۔ تهران: دفتر نشر میراث مکتوب، آینهٔ میراث، ۱۳۷۸ ش./ ۱۴۲۰ ق / ۱۹۹۹م.
۴ ج. : نمونه ـ (میراث مکتوب؛ ۵۶: علوم و معارف اسلامی؛ ۲)
ISBN 964-6781-10-1 (4 VOL. SET) بها: ۲۰۰۰۰ ریال. (ج. ۱)
ISBN 964-6781-04-7 (VOL. 1)
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا (فهرستنویسی پیش از انتشار).
ص.ع. لاتینی شده: Quṭb al-Dīn al-Iškawarī al-Lāhījī. Maḥbūb al-qulūb.
عربی.
مندرجات: ج. ۱. فی احوال الحکماء و اقوالهم من آدم (ع) الی بدایة الاسلام ـ ج. ۲. فی احوال المتفلسفین من الاسلام و علماء الکلام ـ ج. ۳. فی احوال ائمتنا الاخیار و ساداتنا الابرار ـ ج. ۴. فی ذکر احوال المؤلف و آبائه الاسلاف.
۱. سرگذشتنامه ـ مجموعه‌ها. ۲. ادیان ـ سرگذشتنامه. الف. دیباجی، ابراهیم، ۱۳۱۵ - ، مصحح. ب. صدقی، حامد، ۱۳۲۴ - ، مصحح. ج. دفتر نشر میراث مکتوب. آینهٔ میراث. د. عنوان.
۹ د ۴ ع / ۲۰۲ CT ۹۲۰/۰۲
کتابخانه ملی ایران ۱۵۵۴۲ - ۷۷ م



محبوب القلوب

المقالة الأولى

في أحوال الحكماء و أقوالهم من آدم عليه السلام إلى بداية الإسلام

تأليف: قطب الدين محمد بن الشيخ علي الاشكوري الديلمي اللاهيجي

تقديم و تحقيق: الدكتور ابراهيم الديباجي، الدكتور حامد صدقي

الناشر: آينهٔ ميراث (مرآة التراث)

الطبعة الأولى: ۱۳۷۸ ش / ۱٤۲۰ ق / ۱۹۹۹ م

العدد: ۲۰۰۰ نسخة

تنضيد الحروف و الإخراج الفنّي: مركز نشر التراث المخطوط

المطبعة: مؤسسة الطباعة و النشر التابعة لوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي

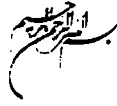
ISBN 964-6781-04-7 (VOL. 1)

ISBN 964-6781-10-1 (4 VOL. SET)

طبع هذا الكتاب تحت إشراف مركز نشر التراث المخطوط
بالتعاون مع وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي

عنوان الناشر: ص. ب: ٥٦۹ ـ ۱۳۱۸٥، طهران، جمهورية إيران الإسلامية
هاتف: ۳ ـ ٦٤۹۰٦۱۲ / ناسوخ (فاكس): ٦٤٠٨٧٥٥

الثمن: ۲۰۰۰ تومان



تزخر خزائن مكتباتنا بالمخطوطات القيّمة التي تضمّ ثقافة ثرّة لإيران الإسلامية، و هي في جوهرها مآثر العلماء و النوابغ العظام و التي تمثّل هويّتنا نحن الإيرانيين. و إنّ المهمّة الملقاة على عاتق كل جيل أن يبجّل هذا التراث الثمين و يبذل قصارى جهده لإحيائه و بعثه للتعرف إلى تاريخه و ثقافته و أدبه و ماضيه العلمي.

و رغم جميع الجهود التي بذلت خلال العقود الأخيرة لاكتشاف الكنوز المخطوطة لتراث هذه الأرض و التحقيق و البحث اللذين انصبّا في هذا المضمار، و نشر مئات الكتب و الرسائل القيّمة، فإنّ الطريق مايزال طويلاً حيث توجد آلاف الكتب و الرسائل المخطوطة المحفوظة في المكتبات داخل البلاد و خارجها ممّا لم يتمّ اكتشافه و نشره.

كما أنّ كثيراً من النصوص التراثية و رغم طبعها عدّة مرّات لم تَرقَ إلى مستوى الأسلوب العلمي المتوخّىٰ للنشر، بل هي بحاجة إلى إعادة تحقيقها و تصحيحها.

إنّ إحياء و نشر الكتب و الرسائل المخطوطة هو الواجب الملقى على عواتق المحققين و المؤسسات الثقافية، و إنّ وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي و انطلاقاً من أهدافها الثقافية، أسست مركزاً لتسهم من خلاله و بدعمها لجهود المحققين و الباحثين و بمشاركة الناشرين، في نشر التراث المخطوط، و لتقدم للنخبة المثقّفة مجموعة قيّمة من النصوص التراثية و مصادر التحقيق.

مركز نشر التراث المخطوط

الفهرس

المقالة الاولىٰ:

باسمه تعالىٰ

اكثر من قرن مضىٰ، و الحديث جار بين رجالات العلم و الأدب، و أهل المعرفة و الحكمة حول طبع كتاب «محبوب القلوب» لقطب الدين الإشكوري، و كلما حاول أحد من اولئك أن يخطو خطوة واحدة في هذه الطريق نجده ينكص على عقبيه و يبتعد عنه تاركاً هذا الأثر لغيره. و يعود ذلك لاسباب عدة منها: صعوبة العمل، و حجم الكتاب الواسع، و عدم التّوفّر على جميع نسخه المخطوطة، و الأغاليط الكثيرة التي امتلأت بها مخطوطاته، و تعذّر القيام بنقد هذا البحث الواسع، و المشاكل التي تعتور اصلاح نصّه و تصحيحه من حيث المحتوىٰ و سلامة العبارة، بالاضافة الى امتزاج اللغة العربية و اختلاطها باللغة الفارسية في مواضع عديدة من هذا الكتاب، و أخيراً و ليس بآخر هو كثرة المصادر و المراجع التي يشير اليها المؤلف في كتابه هذا.

و قد قام الحاج ميرزا نصر الجيلاني في عام ١٣١٧ هـ. بطبع المقالة الاولىٰ من الكتاب و التي تتناول بالبحث تاريخ الفلسفة اليونانية، في ١٦٠ صفحة من القطع الكبير، طباعة حجرية، و لكنه أيضاً توقف عن مواصلة عمله في هذا المجال. و استمرت الحال على هذه الصورة، فكلما جرى الحديث على الالسنة حول طبع هذا الكتاب، و استُنفرت الطاقات المستعدة للقيام بهذا العمل، اذا بها تتوقف و تنكص عن اداء هذه المهمة الشاقة. و تكررت مثل هذه الحالة عدة مرات.

و قد حاولنا منذ عام ١٣٥٠ هـ. ش / ١٩٧١ م حتىٰ نهاية عام ١٣٧٦ هـ. ش (بداية عام ١٩٩٨ م) الذي نحن فيه الآن أن نخطو هذه الخطوة، إلا أنّ هناك بعض الموانع عرقلت قيامنا بهذا العمل و أجبرتنا علىٰ ان ننفض أيدينا عنه.

و أخيراً عقدنا العزم علىٰ إخراج هذا الكتاب و إعادة كتابته كلمة كلمة استعداداً لطبعه و نشره، و ان نلحق به تدريجياً ما يستلزمه من مواد، مستهدفين من وراء ذلك هداية الخلق

الى الخالق سبحانه و تعالى، و كان هذا الهدف رائدنا في عملنا، و استطاع ان يلعب دوراً مهماً في حثّنا على مواصلة عملنا و تقديم العون لنا للاسراع في إكماله.

انّ المخطوطة التي اعتمدناها في عملنا هذا هي النسخة المودعة في المكتبة المركزية بجامعة طهران، حيث تقع في ١١١٧ صفحة من القطع الكبير، و تشتمل كل صفحة على ٢٣ سطراً.

و قبل ان نتحدث عن طبيعة عملنا نعتذر سلفاً إلى العلماء و الباحثين، طالبين منهم ان يتفضلوا بقبول عملنا هذا بصورته الحالية راجين منهم إسعافنا و رفدنا في تصحيح ما وقعنا فيه من أخطاء، و تقويم ما اعوجّ من عملنا، و إكمال نقائصه.

اما ما سنعرضه من موضوعات للقارئ الكريم فهي:

❋ - نظرة خاطفة حول كتابة التاريخ و التراجم من قِبل المؤرخين المسلمين.

❋ - سرد لأهم التراجم التي كتبت في العصر الاسلامي منذ بدايته و حتىٰ عصر المؤلف حول الحكماء و الفلاسفة.

❋ - ترجمة حياة قطب الدين الاشكوري.

❋ - كتاب محبوب القلوب.

❋ - حياة المؤلف كما سطرها بنفسه بالعربية.

❋ - متن الكتاب و نصه.

نظرة خاطفة
حول كتابة التاريخ و التراجم من قبل المؤرخين المسلمين

يُعدّ الفلاسفة، بين العلماء، من أوائل الذين اعتنوا بجمع و ضبط و تسجيل الآثار و الآراء و تفاصيل الحياة لهم و لغيرهم. و قد استدعىٰ هذا العمل، بيان العالَم و ما فيه، و معرفة سرّه و رمزه، و تقسيم الموجودات علىٰ طبقات و مجموعات، و تحديد خصائص و ملامح كل طبقة أو مجموعة. و لكن من الذي قام بهذا العمل لأول مرة؟ و في أيّة فترة زمنية؟ فهو ممّا لم يتّضح لحد الآن بشكل دقيق. ان كتابة التاريخ و تسطير التراجم الحياتية هي الأمل الذي راود و لا يزال يراود الانسانية، حيث يرغب الجميع و يميلون الى مطالعة مثل هذه الكتابات. و قد اعتنى المشارقة من سكان هذا العالم، و بخاصة العرب، بالتاريخ، و كتابة التراجم، و تسطير السير، و معرفة الأنساب. و ازداد اهتمامهم في هذا المجال، بعد ظهور الاسلام، و حثّه على طلب العلم و المعرفة، فبدأ الاهتمام بكتابة سيرة النبيّ ﷺ و خلفائه. و يبدو أنّ اهتمام المسلمين بهذا النوع من المعرفة و تأليف المؤلفات العظيمة في المجالات المختلفة، يعد أمراً طبيعياً؛ و أدت مساهمة المسلمين في جمع الثقافة و الحضارة البشرية و تدوينها إلى إثارة اعجاب العلماء في العالم. و هكذا بدأ المسلمون بالكتابة و التأليف في مجال السّير و طبقات الرجال و التراجم، و في مجال التاريخ العام و الخاص و غيرهما من المجالات الأخرىٰ تدريجياً حتىٰ تجمّع تراث ثقافي ضخم يعجز عن حمله الجماعات فكيف بالأفراد!!.

إن كتابة التاريخ و التراجم لم تكن مقتصرة على طبقة معينة. و اذا ما واجهنا في بعض الأحيان تأليفاً تمّ بتأثير الطمع في نيل الصلات، أو تحت تأثير الخوف من السلطان، فاننا نجد بالمقابل أقلاماً حرّة أبدعت مؤلفاتٍ سلّطت الأضواء علىٰ زيف دعاوى الطبقية في احتكار هذا العمل.

ان لعلم التاريخ و التراجم، كبقية المعارف البشرية الأخرىٰ، تاريخاً طويلاً، و يتّضح مما

كتب في هذا المجال، أن الفلاسفة كانوا من الأوائل الذين اهتموا بجمع الافكار و المعتقدات و الأقوال و قاموا بتدوينها، فتاريخ الفلسفة هو، في الحقيقة، تاريخ المعارف و المعتقدات، و منذ أن بدأ الاهتمام بها، و بجمعها و تدوينها، كان ذلك مصاحباً لبيانات و براهين تتناسب و تلك الأيام و تحظىٰ بثبات نسبي. و قد جاءت شذرات عن كيفية ظهور ذلك في المقدمة التي كتبها المرحوم «دانش پژوه» لترجمة «مقصود علي التبريزي» لكتاب تاريخ الحكماء الذي ألّفه الشهرزوري. و يطفح تاريخ فلسفة الهند و الصين و اليونان و ايران و مصر بالموضوعات الجديرة بالبحث و الدراسة و الاهتمام، و تكمن فيها كيفية ظهور العديد من العلوم و الفنون و أسس الحضارة الانسانية.

و يعدّ الاهتمام بتراجم الائمة و الزعماء الدينيين، في العصور الاسلامية، و الاطلاع على سننهم و أحاديثهم أحد العوامل الداعية الى الاهتمام بالتأليف في مجال التاريخ و السير. فالأسئلة و الأجوبة حول القضايا العقائدية، و بخاصة حول القرآن الكريم، و بيان التصور للعالم على اساس التوحيد، و الآراء التي كانت تعرض في الموضوعات المختلفة من المبدأ حتىٰ المعاد و دراستها و نقدها، قد أدت بالتدريج الى تأسيس «علم الكلام». و نظراً للحاجة الى الاستدلال الأفضل و الأقوىٰ فقد فُتحت الأبواب واسعة للأحاديث و المقولات الفلسفية في المعارف العقائدية. و كان من الطبيعي أن يتّجه الخطباء و الكتّاب و العلماء الى نقل و رواية آراء العلماء و عقائدهم، و من ثم نقدها و بيان أبعادها الايجابية و السلبية.

إن أحاديث الائمة المعصومين و الزعماء الدينيين و سننهم، تحظىٰ بثقة لاتتزلزل لدى المسلمين، و ان اتّباع النبي ﷺ و الامام عليه السلام «في القول و العمل و التقرير» يتمتع بأهمية كبيرة لدى العديد من الفرق الاسلامية التي لا تزال تؤكد و تصرّ علىٰ ذلك. و بانتقال النبي ﷺ و خلفائه الى الرفيق الاعلى ازداد الاهتمام بأحاديثهم و سننهم «في القول و العمل و التقرير»، و هكذا بدأ تقويم رواة الاحاديث و الأخبار و دراسة شخصياتهم من جميع الأبعاد، و بدأت بعد عشرات من السنين معايير و قيم و أصول توضع لهذا الغرض، و تحولت شيئاً فشيئاً إلى علمين اصطلح على الاول منهما بعلم «الدراية و الرجال»، و على الآخر بعلم

«الجرح و التعديل».

إن التعمق و الدقة العالية في معرفة هوية كتّاب الوحي، و رواة الأحاديث و الأخبار و ذلك من اجل الاعتماد على صحة رواياتهم؛ و الاهتمام المتزايد بأحوالهم و صفاتهم الظاهرية و الباطنية كالعدالة، الشجاعة، التقوىٰ، النزاهة و الذكاء و غيرها، قد جعل كتّاب التراجم و علماء الرجال أشبه ما يكونون بعلماء النفس و الأطباء النفسانيين الذين يبادرون الى تشكيل اضمامات لِمُراجعيهم تتضمن كل تفصيلات حياة الفرد منذ لحظة ولادته و حتى اللحظات الأخيرة من حياته. و لهذا فليس عجيباً أن نرى التاريخ و علم السير و التراجم و ما شابهها تنحو هذا المنحىٰ، و تطفح بالتفصيلات الجزئية لحياة الأفراد. ذلك لان المعرفة بأحوال هؤلاء كلما ازدادت عمقاً و حجماً كلما كانت أفضل و اكثر اعتماداً. هذا من جهة، و من جهة اخرىٰ، فان التراجم و ما شابهها من المؤلفات و الآثار تشكل طريق العلم و المعرفة و الاطلاع على الأبعاد الجزئية، من أجل ايصال الفائدة، في هذا الطريق، الى الكلي و الجزئي. ان الأصول التي وضعها و قررها علماء الاجتماع و المؤرخون المعاصرون في نقد الاحداث التاريخية، تثبت لنا عظمة فكر و علم واضعي أصول و قواعد «الدراية و علم الرجال» و «الجرح و التعديل» و تبين لنا قدرتهم العلمية. ذلك لأن الكثير من المعايير و القيم التي يضعها علم التاريخ في الوقت الحاضر كأساس للنقد و الدراسة و يفخر بها، ما هي في الحقيقة إلا تلك المعايير نفسها التي وضعها المسلمون بشكل أوضح و أحسن و استعملوها لنقد و دراسة أحوال الرواة.

لقد كتبت التراجم في فترة العصور الاسلامية بشكل متنوع و مختلف: حيث اعتمدت هذه الكتابات على الانسان، الزمان، المكان و الموضوع باعتبارها أربعة أصول أساسية و مبدئية في مثل هذه المؤلفات، و قد ألف الكتّاب كتبهم و مؤلفاتهم بشكل يتناسب مع الموضوع الذي أخذوه بنظر الاعتبار. فالترتيب الزماني كان على اساس القرون ـ مثلاً ـ، أما الترتيب المكاني فانه يقوم على أساس المدن و البلاد، و يعتمد الترتيب الموضوعي عَلَى الأناس الذين تلقوا العلم و المعرفة في مجال معيّن «كالفلاسفة، الرياضيين و النحويين و غيرهم». و يعد الترتيب المعجمي لأسماء العلماء من ضمن تلك المؤلفات.

و قد أُعجب البعض بكتابة مثل هذه المؤلفات و الآثار العامة و الواسعة و المتنوعة كما أعجب البعض بكتابة مثل هذه المؤلفات و الآثار في مجال واحد و اكتفوا بالكلام المحدود و الموجز عن فن واحد «كل حزب بمالديهم فرحون».

ان معرفة اختلاف التواريخ و السير و تنوعها، و التراجم و طريقة تأليفها و منهجها، و الاطلاع علىٰ كيفية تقسيمها لدى المسلمين تحتاج بحد ذاتها الى بحث مستقل و مفصل نظراً لسعتها و حجمها الواسع. ان دراسة الابعاد المختلفة للمؤلفات المذكورة توضح لنا اهتمام العلماء المسلمين و دقتهم المتناهية في تقسيم العلوم و الأصول التي أودعوها في تلكم الآثار، و تؤكد لنا أن هؤلاء العلماء قد توصلوا منذ قرون ماضية الى الكثير من أسس التقسيم الموضوعي للعلوم و الفنون البشرية التي يدعي العلماء و المعاصرون اكتشافها و وضعها.

مسرد لأهم التراجم التي كتبت في العصر الاسلامي منذ بدايته و حتى عصر مؤلف كتاب محبوب القلوب، حول الحكماء و الفلاسفة

لقد اشتهر كتاب محبوب القلوب للاشكوري بكونه تاريخاً للحكماء و الفلاسفة، و تؤكد مقدمة المؤلف على صحة هذه الشهرة؛ فالكثير مما كتب في هذا الكتاب يدور حول الحكمة و الحكماء، غير ان الحديث فيه قد تطرق في العديد من المواضع إلى موضوعات خارجة عن الموضوع الذي اشتهر به، و سنحاول في هذه المقدمة ان نسلط الأضواء على بعضها.

و يمتاز هذا الكتاب، عند مقارنته بالكتب المشابهة له، و المؤلفة في العصور و الفترات الاسلامية المختلفة منذ العصور الاولى و حتىٰ زمان المؤلف، بميزات تستحق التأمل و الاهتمام. و لا يمكن لهذه المقدمة ان تستوعب دراسة كل واحد من المؤلفات المشابهة لهذا الكتاب، بل ان هذا الأمر يستدعي بحثاً خاصاً قائماً بذاته. و لهذا رأينا من المناسب قبل ان نتطرق الى تعريف محبوب القلوب ان نشير اشارة مفهرسة الى أهم المؤلفات و الآثار التي تعرضت لتاريخ الفلاسفة في العصور الاسلامية حتىٰ عصر المؤلف، و ذلك من أجل الاطلاع على وجهي التقويم و هما معرفة الكتاب أولاً و تقويمه نسبة الى المؤلفات المشابهة له ثانياً. و سنحاول ذكر هذا المسرد مرتباً بحسب القدم التاريخي:

١ ـ ألّف ابوالحسن علي بن سهل بن الطبري (ت حوالي ٢٥٠ هـ) فردوس الحكمة في سنة ٢٣٥ هـ للمتوكل العباسي و ذكر فيه أسماء العديد من الفلاسفة و الأطباء. و يعد هذا الكتاب مصدراً جيداً لتاريخ الفلسفة و الطب النفساني (مقدمة ترجمة نزهة الارواح للشهرزوري، ص ١٠٧).

٢ ـ كان ليحيى النحوي (ت ؟) تاريخ الأطباء و الحكماء، و قد أشار اليه و استند عليه اسحاق بن حنين في كتابه تاريخ الأطباء و الحكماء، و ذكر أنه لم ير كتاباً أحسن من

كتاب يحيى المذكور (تاريخ الأطباء و الحكماء لاسحاق بن حنين، ص ٦٤ ـ ٦٩). و يشير ابن النديم في الفهرست (ص ٣١٤) الىٰ حياة يحيى النحوي في سنة ٣٤٣ هـ. و اذا كان يحيى النحوي المذكور في الفهرست هو نفسه الذي أشار اليه اسحاق بن حنين، فلابد أن يكون قد عمّر طويلاً. (راجع الخزرجي، ج ١، ص ٣٣ و ٧١؛ القفطي، ص ٧٩).

٣ ـ ألّف ابويعقوب اسحاق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ) تاريخ الأطباء و الحكماء، و قد ذكر في أثره هذا تاريخ الطب و الأطباء منذ البداية و حتىٰ سنة ٢٩٠ هـ، كما أشار فيه أيضاً إلى الفلاسفة. و قد طبع هذا الكتاب في مجلة أُرينس Oriens ، العدد الاول، القسم السابع، سنة ١٩٥٤ م عن النسخة المرقمة ٦٩١ و المؤرخة في ٨١١ هـ بمكتبة اغلوعلي باشا. و لعله نفس الكتاب الذي أشار اليه الخزرجي (ج ١، ص ٢٠١) و وصفه بأنه «ذكر فيه ابتداء صناعة الطب و أسماء جماعة من الحكماء و الاطباء». و قد ذكره كلٌّ من ابن النديم في الفهرست (ص ٣٩٧ ـ ٤١٥) و القفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٥٧) باسم تاريخ الأطباء.

٤ ـ الف ابن جلجل، ابوداود سليمان بن حسان الاندلسي في ٣٧٧ هـ طبقات الأطباء و الحكماء، و قام بطبعه فؤاد السيد بالقاهرة سنة ١٩٥٥ م، و ترجمه الى الفارسية السيد محمد كاظم إمام و طبع بمطبعة جامعة طهران سنة ١٣٤٢ هـ. ش / ١٩٦٣ م.

٥ ـ ألف ابن النديم ابوالفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق البغدادي الشيعي المعتزلي (٢٩٧ ـ ٣٨٥ هـ) كتاب الفهرست في سنة ٣٧٧ هـ و ذكر فيه تاريخ العديد من العلوم و العلماء و قد طبع هذا الكتاب عدة مرات، و ترجم، و اكتسب شهرة عالمية.

٦ ـ ألف ابوسليمان المنطقي السجستاني، محمد بن طاهر بن بهرام (من حوالي ٣٣٠ هـ ـ حوالي ٤٢٠ هـ) كتاب صوان الحكمة و هو كتاب يحتوي على تاريخ الفلاسفة اليونانيين و المسلمين و أقوالهم. و لا تتوفر لحد الآن نسخة من هذا الكتاب، غير أن نسختين مختصرتين منه موجودتان، الاولى لعمر بن سهلان الساوي، و الأخرىٰ صاحبها مجهول الهوية. و كل ما نقل فيهما لا يتجاوز الحدس و التخمين.

٧ ـ ألف ابو سعيد عبيدالله بن جبرائيل بن عبدالله بن بختيشوع (ت سنة ٤٥٠ و نيّف)

كتاب مناقب الأطباء سنة ٤٢٣ هـ و أودعه تاريخ الفلاسفة أيضاً. و لكن مصير هذا الكتاب ليس بأحسن من صوان الحكمة. و قد أشار الخزرجي اليه في تاريخه عدة مرات.

٨ ـ ألف القاضي ابوالقاسم صاعد بن احمد الاندلسي (٤٢٠ ـ ٤٦٢ هـ) طبقات الأمم سنة ٤٦٠ هـ و ضمّنه تاريخ الفلسفة و الفلاسفة اليونانيين و المسلمين من الايرانيين و غيرهم. و قد اعتبر القاضي صاعد في كتابه هذا الفارابي أفضل منزلة في المنطق من الكندي. و قد طبع هذا الكتاب عدة مرات في القاهرة و بيروت. و ترجمه السيد جلال الدين الطهراني الى الفارسية و نشر في النشرة الفصلية «گاهنامه» سنة ١٣١٠ هـ. ش / ١٩٣١ م.

٩ ـ ألف الشهرستاني، ابوالفتح محمد بن عبدالكريم الشافعي الشيعي الباطني (٤٧٩ـ٥٤٨ هـ) كتابه الملل و النحل في سنة ٥٢١ هـ و ضمّنه تاريخ حياة العديد من الفلاسفة اليونانيين و الايرانيين. و قد استفاد منه و اعتمد عليه كثيراً الاشكوري في تأليف هذا الكتاب: محبوب القلوب.

١٠ ـ ألف البيهقي، ظهيرالدين، ابوالحسن علي بن ابي القاسم زيد بن الحسين تتمة صوان الحكمة في الفترة بين (٥٥٣ ـ ٥٦٥ هـ). و قد أشار اليه ابن شهر آشوب في كتابه معالم العلماء. و قد طبع التتمة كلٌّ من كرد علي بدمشق سنة ١٣٦٥ هـ؛ و محمد شفيع بلاهور سنة ١٣٥١ هـ. و كان ناصر الدين عمدة الملك منتجب الدين اليزدي قد ترجمه الى الفارسية في الفترة بين ٧٢٥ ـ ٧٣٦ هـ و أسماه درّة الأخبار و لمعة الأبرار و طبعه محمد شفيع سنة ١٣٥٨ هـ.

١١ ـ ألف ابن مطران، ابونصر موفق الدين أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجيس بن مطران الدمشقي (ت ٥٨٧ هـ) كتاب بستان الاطباء و روضة الألباء. و قد تعرّف المرحوم دانش پژوه الى عدد من نسخه (مقدمة ترجمة تاريخ الحكماء للشهرزوري، ص ١٥٤).

١٢ ـ ألف القفطي، جمال الدين ابوالحسن علي بن يوسف (٥٦٨ ـ ٦٤٦ هـ) كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء بعد سنة ٦٢٤ هـ. و قد طبع عدّة مرّات.

١٣ ـ ألف الخزرجي، ابن ابي أصيبعة الدمشقي (٦٠٠ ـ ٦٦٨ هـ) كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء في الفترة بين ٦٤٣ ـ ٦٦٧ هـ. و قد طبع هو الآخر عدة مرات أيضاً.

١٤ ـ ألف الشهرزوري، شمس‌الدين محمد بن محمود الذي كان حياً سنة ٦٨٧ هـ كتاب الشجرة الالهية سنة ٦٨٠ هـ. كما ألف كتاباً مفيداً تحت عنوان نزهة الارواح و روضة الأفراح في تاريخ الفلسفة و الفلاسفة. و ترجمه الى الفارسية مقصود علي التبريزي. و قد كتب المرحوم دانش پژوه مقدمة تفصيلية له عن تاريخ الحكماء، و طبعه بالتعاون مع محمد سرور مولايي سنة ١٣٦٥ هـ. ش / ١٩٨٦ م.

هذا، و على‌الرغم من تأليف كتب اخرى في هذا المجال بعد كتاب تاريخ الحكماء للشهرزوري إلا أن ذكرها جميعاً، و كما أشرنا سابقاً، يحتاج إلى مقالة مستقلة، و لا يتسع، المجال لذكرها فى هذه المقدمة المختصرة. و لهذا فإنّنا سنتطرق في حديثنا الى حياة مؤلف هذا الكتاب محبوب القلوب و من ثم الى الكتاب نفسه. و قبل بيان ميزات الكتاب و خصائصه فاننا سنذكر مقتطفات من خطبة الكتاب و مقدمته ثم نبين ميزاته على المؤلفات المشابهة له و ذلك بذكر بعض النماذج الدالة على ذلك.

و لما كان المؤلف نفسه قد أورد تاريخ حياته في نهاية هذا الكتاب، و لعل اطلاع القراء على ما كتبه المؤلف عن نفسه يكون أحبّ اليهم، لذا فاننا رجحنا أن نذكر ذلك في هذه المقدمة و ما كتبه المرحوم الدكتور محدث ارموى حول المؤلف.

ترجمة حياة قطب الدين الاشكوري

اسمه و نسبه:

هو محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبدالوهاب بن پيله فقيه الاشكوري الديلمي اللاهيجي. ان اسمه محمد بن الشيخ علي يحظى باتفاق الجميع و لكن المؤلف قد سمى نفسه في مقدمة محبوب القلوب و في نهايته التي اورد فيها ترجمة حياته، و كذلك في مقدمة الصحيفة السجادية و في مقدمة فانوس الخيال، بـ«قطب‌الدين» غير انه لقّب نفسه في كتاب خيرالرجال و تفسير القرآن بـ«بهاء الدين». ان هذه الثنائية في اللقب كانت السبب في اختلاف و جهات نظر الذين تعرضوا في كتبهم التاريخية و الرجالية الى حياة المؤلف (مقدمة تفسير اللاهيجي، ص ٣٤ ـ ٨٥). كما لقب أيضاً أحياناً بـ«شيخ الاسلام في لاهيجان» و «امام الجمعة و الجماعة» و «قاضي المحكمة الشرعية».

اما نحن فسنذكره باسم: «قطب الدين الاشكوري»، و قد اخترنا هذا الاسم استناداً الى ترجمة حياته التي كتبها بنفسه و اودعها نهاية كتابه محبوب القلوب و جاء فيها: «مؤلف الكتاب ذا الفقير الى الله الغني المغني قطب الدين محمد بن شيخ علي بن عبدالوهاب بن پيله فقيه الاشكوري الديلمي اللاهيجي و الاشكور ناحية ... ». و كما ذكر من قبل فان هذا اللقب «قطب الدين» قد جاء في مقدمة كتابي المؤلف الآخرين. هذا بالاضافة الى ان هذا اللقب يتناسب مع الأصول و المعايير الجديدة للفهرسة و كتب المصادر و المراجع. أما ما قام به المرحوم الدكتور محدث ارموي في تسمية تفسير الاشكوري باسم «تفسير الشريف اللاهيجي» فهو لانتخابه هذه التسمية من بين مجموعة النسخ الخطية المتوفرة للتفسير المذكور. أما المؤلف نفسه و طريقته في ذكر اسمه و لقبه و نسبه فقد قدم «قطب الدين» على بقية ألقابه الأخرى، و هكذا الحال بالنسبة للكثير من أهل الفضل و العلم و كتّاب التراجم و كتب المصادر و المراجع. و لم يشاهد في المصادر التي تعرضت له مَن سماه بـ«الشريف

اللاهيجي». كما انّ إضافة كلمة «الاشكوري» الى «قطب الدين» هو من باب ذكر الخاص بعد العام و لهذا فهي من هذه الناحية أفضل من ذكر الديلمي و اللاهيجي، حتىٰ يستطيع القارئ أن يتعرّف بشكل مباشر إلى الفرد و مسقط رأسه و يُبعد عنه أي شك أو ترديد.

ولادته و وفاته:

ان الاهتمام بتاريخ الولادة، و كيفية التعلّم و التربية، و تحديد فترة البحث و الدراسة، و تاريخ الابداع و الابتكار، و كتابة الآثار و المؤلفات من جملة القضايا التي اولاها العلماء و الأذكياء اهتمامهم منذ قديم الأيام. اذ تكمن فيها اشياء كثيرة سواء اكانت اجتماعية او اقتصادية او تاريخية او سياسية و غير ذلك و تحول دون الكثير من الشك و الترديد بالنسبة للأفراد و آثارهم. و مما يثير الاعجاب ان البعض كمؤلف محبوب القلوب قد تعاملوا مع التاريخ و التراجم و علم الرجال، و لذلك فقد كتب بنفسه ترجمة حياته، لكنه لم يذكر تاريخ ولادته و لم يذكر تفاصيل بيّنة واضحة عن كيفية تربيته و تعليمه و عن اساتذته و طلابه و آثاره و مؤلفاته. بل تعرض في ترجمته لقضايا ليس لها قيمة تاريخية، بل اكثرها يتعرض الى العواطف العائلية و الأبناء اكثر مما يتعرض الى المجتمع و التاريخ. و كما انّ قطب‌الدين لم يذكر تاريخ ولادته و لا الفترة التي فيها ولد، كذلك نرى الآخرين لم يتحدثوا عن تاريخ ولادته و وفاته. و لذلك فعلينا اذ أردنا معرفة بداية حياته و نهايتها أن نستهدي ببعض القضايا التي حدثت في أيامه و عاصرها قطب‌الدين و هي معروفة التاريخ بالنسبة لنا. و بناء على ذلك فان أهم الأحداث المؤرخة التي عاصرها المؤلف و عايشها هي:

١ ـ أشار الشيخ عباس القمي في الفوائد الرضوية (ص ٥٦٨) و الآقا بزرگ الطهراني في عدة مواضع من كتابه الذريعة الى تلمذ قطب‌الدين على الميرداماد المتوفي سنة ١٠٤١ هـ.

٢ ـ اشار قطب الدين في محبوب القلوب خلال حديثه عن حياة جالينوس (ص ٥١ من الطبعة الفارسية) الى احتراق مكتبته و كتبه في سنه ١٠٥٨ هـ.

٣ ـ ان تاريخ انتهائه من تأليف كتابه خير الرجال هو سنة ١٠٧٥ هـ.

٤ ـ تاريخ انتهائه من تأليف كتابه ثمرة الفؤاد الذي تتوفر مخطوطته في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة بمدينة مشهد و التي كتبت بخط الميريوسف أيام المؤلف، هو في سنة

١٠٧٥ هـ.

٥ ـ تاريخ انتهائه من تأليف كتابه فانوس الخيال هو سنة ١٠٧٧ هـ.

٦ ـ تاريخ انتهائه من تأليف كتابه تفسير القرآن هو سنة ١٠٨٦ هـ.

٧ ـ ذكر قطب‌الدين في كتابه محبوب القلوب خلال ترجمته لحياة جالينوس (ص ٥٢ من الطبعة الفارسية) الزلزال المدمر الذي ضرب مدينة لاهيجان سنة ١٠٨٨ هـ و كان هو آنذاك في اصفهان.

٨ ـ تاريخ انتهاء الشيخ جعفر ابن قطب‌الدين من الفهرست الذي وضعه لكتاب محبوب القلوب بخط جميل هو سنة ١٠٩٥ هـ. و طلب فيه من الله ان يرحم والده حيث قال: «رحمه الله».

٩ ـ أشار الحر العاملي في كتابه أمل الآمل، الى قطب‌الدين بعبارة «و هو من المعاصرين» و نحن نعلم ان الحر العاملي بدأ بتأليف كتابه المذكور سنة ١٠٩٦ هـ و أتمه في سنة ١٠٩٧ هـ.

مما سبق نستطيع أن نستنتج بداية حياة قطب‌الدين و نهايتها:

الولادة:

اذا ثبت لدينا ان قطب‌الدين الاشكوري كان تلميذاً للميرداماد، فاننا نستطيع الاقتراب من مراهقته و شبابه و من الأفضل ان نولي هذه الناحية دراسة اكثر:

لقد ذكر كلّ من المحدث القمي و الآقابزرگ الطهراني و غيرهما كالمرحوم دانش‌پژوه ان قطب‌الدين كان تلميذاً للميرداماد. فقد جاء في كتاب الذريعة للطهرانى ان قطب‌الدين قد ذكر ذلك في ترجمة حياته التي اودعها كتابه محبوب القلوب، و لكننا لم نعثر على ذلك في اية مخطوطة من مخطوطاته، كما لم نطلع على اي مصدر يشير بشكل من الاشكال الى تلمّذ قطب‌الدين على الميرداماد.

اننا نظن أن تلمّذ قطب‌الدين على الميرداماد يمكن التوصل اليه بشكل التزامي و ذلك بواسطة الطريقة التي اتّبعها، و المنهج الذي سار عليه و الاسلوب الذي التزمه في كتابته، و

الترجمة التي أوردها للميرداماد. و كما ان مؤلف الذريعة و الآخرين قد اعتراهم الشك في نقل هذا الموضوع عن محبوب القلوب، و ما دمنا لم نعثر على دليل قاطع يثبت لنا بوضوح تلمذ قطب‌الدين على الميرداماد، فان ما توصلنا اليه في هذه الدراسة يعتبر أفضل مما ذكره اولئك في هذا المجال.

و لهذا نرىٰ من المناسب أن ندلى بدلونا، و نذكر أدلتنا، موكلين الحكم في ذلك إلى أهله: إننا نرىٰ قطب الدين عند تأليفه محبوب القلوب و منهجه و كيفية تقسيمه قد تأثر كثيراً بكتاب نزهة الارواح للشهرزوري. و كما ان الشهرزوري قد اختتم تاريخه بذكر حياة استاذه الشيخ شهاب الدين السهروردي، فان قطب‌الدين قد فعل ذلك أيضاً و اختتم تراجم حياة الفلاسفة في محبوب القلوب بترجمة حياة الميرداماد، اذ كان استاذه آخر من تطرّق إليهم في كتابه. هذا من جهة، و من جهة أخرىٰ نجد قطب‌الدين قد مدح الميرداماد و أشاد به في هذه العبارة: «السيد السند، المحقق في المعقول و المحق في المنقول، سَميّ خامس الأئمة الأمير محمد باقر الداماد عليه الرحمة»؛ فالعادة بين أصحاب التاريخ و الرجال و الحديث كانت هي أن يشيدوا بأساتذتهم و يذكروهم بعبارات مثل: «السيد السند» و «شيخنا» و «سيّدنا» و غير ذلك.

و نجد من جهة ثالثة أن قطب‌الدين قد تأثر كثيراً في أسلوب و طريقة كتابته بالميرداماد و نهج منهجه و بخاصة في اسلوبه العربي و كتابته العربية المخلوطة بالفارسية و التي يصطلح عليها بـ«الملمع» و التي نراها و اضحة عند الميرداماد في الجذوات و الرواشح و غيرهما من مؤلفاته.

و قد توفي الميرداماد سنة ١٠٤١ هـ، و اذا كان قطب‌الدين قد تلقّى الدروس على يديه فانه يكون قد قضىٰ مراهقته و شبابه في العقد الثاني و الثالث من القرن الحادي عشر و علينا أن نحدد ولادته في السنوات القليلة السابقة لسنة ١٠٢٠ هـ أو التي تلتها.

وفاته:

• مما يثير العجب أن بعض أبناء قطب‌الدين و أقربائه و المحيطين به كانوا كتّاباً و من أهل العلم، فلماذا اذن لم يذكروا لنا شيئاً عن وفاته؟! و كما ذكرنا سابقاً فان قطب‌الدين كان علىٰ

قيد الحياة عند حدوث الزلزال العنيف الذي ضرب اذربيجان سنة ١٠٨٨هـ، و ان تاريخ الانتهاء من فهرست محبوب القلوب الذي كتبه ابنه الشيخ جعفر و ذكر فيه والده بعبارة «رحمه الله» كان في سنة ١٠٩٥هـ. لذلك يمكن القول ان قطب الدين قد انتقل الى الرفيق الاعلى في الفترة ما بين ١٠٨٨ و ١٠٩٥هـ.

غير ان آقا بزرگ الطهراني و خلال تعريفه كتاب: خير الرجال لقطب الدين قد ذكر انه توفي بعد سنة ١٠٩٧هـ. و يعتمد صاحب الذريعة في قوله هذا على ما أورده الحر العاملي في كتابه أمل الآمل ضمن الحديث عن قطب الدين حيث يقول: «و هو من المعاصرين». و كما ذكرنا سابقاً فان الحر العاملي قد بدأ تأليفه أمل الآمل في سنة ١٠٩٦هـ و انتهى منه سنة ١٠٩٧هـ. و هذان التاريخان يناقضان التاريخ الذي انتهى فيه الشيخ جعفر ابن قطب الدين من كتابة فهرست محبوب القلوب و الذي اشار فيه الى وفاة والده، إلا أن نقول انّ الحر العاملي عند تأليفه كتابه أمل الآمل لم يكن قد اطلع على وفاة قطب الدين، إذ كان الأخير يستوطن جيلان و لم يكن الحر العاملي يعيش في تلك النواحي ليطلع على وفاته، و لذلك فانه و بناء على الاستصحاب لما عرف عنه سابقاً قال «و هو من المعاصرين».

الفلسفة في فكر قطب الدين

لو كان قطب الدين الاشكوري لم يكتب مقدمة لكتابه محبوب القلوب، لكنّا قد توصلنا الى آرائه و عقائده و أفكاره من أسلوبه و طريقة بيانه و تأليفه لآثاره و مؤلفاته. و يمكن القول بصراحة انه: عالم جامع، و فيلسوف و عارف و متكلّم، و محدث و مؤرخ و فقيه شيعيّ و الى حدما متعصب في تشيّعه، إلّا أنه موضوعيّ في كلّ فرع من فروع المعرفة التي بحث و استقصىٰ فيه. انه يعتبر الانبياء منابع الحكمة في عالم الشهود، و يربط الفلسفة بذلك و يقوّمها قائلاً: «فالحكمة على ما قيل استكمال النفس الانسانية بتحصيل ما عليه الوجود في نفسه، و ما عليه الواجب مما ينبغي أن يكتسبه بتعلّمها ليصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، و يستعدّ للسعادة القصوى الأخروية بحسب الطاقة البشرية، و الاسماء تختلف بحسب اختلاف طرق التعليم، فإن أدركها بزمان يسير من غير تعلّم بشري و كان مأموراً من الملأ الأعلىٰ باصلاح النوع الانساني سمّيت نبوة من النبوّة و هو ما ارتفع من الأرض.

فمعنى النبوة الرفعة، و معنى النبيّ الرفيع؛ و إن كان بالتعلّم و الدراسة سمّيت فلسفة في لسان اليونانيين. و الفيلسوف محبّ الحكمة و أصله فيلاسوفا، و «فيلا»: هو المحب، و «سوفا»: الحكمة، و هي أم الفضائل، و معرفتها مبعدة عن الرذائل و موصلة إلى الأوائل و يلزمها صفات شريفة: أحدها، أنها تنور النفس بالنور الالهي فيشرف على جميع المجهولات العلمية فلا يختفي عليه شيء من المجهولات كما يقال: «إنّ آخر درجة الحكمة أوّلُ درجة النبوة».

ان هذا المقتطف من قوله يدل على انّ توجه الانسان الى حقائق الاشياء و ادراكها كما هي على اساس من الطاقة البشرية يكون على شكلين و هما: ان فيض الاسماء اذا ألقىٰ بنوره من العالم الاعلى و لم يكن عن طريق التعلّم البشري المعهود و هو في نفس الوقت يتحمل مسؤوليّة اصلاح النوع الانساني فيقال له عندئذ: نبيّ؛ و اذا توصل الانسان الى ذلك بواسطة التعلّم البشري فيقال له: فلسفة. و يستلزم ذلك السيرة الجيدة التي من ضمنها تنوّر النفس بأشعة المعرفة الى الحد الذي تتحول فيه المجهولات الى المعلومات و لا يبقى اي شيء مجهولاً لديه و لهذا قيل: «ان آخر درجة الحكمة اول درجة النبوة».

(محبوب القلوب، ص ١٠٠).

الاشعار الفارسية لقطب‌الدين

لقد أشرنا في هذه المقدمة عدة مرات الى جامعية «قطب‌الدين الاشكوري»، و منها أنه يحظىٰ بقريحة شاعرية اذ أن آثاره و مؤلفاته تتضمن عادة ما نظمه بالفارسية:

فقد جاء في محبوب القلوب (ص ١٦٦) خلال حديثه عن ترجمة حياة هرمس الثالث، هذه العبارة « ... و من هذا سنح لي بالنظم الفارسي»:

دين نيابی، ز درم كيسه تهی تا نكنی

شاخ چون بذل درم كرد ثمر می‌گيرد

و جاء في (ص ٢٥١ و ٢٥٣) خلال حديثه عن ترجمة حياة سقراط:

بيگانگی ز خلق جهان عين وحدت است

زآن آشنای كس نشود آشنای او

و جاء أيضاً « ... و من هذا وقع في بعض مناشدتي بالفارسية ... »:

برای صحت عالم درشتیها به کار آید
ز تن کی خون فاسد بی گزند نیشتر جوشد

و جاء أيضاً في (ص ٢٧٠) خلال حديثه عن أفلاطون:

بی عمل را طلب نعمت فردوس چه سود؟
شجر مقصد بی أصل نیابد ثمری

و جاء أيضاً في (ص ٢٨١) حديثه عن ارسطو:

ناشتا از نعمت الوان دنیا چون حریص
چند باشی چند، از خوان قناعت سیر باش

و جاء في (ص ٢٩١) خلال حديثه ايضاً عن ارسطو:

عقل را ره به حریم حرم عرفان نیست
توسن فکر در این بادیه سرگردان است

و جاء في شرح الصحيفة السجادية و كذلك في محبوب القلوب أيضاً:

به یمن گریه، طفل از مادر خود شیر می‌گیرد
دعا روی اجابت را ز فیض چشم تر بیند

و جاء أيضاً في المصدرين المذكورين أعلاه:

چنو گریی و عصیان کنی احمقی است
بدین گریه بسیار باید گریست

طـــناب طـول أمـل بـاربند مـحنتهاست
چـو بـاركش بـه تـه بـار حـرص و آز مـرو[۱]

حادثتان مهمتان في حياة قطب الدين

يذكر لنا قطب‌الدين الاشكوري في المقالة الاولىٰ من كتابه محبوب القلوب حادثتين، الاولى: الحريق الذي اصاب داره، و الأخرىٰ: الزلزال الذي ضرب لاهيجان. و جاء ذكر هاتين الحادثتين في هذه المقالة عند الحديث عن جالينوس. و ذكر الحادثة الاولى في متن كتابه اما الثانية ففي الحاشية.

و هو يقول عن الحادثة الاولىٰ: «و قد حدث لي أيضاً حادثة، كما وقعت لجالينوس من حرق الكتب النفيسة قريباً من ستمائة مجلدةٍ مع البيوت و سائر الاشياء في الحـريق الذي سنح في بلدة اللاهجان ـ صانها الله عن الحدثان ـ في حدود سنة ثمان و خمسـين و ألف (۱۰۵۸) من الهجرة المقدسة، و فيها من الكتب بخط المحقق نصير الملة و الدين الطوسي، و العلامة جمال الدين بن مطهر الحلي ـ طاب ثراهما ـ و غيرهما من الأعـلام و كـثير مـن مكتوبات أبي و أخي ـ روّح الله روحهما ـ و ما كتبت أنا و صححت و قابلت مع النسخ الصحيحة، حتىٰ لم يبق لي شيء سوى رأسمالي: و هو حسن الظن بالله ـ عزّ مجدُه ـ و محبة أهل بيت رسوله ـ عليه و عليهم السلام ـ فالحمدلله على السراء و الضرّاء، و الشكر له لما خفّف ظهر قلبي من أثقال المواد لتعلّقات الزخارف في الحياة الدنيا».

أما الحادثة الثانية فقد وقعت يوم الاربعاء ـ يوم عيد الاضحىٰ ـ من عام ۱۰۸۸ هـ عند الفجر، اذ ضرب زلزال شديد منطقة جيلان و بخاصة مدينة المؤلف ـ لاهـيجان ـ و أدى الزلزال خلال ستّ دقائق إلى تدمير اكثر البيوت و المساجد و بخاصة المسجد الجـامع و مناراته، و مراكز الزيارة و الحمامات و الجسور. كما هدمت مساكن المؤلف و عائلته بشكل كامل بشكل لا يمكن ترميمها. و ادى هذا الزلزال المروّع في مدينة المؤلف الى هلاك نيّف و ستين شخصاً بشكل مفاجئ، و اكثرهم كانوا في الحمامات. و لو أن هذه الواقعة كانت قد

---

۱. راجع: مقدمة محدث ارموى لتفسير الشريف اللاهيجي، ص ٤٤ ـ ٤٥.

حدثت في منتصف الليل، عندما الناس نيام، لكان الناجون أقل من الهالكين. و يضيف المؤلف قائلاً ان أنباء هذه الحادثة المروعة قد وصلت اليه شفاهاً بعد عشرين يوماً من وقوعها بواسطة بعض المسافرين، لانه كان يقيم آنذاك في دار السلطنة ـ اصفهان ـ و لذلك فان حالة من القلق و الاضطراب علىٰ اولاده و اخوته و اقربائه و خدمه و غيرهم من الساكنين في بيته و بيوت عائلته، قد اعتورته يعجز القلم عن وصفها و البنان عن بيانها و ذلك قبل أن تصله أنباء الواقعة من خلال رسالة مكتوبة. غير انه استلم بعد خمسة أيام من سماعه للنبأ شفاهاً و بشكل اجمالي، رسالة من نجله العزيز الشيخ ابي سعيد، يخبره فيها عن سلامة الابناء و الأخوة و بقية الرجال و النساء من الخدم و غيرهم الساكنين في بيته، و قد شكر المؤلف الله عزوجل، كما هي عادته عند وقوع الحوادث.

(محبوب القلوب، ص ١٨٨؛ المخطوطة، الورقة، ٧٦؛ و أيضاً مقدمة الدكتور محدث، ص ٣٧ ـ ٤١).

مؤلفات قطب‌الدين الاشكوري:

لقطب‌الدين الاشكوري مؤلفات عديدة سنحاول تعريفها بقدر ما نمتلك من معلومات عنها. و هذه المؤلفات هي:

١ ـ أعمال القلب (راجع: الخطرات القلبية).

٢ ـ تفسير الشريف اللاهيجي للقرآن الكريم:

ورد اسم محمد بن الشيخ علي الشريف اللاهيجي في مقدمة آثاره مع لقبين هما: «قطب‌الدين» و «بهاءالدين»؛ كما ورد اسمه في الكتب التاريخية و الرجالية مع هذين اللقبين، و لهذا نجد البعض يرىٰ أن هذين اللقبين لعالمين اشتركا في الاسم و الاب و المكان، و لهذا فقد لقّب احدهما بـ«بهاءالدين» و لقّب الآخر بـ«قطب‌الدين». و ربما أنّ لقب «بهاءالدين» قد ورد ذكره في مقدمة هذا التفسير، لذلك فان مؤلفه ليس بقطب‌الدين الاشكوري. و نجد مثل هذا الشك في كتاب مصفىٰ المقال في مصنّفي علم الرجال لآقا بزرگ الطهراني، حيث كتب في (ص ٤١٦) حول «بهاءالدين» يقول: «... و أظنّ أن صاحب الترجمة غير المولىٰ قطب الدين الاشكوري صاحب محبوب القلوب المذكور في

(ص ٣٦٩)». إلا أنه يغير رأيه هنا في كتابه الذريعة عندما يتحدث عن كتاب خير الرجال. اذ يقول: «ألفه الشيخ بهاءالدين محمد بن الشيخ ملا علي الشريف اللاهيجي المظنون قوياً أنه هو الذي ترجمه الشيخ الحر في أمل الآمل بعنوان «مولانا قطب‌الدين محمد بن علي...»، و من توصيفه بمولانا و ما بعده يظهر حياته عند تأليف الأمل ١٠٩٧ كما يعلم من ديدنه، و قد مرّ له ثمرة الفؤاد في (ج ٥ ص ١٥)، و له محبوب القلوب، طبع مقالته الاولى في أحوال الحكماء قبل الاسلام في ١٣١٧ و هو أيضاً ملمّع، و إني رأيتُ نسخته التامة في بقايا كتب الطهراني بكربلاء، و قد ذكر في خاتمته ترجمة نفسه مفصلاً».

و يرى المرحوم الدكتور محدث ارموي الذي كان يمتلك مخطوطة هذا التفسير و استطاع بجهد أن يطبعه عام ١٣٤٠ هـ. ش / ١٩٦١ م، الرأي السابق نفسه و هو ان مؤلف هذا التفسير هو قطب‌الدين الاشكوري نفسه، و كتب ذلك بشكل تفصيليّ في مقدمته للتفسير المذكور حيث يقول: «اذا كان وجود لقبين مشهورين لشخص واحد يبدو غريباً، فالأغرب الافتراض بوجود شخصين يحملان اسماً و لقباً و محلاً واحداً و يعيشان في عصر واحد، و يؤلف احدهما كتاب ثمرة الفؤاد و يؤلف الآخر كتاب خير الرجال في سنة واحدة هي ١٠٧٥ هـ، و لم يرد في اي كتاب رجالي ذكر ذلك بشكل منفصل. لذلك فمن المحتمل جداً أن المؤلف كان ذا اللقبين، أو أنه كان يلقب في فترة من حياته بـ(بهاءالدين) و في فترة اخرىٰ بـ«قطب‌الدين» (مقدمة تفسير الشريف اللاهيجي، ج ١، ص ٨). و يمكن ان يحظى التفسير و التعليل الذي أورده الدكتور محدث من امكانية حمل الرجل للقبين في فترتين من حياته بالقبول و التأييد، حيث من الممكن أنه كان يلقّب بقطب الدين قبل تصديه مقام القضاء و المحكمة الشرعية و شيخ الاسلام، و انه لقب ببهاء الدين بعد ذلك، لأن قطب‌الدين لقب عرفاني لا يتناسب مع القضاء و الفقه.

و لما كان هذا التفسير مطبوعاً فانه لا يحتاج الى تعريف، إلا أننا ننقل من المقدمة بعض النكات التاريخية التي أوردها الدكتور محدث و التي ترتبط ارتباطاً و ثيقاً بحياة قطب‌الدين الاشكوري ـ و بحياة معاصريه أيضاً ـ:

أ ـ ألّف هذا التفسير عام ١٠٨٦ هـ و جاء في نهايته «تمّ تأليف هذه الترجمة الأنيقة علىٰ

يد مؤلفه بهاءالدين محمد بن الشيخ علي الشريف اللاهيجي ... في يوم الثلاثاء الرابع و العشرين من سنة ست و ثمانين و ألف ... ».

ب ـ و قيل إنَّ قسماً من هذا التفسير قد طبع في الهند في حاشية تفسير، لوامع التنزيل، تحت عنوان تفسير البهية.

ج ـ نُقل في الصفحة (٧٢٨) من تفسير البهية عن المولىٰ محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠ هـ) هذه العبارة: «و قال بعض اتقياء المتأخرين في حديقة المتقين». و جاء في الصفحة (٥١٧) أيضاً: «قال بعض اتقياء العصر ـ طاب مثواه ـ في ترجمة من لا يحضره الفقيه: ان ارض بابل حوالي الحلة، و ان الحلة قد شيدت من آجر بابل ... ».

د ـ ورد في الصفحة (٦٠٦) من المصدر المذكور آنفاً التعبير عن المجلسي الثاني (المولىٰ محمد باقر) بـ «بعض المعاصرين من أهل الحديث».

و جاء في الجزء الثالث من تفسير الشريف، في الصفحة (٤٤٥) خلال بحث مطول عن موضوع الرجعة ما نصّه: «و قال بعض المعاصرين الذين لهم اليد الطولىٰ في تتبع الأحاديث إن الاحاديث في باب رجعة حضرة اميرالمؤمنين و حضرة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام متواترة».

هـ ـ يعبر عن الملامحسن فيض بـ «العارف»، اذ جاء في تفسير سورة الانشراح في ذيل الآية: «فإذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ» هذه العبارة: «قال بعض من فضلاء عرفاء الزمان مدّ الله ظلال إفادته و لا زال كاسمه محسناً: أقول: نصب الامام و الخليفة ... ثم نقل عبارة فيض نفسها الموجودة في تفسير الصافي، ثم قال: انتهىٰ كلامه أعلى الله مقامه ... ».

و كتب في الصفحة (٦٨٠) من تفسير البهية في ذيل تفسير الآية «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ و إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» يقول: «قال بعض العرفاء المعاصرين ـ حفظهم الله تعالىٰ ـ في كتاب الوافي».

و ـ و ذكر في الصفحة (٦٨٠) من تفسير البهية، الملا خليل القزويني شارح الكافي، بهذه العبارة: قال الفاضل الجليل النبيل المولىٰ خليل مد الله ظلال إفادته في ترجمة الكتاب المستطاب الكافي».

و كتب في الصفحة (١٧٤) من الكتاب المذكور آنفاً يقول: قال بعض الأجلاء الأفاضل

المعاصرين الذي له اليد الطولىٰ و الحظّ الأوفى في تصحيح الألفاظ طبقاً للقواعد المقررة في ترجمة كتاب الكافي».

(مقدمة الدكتور محدث لتفسير الشريف اللاهيجي، ج ۱، ص ٤٥ ـ ٤٩).

۳ ـ ثمرة الفؤاد:

يتناول هذا الكتاب بيان أسرار الاحكام و حقائق الأعمال من العبادات و غيرها. و قد رتبه المؤلف علىٰ مقدمة و مائدتين و خاتمة. و توجد مخطوطة هذا الكتاب في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة بمدينة مشهد تحت رقم ۳۵۹٤ عام، و من موقوفات الحاج عماد الفهرسي، و كتبت بخط المير يوسف أيام المؤلف، و تاريخ الانتهاء منها سنة ۱۰۷۵ هـ. و يبدو من تاريخ كتابة هذه المخطوطة ان مؤلف كتاب ثمرة الفؤاد قد ألفه قبل كتاب فانوس الخيال لان تاريخ انتهاء المؤلف من كتابة الكتاب الأخير كان في سنة ۱۰۷۷ هـ. أما المخطوطة الثانية لثمرة الفؤاد فهي تعود لمكتبة الشيخ عباس القمي و توجد في مكتبة الروضة الرضوية المقدسة أيضاً. أما المخطوطة الثالثة فتوجد في مجموعة الدكتور مهدوي، اذ تضمنت المجموعة أيضاً فانوس الخيال و اعمال القلب و شرح بيتٍ من المثنوي و هي جميعاً من مؤلفات قطب‌الدين الاشكوري.

(الذريعة، ج ١٦، ص ١٠٠ نقلاً عن: دربارهٔ نسخه‌هاى خطي، ٢ / ١١٥؛ و ايضاً فهرست المكتبة المركزية لجامعة طهران، ج ١٤ / ٣٩٤٧).

و لمّا لم نستطع الحصول علىٰ مخطوطات هذا الكتاب فقد اضطررنا الاعتماد على ما جاء في الذريعة عنه:

ثمرة الفؤاد للمولى قطب‌الدين محمد بن الملا الشيخ علي الشريف اللاهيجي الاشكوري مؤلف محبوب القلوب الذي كان من تلاميذ الداماد و توفي بعد (۱۰۵۷)، فيه بيان أسرار الاحكام و حقائق الاعمال من العبادات و غيرها. أوله: «الحمدلله الذي جعل قوام‌الدين و نظام أمور المسلمين منوطاً بأعمال الجوارح ظاهراً و مربوطاً بأفعال القلوب باطناً ...» رتّبه علىٰ مقدمة في أنّ العقل هو الرسول الباطن بامداد الشرع؛ ثم مائدتين في كل منهما أثمار في أسرار العبادات و أسرار المعاملات إلى آخر الدّيات، و ألحق به خاتمة في تعيين الفرقة

الناجية الإمامية الاثني عشرية، أول الخاتمة: «أحمد لمن حبّه سراج حشاء المطرقين»، و قال في أوّل الكتاب: «قد كتب في بيان تلك الأسرار جمع من العلماء و العرفاء مثل الشيخ زين الدين الشهيد و الفاضل البحراني و العارف الكاشاني و الكامل الغزالي» رأيت نسخة عصر المؤلف و هي موقوفة الحاج عماد الفهرسي للخزانة الرضوية و هي بخط الميريوسف، فرغ من الكتابة في ١٠٧٥ في حياة المؤلف و أطراه كثيراً و وصفه بشيخ الاسلام، و ذكر أنه كتبه بأمر الميرزا عبدالله بعد اطرائه الكثير له، و نسخة أخرىٰ أيضاً في المشهد الرضوي كانت في مكتبة المولى المحدث الشيخ عباس القمي ـ رحمه الله ـ (الذريعة، ج ٥، ص ١٥ ـ ١٦).

٤ ـ الخطرات القلبية

لقد كتب قطب‌الدين خلال حديثه عن ترجمة حياة فيثاغورس عند توضيحه هذه الجملة «و قال [فيثاغورس]: «ما لا ينبغي ان تفعله احذر أن تخطره ببالك» أن هذا القول دليل على ان الانسان يحاكم بما يخطر بباله ثم يضيف قائلاً: «أقول: و هذا يدل على مؤاخذة الخطرات القلبية. و لي رسالة مفردة في هذا المطلب في جواب سؤال بعض الأصدقاء عن هذه المسألة».

(محبوب القلوب، ص ٢٢٠).

و لم يرد ذكر لهذه الرسالة في الآثار المذكورة للمؤلف، سوى ما جاء في مجموعة الدكتور مهدوي الخطية من ذكر ثلاثة أو اربعة مؤلفات لهذا المؤلف، و منها رسالة تحت عنوان اعمال القلب و التي يمكن ان تكون رسالة «الخطرات القلبية» هذه. (الذريعة، ج ١٦، ص ١٠٠، نقلاً عن دربارهٔ نسخه‌هاى خطي، ج ٢، ص ١١٥).

٥ ـ خير الرجال:

ان رجلاً عالماً قديراً، و مؤلفاً ماهراً كتب مؤلفات مثل تفسير القرآن و محبوب القلوب و تحدث بشكل مفصل عن أهل المعرفة من كل صنف و طبقة، لابد له أن رأى الكثير من كتب التاريخ و تراجم الرجال و طبقاتهم و كتب الدراية و غيرها، و طالعها و تعمق في محتوياتها و اختار منها مايريده، و يكفيه فخراً أنه ألف كتاباً مفيداً في هذا المجال أيضاً سماه بـ

«خير الرجال»، و نرىٰ من المناسب التعرف إليه:

لقد كتب السيد إعجاز حسين الهندي في كتابه كشف الحجب و الأستار يقول: «خير الرجال لبهاء الدين محمد بن الشيخ ملاعلي الشريف اللاهيجي، بيّن فيه رجال أسانيد كتاب من لا يحضره الفقيه، على ترتيب الأبواب و أثبت فى الفهرس اسماء الرجال و الرواة بترتيب حروف المعجم ايضاً و من تأمّل فيه ظهر عنده غزارة علمه و تنقيده في هذا الفن، مشتمل على تحقيقات سديدة و تدقيقات كثيرة خلت عنها كتب الاصحاب، فرغ من تصنيفه سنة ثمان و عشرين و مائة و ألف، أوله: «نحمدك اللهم يا من كان باب رحمته محطّ رجال لا تلهيهم تجارة ... ».

ان السنة التي ذكرها مؤلف كشف الحجب ظانّاً أنها سنة الفراغ من تأليف الكتاب و هي ١١٢٨ هـ ما هي في الحقيقة إلا سنة استنساخ مخطوطة هذا الكتاب و التي ذكرها آقا بزرگ الطهراني عند حديثه عن خير الرجال حيث كتب في الذريعة يقول: خير الرجال في بيان أحوال الرجال المذكورين في أسانيد كتاب من لا يحضره الفقيه تأليف الشيخ الصدوق، مجلد كبير ملمّع، ألّفه الشيخ بهاءالدين محمد بن الشيخ ملا علي الشريف اللاهيجي المظنون قوياً أنه هو الذي ترجمه الشيخ الحر في أمل الآمل بعنوان «مولانا قطبالدين محمد بن علي الشريف الديلمي اللاهيجي، فاضل عالم جليل القدر، له مصنفات.. إلى قوله: و هو من المعاصرين»، و من توصيفه بمولانا و ما بعده يظهر حياته عند تأليف الأمل (١٠٩٧ هـ) كما يعلم من ديدنه، و قد مرّ له ثمرة الفؤاد في (ج ٥، ص ١٥) و له محبوب القلوب الذي طبع مقالته الأولى في أحوال الحكماء قبل الاسلام في ١٣١٧، و هو ايضاً ملمّع، و إني رأيت نسخته التامة في بقايا كتب الطهراني بكربلاء، قد ذكر في خاتمته ترجمة نفسه مفصلاً و انه كان من تلاميذ الميرداماد و أن جدّه الشيخ عبدالوهاب بن پيله فقيه قد هاجر الى قزوين في عصر السلطان الشاه طهماسب و بأمره انتقل إلى لاهيجان و بها ولد له ولده المولىٰ الشيخ علي الشريف الذي توفي أبوه و هو صغير فربّته أمّه العلوية بنت السيد علي بن محمد اليمني حتىٰ نشأ جامعاً للمعقول و المنقول و صار شيخالاسلام، و لما توفي أُقيم مقامه ولده الأكبر الشيخ جمالالدين محمد بن الملا شيخ علي. قال: «و لمّا توفي

الاخ الاكبر بعد الوالد بثلاث سنين قلّدني القضاء و ساقني القدر علىٰ ما كان عليه الأب و الأخ». و أما خير الرجال هذا فرأيته في مكتبة شيخنا الشيخ محمد طه نجف و هو ينقل عنه في كتابه إتقان المقال المطبوع؛ أوله: «نحمدك اللهم يا من كان باب رحمته محطّ رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله». رتّب رجال أسانيده علىٰ ترتيب أبواب الكتاب فابتدأ أولاً بأحوال الرجال المذكورين في ديباجة الفقيه و هم احد عشر رجلاً، ثم المذكورين في باب المياه، و هم تسعة رجال، و هكذا سائر الابواب إلى آخر الكتاب. و قبل الشروع في أحوال الرجال، قدّم فصولاً في ذكر اصطلاح المتأخرين في أقسام الحديث، و في ذكر ألفاظ المدح، و في ذكر من صنّف في الرجال، و في ذكر الملل و النحل التي تذكر في أثناء الكتاب، و في ذكر تواريخ المعصومين مختصراً إلى الحجة عليه السلام و عمل له فهرساً لطيفاً و بيّن في الفهرست مواضع أسماء الرجال مرتباً على الحروف، و قال: إنّ الله تعالى أجرىٰ على لسان بعض السادة الأجلاء في تاريخ تأليف هذا الكتاب اسمه المذكور يعني خير الرجال، أقول: هو ينطبق على (١٠٧٥)، ويلائم مع بعض ما يذكر في أثناء الكتاب، قال في باب صوم التّطوّع في ترجمة الحسن بن راشد: «إعلم أنّ خاتم المجتهدين مولانا محمد تقي المجلسي ـ رحمه الله ـ قال في هذا المقام في شرحه الفارسي للفقيه» ثم ذكر كلامه وردّه عليه، و صريح دعائه أنه بعد وفاته (١٠٧٠) و له عليه حواش كثيرة ذكر في بعضها عند ذكر البترية في فصل الملل و النحل: «قال الفاضل الجليل الملا خليل القزويني ـ مدّ ظلّه العالي ـ في ترجمته الكافي في باب فضل القرآن إن البترية من الزيدية ـ الى قوله ـ و ظاهر كلام جناب الملاخليل أنهم الأبتر». و هو صريح في حياة المولىٰ خليل الذي توفي في (١٠٩٠)؛ و أما كتابة هذه النسخة فهي (١١٢٨)، و توجد نسخة أخرىٰ منه بخط محمد عادل نقلها عن نسخة خط المؤلف، و هي تنتهي بباب نوادر المواريث، و علىٰ هذه النسخة تملك الشيخ جعفر كاشف الغطاء، و تملك السيد مهدي القزويني، و هي في مكتبته بالحلة عند أحفاده، و يظهر من نقل السيد حسين بن السيد دلدار علي النصير آبادي اللكنهوي عن هذا الكتاب في كتابه «مناهج التحقيق» أنه كانت نسخة منه في مكتبته بالهند، و بالجملة هو كتاب نفيس مشتمل علىٰ تحقيقات خلت عنها كتب الأصحاب تدلّ علىٰ غزارة علم مؤلفه و سعة اطلاعه».

٦ـ شرح بيت من المثنوي:

و لم نتوفر لدينا معلومات عنه.

٧ـ شرح الصحيفة السجادية:

أحد آثار قطب‌الدين الاشكوري المفيدة الاخرى هو ترجمته و شرحه لصحيفة الامام الرابع للشيعة علي بن الحسين‌عليه السلام. و على‌الرغم من عدم كون هذا الشرح مفصّلاً و مطولاً إلا انه يحتوي على بيانات و مطالب سديدة و بحوث مفيدة جداً. و المخطوطة الوحيدة المعروفة لهذا الشرح هي الموجودة عند المرحوم الدكتور محدث ارموي. و قد ذكر ذلك في مقدمته لتفسير الشريف اللاهيجي لقطب‌الدين هذا، و أعرب عن أمله في طبعها و نشرها و دعا الله ان يوفقه لذلك (ديباجة تفسير الشريف اللاهيجي، ج ١، ص ٧٥ ـ ٨١).

و أول هذا الشرح كما جاء في مصورة مخطوطته المكتوبة بالفارسية و بشكل ملمع أحياناً آثرنا ان نذكره كما هو «صحيفه جامعه عالم امكان، ترجمه بليغهٔ صنايع بدايع آفريدگار ـ تعالى شأنه و تعاظم سلطانه ـ كه به شرح پردازى قلم ابداع و تكوين و مدد رسانى مداد قضا و قدر بر صفحتين أنفسى و آفاق در نظر هوشيار جلوه نماست، توسن تيزگام سخن سنجان معابد قدس و وارثان معالم أنس، از أداى حق حمد و ثنا در بيداى ناپيداى حيرت و آشفتگى خشمك كام و فرسوده گام دارد و زبان فصاحت تبيان اعجاز بنيان مقدمة الجيش رحمت ايزدى و خاتمة الفيض هدايت، أفصح مخلوقات و أبلغ مكونات محمد عربى هاشمى عليه و على آله أفضل التسليمات و أكمل التحيات به كلام حقيقت انتظام «گويا گشته به عجز و قصور اعتراف فرمايد:

از دست و زبـــان كـــه بـــرآيـــد ‌ ‌ ‌ ‌ كـــز عـــهدهٔ شكـــرش بـــدر آيـــد

باعث جرأت فقير بى بضاعت قطب‌الدين محمد بن شيخ علي الشريف اللاهيجي مولداً و الديلمي محتِداً كه رأس المال و ذخيره مآلش حبّ حضرات طاهرات ائمهٔ دين صلوات الله عليهم أجمعين است، بر تحرير ترجمه دعوات استجابت آيات حضرت امام المتقين و سيد الساجدين، زين‌العابدين علي بن الحسين‌عليهما السلام كه موسوم و مشهور به «صحيفه

کامله» و ملقب به «زبور آل محمد، و انجیل أهل البیت» است. آنکه چون جمعی از اعلام علمای فرقهٔ ناجیه یعنی شیعه اثناعشریه ـ أیّدهم الله و کثّرهم ـ توفیق تبیین و توضیح کتاب مستطاب بلاغت انتساب یافته بذل جهد در این باب فرموده بودند ـ شکر الله سعیهم و رضی عنهم ـ و بنابر آنکه توضیحات و تعلیقات ایشان به لسان عربی و یا فارسی مخلوط و ممزوج به عربی گزارش یافته بود، پارسی زبانان که تلاوت أدعیه شریفه سجادیه می‌نمودند دیر به مقصد می‌رسیدند چه بر ایشان لازم بود که به مؤدای:

این جنبش زبان نگشاید گره ز دل

قفل از درون، کلید ز بیرون چه می‌کند!؟

به مجرد تحریک زبان اکتفا ننموده بلا توقف و تفکر مستشعر شوند به آنچه گویند و از درگاه بی‌نیاز طلبند، لهذا بخاطر فاتر خطور نمود که ترجمه فارسی که محتوی بر حاصل معنی تحقیقات و تصحیحات علمای امامیّه ـ اعلی الله تعالی مقامهم ـ بوده باشد بر هر فقره‌ای از فقرات دعوات با فواید ضروریه به حسب مناسبت مقام به معرض عرض باریافتگان بارگاه سلیمانی پادشاه دین پناه ظل الله خسرو سلیمان شکوه انجم سپاه افتخار أعاظم سلاطین روی زمین نسبا و حسبا ملك ملوك آفاق شرقاً و غربا سلطان سلاطین اقطار برّا و بحرا أعنی خلاصة اولاد مصطفوی نقاوهٔ احفاد مرتضوی و المؤید المظفر بتأییدات الملك المنّان السلطان بن السلطان بن السلطان، الخاقان بن الخاقان بن الخاقان شاه سلیمان الصفوی الموسوی الحسینی، بهادرخان ... امید آنکه از کرم الهی ... که حاجتروایی حاجتمندان و شفا بخش دردمندان ... و منور گردد».

و جاء في نهاية النسخة: ... و افاضه کند خدای سبحان بر بهتر و مهتر ما محمد ﷺ که فرستاده و برگزیده او است و بر آل او و پاکند از گناهان صغیره و کبیره و سهوونسیان از اول عمر تا آخر آن. تمت».

٨ـ فانوس الخيال في إراءة عالم المثال أو الرسالة المثالية:

أشار الكتّاب الذين تعرضوا الى ترجمة حياة قطب‌الدين الاشكوري الى أثرين مفيدين

من آثاره أو الى واحد منهما و هما: فانوس الخيال و محبوب القلوب.

و يتناول فانوس الخيال الأدلة التي تثبت عالم المثال (العالم الروحاني أو عالم البرزخ)؛ فالسؤال و الجواب عن النفس في مراحلها المختلفة، و كيف هي إذا فارقت البدن و هجرت الجسد؟ كما يتعرض الكتاب الى انتقال النفس الانسانية الى عالم الاشباح المثالي و ان كل نفس شبحية تختار بصورة متساوية مكانها السابق الذي كانت عليه. و لما كان هذا الكتاب لايزال مخطوطاً و لمّا يطبع بعد، و بالاضافة الى وجود ثلاث مخطوطات منه ليس اكثر، يجدر بنا ان نتحدث عنه بتفصيل اكثر نسبياً.

بداية فانوس الخيال حيث توجد مخطوطته تحت رقم ١٦١٥ في مكتبة «ملك» بطهران، و يتحدث عنها الدكتور محدث، هي: «أحمدك يا من ليس لك في العوالم العلوية و السفلية شبه و لامثال، و اشكرك يا من لا يعتريك للابداع و الاختراع و التكوين كلال و لا ملال، و صلواتك التامات الزاكيات علىٰ رسولك الهادي في الحال لنجاة الثقلين بالمآل و آله المعصومين المرتقين بالأمة المرحومة من تيه الضلال إلى أوج الكمال. و بعد يقول الفقير إلى الله الغني المغني قطب‌الدين محمد بن شيخ علي الشريف اللاهيجي: إنه لما كانت النفوس المجردة الانسانية بعد المفارقة من الأبدان العنصرية المعبّر عنه بالموت الطبيعي بمقتضىٰ ما هو المستفاد من الأحاديث الشريفة المروية عن أصحاب العصمة ـ سلام الله عليهم ـ تتعلق بأشباح مثالية تشابه تلك الأبدان فتتنعّم او تتألم فيها إلى قيام الساعة فتعود إلى أبدانها باذن موجدها[١] كما كانت عليه في ساعة القيام فدعاني امتثالاتها إلى تحرير رسالة موجزة في تحقيق عالم المثال و الصور الشبحية التي تتعلق بها النفوس غبّ الخلاص عن القوالب الجسمية و الشبائك الحسية؛ فأوردنا أولاً نبذاً من الأحاديث المؤيدة لهذا المدعىٰ مع ترجمتها بلسان الفرس، ثم بيّنا حقيقة هذا العالم علىٰ ما ذهب اليه حكماء الاشراق، و عرّفه المتألهة من الفرق الصوفية الموحّدة بمجاهداتهم الذوقية، و تحققوا بمشاهداتهم الكشفية، و أنت تعلم أن أرباب الارصاد الروحاني[٢] اعلىٰ قدراً، و أرفع شأناً من أصحاب الارصاد الجسماني[٣]، فكما انّك تصدّق هؤلاء فيما يلقونه إليك من خفايا الهبات الفلكية فحقيق أن

---

١. ص: موجده.   ٢. ص: الروحانية.   ٣. ص: الجسمانية.

تصدّق أولئك أيضاً فيما يتلونه عليك من خبايا العوالم الملكية مع ما أيّدته الشواهد و التأييدات النقلية، منها ما روىٰ شيخنا الأقدم الأفخم محمد بن يعقوب الكليني ـ طاب ثراه ـ ...».

أما نهاية المخطوطة فهي: اللّهم اسلك بنا سبيل الرشاد و اجعلنا من أهل السداد وهب لنا الأمن من يوم المعاد إنك أنت الكريم الجواد.

تمت الرسالة التي سمّيناها فانوس الخيال في إراءة عالم المثال بعون الله الملك المتعال في غرّة شوال ختم بالخير و الإقبال سنة ١٠٧٧ من الهجرة المقدسة». (محدث ارموي، ديباجة تفسير الشريف اللاهيجي، ص ٥٤).

لقد كتب كتاب فانوس الخيال باللغة العربية الى جانب اللغة الفارسية و هو ما يسمّى بالملمّع، شأنه في ذلك شأن كتاب محبوب القلوب. كما ان تسميته بالفانوس ينسجم مع ما جاء في معجم بهار عجم بـ«فانوس الخيال و الفانوس الخيالي: هو الفانوس الذي تعبّأ فيه الصور و الهياكل أو الأجساد و أحياناً ينقش و يصبح فانوساً، و أحياناً تتحول تلك الصور بقوة الى دخان الفتيلة و يبقى الفانوس وحده كما يحدث ذلك في الألعاب السحرية، و يقال له الفانوس الدوّار أيضاً كما في الفرهنج». و علىٰ هذا يتضح للقارى السر في اختيار هذا الاسم و العنوان لهذا الكتاب، و كم هو يناسبه و يكشف عن حسن قريحة المؤلف و ذوقه البارع (راجع المصدر السابق نفسه، ص ٥٧ ـ ٥٨).

و يقول آقابزرگ الطهراني خلال حديثه عن هذا الكتاب: «فانوس الخيال في تحقيق وجود عالم المثال، فارسي و عربي كبير في ثمانية آلاف بيت تقريباً، موجود في مكتبة الشيخ علي بن الشيخ محمدرضا آل كاشف الغطاء؛ و هو لقطب‌الدين محمد بن الشيخ علي الشريف الديلمي اللاهيجي، و لعله نسخة خطّه الجيدة، فرغ منه في أول شوال ١٠٧٧ و عليه حواشٍ منه ... و مرّت رسالة في عالم المثال للمولىٰ شاه محمد، و أخرىٰ للقطب اللاهيجي، و توجد نسخة كتبت عن النسخة المذكورة عند «الملك» و نسخة عند المهدوي بطهران مع ثمرة الفؤاد و أعمال القلب، و شرح بيتي از مثنوي كما في دربارهٔ نسخه‌هاى خطى ٢ : ١١٥» (الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج ١٦، ص ١٠٠).

و تشير عبارة كتاب الذريعة: «و اخرى للقطب اللاهيجي» خلال الحديث عن فانوس الخيال الى نوع من الإبهام و الإيهام، و لابد لها أن تكون هكذا: و مر عنوان رسالة في عالم المثال، لان المقصود من كلمة «مرت» ما ذكر في الجلد ١٥ فى الصفحة ٢٠٦ من كتاب الذريعة حيث جرى ذكر رسالة عالم المثال لقطب‌الدين الاشكورى هذا، هناك، و ان تلك الرسالة ليست إلا فانوس الخيال هذا ليس غير. و ان هذين العنوانين: فانوس الخيال ـ رسالة في عالم المثال ليسا في الحقيقة إلا لكتاب واحد. فطريقة تعبير الجلد ١٦ من الذريعة فيه نوع من الابهام و الايهام حيث كتب في البداية هناك يقول: «و يأتي فانوس الخيال ثم يذكر بعده: رسالة في عالم المثال للقطب اللاهيجي الاشكورى، و الصحيح ان هذين التعبيرين يجب أن يكونا بهذه الصورة: و يأتي فانوس الخيال الذي سمّي رسالة في عالم المثال.

و كتب قطب‌الدين الاشكوري في الصفحة ٤١٨ من مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران عند الحديث عن ترجمة حياة ابن سينا، و أن أخبار الغيب هي جزء من احكام انكشاف عالم المثال، كتب يقول: « و أنت خبير بأن الإخبار عن الغيب من أحكام انكشاف عالم المثال، فحريّ بنا الآن أن نشرحه قبل الخوض في البيان: فاعلم أنّ العالم المثالي هو عالم روحاني من جوهر نوراني شبيه بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً سطحياً لا عمق فيه، و بالجوهر المجرد العقلي في كونه نورانياً بريئاً عن التحيّز و المادّة بل هو برزخ و حدّ فاصل بين عالمى العقل و الحس و له جهتان يشبه بكلّ منهما ما يناسب عالمه، و انما يسمىٰ بالعالم المثالي لكونه مشتملاً على صور ما في العالم الجسماني بجميع لوازمها و مظهراً لما في الحضرة الالهية من صور الاعيان و الحقايق و يسمىٰ ايضاً بالخيال المنفصل و المثال المطلق، فليس معنى من المعاني و لا روح من الارواح إلا و له صورة مثالية مطابقة لكمالاته؛ و لذلك ورد في الخبر الصحيح أن النبيﷺ رأىٰ جبرئيل في السدرة و له أربعمائة جناح و هذا العالم المثالي يشتمل على العرش و الكرسي و السماوات السبع و الارضين و ما في جميعها.

و من هذا يُعلم كيفية المعراج النبوي ـ عليه أشرف التسليمات ـ و المنسلخين عن الهياكل، و الخيال الانساني ليس الا نموذجاً منه و ظلّاً من ظلاله. خلقه الله ـ سبحانه ـ دليلاً علىٰ وجود العالم الروحاني و لهذا جعله أرباب الكشف متصلاً بهذا العالم المثالي و

مستنيراً منه كالجداول و الانهار المتصلة بالبحر، و الكوىٰ و الشبابيك[1] التي يدخل منها الضوء في البيت، و لهذا يسمّى الخيال الانساني مثالاً مقيّداً و خيالاً متّصلاً. و لا حتجابنا بشبابيك[2] الحواس و التوجه الى عالم الشهادة التي مثلها بالقياس إلى عالم المثال المطلق كحلقة ملقاة في بيداء لا نهاية لها، لا يراه الا المنسلخون عن جلباب البدن و علائقه بعيون منهم عن خيالهم المقيد و الاتصال بالخيال المطلق فيشاهدون الصور المثالية على ما هي عليه و ينتقلون منها إلى ما في اللوح المحفوظ الذي هو مظهر العلم الإلهي فيطّلعون علىٰ أحوال أعيانهم الثابتة بالمشاهدة لانهم ينتقلون من الظلال إلى الانوار الحقيقيّة. و سنذكر ـ ان شاء الله تعالى ـ ما هو الوارد في اثبات العالم المثالي عقلاً و نقلاً في المقالة الثالثة».

و كتب هو أيضاً في محبوب القلوب عند حديثه عن ترجمة حياة أفلاطون (ص ٢٧١) يقول: «و أثبت لكلّ موجود في العالم الحسيّ مثالاً موجوداً غير مشخص في العالم العقلي و تسمىٰ تلك المثل المثل الأفلاطونية و هي المثل النورية غير المثل الظلمانية التي أثبتها في عالم المثال البرزخي الخيالي». إنه تحدث عن عالم المثال في كل مكان من محبوب القلوب (مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران، ص: ٩١١ و ٩١٦، ٤٤٠ـ٤٥٠، و غيرها).

و كتب الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي في بداية كتابه دارالسلام في الرؤيا و المنام: «و منها أنه طريق إلى وجود عالم كبير واسع مشتمل علىٰ جميع ما يوجد في هذا العالم بوجود أصفىٰ و أتمّ و أوفىٰ و أعمّ، لا يغادر فيه منه شيء حتى المآكل و المشارب و الحدائق و الكواعب و الشدائد و المصائب و أمثالها من اللذة و الألم و المحن و النّعم يجدها كل أحد بالوجدان و ربما يبقىٰ أثرها معه في عالم العيان كما أشار إليه الامام عليه‌السلام و يأتي له شواهد كثيرة من منام كثير من الأنام بل تدلّ المنامات الصادقة الآتية على تأصل هذا العالم و تقومه بنفسه و تأثيره فيما في عالم الحس و المصادقة الماضية على دوامه و بقائه و أشدية وجوده و كلاهما علىٰ أنّ لكلّ موجود هنا صورة و مثالا فيه و ان لم يطابقه في الظاهر كما يأتي ذكره في بعض فصول الباب الثاني، و هذا هو العالم المعبّر عنه بعالم المثال، و له أسامٍ أخرىٰ، و لإثباته شواهد من الأخبار، و ادعىٰ بعضهم ثبوته بالكشف و العيان، و آخر

---

١. ص: الشبابك.
٢. ص: الشبابك.

بالدليل و البرهان، قد أورد جميع ذلك البهائي اللاهيجي في الرسالة النورية المثالية من أرادها راجعها، و فيما أشرنا إليه غنىً للمتأمل البصير و لا ينبئك مثل خبير» (دار السلام، ط ١، ١٣٠٥، ص ٥).

و قد تعرض قطب‌الدين في كتابه محبوب القلوب إلى فانوس الخيال عند اقترابه من نهاية الكتاب، حيث تحدث حول أحوال الارواح بعد مفارقتها الأجساد بشكل مفصل تحت عنوان: «تختيم في أحوال الأرواح بعد المفارقة من سجن الأبدان» و ذكر أقوالاً مختلفة حول عالم المثال، و كتب في الحاشية ما نصه: «في أنّ جابلقا و جابرصا و هو رقليا من مدن عالم المثال، و ان الشيخ العارف اللاهيجيﷺ يقول في شرحه لگلشن: ان ما تعلّق بخاطري أنا و لست مقلّداً في ذلك غيري أنّ جابلقا عالم المثال ... و ما يستنتج من قوله هذا أنّ عالم الالوهية مشرقي بالنسبة للربوبية، اذ يصل الفيض منه لعالم الربوبية و لهذا صار عالم الربوبية مغربا و عالم الربوبية مشرقي بالنسبة للبرزخ، و ان الفيض يصل من عالم الربوبية الى البرزخ، فالبرزخ إذن مغرب، و البرزخ مشرقي بالنسبة للشهادة، اذ يصل الفيض منه للأخير، فعالم الشهادة اذن مغرب كما جاء في القرآن الكريم: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ و الْمَغَارِبِ»، أما بقية كلام الشيخ المذكور فقد ورد مع تحقيق و بيان لعالم المثال، في رسالة فانوس الخيال للمؤلف، و من أراد الوقوف فليراجعها[١]».

و قد أشار قطب‌الدين في فانوس الخيال إلى محبوب القلوب عندما تحدّث خلال بحث له تحت عنوان «نقل منام مناسب للمقام» حيث كتب يقول: «حكى لي اخي بعد وفاة أبي ـ روّح الله روحهما ـ حين أرسل أخي عرايض و بريداً في معسكر السلطان في قلعة ايروان لارجاع منصب الأب إليه و استحصاله الأحكام له، أنّه رأيتُ الأب ليلة في المنام بعدما بلغ إليّ خبر إنجاح المرام فقلت له ـ رحمه الله ـ: قد رأيت في كتب مشايخ الصوفية أنّ النّفس المهذّبة لها قوّة أن تتصرّف[٢] في الأبدان لإنجاح مرام الأنام في هذه النشأة، فلو أمكن ذلك لها في دار التعلّق، فبعد قطعها العلائق و الفراغ من التدبيرات البدنية و العوائق ينبغي أن تكون[٣] أقدر، فهل كان حصول مرامي و انجاح مطلبي يتمشّىٰ بامدادك و إسعادك بمقتضىٰ مقالهم ...

---

١. ص: فليراجع إليها. ٢. ص: يتصرّف. ٣. ص: يكون.

قال: فقال الأب ـ رحمه الله ـ هذه الحالة حاصلة للنفوس القويّة المهذّبة القدسية، و ليس لي قدرة بتلك المثابة و مكنة بهذه المرتبة، إلا أن إنجاحَ مرامك لا يحصل و لا يجدي إلا بالتماس عند أربابها؛ و أنا وجدتُ بعدما سمعت المنام من أخي في كلام ثاوفرسطس الحكيم ابن خالة الحكيم الأجل ارسطاطاليس و أحد تلامذته و أوصيائه: أنّ النفس تقدر على الطيران و الحلول علىٰ جميع ما تريدها[1] بالاجنحة الحقيقية التي لها كما نقلنا في كتابنا الكبير الموسوم بـ «محبوب القلوب».

(راجع ايضاً محبوب القلوب، ص ٣١٨).

و كما ذكرنا سابقاً فان تاريخ الانتهاء من تأليف فانوس الخيال كان في سنة ١٠٧٧ هـ. و قد ذكر المؤلف في كتابه محبوب القلوب الزلزال الذي ضرب لاهيجان سنة ١٠٨٨ هـ و بذلك فاننا نستطيع ان نستنتج من هذين التاريخين ما يأتي:

١ ـ ان المؤلف قد شرع في تأليف محبوب القلوب قبل سنة ١٠٧٧ هـ و كان قد انتهىٰ من كتابة جزء كبير مهم منه عند الانتهاء من تأليف فانوس الخيال، و لذلك فقد استند اليه.

٢ ـ ان المؤلف حتىٰ سنة ١٠٨٨ كان مستمراً في تأليف و كتابة محبوب القلوب و حواشيه.

٩ ـ لطايف الحساب:

و لا تتوفر معلومات لدينا عنه.

١٠ ـ محبوب القلوب:

ابتدأ الاشكوري كتابه محبوب القلوب بمقدمة أسماها (خطبة الكتاب) و انه بعد حمد الخالق المتعال شرع في ذم الطالحين من الناس، و الذين باعوادينهم، و المتظاهرين بالعلم و الفلسفة في تلك الأيام. ثم استعرض الإطار العام للكتاب و سماته و خصائصه و الدافع الذي حثّه لتأليفه. انه فكر في تأليف كتاب يجمع فيه ترجمة حياة الانبياء و أئمة الشيعة المعصومين و الفلاسفة و العرفاء و المتكلمين اليونانيين و المسلمين و بقية أهل الحكمة و

---

١. ص: يريدها.

المعرفة بالاضافة الى افكارهم و أقوالهم، ليستطيع بذلك المؤمنون ان ينتخبوا طريقهم بوعي و يواصلوه بثبات.

إنّه قسّم الكتاب علىٰ مقدمة و ثلاث مقالات و خاتمة و أسماه «محبوب القلوب».

تحدث في المقدمة عن كيفية ظهور الفلسفة و الحكمة الحقيقية و المجازية، كما تحدث عن التصوّر الذي يحمله الفلاسفة الهنود و اليونانيّون و غيرهم للكون و الحياة. أما المقالة الاولىٰ: فانها تختص بالفلاسفة و الحكماء قبل الاسلام من آدم الى ظهور الاسلام. و خصص المقالة الثانية: للحديث عن ترجمة حياة الفلاسفة الذين عاشوا في ظل الاسلام منذ البداية و حتىٰ عصره (المؤلف). و تحدث في نهاية هذه المقالة عن ترجمة حياة العرفاء المسلمين العظام. أما المقالة الثالثة: فإنها تضمّنت تاريخ الائمة المعصومين للشيعة و سيرتهم و أحاديثهم و حكمهم لتقرّبها العيون، و تستريح إليها القلوب المضطربة و المتعبة، و لتكون علاجاً لآلام الجسم و أمراضه الباطنية. و جاءت في نهاية هذه المقالة تراجم حياة العلماء الشيعة. كما تحدث المؤلف في الخاتمة عن ترجمة حياته و آبائه و أجداده.

ان مقدمات الكتب التي أُلّفت في الماضي تعد مرآة تعكس فيها كلّ أبعاد الكتاب: كالاجزاء العلمية للكتاب (نحو: الموضوع ـ المبادى ـ المسائل و القضايا) و الرؤوس الثمانية، و الجوانب التعليمية و البراعة في الاستهلال. و مقدمة هذا الكتاب قد روعي في تسطيرها أصول فنّ التأليف و التدوين لدى القدماء. و لو أننا تعمّقنا قليلاً في دراسة الكتاب و مقدمته لاستطعنا أن نصل إلى ما يأتي:

١ ـ ان المؤلف عالم شيعي و عارف، ألّف هذا الكتاب إحساساً منه بمسؤوليته الدينية و واجبه الاسلامي.

٢ ـ لغة الكتاب هي العربية، إلا أن أقساماً كثيرة منه كتبت باللغتين العربية و الفارسية اي ما يصطلح عليه بالملمّع و هو اختلاط العربية بالفارسية.

٣ ـ يتضمن الكتاب تاريخ الفلسفة و الفلاسفة، إذ لم يكتف المؤلف بسرد ترجمة حياة الأشخاص كما وردت في كتب التراجم و المؤلفات المشابهة، بل إنه تعرض أيضاً الى التصور الفلسفي للكون و الحياة، و إلى العديد من آراء الفلاسفة و العرفاء و المتكلمين و عقائدهم في

القضايا المختلفة المتّصلة بالعالم، إنه تعرض بشكل مفصل نسبياً إلى التصورات و الآراء و العقائد العلمية لأهل الحكمة و المعرفة، غير أنّه اختار الإعتدال و الحدّ الوسط في تعريف الاشخاص و ذكر اسمائهم و هوياتهم.

٤ ـ اهتم المؤلف بالاخلاق و الحكمة العملية باعتبار البعد العام لها، و باعتبار بعدها الصانع للانسان و المهتم بتربيته اكثر من الابعاد الأخرىٰ. و إن أكثر الأحاديث و السير المذكورة في الكتاب تدور حول هذا المحور.

٥ ـ يعدّ الكتاب كتاباً تاريخياً و جغرافياً عاماً بالاضافة الى ما ذكر من خصائصه الأخرىٰ؛ اذ انه يحتوي علىٰ ترجمة حياة العديد من الحكام و الملوك و الأمراء و رجال السياسة و الاجتماع و يشتمل على بيان أوضاع الدول و المدن و القرىٰ و أحوالها.

٦ ـ يعدّ الكتاب دائرة معارف اسلامية. اذ انه يحتوي بالاضافة إلى ما ذكرناه، على أصول و قواعد و مصطلحات العديد من علوم التفسير و الفقه و الرواية و الكلام و بقية المعارف الاسلامية.

٧ ـ يستشهد الكتاب بالآيات القرآنية.

٨ ـ كما يستشهد كثيراً بالأحاديث و الأخبار الاسلامية و يهتم بالاعتماد في نقل ذلك على المصادر و المراجع الشيعية.

٩ ـ يستشهد بالأشعار العربية و الفارسية.

١٠ ـ يستشهد بالأمثال و الحكم و القصص.

١١ ـ و مما يتميز به الكتاب أيضاً، هو أنه يتضمن آراء المؤلف التي يُبديها في المجالات التي يتحدث عنها. و هو بالنسبة إلى بقية آثار المؤلف، لا نظير له من هذه الناحية. و يمكن القول من دون مجاملة و لا إغراق: إن المؤلف عند حديثه و نقله آراء كل فيلسوف من الفلاسفة و العلماء و عقائده يظهر رأيه الموافق أو المعارض بحسب الموضوع، و ينزع إلى التأويل أو التفسير أو التبرير.

١٢ ـ يتجه الكتاب الى تأييد الافكار و الأراء الفلسفية و العرفانية بواسطة المعارف الدينية.

١٣ ـ إنه يحاول أن ينسق بين تصورات و آراء و عقائد العديد من الفلاسفة، و لهذا فانه يعد كتاباً في الفلسفة المقارنة.

١٤ ـ يقارن المعارف العقلية و النقلية بين العديد من القضايا الفلسفية و العرفانية و الأصول الأدبية و الروائية.

١٥ ـ يبرز الكتاب إبداع الفلاسفة و العلماء و ابتكاراتهم و يولى هذه الناحية اهتمامه.

١٦ ـ كما يذكر العديد من الإبداعات الفنيّة و المعمارية.

١٧ ـ المصادر و المراجع التي ذكرت في هذا الكتاب جديرة بالاهتمام و الملاحظة، و تعدّ إحدى ميزات هذا الكتاب. و لابد من الثناء على الاسلوب الذي اتّبعه المؤلف في ذكره المصادر و المراجع. و عدد المصادر و المراجع التي ذكرها الكتاب كثيرة إلى حد أن تنظيمها في فهرست تحليلي مفصل يحتاج الى كتاب مستقل لذلك.

مختارات من مقدمة «محبوب القلوب»:

«الحكيم» أحد اسماء الله سبحانه، و الحكمة الواردة في الآيات و الأخبار هي الحكمة التي أطلقت على القول و العقل لهذا الحكيم و لخلفائه في الارض. و الاشكوري ـ كما ذكر ـ قد ألّف كتاب محبوب القلوب على اساس هذه الحكمة و ضمّنه معناها الإصطلاحي. و على هذا الاساس فان هذا الكتاب يختلف عن المؤلفات المشابهة اختلافاً كبيراً. ذكرنا بعضها، و منها الاهتمام بتراجم حياة ائمة الشيعة المعصومين التي تضمنتها المقالة الثالثة. و لما كان المؤلف قد تطرق الى بيان الدافع الذي دفعه الى تأليف هذا الكتاب، و تعرض أولاً الى النعم التي أنعمها الله تعالى، و منها نعمة الرسالة التي يعدّها من أعظم النّعم، نراه يقسم أتباع الانبياء على قسمين: أحدهما الائمة و الاتباع الذين تولوا مسؤولية هداية العباد بعد وفاة النبي، و بلّغوا دينه و شريعته على أساس من الأسس و المبادئ الالهية، و اهتموا باصلاح الناس و تهذيبهم و تعليمهم و تربيتهم؛ و ثانيهما أولئك الذين تظاهروا باتّباع النبي، و لكنهم اتّبعوا أهوائهم و سلكوا سبيل الضلال و ظلموا بذلك أنفسهم و الآخرين. إن هذه الازدواجية سبب الضلال و الفساد بعد النبي، و لذلك فقد بدأ أهل الحكمة و المعرفة بنشر أفكارهم بطريقين أحدهما حقيقي و الآخر مجازي، و لهذا فان الحكماء و الفلاسفة قد وجدوا

أنفسهم في هذا الطريق. إن هذه الإزدواجية في الأمة قد حدثت بعد عصر كل نبي من الأنبياء أو في زمان ابلاغ رسالاتهم، و قد اتضحت الآثار السيئة لها في جميع الأزمنة و العصور.

و النبي يمتلك النبوة و الوحي و العلم و الحكمة، و ان أهله و أتباعه قد نالهم نصيب وافر من هذا التراث الالهي، و اتجهوا نحو الحكمة الحقيقية. و لذلك فانهم يتلألؤون حيثما يجري الحديثُ عن الافكار و الآراء الفلسفية الحقة. ان بيان التصّور للعالم و معرفة علّته و معلوله، تعد من الأمور الصعبة، و لن يستطيع أحد الوصول إلى الحقيقة و كنهها إلّا الانبياء و ورثة الوحي و النبوة و العلم و الحكمة الحقيقيين الذين هم الائمة و الفلاسفة الصادقين، و ذلك لأن آخر درجة الحكمة هي أولىٰ مراتب النبوة.

إن طيبة القلب و البصيرة الواضحة ، و البعد عن الأهواء النفسانية و النزاهة و الابتعاد عن الارتباطات و الحاجات الجسدية و غيرها من عشرات الخصال و الصفات الجيدة الأخرى هي شروط الباحثين عن العلم و الحكمة الحقيقيّين. و لكن مما يؤسف له دائماً ان عدداً من أدعياء الفلسفة و العلم و الحكمة بتعلّمهم لأصول الفلسفة و قواعدها و المعارف الاخرىٰ يتردّدون على المجالس و المحافل و يقومون بعقد ندوة او مؤتمر أو صفّ في كل زاوية، و هم وحدهم الذين يعدّون مصداقاً لهذا القول «أول من وَفَدَ و آخر مَنْ تَرَكَ» هم وحدهم الذين يتكلمون و يكتبون؛ و ان تكريم هؤلاء و تجليلهم و منحهم الألقاب و المناصب و الامتيازات التي ليست من حقهم قد أدّىٰ إلى توهّمهم بأنهم حقاً متبحّرون و متخصصون في جميع العلوم و الفنون و انهم اساتذة الكل في الكل، و ان جميع المعارف مختصة بهم فقط، و ان الآخرين لم ينالوا حظاً منها. و حكىٰ أمين مكتبة كلية الآداب و العلوم الانسانية بجامعة طهران أن أحد أدعياء الفلسفة هؤلاء، راجع يوماً ما، المكتبة. باحثا عن احد مؤلفات الميرداماد و أخبر بانّ الكتاب الذى يبحث عنه قد استعير من المكتبة فاجاب ذلک الاستاذ أمين المكتبة تأملاً: و هل يوجد فى ايران غيرى من يفهم هذا الكتاب حتى يستعيره؟!

إن عقول الكثير من الناس فى عيونهم، و هؤلاء لا يصدقون إلا ما يشاهدونه ليس إلا،

و أهل الحقيقة هم أبعد الناس عن الرياء و التظاهر و الاعجاب بالنفس و استخدام الحيل و أنواع المكر؛ و ان الاشكوري في مقدمة كتابه هذا، يتأوه كثيراً من مثل هؤلاء الافـراد، و يذمهم استناداً إلى الأحاديث و الروايات المروية عن رجالات الدين و المعرفة.

خصائص محبوب القلوب و بعض نماذجها

ان التعريف الأفضل لهذا الاثر القيم من العصر الصفوي يستدعينا ـ و كما ذكرنا ـ بيان بعض خصائص هذا الكتاب مع نماذج لها، تاركين التقويم النهائي للباحثين الأفاضل، اما الخصائص و النماذج فهي:

أ ـ الاستشهاد بالأحاديث و الأخبار:

لا يحفل هذا الكتاب باسلوب خـاص و مـنهج محـدد في اسـتشهاده بـالأحاديث و الروايات، غير أنها تأتي متناسبة مع الآراء، و العقائد التي يذكرها و الأفكار التي يتعرض لها:

١ ـ عندما يتحدث المؤلف عن ترجمة حياة فيثاغورس. و حينما يذكر رأيـه في بـيان الطريق الى معرفة الله سبحانه تعالى يكتب قائلاً: «ثم قال الحكيم فيثاغورس: و لا يدرك [الله] من جهة العقل و لا من جهة النفس، فلا الفكر العقلي يدركه، و لا المنطق النـفسي يصفه ... و انّما يدرك بآثاره ... أقول: و من هذا الباب ما قد ورد عن مولانا الخامس أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام أنه قال في معرفة الله: «كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم».

(ص ٢٢٧).

٢ ـ و يقول ايضاً في ترجمة حياة فيثاغورس: و من حكمه أيضاً «قال: من أحبّ الله ـ سبحانه ـ عمل بمحابّه و من عمل بمحابّه قرب منه، و من قرب منه نجا و فاز» و يضيف هو قائلاً: أقول مصداق كلامه ما في أمالي الصدوق بالإسناد إلى محمد بن عُمير، قال حدثني من سمع الصادقعليه السلام يقول: ما أحب الله من عصاه ثم تمثل فقال:

تـــعصي الإلهَ و أنتَ تُــظهِرُ حُــبَّهُ   هــذا لَــعَمْري في الفِــعالِ بَــديعُ

لو كــان حُــبُّكَ صــادقاً لأطـعتَهُ　　إنَّ المحبَّ لِمَــــن أَحَبَّ مُــطيعُ

و يؤيد ذلكَ قوله ـ عزّمجده ـ: «قُلْ إنْ كُنتُمْ تُحِبّونَ اللهَ فَاتّبعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ[1]».

(ص ٢١٨).

٣ـ كما نقل أيضاً قول فيثاغورس حول الوحدة العددية، و استشهد في هذا المجال بكلام الامام الرابع علي بن الحسينعليه السلام قائلاً: «و أما ما في الصحيفة المكرّمة السجادية: «لك يا الهي وحدانية العدد ...» فمعناه علىٰ ما فسره بعض الاعاظم من علمائنا أنَّ الوحدة العددية ظِلٌّ لوحدته الحقّة الصرفة القيّوميّة و مجعولةٌ لجاعليته المطلقة و فعاليّته الإبداعية ...».

(راجع: ص ٢٢٥).

٤ـ و نقل أيضاً عن فيثاغورس هذا القول: «و قال: عسير على الانسان أن يكون حُرّاً و هو مطيعٌ للأفعال القبيحة الجارية مجرى العادة. و قال: أعتقد أنّ أَبْيَنَ مخافة الله ـ سبحانه ـ الرحمــة» ثم يـضيف قـائلاً: «أقـول: مـصداق كـلام الحكـيم مـا ورد في كـلام مـولانا أميرالمؤمنينعليه السلام : « يا ابن آدم إذا رأيت ربَّكَ ـ سبحانه ـ يُتابِعُ عليك نِعَمُهُ و أنت تعصيه فاحذره» و لا يخفىٰ أنّ هذا الكلام تخويف من الاستدراج و تنفير عن المعصية فإنّ العـبد بسبب موالاة النعم و تتابعها عليه يغترّ و يأمن مـن مكـره فـابتلى بـالإمهال فـيعصيه، قال ـ تعالى ـ. سنستدرجهم من حيث لا يعلمون[2]» و لذا قال عليه السلام الحذر الحذر فوالله لقد سَتَرَ حتىٰ كأنّهُ قَدْ غَفَر».

(راجع: ص ٢٢١).

٥ ـ ينقل أيضاً عن ثاوفرسطس قوله في تقسيم العـقل بـين مـطبوع و مسـموع، ثم يستشهد على ذلك بكلام الامام عليعليه السلام قائلاً: و قد ورد أيضاً في كلام أميرالمؤمنينعليه السلام ما يعضد مقال هذا الحكيم حيث قال: العقل عقلان: مطبوع و مسموع، و لا ينفع المسموع اذا لم يكن المـطبوع. (ص ٣١٨). كـما يسـتشهد في هـذا المـوضع بحـديث النـبي قـائلاً: قـال [الرسولصلى الله عليه وآله]: ما كسب أحدٌ شيئاً أفضلَ من عقل يهديه إلى هدى أو يردُّهُ عن ردى».

(ص ٣١٩).

---

١. سورة آل عمران، الاية ٣١.　　٢. سورة الاعراف، الاية ١٨٢.

٦ـ عند حديثه عن ترجمة حياة بطلميوس حيث تحدث حول هذا القول: «النيّة أساس العمل و العمل سفير الآخرة» يضيف قائلاً: و من هنا ورد في الحديث مرفوعاً عن سيّدنا رسول الله ﷺ و معنعناً عن مولانا أبي عبدالله الصادق عليه السلام : «إنّ الله ـ تعالى ـ يحشر الناسَ علىٰ نيّاتهم يوم القيامة».

(راجع: ص ۳۸۲)

٧ـ خلال ترجمته لديوجانس ينقل عنه قوله: «ليس الله تعالى علة للشرور، بل الله علة للخيرات و الفضائل و الجود و العقل» و يعلّق عليه قائلاً: كلام هذا الحكيم مطابق لما ورد في الأدعية المأثورة المروية عن أصحاب العصمة عليهم السلام : «الخير في يديك و الشرّ ليس إليك» و التحقيق إنّ جميع أنواع الشرور لا توجد إلّا في عالم الكون و الفساد بسبب التّضاد الواقع فيه و هي قليلة بالنسبة إلى الخيرات التي فيه ...».

(ص ۳۲۰).

ب ـ الاستشهاد بالحكايات:

١ـ انه ينقل، خلال ترجمته لأفلاطون و حديثه حول الزهد و عدم الاهتمام بالدنيا، هذه الحكاية: «حكى: أنه اجتمع[1] عند رابعة عدة من الفقهاء و الزّهاد، فذمّوا الدنيا و هي ساكتة. فلما فرغوا قالت لهم: مَنْ أحبَّ شيئاً أكثَرَ ذكرَهُ إمّا بحمدٍ و إمّا بذمّ، فإن كانت الدنيا في قلوبكم لا شيء، فَلِمَ تذكرون لا شيء؟!

(ص ۲٦٧).

٢ـ يختتم ترجمته ليحيى النحوي بذكر حكاية مفيدة بدايتها: قد وجدت كلماتٍ جليلة من الحكماء ذوي العقول و الأفهام، فاختتمت تلك المقالة بهذه الكلمات التامات النافعات لذي اللبّ من الأنام: «حكي أنه كان في قديم الأيام ملك ذو نفس كريمة، و مملكة عظيمة من ملوك العرب اجتمع عنده من أفراد الحكماء أربعة ...».

(ص ۳۸۸).

---

١. ص: اجتمعت.

ج ـ الاستشهاد بالشعر الفارسي:

١ ـ خلال ترجمته لفيثاغورس و حول معرفة الحق، يستشهد ببيت الشاعر الايراني سنائي هذا:

آنچه پیش تو غیر از آن ره نیست   غایت فهم توست «الله» نیست

(ص ٢٢٨)

كذلك يستشهد خلال تلك الترجمة بهذا الرباعي (الدوبيت) الفارسي:

این چرخ کدویی است کهن‌باده منم
می در ته این سبوی افتاده منم
گر خود نظر از دیدهٔ تحقیق کنی
کاهی است همه جهان و بیجاده منم

(ص ٢٣٣)

٢ ـ يستشهد خلال ترجمته لسقراط و اثناء نقله لاقواله و حكمه، بالكثير من الشعر الفارسي و من ذلك على سبيل المثال:

أ ـ حين نقله لقول سقراط: «من كان شريراً فالموت سبب راحة الناس من شرّه»، يستشهد قائلاً: و لله درّ من قال:

آنچنان زی که بمیری برهی   نه چنان زی که بمیری برهند

(ص ٢٤٦)

ب ـ «قيل له [سقراط]، يجوز لك أن تذمّ النساء و لولا هن لم تكن أنت و لا أمثالك من الحكماء» و هذا كما قال الفردوسي:

زنان را همین بس که در روزگار   بجای ثمر آدم آرند بار

(ص ٢٤٧)

ج ـ «و قال [سقراط]: «إنّ مساعدة الأمور للمرء تكاد أن تسلبه عقله» و من هذا قال من قال:

تا شدم دیوانه عشقم یار شد   عقل می‌گیرندو دولت می‌دهند

(ص ٢٤٨)

د ـ خلال ترجمته لسقراط حين يتحدث عن رأي الأخير حول تعلق النفس بالبدن، و يذكر اقوال العرفاء و العلماء و أخبارهم في هذا المجال نراه يستشهد باشعار الشاعر الايراني نظامي قائلاً:

تو آن بودی که پیش از صحبت خاک   ولایت داشتی بر بام افلاک
ز تو گر بازپرسند آن نشانها   نداری هیچ حرفی یاد از آنها
چو فردا بگذری زین محنت‌آباد   یقین دانم کزین هم ناوری یاد
کسی کو یاد نارد قصهٔ دوش   کند امروز را فردا فراموش

(ص ٢٥٦)

٣ ـ يستشهد خلال ترجمة لافلاطون حول ذم الدنيا و الحاجة الى الغير بشعر سعدي هذا:

بگذاری و دشمنان بخورند   به که محتاج دوستان باشی

(راجع: ص ٢٦٢)

كما يستشهد في هذه الترجمة أيضاً حول عدم اهتمام الصوفية بالعلم و المعرفة قائلاً:

که گفتند چندین ورق را ببین   ورق را بگردان و حق را ببین

(راجع: ص ٢٦٩)

كما كتب في هذه الترجمة أيضاً يقول: فلقد أصاب الظهوري الشاعر في مدح الدرهم و الدينار بقوله:

ای همایون رخ خجسته لقا — بخت ار دیدن تو گیرد فال
نزده سکّه از تو بالاتر — هیچکس بر سجلّ جاه و جلال
لقمه از تو لذیذتر هرگز — نچشیده لب و دهان سؤال
ای دوای ملال شام فراق — وی نشاط فراق صبح وصال
زیب بخش فضایل علما — عیب پوش قبایح جهّال
لفظهای مراد را معنی — مشکلات زمانه را حلّال

ثم استطرد قائلاً: و من هذا قال المحقق الدواني و نِعم ما قال:

مرا به تجربه معلوم شد در آخر حال
که قدر مرد به علم است و قدر علم به مال

(راجع: ص ٢٦٣)

د ـ الاستشهاد بالشعر العربي:

١ ـ عند الحديث عن ترجمة فيثاغورس، و حينما يأتي الحديث عن عظمة الانسان يستشهد بهذه الابيات المنسوبة لعلي عليه السلام :

دواؤُكَ فيكَ و ما تشْعُرُ — و داؤُكَ منكَ و ما تُبْصِرُ
و أنتَ الكتابُ المبينُ الذي — بأحرفِهِ يَظْهَرُ المُضْمَرُ
و تزعمُ أنَّكَ جِرمٌ صغير — و فيكَ انطوَى العالمُ الأكبر

(ص ٢٣٠)

٢ ـ يستشهد بهذه الأبيات المنسوبة لعلي عليه السلام عند ترجمته لأفلاطون حول الاهتمام بالدنيا:

لئن كنتَ في الدنيا بصيراً فانّما — بلاغك منها مثل زاد المسافرِ
إذا أبقتِ الدنيا على المرء ذنبَهُ — فما فاته منها فليس بِضائِرِ
و كلُّ امرئٍ لمْ يرتحلْ بِتِجارَةٍ — إلى دارِهِ الأخرىٰ فليسَ بتاجِرِ

(ص ٢٦٧)

هـ ـ كتابة الملمّعات او الخلط بين العربية و الفارسية:

عندما يتحدث عن ترجمة حياة فيثاغورس، و يذكر أفكاره و عقائده حول الأعداد و الحروف يكتب قائلاً: «و اعلم أنّ أصل العدد الواحد، و من الواحد يأتلف العدد، فالواحد هو علة العدد كما انّ الباري علّة الموجودات ... كما أنّ التسعة آخر مراتب الآحاد، كذلك المولّدات آخر مرتبة الموجودات الكلّيات و هي المعادن و النبات و الحيوان. فالمعادن كالعشرات و النبات كالمئات و الحيوان كالألوف، و المزاج كالواحد؛ حاصل كلام آنكه چنانچه واحد اگر چه عدد نيست منشأ جميع وحدات اعداد است و همه ازو حاصل شده‌اند، و عدد به حقيقت اعتبار تكرار و تجلّى واحد است، و اگر فى المثل يكى از هزار بردارى هزار نماند، هم چنين بارى ـ عز شأنه ـ را وحدتى است مطلقه كه تكثر مرايا قادح وحدت حقه او نمى‌شود».

(ص ٢١٠ ـ ٢١١)

أسلوب المؤلف في بيان رأيه:

ان احد امتيازات هذا الكتاب، كما ذكرنا، بيان المؤلف لآراءه المختلفة العديدة، و التأويلات و التبريرات التي يأتي بها في أماكن كثيرة من الكتاب، و اليك بعض النماذج:

١ ـ نقل في ترجمته لحياة لقمان الحكيم، القصة الآتية من تاريخ ابن الجوزي، ثم شرع في تفسيرها و تبريرها قائلاً: «إن لقمان أرسل ابنه إلى غريم كان في قرية أخرى، ليأخذ منه ديناً عليه، فقال: يا بنيّ ان استقبلك من هو أكبر منك سناً و يصاحبك فلا تخالف أمره، فاذا مررت بشجرة فلا تنزل تحتها، و اذا دخلت تلك القرية فيعرضون عليك امرأة فلا تتزوّجها، و اذا دخلت على المديون فلا تلبث عنده بالليل، و لكن لا تخالف أمر الشيخ ...».

و بعد سرد المؤلف لهذه الحكاية، كتب يقول: «و قد سنح للمؤلف في تأويل هذه القصة: انّ اللقمان كنايةٌ عن النفس الناطقة التي هي بمنزلة الأب الشفيق لسائر القوىٰ، و الابن المرسل إشارة إلى القوة العملية المسماة بالعقل العملي، و القرية الأخرىٰ هي هذه القرية البدنية الظلمانية الداثرة الفاسدة، و الدَّين هو الكمال لأنه كالدين الذي في ذمّة همة الانسان تحصيله و الظاهر استحصاله له منوطة بورود هذه القرية لأنّها دار الكسب، و الشيخ الاكبر

بالسنّ هو العقل النظري المترقي الى حصول العقل المستفاد و هو بمنزلة الخضر في حماية قطع الفيافي المخوفة لاستحصال الدين الذي هو الكمال، و الابن مأمور من قبل الأب لإطاعة أوامره بالغدوّ و الآصال، و الشجرة إشارة إلى الدنيا الدّنية التي هي كالشجرة الخبيثة، و المرأة كناية عن ملاذّها البائدة غير اللذيذة في الحقيقة».

(ص ١٩٩ ـ ٢٠٠)

٢ ـ عندما يترجم لسقراط و يتحدث عن حكمه ينقل قوله هذا «لا تكرهوا أولادكم علىٰ آثاركم، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم» و يعلق المؤلف على هذه العبارة قائلاً: «أقول و يظهر من كلامه حقيّة النسخ، و سر تغيير السنن و الاحكام حسب تغيّر الازمان، و لاح سخافة رأي اليهود و ضلالتهم في إنكارهم النسخ».

(ص ٢٥١ ـ ٢٥٢)

٣ ـ خلال حديثه عن ترجمة حياة ثاوفرسطس و قوله عن العقل المطبوع و المسموع كتب المؤلف قائلاً: «ثمّ لا يخفىٰ أنّ العقل اسم مشترك يقال على معنيين: أحدهما ما يشير به الفلاسفة إلىٰ أوّل موجود اخترعه الباري ـ سبحانه ـ و هو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلّها إحاطة روحانية، و المعنى الأخير ما يشير به جمهور الناس إلى قوّة من قوى النفس الانسانية التي فعلها الفكر و الرويّة و الصنائع».

(ص ٣١٩)

مخطوطات كتاب محبوب القلوب

إن التراث الثقافي يحظى بعضه بالشهرة و التأييد و الخلود، و يصيب القسم الآخر منه النسيان و البِلىٰ و الآفات و غير ذلك. شأنه في ذلك شأن الذين صنعوه و ساهموا في ايجاده.

و يعد كتاب محبوب القلوب لقطب‌الدين الاشكوري من القسم الأول، و هو و إن كتب في بيئة رطبة، يعني لاهيجان و ما يجاورها من نواحي جيلان، إلا أنه بقي مصاناً من الآفات و الفناء. و قد ذكر المرحوم دانش‌پژوه في ديباجته التي كتبها لكتاب نزهة الارواح تأليف الشهرزوري و ترجمة مقصود علي التبريزي، هذه المخطوطات لمحبوب القلوب و ذلك خلال تعريفه قطب‌الدين الاشكوري:

۱ ـ المخطوطة المرقمة ۴۸۸۹ المحفوظة بالمكتبة المركزية لجامعة طهران و المكتوبة في سنة ۱۰۹۵ هـ و تحتوي على حواشي المؤلف أيضاً. و هي مخطوطة قيمة و نفيسة جداً، خطّها بالنستعليق و واضح جداً، و جدير أن تطبع صورتها[1]. هذه المخطوطة هي التي اعتمدناها في عملنا هذا و سنحدث فيما بعد عن اسلوب عملنا.

۲ ـ المخطوطة المرقمة ۱۹۵ صدر، المحفوظة في مكتبة مدرسة الشهيد مطهري [مدرسة سپهسالار سابقاً] (۵: ۵۱۹). و تعود هذه المخطوطة الى القرن الحادي عشر (الافلام، ۱ : ۳۷۷).

۳ ـ مخطوطة الشيخ عبدالحسين شيخ العراقين كوچسفهاني الطهراني بمدينة كربلاء و المكتوبة بخط أصيل بن اسماعيل في شهر ذي‌القعده سنة ۱۱۰۸ هـ مع الحواشي (الذريعة، ۲۰ : ۱۴۲) و التي لا نعرف عن مصيرها الآن[2].

۴ ـ المخطوطة المرقمة ۱۵۰۶ المحفوظة بمكتبة ملك (الفهرست العربي ج ۲ ص ۴۷۶) و المنسوخة بخط النسخ العربي من قبل احمد بن مير محمد باقر الموسوي اللاهيجاني فى العشرة الاولى من شوال سنة ۱۲۲۵ هـ.

۵ ـ المخطوطة المرقمة ۹۲۰ بمكتبة مجلس الشورى الاسلامي و المحفوظة في صندوق و المكتوبة بخط الحاج محمد ابراهيم بن الحاج حسن علي الشيرازي بيزد في شهر محرم سنة ۱۲۷۳ هـ و قد نسخت من مخطوطة مكتوبة في العشرة الثانية من شهر ذي‌القعدة سنة ۱۲۳۲ هـ و المذكورة في فهرست الأفلام و فهرست مدرسة سپهسالار.

۶ ـ مخطوطة كرمان المحفوظة في مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران و المكتوبة في الثالث من شعبان سنة ۱۲۸۲ هـ و المنسوخة من نسخة محمد مهدي پاشنه طلا التي كانت موجودة بيزد سنة ۱۲۷۹ هـ.

۷ ـ المخطوطة المرقمة ۱۶۶۵ في المكتبة الوطنية (ج ۱۰: ۲۴۳) و المكتوبة بخط النستعليق، و تعود الى القرن الحادي عشر.

---

۱. هذه توصية دانش‌پژوه، و نحن لا نوافقه على ذلك لكثرة أغاليطها كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد.

۲. يظن أنها في مكتبة المتحف ببغداد حيث تولّت الاحتفاظ باكثر المخطوطات الموجودة في العراق.

٨ ـ مخطوطة مكتبة وزيري بيزد (شيرواني، ١: ٢٥٨ ش ٢٥٣) و هي بخط الميرزا آقا محمد اسماعيل پاشنه طلا ابن محمد مهدي پاشنه طلا المذكور آنفا، حيث تم الانتهاء من كتابتها في ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨ هـ(ديباجة دانش‌پژوه على ترجمة نزهة الارواح للشهرزوري، ص ١٧٤ ـ ١٧٥).

و تعدّ مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران من بين المخطوطات الثمانية المذكورة، أقدمها و أهمها و قد كتبت من النسخة الأصلية للمؤلف. و كان لكلٍّ من اخي المؤلف و ابنه دور في استنساخها. إلا أنها مليئة بالأغاليط، و لا يمكن طبع مصورتها أبداً على الرغم من جمال خطّها الظاهري الذي أدىٰ بالبعض و منهم دانش‌پژوه الى التوصية بطبعها كما هي.

و لما كانت هذه المخطوطة هي التي اعتمدناها في تصحيح هذا الكتاب و طبعه، لذا فاننا سنتعرض الى معرفتها بشكل اكثر تفصيلا:

لقد عرّفت هذه المخطوطة المرقمة ٤٨٨٩ و المحفوظة بالمكتبة المركزية لجامعة طهران في الجزء ١٤ من فهرست المكتبة المذكورة (٣٩٣٨) بما يأتي:

كتبَ المتنَ بخط النسخ، و الحواشي بالنستعليق و بحجم صغير نسبياً القاضي عمادالدين محمود اللاهيجاني في يوم الخميس ١٦ / ١١ / ١٠٩٥ هـ. الجدول بالذهب و اللاجورد. العنوان: في المتن و الهامش: بالشنجرف و الزنجار. العلامة: بالشنجرف. العنوان الرئيس: بالذهب و اللاجورد و الشنجرف. و جاء في الصفحة السابعة بخط أسدالله و بختم «أفوّض أمري الى الله، اسدالله ١٠٩٣» ما ترجمته «عالي القدر، سمو المكان، ذوالمجد و الشرف و الاحسان» أراد قراءة محبوب القلوب تأليف الشيخ الأجل الأمجد الواصل إلىٰ غفران الملك الرحمن المنان شيخ قطب‌الدين محمد شيخ الاسلام لبلدة الطيبة لاهيجان» و قد أمرني باستنساخه و قد امتثلت أمره و قد اتممت متنه و حواشيه المفصلة في لاهيجان. و قد باع هذه المخطوطة الشيخ مرتضىٰ في شهر محرم ١١٩٠ الى صفية خانم بنت الشاه رضا و زوجته (ص ٧ بخطه و ختمه). و قد استورث هذه النسخة السيد جلال الدين الخارقاني من السيد اسدالله الخارقاني في شهر اردیبهشت ١٣١٧ هـ. ش. و ان حواشي هذه المخطوطة في الصفحات من ٨ الى ٣٤٣ قد كتبت مع كلمة منه، و بعد ذلك بكلمة «منه رحمه‌الله ـ تعالىٰ ـ»،

و «منه غفر له»، و «منه غفر الله ـ تعالىٰ ـ سيئاته» و أمثال هذه الكلمات، أو بكلمة «منه» فقط في ١١١٧ صفحة.

و في النهاية كتبت ملاحظة الميرزا محمد على خان بن الميرزا الكاظم ابن الحاج ابوالقاسم ابن الحاج صادق ابن الحاج مهدي اللاهيجاني بتاريخ اليوم الاول من شهر ذي القعدة ١٢٩٠، و كان الحاكم الرابع من حكام لاهيجان من اسرته و ان حكمه هناك طال أربعاً و ثلاثين سنة كتب هذه الملاحظة في سن الرابعة و الخمسين من عمره. و في سن العشرين انتقل الحكم اليه بعد وفاة والده.

و جاء في هذه الملاحظة القيمة المشتملة على بعض القضايا التاريخية و الجغرافية، ان القاضي عمادالدين محمود و هو اخو المؤلف قد بدأ بكتابة هذه المخطوطة بناء على أمر الميرزا سيدي وزير الحاكم و خان كيايي اللاهيجان، بخط النسخ و النستعليق لجميع المتن و الحاشية حتىٰ أواسط ترجمة حياة الامام جعفر الصادق عليه السلام ثم توفي، و بعد ذلك أكمل الحواشي بعده الملا برخوردار العالم اللاهيجاني «محرر شرعيات مجالس العقود و المبايعات» و ان الشيخ جعفر ابن المؤلف كتب فهرست الكتاب بخط الثلث بأمر من الميرزا سيدي.

و جاء في نهاية المخطوطة: أجرة الاستنساخ و التذهيب و قيمة المواد المستعملة في المخطوطة المذكورة مطابقة لما موجود في الأصل المحفوظ لدىٰ أقلّ العباد ... سجل عند المقام العالي حضرة الصاحبي خدايگاني الميرزائي ميرزا محمد ... مائة و تسعة تومانات و ستة آلاف دينار ... .

و ان اجرة الكتابة المدفوعة للقاضي عمادالدين مما حولّه أمين الصندوق محمد هاشم: مائة و سبعة تومانات، ثلاثة عشر توماناً، خمسة عشر توماناً.

قيمة الورق و التجليد و أجرة التذهيب المحولة من الميرزا عسكري و امير مرتضىٰ بقزوين: ستة و عشرون توماناً.

٢٣×س ١٢×٢٤، ٥٦٤ ورقة ٢٠ / ٣٥، نوع الورق: سياهاني، الغلاف: المقوّىٰ.

و قد عرّف المرحوم الدكتور محدث أرموي هذه المخطوطة في المقدمة التي كتبها لتفسير المؤلف. و لما كان هذا التعريف يحتوي علىٰ ملاحظات تاريخية مفيدة حول المؤلف و

الكتاب معاً فقد ارتأينا نقلها هنا:

مخطوطة محبوب القلوب المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران تحت رقم ٤٨٨٩ و تشتمل علىٰ ١١١٧ ورقة من القطع الأصلي، حيث تشتمل كل صفحة علىٰ ٢٣ سطراً.

كتبت هذه المخطوطة التي تضم الفهرست و المتن و الحواشي بخط الثلث و النسخ و النستعليق بشكل جيد جداً، و يقرأ بوضوح و بواسطة ثلاثة اشخاص: و هم: اخو المؤلف عمادالدين محمود و الملا برخوردار اللاهيجاني، و ابن المؤلف الشيخ محمد جعفر، و لم نتعرف الى تاريخ بداية كتابة المخطوطة و لكننا نستطيع الجزم بأنها كانت بعد وفاة المؤلف بسبب بعض الدلائل و الإشارات منها ما جاء في جميع الحواشي من عبارة «منه رحمه الله» أما تاريخ الانتهاء من الكتابة فكان في سنة ١٠٩٥ هـ. و من الافضل أن نأتي هنا بالعبارة التي جاءت على ظهر آخر ورقة من الكتاب و هي: «خلاصة أحوال و أسماء محرري هذا الكتاب و ناسخيه ـ برر الله مضاجعهم ـ بمتنه و حواشيه: أولهم المرحوم القاضي عمادالدين محمود اخو المؤلف ـ عليه الرحمة ـ بأمر من المرحوم الميرزا سيدي وزير الحاكم من خانات الكيائيّة في لاهيجان. اما اسم الحاكم ـ أيام تحرير هذا الكتاب ـ فمجهول و لم يذكر في هذا الكتاب. يبدو أنه كتب أيام انقراض حكم الخانات الكيائية في لاهيجان و قبل ذلك، أيام حكم الشاه عباس بعد تلك الحروب و الصدامات، حيث هرب من لاهيجان مع العيال و الاطفال و التجأ الى جبال اشكور و لما لم يستطع الاقامة هناك، هرب الى بادكوبه و من هناك ـ على اختلاف الروايات ـ ذهب الى كربلاء المقدسة و اقام بها و صادف انقراض الدولة الكيائية في تلك الأيام.

و الخلاصة ان القاضي عمادالدين قد حرر جميع المتن و الحواشي حتىٰ أواسط ترجمة حياة الامام جعفر الصادقعليه‌السلام بخط النسخ و التعليق، ثم انتقل الى جوار ربه.

و قد أكمل الحواشي بعد ذلك المرحوم الملا برخوردار الذي كان يعد فى زمرة علماء لاهيجان المشهورين و كان يشتغل أحياناً بالتحرير الشرعي في مجالس العقود و المبايعات.

و قد كتب ابن المؤلف المرحوم الشيخ جعفر فهرست الكتاب بخط الثلث بأمر من المرحوم الميرزا سيدي».

أما عبارة آخر الكتاب المشتملة على خط الكاتب فهي: بحسب الأمر لأجلّ العباد (الميرزائي الميرزا سيدنا) مدّ إقباله، فقد تمّ استنساخ أواسط ترجمة حياة سادس الائمة الأطهار ـ عليه و علىٰ آبائه العظام و أولاده الكرام، سلام الله الملك الجبار ـ إلى خاتمة هذا الكتاب، حيث كتب ما قبله المرحوم القاضي عمادالدين محمود اللاهيجاني، أخو المؤلف ـ أحسن الله أحوالهما ـ و قبل ان ينتقل الى جوار رحمة الله، تم الاستنساخ بسعي أقل خلق الله العبد الذليل الآثم الجاني برخوردار اللاهيجاني و فرغ من ذلك في يوم الخميس السادس عشر ثاني شهر حادي عشر المطابق للسنة المعلومة من حروف «ختم كلّه» و المفهومة من تهجّي «تمّ كتاب العقلاء» ـ بعون الله تعالىٰ ـ حامداً مصلياً».

و عبارة ابن المؤلف المكتوبة في ظهر الصفحة الأولى من هذه المخطوطة هي: « هذا الكتاب المبارك الأبواب الخالي من العيوب، الموسوم بمحبوب القلوب الذي كل ورقة منه طبق مملوء من أحلىٰ ترجمة حياة الحكماء السالفين، و كل صفحة منه ترنيمة في ترجمة أوصاف العلماء السابقين و هو من مؤلفات المرحوم المغفور الشيخ قطبالدين محمد شيخ الاسلام البلدة المذكورة، و قد كتب بخط و سعي و اهتمام أخيه المرحوم القاضي عمادالدين محمود بأمر المقام العالي الجدير بسابق الألقاب من على النسخة الأصلية، و هذا أقلّ خلق الله محمد جعفر ابن المؤلف المرحوم قد أُمر بتسطير الفهرست و قد انتهىٰ منه في يوم الغدير من سنة ١٠٩٥ هبتوفيق الله تعالىٰ.

طريقتنا في العمل على اساس المخطوطة الأصلية

لقد استقر رأينا، و كما ذكرنا من قبل، على اخراج هذا الكتاب القيم الكبير باي شكل كان. ان اهم مخطوطاته و أقدمها تلك المخطوطة المحفوظة في المكتبة المركزية بجامعة طهران و التي تضم ١١١٧ ورقة من الحجم الوزيري، و كل صفحة فيها ٢٣ سطراً. و يعلم الباحثون و العلماء وحدهم كم هو الجهد الذي يبذل لاستنساخ هذا العدد الكبير من الصفحات، و كم يستغرق من الجهد و الوقف، و كم تجنّد له من اعضاء الجسم و جوارحه؟!! و لذا فاننا إذا كنّا قد استطعنا فقط من تقديم هذا الكتاب الى أهل العلم و المعرفة من دون أي اصلاح او تحقيق أو نقد أو بيان و جهة نظر، فاننا نكون قد أدّينا عملاً و ألحقنا تراثاً قيماً جديراً و مفيداً

بالسجلات الثقافية الحيّة.

ان الوصول إلى جميع المخطوطات كان أمراً متعذراً، و إننا بالإضافة الى مخطوطة المكتبة المركزية بجامعة طهران فقد درسنا المخطوطات الموجودة في مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران، و مكتبة مجلس الشورى الاسلامي و مدرسة الشهيد مطهري (سپهسالار سابقاً) و المكتبة الوطنية، و توصلنا الى هذه النتيجة و هي ان بعضها قد نقل و استنسخ من مخطوطة المكتبة المركزية، و تحتوي على كل الأغاليط و الاشتباهات الموجودة في هذه المخطوطة، و لا تتميز اية مخطوطة من هذه المخطوطات عن مخطوطة المكتبة المركزية و لا تفضلها بشيء. لذا قررنا ان تكون مخطوطة المكتبة المركزية هي اساس عملنا التصحيحي و التحقيق داعين الله سبحانه ان يوفقنا في هذا العمل الثقافي. و ما قمنا به دليل على استجابة دعائنا و التوفيق الذي منحه الله لنا. أما مراحل عملنا فتتلخّص فيما يأتي:

في البداية صورنا مخطوطة المكتبة المركزية و بدأنا مع مجموعة من عشاق العلم و الأدب ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ باستنساخها. و عند الانتهاء من كل قسم كنا نعاود المقابلة مع المصوّرة مرتين او اكثر لكي نطمئن من دقة عملنا و عدم حذف حرف أو كلمة أو عبارة. و بعد الانتهاء من استنساخ الجزء الاول، عمدنا الى طبعه بالآلة الكاتبة، ثم كررنا عمل المقابلة مرتين او اكثر لنطمئن الى صحة طبعها. و في هذه المرحلة بدأنا عملنا التصحيحي، و رمزنا في الهامش إلى اي اصلاح او تصحيح او وجهة نظر أبديناها بالمصطلح «مص = المصحح». و حاولنا تصحيح الكلمات و العبارات في أصل المتن، أما الكلمات او العبارات غير الصحيحة التي جاءت في اصل المتن. فقد اوردناها في الهامش و وضعنا أمامها مصطلح «ص = الأصل». أما حواشي المؤلف و تعليقاته و نقد الآراء الواردة في الكتاب و تحليل الافكار و العقائد الفلسفية الواردة فيه و تبريرها و تعريف مصادر الكتاب فقد جمعناها في مجلد مستقل سيصدر ـ إن شاء الله ـ بعد الانتهاء من طبع الجزء الثالث من هذا الكتاب.

ترجمة حياة قطب‌الدين الشريف الاشكوري اللاهيجي

بقلم: الدكتور محدث أرموي

رأينا أن نأتي هنا ببعض ما ورد في مقدمة المرحوم الدكتور محدث أرموي لكتاب تفسير الشريف اللاهيجي (مؤلف محجوب القلوب):

ان مؤلف هذا الكتاب، العالم الجليل، المحقق الناقد، العارف بالقرآن و الحديث، قطب‌الدين محمد بن الشيخ علي الشريف اللاهيجي ـ رحمه الله ـ الذي اكتسب الكمالات من محضر السيد السند العماد، المحقق الداماد﷫ و كان معاصراً للمحمدين الثلاثة الأواخر و هم: (المحدث الكاشاني، العلامة المجلسي و الشيخ الحر العاملي). و على الرغم من اعتراف جميع علماء الرجال و التراجم الذين تعرفوا إليه و إلى كتبه، بفضله و تقواه و شخصيته العلمية، و الاشادة به، الا أنهم لم يترجموا له بشكل تفصيلي، إذ لانجد الا بضعة أسطر عنه، عدا ما كتبه هو عن نفسه في خاتمة كتابه القيم محجوب القلوب.

و كتب الشيخ الحر العاملي في القسم الثاني من كتابه أمل الآمل المسمىٰ «بتذكرة المتبحرين في العلماء المتأخرين» قائلاً: «مولانا قطب‌الدين محمد بن علي الشريف الديلمي اللاهيجي، فاضل، عالم جليل القدر، له مصنفات منها: رسالة في العالم المثالي و غير ذلك، و هو من المعاصرين».

و كتب الفاضل الكشميري في نجوم السماء في الصفحة ١٤٨ نقلاً عن الشيخ الحر العاملي قائلاً: مولانا قطب‌الدين محمد بن علي الشريف الديلمي اللاهيجي. فاضل جليل القدر صاحب تصانيف كثيرة منها رسالة في العالم المثالي و غير ذلك من المعاصرين».

كما كتب الشيخ فرج الله الحويزي في كتابه الرجالي القيم الموسوم بايجاز المقال يقول: «محمد بن علي الشريف اللاهيجي ممدوح، له رسالة العالم المثالي و غير ذلك».

و ذكر خاتم المحدّثين الحاج الميرزا حسين النوري في مستدرك الوسائل و النجم الثاقب

المؤلف و كتابه محبوب القلوب و ذكر حولهما ما رآه مناسباً.

أما المحدّث الجليل الحاج الشيخ عباس القمي فقد كتب في الكنىٰ و الألقاب يقول: «قطب الدين الاشكوري، محمد بن الشيخ علي الشريف الديلمي اللاهيجي الحكيم العارف المتألّه الفاضل، صاحب كتاب محبوب القلوب و رسالة في العالم المثالي، تلميذ المحقق الداماد. و كتب ما يشابه ذلك في الفوائد الرضوية و هدية الأحباب.

و كتب الفاضل الخياباني في ريحانة الأدب ما يشابه الذي سلف ذكره. كما كتب غيره امثال ذلك.

أما ترجمة حياة المؤلف التي كتبها بقلمه و جاءت في نهاية كتابه محبوب القلوب فانها هي الأخرى لا تسلط الأضواء الكاشفة عن حياته و عن الظروف التي عاشها. فهي و كتب الرجال و التراجم لم تذكر لنا تاريخ ولادته و وفاته و كيفية دراسته و اسماء مشايخه و تلاميذه و بقية ظروف حياته، و كل ما ذكر عنه لم يكشف أيّ مجهول من المجهولات عن المفسر كما ينبغي و يراد. و لذا فمن الضروري أن نتتبع حياته هنا و هناك علّنا نستطيع ان نضع بعض المعلومات عن المؤلف بين يدي القراء.

لم نعثر على اي تاريخ لولادة المؤلف غير انه يمكن الاستنتاج من عبارة وردت في محبوب القلوب أنه في عام ١٠٨٥ هـ قد فرغ من الدراسة و صار عالماً جامعاً و فاضلاً بارعاً حتىٰ انه احتل مقام مقابلة الكتب و تصحيحها. و تلك العبارة هي ان المصنف في مقالته الاولى من كتابه محبوب القلوب و خلال ترجمته لحياة الحكيم جالينوس بعد نقله قصة الحريق الذي نشب في الروم و التهام النيران الكتب الكثيرة القيمة التي كان يمتلكها جالينوس، قال: لقد حدث لي مثل حادثة الحريق تلك ففي سنة ١٠٨٥ هـ و في مدينة لاهيجان حدث حريق التهمت نيرانه ما يقرب من ٦٠٠ مجلد من كتبي القيمة. و من هذا يمكن التخمين ان مثل هذا الشخص و في تلك الظروف كان لابد له من العمر ٤٠ أو ٣٥ او على الاقل ٣٠ سنة. و نهاية عمره هي الاخرى غير معروفة. و ذكر كلٌّ من صاحب الذريعة و المرحوم الخياباني و غيرهما من الذين ذكروه أو ذكروا كتاباً له أنه كان حياً في ذلك التاريخ (عام ١٠٨٥ هـ) و لم يُبدوا شيئاً آخر. كما لم يعثر احد على كتاب له ألّف سنة ١٠٨٦ هـ. و

الحمدلله فقد عُرف بواسطة هذا التفسير الذي ألّفه في سنة ١٠٨٦ هـ كما صرح هو بذلك، أنه كان حياً. هذا من جهة، و من جهة اخرى فقد ذكر هو أيضاً في حاشية كتابه محبوب القلوب حادثة اخرى هي الزلزال الذي خرب لاهيجان سنه ١٠٨٨ هـ. و يعد هذا آخر تاريخ يدل على حياته.

حياة المؤلف بقلمه

مؤلف الكتاب ذاالفقير الى اللّٰه الغني المغني قطبالدين محـمد بـن الشـيخ عـلي بـن عبدالوهاب بن پيله فقيه الاشكوري الديلمي اللاهيجي. الاشكور ناحية مـن نـواحـي الديلم، بينه و بين سكنانا الآن (بلدة اللاهجان) صينت عـن الحـدثان بـالتقريب سـبعة فراسخ، و هو من المصايف[1] المعتدلة هواؤها، و العذبة ماؤها، و الشامخة جبالها. و ان اعلى جدى پيله فقيه الاشكوري كان فقيهاً صالحاً عارفاً بعلوم اللسان المـتداول في سـوالف الزمان في بلاد الجيلان، من النحو و الصرف و التفسير و المعاني و البيان، و «پيله» بلسان اهل الجيلان، الكبير، أي الفقيه الكبير و قد كلفه والي تلك البلاد في عصره النقل من وطنه إلى اللاهجان، فانتقل[2] الجدّ من الوطن رعاية لخاطره الخطير، و مخافة أن ينسبوه الى التنفير و التقصير.

و في تلك الاوقات قد انتقل[3] السيد الجليل السيد محمد اليمني من بلده لأجل خوف ملك الروم بسبب مخالفة مذهبه مع ولده السيد النبيل الفاضل السيد علي مع بنت واحدة موسومة بفاطمة للسيد علي، فوردوا دارالسلطنة قزوين عند الشاهنشاه الأعـظم الأكـرم مـروج المذهب الحق[4] الاثني عشرية السلطان شاه طهماسب الصفوي الموسوي برد اللّٰه مضجعه و أسكنه في بحبوبة الجنان، و قد أكرمهم السلطان الاكرم غاية الاكرام، و أنزلهم في دار القاضى الحسن الاخلاق القاضى[5] محمد الرئى[6] الذي هو من مـقربي الشـاهنشاه و مـصاحبيه و صاحب سره، فمات السيد محمد في بلدة قزوين[7] بعد ثلاثة أشهر من دخولهم في البلدة، فلما لم يكن هواء قزوين موافقاً لمزاجهم قد رخصهم السلطان لتوطنهم في بلاد الجيلان الموافقة هواء تلك البلاد اليمن، و كتب السلطان فرماناً إلى[8] ولاة اللاهيجان من بلاد الجـيلان [و

---

١. ص: البيلاقات.
٢. ص: فنقل.
٣. ص: نقل.
٤. ص: الحقة.
٥. ص: قاضي.
٦. كذا في الاصل و الظاهر أن المراد به «الرازي».
٧. ص: القزوين.
٨. ص: عنده.

طلب فيه منهم] أن يكرموه و يعظموه[١] و الحكم الذي كُتب لاجله الآن عند المؤلف، فلما ورد السيد الجليل السيد علي مع صبيّته من قزوين إلى[٢] الاشكور و نزل في منزل جدى پيله فقيه و ذلك عند انتقاله ايضاً بسبب طلب والي اللاهيجان له فانتقل[٣] برفاقته و جاءوا بلدة[٤] اللاهيجان، فلما دخلوا تلك البلدة عند الوالي، قد ازدحم[٥] أهالي محلات البلدة عند الوالي و التمس[٦] كل منهم انزالهم في محلتهم.

فلما رأى الوالي أن الامر قد انجرّ إلى المنازعة و المشاجرة قال لهم: لا تنازعوا فانا أنزلناهم في موضع قريب لنا، فاشترى قطعة من الأرض في المحلة المشهورة بمحلة «الميدان» من محلات اللاهيجان قريبة من[٧] القلعة المباركة التي هي سكنى الولاة و الحكام الى الآن، ثم بنى لهم العمارة الأخرى سوى العمارة الحظيرة التي فيها فأسكنهم فيها و هذا الموضع هو سكنانا الآن في اللاهيجان.

و من البدائع أن أبي ـ برّد اللّٰه مضجعه ـ أراد في أيام شعوري بناء عمارة على حدة في المحوطة المذكورة في الموضع الآخر سوى العمارة القديمة التي بناها جدّي رحمه اللّٰه، فجاء البنّاء و طرح البناء فلما أصبح قال أبي: و قد رأيت تلك الليلة في المنام الجد فقال: لاتبنِ العمارة التي تريد بناءها، بل عمّر العمارة القديمة التي بنيناها، فإنّ في وقت بنائها و وضع أول لبنتها قد قرأتُ آية «رب أنزلني منزلا مباركاً و أنت خير المنزلين» فترك والدي بناء العمارة الجديدة و عمّر العمارة القديمة و سكن فيها.

فبسبب المرافقة و المؤالفة و الموافقة قد عقد[٨] السيد الجليل السيد علي طاب ثراه صبيته فاطمة التي انحصر اولاده بها لولد جدّي الأعلىٰ مولانا عبدالوهاب و هو رجل فقيه عامل لنيل الثواب و خائف من تبعات[٩] العقاب.

و قد حكى لي والدي قدس لطيفه أنّ والدته السيدة الصالحة المفخّمة حكت لي أنّ لوالدي السيد علي ليس ولد سواي، فلما علّمني علوم الفرائض و السنن و النحو و الصرف و

---

١. ص: يكرمه و يعظمه. ٢. ص: في. ٣. ص: فنقل.
٤. ص: بيلدة. ٥. كذا. ٦. ص: و التمسوا.
٧. ص: ـ. ٨. ص: انعقد. ٩. ص: لتبعات.

علم الرمل قد التمست والدتي ليلة لحضرته أن ليس لك ولد سواها فالحريّ ان تعلّمها العلوم الغريبة التي أنت تعرفها، و تعلمتها في بلاد الروم من عارفيها لئلا تندرس[١] عن سلسلتنا تلك العلوم، لانها من العلوم التي لا يعلّمها أحد أحداً «مگر کز پدر یاد گیرد پسر».

فقال السيد‌ؒ: إنّ العلوم الغريبة من الأسرار التي ينبغي كتمانها عن غير أهلها، و تعليمها لأهلها موقوف بشروط قد عدّها أهاليها، و من شرائطها أنه ينبغي لمتعلميها سعة الصدر و من لا يجرّبه المعلّم مراراً لا يعلمه أسرارا كما قال من قال:

اسرار یقین مگوی اهل شك را معنی بزرگ مشنوان کوچك را

و عامة النسوان ناقصات العقل ضيّقات[٢] الحوصلة، و ينشأ من تعليم تلك العلوم لغير أهلها مفاسد عظيمة ترجع تبعاتها على معلّمها و متعلمها و سائر الناس.

كما قال بعض الأعلام: أرواح الحكماء أُمرت بكتمان أمثال هذه الأسرار لأنّ الراكنين إلى الطبيعة إذا عرفوا هذه العلوم استعملوها فيما يغمسهم في الشهوات الرذلة الدنيوية المميتة للنفس الحيّة، و أيضاً فلأنّ المفارقات العليا[٣] يكرهون وقوف البشر على الأسرار الخفية، فإنّ من عرفها طغا و استكبر و خرج من حد الناسوتية إلى اللاهوتية فيطغى في الارض.

فلقد أحسن من قال بالرباعية الفارسية:

ای دل غم او چون رگ جان بگشودت
منمای به کس خرقهٔ خون آلودت
می‌نال چنانکه نشنوند آوازت
می‌سوز چنانکه برنیاید دودت

فالتمست والدتي بالكرات و المرات لتعليمها لي، فبالأخرة قال السيد: قد أُعلّمها نبذاً من العلوم حسب التماسكِ، فان راعتها بشرائطها فأُعلمها غير ذلك فقال لي: إن أردت أن تظهر

---

١. ص: يندرس. ٢. ص: ضيّقة. ٣. ص: الاعلى.

لك الوقايع الآتية التي تريدين[1] اختبارها فاعملي كذا و كذا حتى تأتي عندك حمـامة، و تجلس تلقاء وجهك و تكلمك بما تريدين بكل سانحة آتية تريدين[2] استعلامها، فلما خرج والدي يوماً لقضاء بعض حوائجه عن صومعته الخاصة التي كانت معبده و كـتبه فـيها و قفلها، خطر ببالي أن أعمل في تلك الخلوة العمل المذكور حتى يظهر لي أنّ والدي قد خدعني في تعليمها أم لا فاقتلعت الباب المقفل، فدخلت الصومعة لئلايراني أحـد، فـشرعت في العمل، فلما قرب من الانتهاء[3] أتت الحمامة من الكوّة[4] التي في الطرف الغربي من الصومعة فجلست في رفّ[5] البيت فشرعت في التكلم، فلما رأيت الحال على هذا المنوال و سمعت كلام الحمامة ضاقت حوصلتي و ارتعش بدني فخررت مغشية؛ فسمعت والدتي صيحتي و قد رجع أيضاً والدي في هذا الوقت إلى الصومعة فلما رآني بتلك الحالة أمر والدتي بدلك أطرافي و إحضار ماء الورد و البخورات المناسبة عندي حتى أفاقتني، ثم قال لوالدتي مغضباً عليها: قد ظهر لي الآن أنّ ثمرة اتباع أقوال النساء الندامة و العناء.

ثم تولد من بنته السيدة النبيلة أبي شيخ مولانا على ـ روّح اللّٰه روحـه القـدسي ـ و قدمات والده في صغر سنه قبل الوالدة، بسنين و قد سعت والدته السيدة سعياً بليغاً لتربيته فنشأ أبي بعون اللّٰه و حسن تأييده و سعيها في تربيته جامعاً للعلوم المعقولة و المـنقولة، حائزاً للمسـائل من الفروعية، و الأصولية، و قد فاق الأقران و حصل له أنواع المـلكات المستحسنة من الوهبية و الكسبية ما لم يطمثهن إنس قبله في تلك البلدان، و أشرف ملكاته الرضية المرضية حسن خلقه فانه عنوان صحيفة كمالاته، فصار في بلده شيخ الاسـلام و مرجع المسلمين، و طار طائر كمالاته الحسنه و نشر منشور حيثياته المستحسنة في جيلان، بل في ايران، و كان ـ طاب ثراه ـ معتدل القامة، حسن الصورة و السيرة، حـلو المـنطق، نظيف الثياب، لطيف الطبع، بشاشا، منصفاً متصفاً بحسن الخَلق و الخُلق، و الحظ و الخط[6] متسع الصدر ظاهراً و باطناً، له قبول الخاصة و العامة، فكأنما انشد بعض الشعراء بالفارسية في شأنه:

---

۱. ص: تريد. ۲. ص: تريد. ۳. ص: بالانتهاء.
٤. ص: الروزنة. ٥. ص: طاقچة. ٦. كذا.

بــه نــهان چــنان نــمایی بــه هــمه ز مــهر رویــی
که گمان برند هر یک که تو خـاص از آن اویـی

و كان لِما لَهُ من الهمة العالية و الانقطاع التام عن الزخـارف الدنـية الدنـيوية عـظيم الالتفات إلى مصالح الأنام، و انجاح مرام الخواص و العوام في الليالي و الأيام، مجالساً في الخلوات التي له مع الفقراء و المساكين، مختلطاً في بعض الاوقات لتشحيذ الخاطر مع الهزّالين و المزّاحين، حتى طعنه بعض أصحاب القشر و أرباب الظواهر بالخفة في الأطوار و عـدم الوقار، غافلين عن أنّ هذا لا يقدح في المهابة و الوقع و الاعتبار كما قال بالفارسية بعض ذوي الأبصار:

کــوچك بــودن بــزرگ را کــوچك نــیست
کـان کـوچکی از کـمال بـاشد، شك نـیست
گـــر زانکـــه پـــدر زبـــان کـــودك گـــوید
عـــاقل دانــد کــه آن پــدر کــودك نــیست

و ذلك كما نقل الشيخ الأفخم الكليني في الكافي عن مولانا أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمن إلا وفيه دعابة. قلتُ: و ما الدّعابة؟ قال: المزاح» و في الصحاح: «الدعابة المزاح» و في كتاب التاج: «المُزاح ـ بالضم ـ مزاح كردن».

و روي أنّ عمرَ نسبَ أميرَالمؤمنين سلام الله عليه لسعة خلقه و طلقة وجهه المبارك إلى الدّعابة. و قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أباحسن لقد كان هشاً بشاً ذافكاهة. فقال قيس: «أما و الله مع تلك الفكاهة و الطلاقة أهيب من ذي لبدتين قدمسّه الطوىٰ، تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام الشام» يقال: رجل هشّ بشّ، أي طلق الوجه طيّب، و فكه لطيب النفس، و ذي لبدتين للأسد، و الطغام لدون الناس.

ثم تزوّج أبي بنت شيخ المشايخ في العصر و الأوان خلاصة المنجّمين في الزمان الشيخ الجليل شيخ اسماعيل المتولي لمرقد المطهر المنور شيخ الأولياء و الأتقياء «شيخ رضا كيا» عليه ألوف من التحية و الثناء الواقع مرقده في شرقي خارج بلد اللاهيجان بنصف الفرسخ

فتولد منها أربعةُ[1] بنين. و قد مات ـ رحمه اللّٰه ـ فجأة في أثناء صلاة الصبح في بعض السنين الوبائية أعاذنا اللّٰه و بلدنا و سائر بلاد المسلمين منها في سن ثلاث و ستين تقريباً.

فارتكب مهامّه و مناصبه الشرعية بعد رحلته ولده الاكبر الواصل إلى رحمة اللّٰه الملك المتعال شيخ جلال، و له ـ رحمه اللّٰه ـ طبيعة وقادة، و سليقة نقّادة، و كان حارّ الدمـاغ، لطيف الكلام، ممازجا مختلطاً مع الأنام، موافقا للأحبة في الأفراح و الآلام، باكياً منقطعاً عند تلاوة القرآن و الدعوات، مراعياً مراقباً لأداءِ الصلوات و قيام الواجبات. فتوفّي رحمه اللّٰه في عنفوان الشباب بعد وفاة الأب بثلاث سنين و هو ـ تجاوز اللّٰه عن سيئاته ـ أكبر مني سناً بثلاث سنين، فلما مات أخي قلدني القضاء و ساقني القدر إلى مشغولات الأخ و الأب، و أذاقني كأس النصب و التعب، و لم يمهلني الدهر الخوّان برهة من الزمان لاكتساب العلوم و الآداب عند أولي الألباب حتى أُميّز القشر من اللباب، و السراب من الشراب.

در اول انتعاش مى ناب روزگار　　　چين جبين آخر ترياك ديده‌ام

فمازج الدهر الخل بالأنجبين امتزاجاً ناقصاً لا ينكسر الصفراء بهذا السكنجبين[2]، و لكن الخير فيما وقع و الصلاح فيماسنح، لأن التحصيل عند علماء الزمان تحصيل غير الحاصل، و لا يحصل للمحصّل بما عندهم إلا الوبال و النكال و تكثير القيل و القال الذي لا يشفي العليل و لا يروي الغليل.

چون بسى ابليس آدم روى هست　　　پس به هر دستى نشايد داد دست

فان اكثرهم على ما وجدناهم تابعون للهوى، راغبون للدنيا، و أنّ العالم التابع للهوى، العاري عن الانقطاع و الحلم هو الذي أضلّه اللّٰه على علم فزاد قلبه قساوة بعد قساوة، و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة، فلو زهد في الدنيا رفعت درجته و سلم من الثلب، و لكنه أخلد إلى الارض و اتبع هواه فمثله كمثل الكلب، فهو و إن قطع في تحصيل العلم مفاوز و أسفاراً فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارا.

---

۱. ص: أربع.

۲. شراب يصنع من الخل و العسل أو السكر.

عَجِبتُ لأَهلِ العلمِ كيف تَغافَلوا عَنِ الدينِ و ٱسْتَغْشَوا بِثَوْب المَهالِكِ
يطوفونَ حولَ الظالمينَ كأنّهمْ يطوفون حولَ البيتِ وقتَ المَناسِكِ

ربِّ اللّهم لا تجعل ولايتي إلى أحد سواك، و لا تفقر نظافة أفواهنا لذكرك إلى إله سواك، و لا تحوجنا في طهارة قلوبنا إلى غيرك حاشاك، فإنك خير مَنْ يتضرع به مَنْ ناجاك.

و لقد أصاب العلامة الحلي‌ﷺ فيما قال لولده فخر المحققين في بعض مؤلفاته الذي[1] ألّفه لأجله بقوله:

«إن كنت تقصد طلب العلم للمناقشة و المباهاة، و التقدم على الأقران، و استمالة وجوه الناس إليك، و جمع حطام الدنيا فأنت ساع في هدم دينك و إهلاك نفسك و بيع آخرتك بدنياك فصفقتك قاصرة خاسرة، و تجارتك بائرة كاسدة[2]، و معلمك معين على عصيانك و شريك لك في خسرانك؛ و هو كبائع سيف من قاطع طريق، و من أعان على معصية و لو بشطر كلمة كان شريكا فيها. و إن كانت[3] نيتك و قصدك بينك و بين اللّٰه من تعلم العلم للهداية دون مجرد الرواية، فابشر فإن الملائكة تبسط أجنحتها لك إذا مشيت، و حيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت» انتهى مقاله أحسن اللّٰه حاله.

و بالجملة ـ للناس في طلب العلم ثلاثة أحوال:

رجل طلب العلم ليتخذ زاده إلى المعاد و لم يقصد به إلا وجه اللّٰه تعالى و الدار الاخرة، و هذا من الفائزين، و ليس هذا القسم في عصرنا هذا من الموجودين اللّهم إلا الأقلّين.

و رجل طلبه ليستعين به علىٰ حياته العاجلة و ينال به العز و المال، و هو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله و خسة مقصوده و مآله، فهذا من المخاطرين؛ فان عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه سوء الخاتمة، و بقي أمره في خطر المشية، فإن وُفّق للتوبة قبل حلول الأجل و أضاف إلى العلم العمل، و تدارك ما فرط من الخلل التحق بالفائزين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

و رجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال و التفاخر

---

١. ص: التي. ٢. ص: كاسرة. ٣. ص: كان.

بالجاه و التعزز بكثرة الأتباع، يدخل بعلمه كلّ مدخل رجاء أن يقضي من الدنيا وطره و هو مع ذلك يضمر في نفسه أنه عند اللّٰه بمكان، لاتّسامه بسمة العلماء و ترسمه برسومهم في الزيّ و المنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهراً و باطناً. فهذا من الهالكين، و من الحمقىٰ المغرورين، اذا الرجاء منقطع عن توبته لظنّه أنّه من المحسنين، و هو ممن قال فيهم رسول اللّٰه ﷺ: «أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجّال» فقيل: و ما هو يا رسول اللّٰه؟ قال «علماء السوء» و هذا لأن الدّجال غايته الإضلال، و مثل هذا العالم يصرف الناس عن الدنيا بلسانه و مقاله و هو داع لهم إليها بأعماله و أحواله و لسان الحال أنطق من لسان المقال، و طباع الناس إلى المساعدة في الاعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله، إذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة في الدنيا إلّا باستجراء العلماء، فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد اللّٰه على معاصيه، و ينبّهك هذا عن سر قول سيدنا رسول اللّٰه ﷺ: «من ازداد علماً و لم يزدد هدى لم يزدد من اللّٰه الابُعداً» و عن قوله صلوات اللّٰه و تسليماته عليه «إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه اللّٰه بعلمه».

أقول: لعلّ العالم الذي لا ينفعه اللّٰه بعلمه هو التارك للعمل بمقتضى علمه الصحيح كما هو المروي عن أبي عبداللّٰه عليه السلام في قوله تعالى: «إنّما يخشىٰ اللّٰه منْ عبادِهِ العلماءُ» قال: يعنى بالعلماء من صدق قوله فعله و من لم يصدق قوله فعله فليس بعالم.

و عن قوله عليه أفضل التسليمات: «مررتُ ليلةَ أُسري بي على أقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟ فقالوا كنا نأمر بالخير و لا نأتيه و ننهى عن الشر و نأتيه» و من هنا قيل:

و غيرُ تقيٍّ يأمرُ الناسَ بالتّقىٰ طبيبٌ يُداوي المرءَ و هو مريضُ

و في تفسير أهل البيت عليهم السلام قيل لمولانا أميرالمؤمنين سلام اللّٰه عليه: من خير خلق اللّٰه بعد أئمة الهدى و مصابيح الهدى؟ قال: العلماء إذا صَلحوا، قيل: فمن شرار خلق اللّٰه بعد إبليس و فرعون و نمرود، و بعد المتسمّين باسمائكم و المتلقّبين بألقابكم و الآخذين بأمكنتكم و المتآمرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل

الكاتمون للحقائق، و فيهم قال اللّٰه تعالى: «أولئك يلعنهم اللّٰه و يلعنهم اللاعنون إلّا الذين تابوا» الآية. **قال العارف** الفاضل الغزالي في بعض مؤلفاته: «قد كان اسم العالم يطلق على العلماء باللّٰه و بآياته و أفعاله في خلقه، الذين كانت في مراقبة الباطن و التفتيش عن صفات النفس و مكائد الشيطان و غوائل الدنيا و تحصيل مقامات الدين من الورع و التقوى و الخوف و الحزن و التفكر و المجاهدة و التوكل و الاخلاص، فلما حدث مصنفات الكلام في القرن الرابع، و كثر الخوض فيه، أخذ علم اليقين في الاندراس، فصار اسم المجادل المتكلم عالماً، و اسم الفاجر المزخرف كلامه بالأشعار واعظا، و صار أكثرهم في التدريس و القضاء و تولية الأوقاف و الوصايا و أموال الايتام و مخالطة السلاطين و الحكام.

أقول و أنا العاصي لكل المعاصي: و ليس الخبر كالمعاينة، في زماننا هذا قد اندرج الجدل في علم الكلام وراجت[1] الحيل بلا كلاء لاستجلاب الحطام و التسلط و التفوق للأنام؛ فصار بعض أبناء الوقت في لباس الشال و الشملة صوفيا مباحيا حسبما فهموا من تحديد الصوفي بابن الوقت، أنّ الوقت غير متسع لتميز الحلال من الحرام، فعاشوا كالبهائم غير مقيدين لضوابط شرائع الاسلام، فاستوى عندهم ـ بناء على ما وجدوا من وحدة الوجود ـ الحمار المصري و الحسن البصري في النقض و الإبرام.

و بعضهم حكيماً متحكماً لما رأى الحكمة في تناول الأقداح الممتلية بالراح المميتة للروح لنشاط الارواح و إزالة الآلام و استماع الألحان المطربة و الأصوات الملهية في مجالس الملوك و محافل الحكام.

و بعضهم متشرعاً بشريعة الجاهلية الأدنىٰ و اجتهدوا لإطالة اللّحىٰ و إعظام العمائم البيضاء و الاستمساك بالمشط و المسواك و إدارة السبحة المموهة بقراضة الذهب و الفضة لإلجام العوام، و لعمري أن أولئك الاقوام كالأنعام بل هم أضل سبيلا من سائر طوائف الأنام، فايا كم من مخاطبتهم و مخالطتهم فإن للنفوس جرباً كما للابدان، و للقلوب وضحاً[2] كما للجثمان.

---

١. وراج: ص

٢. بالتحريك، بمعنى البرص.

فطوبى لأزمنة قد مضت و أبناء قد سبقت، و يشهد بهذا ما هو المروي عن سيدنا رسول اللّه ﷺ أنه قال: «ما من يوم و لا ليلة و لا شهر و لا سنة إلّا و الذي قبله خير منه» و من هذا قال يونس بن ميسرة: لا يأتي علينا زمان إلا بَكَيْنا منه و لا تولّى عنا إلا بكينا عليه. و من هذا قد سنح للمؤلف بالنظم الفارسي:

شد ز نخوت بر سر ما بار ما دستار ما
سبحهٔ ما ازريا، در دست ما زنّار ما
بسکه درد دين ز دل هر لحظه بيرون مى‌رود
دشنه بر دل مى‌خورد امسال ما از پار ما

و كان يحيى بن معاذ الرازي، كثيراً ما يقول: «أيّها العلماء! إنّ قصور كم قيصرية، و بيوتكم كسروية، و مراكبكم قارونية، و أوانيكم فرعونية، و أخلاقكم نمرودية، و موائدكم جاهلية، و مذاهبكم شيطانية، فأين المحمدية؟».

و نعم ما استفاض من المبدأ الفياض الشيخ البهيّ الالمعي الشيخ فيضي مضامين، و نظم في منظومته الفارسية الموسومة بمركز الأدوار و قال:

عارفى از شهر به صحرا گذشت — ديد عزازيل به دامان دشت
دل ز غم وسوسه پرداخته — ديده ز نيرنگ تهى ساخته
گفت بدو عارف صحرا نورد — كز چه درين باديه‌اى هرزه گرد؟
طبع تو آسوده ز وسواس چيست؟ — وين قَدَرَت كندى الماس چيست؟
كار تو در صومعه و خانقاه — باز چرا مانده‌اى از كارگاه؟
تفرقه بخش صف طاعت نه‌اى — رخنه گر سلك جماعت نه‌اى
در صف اصحاب، نهيب تو كو؟ — جادوى جبريل فريب تو كو؟
شعبده‌انگيزيِ خويت كجاست؟ — خوى بد عربده‌جويت كجاست؟
نيست سر اشتلم آموزيت — سرد شد آن گرمى جان‌سوزيت
رهزن دوران به دل بدسگال — طنز كنان داد جواب سؤال:

کــــز بـــرکات عـــلمای زمـــان | فـــارغم از کشـــمکش ایـــن و آن
داشت مـرا بـاز ازین جدّ و جهد | حـــیله‌گـــریهای فـــقیهان عـــهد
یک تـن از ایـن طـایفهٔ بـوالهوس | از پـــی گـــمراهـــی کـــونین بس

و المروي عن ابن عباس انه قال: كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل، و كان من سكان الأرض من الملائكة، و يسمون الجن لاجتنانهم من العيون، و لم يكن فى الملائكة أشد اجتهاداً و لا أكثر علماً منه، فلما تكبر على اللّٰه و أبى السجود لآدم عليه السلام و عصى، لعنه و جعله شيطاناً و سماه إبليس. اشتقاق الشيطان من «شطن» أي بَعُد. و لمّا بعد عن درك الحقائق و الإطاعة فقد بعد عن اللّٰه تعالى، و «إبليس» إفعيل مأخوذ من «بلس» أي يئس، فهو مأيوس عن رحمة اللّٰه تعالى و يقال هو اسم اعجمي و لذلك لا ينصرف.

و روي عن سيدنا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أنه قال: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلو في الدنيا، قيل: يا رسول اللّٰه: و ما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان الجائر، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

و المنقول عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «مكتوب في التوراة ان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً و لم يزدد من اللّٰه إلا بعداً». و وقع في كلام باب مدينة العلم «انّ أحمد العلم عاقبة مازاد في عملك».

و عن أبي عبداللّٰه عليه السلام عن آبائه الاطهار سلام اللّٰه عليهم قال: «جاء رجل إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله: فقال يا رسول اللّٰه! ما العلم؟ قال: الإنصات، قال: ثم مه يا رسول اللّٰه؟ قال: الاستماع. قال: ثم مه؟ قال: الحفظ. قال: ثم مه؟ قال: العمل به. قال: ثم مه يا رسول اللّٰه؟ قال نشره.»

و المنقول عن مولانا أميرالمؤمنين صلوات اللّٰه أنه قال «قطع ظهري رجلان من الدنيا: رجل عليم اللسان فاسق، و رجل جاهل القلب ناسك. هذا يصدّ بلسانه عن فسقه. و هذا منسكه عن جهله، فاتقوا الفاسق من العلماء و الجاهل من المتعبدين أولئك فتنة كل مفتون، فاني سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله يقول: يا عليّ هلاك أمتي على يدي كلّ منافق عليم اللسان».

و لا يخفى أن ما ورد من تفضيل مداد العلماء على دماء الشهداء، لعلّ السرّ فيه أن دم الشهيد لا ينتفع به بعد موته و مداد العالم ينتفع به بعد موته.

و مثله ما هو المروي أنه «إذا مات المؤمن و ترك ورقة واحدة عليها علم تكون[1] تلك الورقة ستراً بينه و بين النار، و أعطاه اللّٰه بكل حرف عليها مدينة أوسع من الدنيا بسبع مرات» و ليس هو كما في «عدة الداعي» عبارة عن استحضار المسائل و تقرير البحوث و الدلائل، بل هو مازاد في خوف العبد من اللّٰه سبحانه، و تنشطه في عمل الآخرة و زهده في الدنيا، فلو أن بمدد مدادهم يراق دماء الشهداء فهم كما قال «جهل از آن علم به بود صد بار».

و في كلام مولانا أميرالمؤمنين صلوات اللّٰه عليه في خطبة خطب بها على المنبر: «أيّها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون. إنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت أنّ الحجة عليه أعظم، و الحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله، و كلاهما جائر بائر».

و من هذا الباب ما قد روى الشيخ الجليل الكليني في كتاب العقل و الجهل من جامعه الكافي عن أبي عبداللّٰه أنه قال: «بين المرء و الحكمة نعمة العالم، و الجاهل شقيّ بينهما» و لعل مراده عليه‌السّلام أنّ بين المرء و الحكمة نعمة هي العمل بمقتضاها فالعالم غير العامل بسبب تضييعه ثمرة الحكمة و هي العمل بها صار شقيا محروماً، لما هو المروي عنه «ان العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل و من عمل علم، و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه و إلّا ارتحل عنه» فحصل له بسبب ارتحال العلم عنه لعدم العمل به الحرمان عن النعمتين، و الهجران من السعادتين، و الجاهل بسبب اهماله ليتحصل الحكمة التي هي مهيجة لاكمال النعمة و موجبة لاستعداد الانتفاع و الاستلذاذ بها أيضا يشق، فسبب شقاوتهما الحرمان من النعمة التي هي مستودعة بين المرء و الحكمة، و هي العمل. و نقول في قراءة كلامه سلام اللّٰه عليه بطريقة الإضافة على ما قرأ بها بعض الأعلام: إنّ بين المرء و الحكمة نعمة العالم و هي العمل بمقتضاها و الجاهل الخائب عن العلم ضائع السعي عن العمل أيضا بدون العلم فهو شقي بين النعمة و

---

۱. ص: يكون.

الحكمة، و محروم عن جنبتي سعادتي العلمية و العملية.

ثم اقول: فمن وصل إلى مذاق عقله حلاوة ثمرات العلم و هي حذف العلائق و عبادة ربه، ظهر له مرارة لذات الدنيا الدنية و الاستلذاذ بغيره كما قال من قال:

حسن دنيا عاشق دين را كجا افتد پسند
گرگ يوسف ديده كی گردد به گرد گوسفند

فان العلم بمنزلة الشجرة، و العمل بمنزلة الثمرة، و الشرف للشجرة المثمرة [حسبما يحصل الانتفاع بثمراتها، فاذن لابد للعالم من العبادة المنتجة خشية اللّٰه عزوجل و مهابته و قد قال اللّٰه تعالى: «إنّما يخشى اللّهَ من عبادهِ العلماءُ» حتى كان سعيداً مشكورا، و اسمه في صدر جريدة أهل النجاة مسطورا، و إلّا كان علمه هباء منثوراً كما قال الحكيم السنائی:

علم كزتو ترا نه بستاند جهل از آن علم به بود صد بار]

فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة، و ويل للعالم حيث لم يعمل بما علمه ألف مرة. و من هنا خطر بخاطري القاتر في ماهية الصغيرة و الكبيرة التي انشعبت الأقوال من العلماء فيها [و قال شيخنا البهائي في اربعينه: و ليس على شيء منها دليل تطمئن به النفس و لعل في إخفائها مصلحة لا تهتدي[1] إليها عقولنا كما في إخفاء ليلة القدر و الصلاة الوسطى] أن كِبَرَ المعاصي و صغرها بالنسبة إلى درجة من يرتكبها فإن صدور الصغيرة عن العالِم بالمَناهي كما ينبغي، و العارف بقبحها كما يليق، كبيرة، و الكبيرة أكبر، كيف لا و إنّ حسنات الأبرار سيئات المقربين.

و لهذا جعل اللّٰه ثواب المطيعات و عقاب العاصيات من أزواج النبيﷺ ضعف ما جعل لغيرهن، لقربهن و استفادتهن العلم منه كما روى أبو حمزة الثمالي عن زيد بن علی‌ؑ أنه قال: إني[2] لأرجو للمحسن منا أجرين و أخاف على المسيءِ منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبي عليه اشرف التسليمات.

---

١. ص: يهتدي.
٢. ص: لا اني.

و روی محمد بن أبي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبد اللّٰه بن الحسن عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدينعليه السلام أنه قال له رجل: إنكم أهل البيت مغفور لكم؟ قال: فغضب سلام اللّه عليه فقال: «نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى اللّٰه في ازواج النبي صلى الله عليه وآله من ان نكون كما تقول، إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر و لمسيئناضعفين من العذاب، ثم قرأ الآيتين: يا أيّها النبيُّ قلْ لأزواجكَ إنْ كنتنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدنيا و زينتها فتعالَيْنَ امتّعكُنّ و أُسَرِّحْكُنّ سراحاً جميلا، و إن كنتنّ تردنَ اللّٰهَ و رسولَه و الدارَ الآخرةَ فإنَّ اللّه أعد للمحسناتِ مِنْكُنّ أجراً عظيما، يا نساءَ النبيِّ مَنْ يأتِ منكُنَّ بِفاحِشَةٍ مبينةٍ يضاعَف لَها العذابُ ضِعْفَيْنِ و كانَ ذلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسيرا».

و لقد صدق من قال: «إن حال العاقل الغافل يبسط عذر الجاهل الذاهل».

ثم أقول و لعل في مصلحة إخفائها وجهين:

الاول: أن لا يرتكب العباد مطلق الذنوب خوفاً لارتكاب الكبائر في ضمنها، فيفوزوا بعدم الإقدام بالمعاصي صغيرها و كبيرها فوزاً عظيما، و ينخرطوا في سلك من يمشون صراطاً مستقيماً.

و الثاني: أنه لولا الإخفاء فيها لأمكن أن يحصل لغير مرتكبي الكبائر عجب و نخوة بسبب عدم ارتكابها، فيفسد بسببه طاعاته أيضاً فيتبع شيطاناً رجيماً و يخسر خسراناً مبيناً.

رب اللّهم إنّ ذنوبي و إن كانت كلّها لكبيرة بالنظر إلى عظم جلالك و كبرياء سلطانك فانها لصغيرة في جنب وسعة عفوك الجسيم، و فسحة صفحك العظيم. و من هذا وقع في كلام الأكابر أنه «لا تنظر إلى صغر امرٍ تعصي فيه و هو انه، و لكن انظر إلى عظم جلال من تعصيه و كبرياء سلطانه [فاعف عني بلطفك العميم] و بلّغني إلى خدمة عالم عارف بدّل الحركة في أقصر المدة بالسكون فإنّ العلم نقطة كثّرها الجاهلون، فإن المراد بهذا العلم العلم التعقلي لا الاحساسي. لان العلم التعقلي على ما حققه المحققون سنته توحيد الكثير، و الإدراك الاحساسي شاكلته تكثير الواحد و ان ضبط القواعد الكلية من العلوم يمكن بالألفاظ القليلة و العبارات اليسيرة، و استخراج الفروع منها لمن له الأذُن الواعية و البصيرة الناقدة سهلة غير عسيرة، و من هذا قال أحمد بن اسحاق الاسفرائيني و قد نقلناه سابقاً في تحت

أحواله[1] «ان العلم باللّٰه يكون باللفظ اليسير فأما اللفظ الكثير فدليل على عدم العلم» فالعلم نقطة كناية عن هذا المعنى كما قال العارف السبحاني:

عارف سخن ار چه مختصر ساز كند
چشمت بينای عالم راز كند
دریاب كه هر چند كه خرد است كليد
از خانهٔ بس بزرگ در باز كند

و من هذا القبيل ما في الخطبة الطويلة الافتخارية التي نقل عن مولانا مظهر العجائب و مظهر الغرائب اميرالمؤمنين سلام اللّٰه عليه أكابر الصحابة كسلمان، و أبي‌ذر، و كميل بن زياد و غيرهم، و كذلك أولاده الكرام العظام عليهم السلام على ما في كتاب المجلى أنه قال «أنا النقطة تحت الباء» اى تحت باء «بسم اللّٰه».

از نقطه چه حرفهای بیحد كه نمود
وين طرقه كه غير نقطه را نيست وجود
انگشت ز حرف غير گر برداری
يک نقطه تو و مركز پرگار وجود

و هذه النقطة قد يعبر عنها العرفاء بنقطة النبوة و نقطة الولاية المطلقة، مخصوصتان بهما، لقول النبي صلى الله عليه وآله: «كنت نبياً و آدم بين الماء و الطين» و قول علي عليه السلام: «كنت وليّا و آدم بين الماء و الطين».

فنقول: و كما أنّ النقطة من «باء» بسم اللّٰه باب الدخول الى مدينة[2] العلم الصامت التي هي القرآن العظيم، و مفتاحه بالصورة الرقمية، فمولانا سلام اللّٰه عليه باب الدخول إلى مدينة[3] علمه الناطق التي هي[4] سيدنا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله في موطن المعنى العلمي؛ لقوله صلوات

---

۱. في كتاب محبوب القلوب.
۲. ص: بمدينة.
۳. ص: بمدينة.
٤. ص: هو.

اللّٰه و تسليماته عليه: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب» و الباب عبارة عن شيء لا يمكن الدخول في تلك المدينة إلا منه و بإذنه و بإشارته و معلوم أنّ الدخول في مدينة علم النبوة من غير باب الولاية غير ممكن، لأنّ الولاية النبوية مقدمة على نبوته، كما أن النبوة متقدمة على الرسالة. فمن دخل المدينة بغير اذن البواب لا يكون الا خارجياً يستحق التأديب و التوبيخ عقلا و شرعاً و لهذا قال اللّٰه[۱] تعالى: «و اتوا البيوت من أبوابها». دولت درين سرا و گشايش ازين درست

و الظاهر لمن ليس معكوس القلب، مغشوش العقيدة أنّ من ولد في بيت ربه و ربّي[۲] في حجر تربية حبيبه فهو محرم لعلوم مدينة علمه، و مطّلع على غوامض اسرار محبوبه، فمن تخلف عن باب مدينة علمه و تجاوز عن عتبة مظهر حلمه فهو محروم عن الإصابة لفيوضات بابه، و مطرود عن اللياقة لقرب جنابه.

و روىٰ أخطب خوارزم ـ من فحول علماء العامة ـ عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «أتاني ملك فقال: يا محمد! سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا، قال: فقلت: يا رب! على ما بعثوا؟ فقال: على ولايتك و ولاية علي بن ابي‌طالب.

و بعضى از علماء عارفين به اسرار حروف را در اين مقام كلامى است كه ايراد آن مناسب است، مى‌گويد كه: در عالم ارقام حروف كتابى، هيولاى اولى «نقطه» است كه بمنزلهٔ وحدت عددى است، و عنصر اول «الف» است كه بمنزلهٔ واحد عددى، و موضوع له و مدلولش امر الهى و نفس رحمانى و تأثير ابداعى است، و «ب» كه اول تطورات الف او است بجاى عقل نخستين كه متعلق اول امر ابداعى و اولين حرف كتاب مبين نظام جملى موجودات است.

و از استيناس انوار اين حقائق سر قول كريم كتاب اللّٰه الناطق و ميزانه الفارق صلوات اللّٰه و سلامه عليه: «أنا النقطة التي تحت الباء» بعد از تجلى آنچه خاتم الرسل و هادى سبل الكل ﷺ فرموده است كه «اول ما خلق اللّٰه العقل» و «اول ما خلق اللّٰه نوري» و آنچه فرموده است كه «انا و علي من نور واحد» از مشرق استواى ظهور، جلوهٔ

---

۱. سورة البقرة، الاية ۱۸۹.	۲. ص: يربى.

طلوع مى‌نمايد.

و الدائر بين العلماءِ أنّ كلّ العلوم تندرج في الكتب الأولية السماوية، و علومها في القرآن، و علوم القرآن في الفاتحة، و علومها في الباء من بسم اللّٰه، و صرّحوا في توجيهه أن المقصود من العلوم وصول العبد إلى الرب، و هذه[1] الباء للإلصاق فهي[2] توصل[3] العبد إلى الرب، و هذا غاية المقصد و نهاية المطلب.

و بهذه السياقة ما روى الشيخ الطبرسي‌ؒ في تفسيره عن أبي الدرداء عن النبي‌ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» قلت: يا رسول اللّٰه و من يطق ذلك؟ قال: «اقرءوا قل هو اللّٰه احد».

و قد ذكر بعض الأعلام في وجه معادلة هذه السورة لثلث القرآن كلاماً ما حصله أن مقاصد القرآن الكريم ترجع[4] عند التحقيق إلى ثلاثة معان: معرفة اللّٰه عز مجده، و معرفة السعادة و الشقاوة الأخروية، و العلم بما يوصل إلى السعادة و يبعد عن الشقاوة. و سورة الاخلاص تشتمل على الاول و هو معرفة اللّٰه و توحيده، و تنزيهه عن مشابهة الخلق بالصمدية، و نفي الأصل و الفرع و الكفو، و كما سميت الفاتحة «أم القرآن» لاشتمالها على تلك الأصول الثلاثة، عادلت هذه السورة ثلث القرآن لاشتمالها على واحد من تلك الأصول الثلاثة.

المصححان

السيد ابراهيم الديباجي و حامد صدقي

---

١. ص: هذا. ٢. ص: فهو. ٣. ص: يوصل.

٤. يرجع: ص.

الصفحة الأولى من المخطوطة

وما انقضت مني وما عرفت غير صناعة الملاحة فكيف يمكنني أن أتوجه إلى شيء من العلوم
فبينما هو متفكر إذ رأى نملة قد حملت نواة تمرة وهي تريد أن تصعد بها إلى علو وكلما صعدت
بها سقطت فلم تزل تجاهد نفسها في طلوعها وهو ينظر إليها إلى أن بلغت غرضها وأطلعتها
إلى غايتها فلما رآها يحيى النحوي أن نملة قد بلغت بالمجاهدة غرضها قال لنفسه إذا كان هذا
الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة فبالحري أن أبلغ غرضي بتحمل المجاهدة فخرج من
وقته وباع سفينته ولازم دار العلم وابتدأ بتعلم النحو واللغة والمنطق فبرع في هذه الأمور
وبرز فلأنه أول ما ابتدأ بالنحو في التعلم نسب إليه واشتهر يحيى النحوي وفي بعض تواريخ
النصارى أن ليحيى النحوي لقب آخر باليونانية يقال له فيلوبونس أي المجتهد وقد ذكر
الفاضل المتمم يروي في تاريخه أحوال يحيى النحوي الديلمي الملقب بالبطريق وقال إنه غير
يحيى النحوي الإسكندراني الذي هو فيلسوف نصراني من القدماء ويؤيد ما نقله هذا الفاضل
ما وجدت من تعاليق الشيخ أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني أن يحيى النحوي قرأ الحكمة
على أمونيوس وهو قرأ على ابرقلس وابرقلس من القدماء ونقل أن يحيى الذي أدرك زمان
الإسلام هو يحيى النحوي الديلمي البطريق لا الإسكندراني ثم قال الفاضل المتمم إن يحيى
البطريق صنف كتابا ذم فيها على أفلاطون وتلميذه أرسطوطاليس وأكثر ما أورده الغزالي في
كتاب تهافت الفلاسفة مأخوذ من تلك الكتب ورأيت في تاريخ آخر أن عامل مولانا أمير المؤمنين
علي عليه السلام أراد أن يقتله عن زندقة وتخريب دينه فكتب يحيى قصته إليه سلام الله عليه
وطلب منه الأمان فكتب محمد بن الحنفية رضي الله عنه له كتاب الأمان بأمر أبيه صلوات الله
وسلامه عليه وقد وجدت كلمات جليلة من الحكماء الكرام ذوي العقول والأفهام
فختمت تلك المقالة بهذه الكلمات الثامنات الثاقبات لذي الألباب من الأنام حكي
أنه كان في قديم الأيام ملكا ذو شوكة عظيمة ومملكة عظيمة من ملوك العرب اجتمع عنده
من أفراد الحكماء أربعة حكيم الروم ويقال له المنجم وحكيم الهند ويقال له المصلح وحكيم
العجم ويقال له المنعم وحكيم العرب ويقال له الوضع فقال الملك أيها الحكماء بالغوا
في الثناء والآخر وتجاوزوا [illegible] قال الحكيم الرومي [illegible]

لقب يحيى النحوي بلسان الروم فيلوبونس أي المجتهد

كلمات جليلة من الحكماء الكرام الفخام ذوي العقول والأفهام

الصفحة الأخيرة من المقالة الأولى

بسم اللّه الرحمن الرحيم و الاستعانة بالعزيز العليم

الحمد للّه الذى ليس بينه و بين خلقه غير خلقه حجاب، مع أنّه كشف به عن وجهه الكريم نقاب الارتياب.

رخ دلدار را نقاب توبى | چهرهٔ يار را حجاب توبى
به تو پوشيده است مهر رخش | ابر بر روى آفتاب توبى

أغلق عن صيغته[1] باب الحاجة إلّا إلى بابه الّذى هو باب الأبواب، فلا يكون لخليقته سوى باب جنابه مفرّ و لا مآب.

بر درت جا كنند اهل نجات | رفع اللّه قدرهم درجات

و الصّلوة على المبعوث بالحكم الربّانية و الشرائع الفرقانية، المخصوص بالكرامات السبحانية و التأييدات الصّمدانية، محمّدٍ سيّد المرسلين و غاية إيجاد العالمين و على آله الّذين لو لا هم لما اخضرّ عود فى الإسلام و لما قام عمود فى الدين:

هم القوم مَن اصفاهم الودَّ خالصا | تمسّك فى أُخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبا | محاسنها تجلى و آياتها تروى
مُوالاتهم فرض و حبّهم هُدى | و طاعتهم ودّ و وُدّهم تقوى

و بعد، يقول الفقير إلى اللّه الغنيّ، قطب الدين محمد بن شيخ علي الشريف الديلمي اللاهيجي: إنّ من أجلّ منح اللّه ـ عزّ مجده ـ على عبده طهارة قلبه و سلامة فطرته و قلّة نطقه[2]، فإنّه بذلك يلق الحكمة و يسمع هتاف هواتف الحقّ في كلّ نفس من أنفاسه و يضيء

---

١. صيغته أى مخلوقه: مص. ٢. منطقه: ص.

له في ليل المتشابه مصباح المحكم فيرسخ قدم صدقه في معرفة ربّه ـ سبحانه ـ و يحيى بلده الطيب بغيث الهدى و العلم، فـ«يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للنّاس»[١]. و هذا زمانٌ، القائل فيه بالحقّ قليل، و اللّسان عن الصّدق كليل، و اللّازم للحقّ ذليل؛ و أكثر أبنائه اعتدّوا للقضاء المحكم فوقعوا في القضاء المبرم، أو الفتوى للنّاس فوقعوا في الفتنة و البأس.

قـل للـذى يـقضي و يـفتي و لا	يحسـن في ذلك أن يحسنا
أقـاضيا أصـبحت أم قـاصيا	و مـفتيا أمسـيت أم مـفتنا

فما أكثر سراب أخلاقهم و شراب نفاقهم للّذين يرفضون و على الفلس يركضون، قد قلّ انصافهم و فقمت[٢] أوصافهم، [هم[٣]] و اللّه أكلب من الكلاب، فإذا جاؤوا عندك ثمّ ذهبوا، قل: اللّهم ذهاب بلا إياب.

ليت الكـلاب لنـا كـانت مجاورة	و ليـتنا لا نـرى ممّـن نـرى أحـدا
إن الكـلاب لتهـدى في مـرابـضها	و النّـاس ليسـوا بهـادٍ شرّهـم ابـداً

حكي أنّ لمالك بن دينار كلباً، فقال له جعفر بن سليمان: ما تصنع بهذا، يا ابا اسحق. فقال له: هذا خير من جليس السوء.

لَكـلب النـاس إن فكّـرت فـيه	أضرّ عـليك مـن كـلب الكـلاب
لأنّ الكـلب لا يُـؤذى جـليسا	و أنت الدهـرَ مِـن ذا في عـذاب

و نعم ما [قيل على لسان][٤] الكلاب: من النّاس من هو أكلب منّا و لكن سبق الاسم لنا.

قال أبوسليمان: شيطان الجنّ أهون عليّ من شيطان الإنس، شيطان الإنس يتعلّق بي فيدخلني في المعصية و شيطان الجنّ إذا تعوّذت منه خنس عنّي؛ و إنّي لما انتقصت الكلب

---

١. سورة النحل، الاية ٦٩. ٢. فقمت: ص. ٣. هو: ص.
٤. و نعم ما يقول الكلاب: ص.

[بتشبيههم[١]] به، لأستغفر الله و أتوب [إليه[٢]] حيث لا ذنب للكلب و لهم أنواع من الذّنوب. فلقد صدق من قال:

دوستان بی‌وفا را چون به سگ نسبت دهم!؟
سگ حقوق آشنایی را رعایت می‌کند

طهّر الله وجه الأرض منهم و وقانا[٣] صحبتهم و سوء أفعالهم، فإنّهم من القوم الذين باعوا الدين بالدّنيا، و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعا.

نادوا على الدّين[٤] فى البلدان قاطبة   يا قوم من يشترى دينا بدينار؟

و للّه درّ من قال:

آنچه پر جُستيم و كم ديديم و دركارست و نيست
در حقیقت نیست جز انسان كه بسیار است و نیست
هست می‌گویند عنقا، نیست باور كردنی
هست عنقا آن، ولی یار وفادار است و نیست

و لقد أحسن الحكيم السنائي، حيث قال بالنظم الفارسي:

دين‌فروشی كنی كه تا سازی   بارگی نقره‌خنگ و زين زركَند
علم ازاين مهملات مستغنی است   تو برو بر بروت خويش مخند

روى الشيخ الجليل الكليني ـ طاب ثراه ـ في جامعه الكافي، عن مولانا أبي عبداللّه عليه السلام أنّه قال: أوحى الله ـ عزوجل ـ إلى داود ـ سلام الله عليه ـ لا تجعل بيني و بينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أولئك قطّاعٌ على طريق عبادي المريدين؛ إنّ أدنى ما أصنع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم. و نعم ما قال زياد ـ و كان من

---

١. بتشبّهم: ص.   ٢. إليه: ساقطة من ص.   ٣. و وقانا + من: ص.
٤. الذين: ص.

رجالات[1] العرب ـ: لقد فسد الناس فسادا لا يصلحهم إلّا سيف قاطع، و سوط دافع، و سجن قامع، فالأولى أن لا تلتقي بذمّهم الشفتان استصغارا لقدرهم[2]، و ذهابا عن ذكرهم.

چنان بستم لب از افغان که گویی   دهن بر چهره زخمی بود، بِه شد

يحكي أنّ المنصور كتب إلى مولانا جعفر بن محمد الصادقعليه السلام لِمَ لا تغشانا؟ فأجابه ـ سلام اللّه عليه ـ ليس لنا ما نخافك من اجله، و لا عندك من أمر الآخره ما نرجوك [له[3]] و لا أنت في نعمة فنهنّيك [بها[4]] و لا نراك في نقمة فنعزّيک [عليها[5]]، فما نصنع عندك؟! فكتب المنصور: [تصحبنا لتنصحنا[6]] فأجابه ـ عليه السلام ـ من أراد الدنيا لا ينصحك و من أراد الآخرة لا يصحبك. و للّه درّ من قال:

دوستانی که اندرين عهدند   مـا لَهُم ذمّةٌ وَ لا اِلٌّ
همه در خون يكدگر شده‌اند   ثُمَّ أفتوا بأنّه حِلٌّ
سيّد كاينات و خواجهٔ كون   قال مالِي من الورى خِلٌّ
زانكه بر سايه اعتماد نداشت   كانَ يمشي و ما لَهُ ظِلٌّ

فلّما رأيت الحال على هذا المنوال و عرفت صدق ما قال بعض أولى التجارب: «و خير جليس في الزّمان كتاب»، هممت بدلا [من مصاحبة[7]] إخوان الزّمان و خلاّن الأوان بجمع كتاب يحتوى على أسرار كلمات الحكماء المتقدّمين و أطوارهم، و أقوال العلماء المتأخّرين من المتفلسفين، و مفارد الصّوفيين، و مشايخ المجتهدين و أوضاعهم، و أحاديث ساداتنا الأكرمين ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ و سيرهم المستحسنة عند خالق السموات و الأرضين؛ لأنّ باستخبار أوصاف الأشراف من الحكماء الأقدمين، و استكشاف أحوال الأعلام من [الرجال[8]] المتأخّرين، و استشعار الأطوار الحسنة و الأوضاع المستحسنة

---

۱. رجالات، جمع رجل: مص.   ۲. لذمّهم: ص.   ۳. له: ساقطة من ص.
٤. بها: ساقطة من ص.   ٥. بها: ص.   ٦. يصحبنا لينصحنا: ص.
۷. لمصاحبة: ص.   ۸. رجال: ص.

لِخُلّص الأولياء الكاملين المكمّلين، يحصل الإنتباه لمن أخذ الفطانة بيده، بأنّ فوق كلّ ذي علم عليمٌ؛ و العلم الكامل اللائق بالوثوق و الاطمئنان، للّذين استفاضوا من لدن حكيم عليم بلا تعلّم و تعليم؛ و الظّاهر أنّ من طلب الأمر من غير طريقه فما ظفر بتحقيقه، و مِن هذا قال الشيخ الكبير العارف العربي في فصوصه: من طلب العلم من طريق النّظر الفكريّ، فقد استسمن ذا ورم و نفخ في غير ضَرَم.

بــرو ای خــواجـه خـود را نـیك بشـناس
کـــه نـــبود فـــربهی مـــانند آمـاس

و من هذا الباب ما سنح لي بالنظّم الفارسيّ:

خـــدایـــا لطـــف کـــن عـلم لدنّـی
کـــزو قـــایم شـــود ارکـــان دیـنی[1]
ز تـــحقیقات اشـــراقـی چــه لافـی؟
ز تـــدقیقات مشّـــائی چـــه بـافی؟
حکـــیمی کـــو بـــه راه عـقل پـوید
تـو گـویی عـلم خـود از جـهل جـوید
بــه عـقل خـود چــنان پـیچیده گـویی
کـــه نـقلی در جـهان نشـنیده گـویی
تـــو را از آب عـــقلِ اهـــل یـــونان
طـهارت کـی شـود حـاصل بـه ایـقان
ز خـــاك یـــثربِ نـــقل ار نـــمایی
تـیمم، بِـه کـه زایشـان آب خـواهـی

۱. لا يخفى عليك ما في هذا النظم من الغلق في القافية: مص.

گـــر آيـــين كـــلامت خــوش نــمايد
تـــو را تــحقيق نــى، شــبهت فــزايــد
سخن جويى ز صوفى خود چه حاصل؟
كــه گــويد از ريــاضت گشــته واصــل
نـــمود از گـــوشه‌گـــيرى پـــله پـله
كـــــمان اعـــتكاف شـــرع چـــله
چــو در ديــن عـجايز عـجز بـوده است
از آن پـيغمبر ايـن طـاعت سـتوده است
بـــه درگـــاه حـــق ار عـــجز آورى پـــيش
شـــوى در دانش از هـــر كـــاملى بـيش

فجاء الكتاب ـ بعون الملك الوهّاب ـ كأطباقٍ فيها أثمارٌ من حدائق الأخبار، و أوراقٍ عليها أبكار من أسرار نتائج قرائح الأبرار، فكأنّه بدل [حكيم[1]] خال عن التحكّم و الجدال، [و متكلّم[2]] ناطق بلسان الحال لا المقال، و [صوفيّ[3]] متجنّب عن فضول القيل و القال، و [مجتهد[4]] غير مقلّد بما قيل أو يقال. فلقد طابق حال هذا الكتاب مقال بعض أرباب الحال: إن أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال؛ و أنا استعنت و استجرت فى هذا الأمر و سائر أمورى بالرّؤوف المتعال، فوضعت الكتاب وضعا غريب الأسلوب، و سمّيته «محبوب القلوب» و رتّبته على مقدّمة و ثلاث مقالات و خاتمة.

المقدمة: في حقيقة الفلسفة منشأها و مبدأ سائر العلوم و وصف عظماء حكماء اليونان و الفرس و الهند و سائر البلاد و سيرهم و حدود بلادهم بالإجمال.

المقالة الأولى: في أحوال الحكماء من لدن آدم ـ على نبيّنا و عليه السّلام ـ إلى بداية الإسلام، و نقل حِكَمهم البالغة و كَلِمهم النافعة.

---

١. الحكيم: ص. ٢. المتكلّم: ص. ٣. الصوفي: ص.
٤. المجتهد: ص.

المقالة الثّانية: في أحوال المتفلسفين من الإسلام و علماء الكلام، ممن لهم الاعتناء بشأنهم، و الاعتبار بكلامهم، و نقل مقالاتهم البديعة و مآثرهم البهيّة؛ و قد ذيّلنا بأحوالهم أحوالَ عرفاءِ المشايخ من الصوفيّة الموحّدة ـ نوّر الله مراقدهم ـ.

المقالة الثّالثة: في أحوال ائمّتنا الأخيار و سادتنا الأبرار ـ سلام اللّه عليهم ما ترادف اللّيل و النّهار ـ و نقل نَبْذٍ من أحاديثهم الشّاملة بالحكم و الأسرار، الّتى يحصل بها جلاء العيون و شفاء القلوب؛ و قد ذيّلنا بها أحوالَ تابعيهم من عظماء مشايخ الفرقة النّاجية ـ عطّر اللّه مضاجعهم ـ.

الخاتمة: في ذكر أحوال المؤلّف و آبائه الأَسلاف تذكرة للأحباب، طوبى لهم و حسن مآب.

المقدّمة

إعلم أنّ نعم الله ـ عزوجل ـ على عباده كثيرة لا يُحصي عددَها إلا هو ـ جل ذكره و تقدست أسماؤه ـ و من أعظمها عليهم و أفضلها لديهم ما منّ [به عليهم[1]] من الهداية إلى معرفته، و تعليمهم [عبادته[2]]، و أمْرِهم بطاعته، و إرساله اليهم النبيين و المرسلين، أصحاب الشّرائع الدينيّة و النواميس الحكميّة بالعناية الربّانيّة. فصارت نعم اللّه ـ سبحانه ـ على خلقه متّصلة على أيديهم بما جاؤا به من عنده من الكتب المنزلة، و الآيات المفصّلة، و العبادات المفروضة، و الشرائع الموضوعة هدىً و رحمة للمتّقين: فهؤلاء الوسائط بين اللّه و بين خلقه، هم نعم اللّه على عباده، و أيديه المبسوطة بالبركة و الرحمة في كلّ دور و عصر.

ثمّ المستخلفون من بعدهم ينقسمون قسمين: فمنهم أئمّة يهدون بأمر اللّه ـ جلّ جلاله ـ و بما أوحاه إليهم على ألسنة أنبيائهم بما أوصلوه من كلام اللّه إليهم و علّموهم[3] إيّاه من فعل الخيرات و إقامة الصلوة و إيتاء الزكوة، و ما يوجد في الشّرائع من الحكم المنزلة و الآيات المفصّلة. و منهم «ظالم لنفسه مبين[4]» بجلوسه في غير مجلسه، و أخذه ما لا يستحقّه، و هم أئمّة يهدون إلى النّار. فالحكمة الموجودة بعد النبيّ في شريعته توجد[5] على معنيين في معدنين مختلفين، و لذلك وقع الاختلاف في الأمّة بعد ذهاب صاحب الشّريعة، و ذلك أنّه أقام فرائض شريعته و أحكام دعوته ظاهرة مكشوفة، و جعل تحت ظواهر أوامرها أمورا خفيّة باطنة مستورة لطيفة لا يمسّها إلّا المطهّرون من العيوب و الذنوب، كما قال ـ عزوجل ـ «و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلّا اللّهُ و الرّاسِخُونَ في العِلْمِ يَقولونَ آمنّا بِهِ كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا[6]» و هذا قول الربّانيّين من أهل بيت النبوّة و معدن الرّسالة، و هم أصحاب الحكمة الحقيقيّة و [النطفة[7]]

---

١. بهم: ص. ٢. عباده: ص. ٣. اليهم: ص.

٤. سورة الصافّات، الاية ١١٣. ٥. يوجد: ص. ٦. سورة آل عمران، الاية ٧.

٧. اللطيفة: ص.

الطاهرة المطهّرة، و هم المطهّرون من أدناس الجاهليّة و الحكمة المجازيّة الموجودة بالإسم دون المعنى و الحقيقة، و هي الموجودة عند الأئمّة الّذين يدعون إلى النّار، و هم أعداء ائمّة الحقّ[١]، و هم بقايا شياطين الجاهليّة الّذين يريدون إطفاء «نور اللّه بأفواههم و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون[٢]». فلهذه العلّة و من أجلها وقع الاختلاف في أهل الشّرائع بعد ذهاب أنبيائهم، و لهذه العلّة إذا غلب أهل الباطل على أهل الحقّ و استتر أهل الحقّ، يكون ظهور أمر اللّه و عودة الحقّ إلى أهله، كما قال ـ تعالى ـ: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الوارثينَ[٣]». فالجالس بعد النّبيّ و القائم في الأمّة من بعده مقامه، يجب أن يكون يعرف[٤] جوابات ما يسأل عنه: من أمور الدّين و معاني مرموزاته و مرامي إشاراته، و خفيّات معانيه، و بواطن ظواهره، و تأويل تنزيله، و ما يجب على من تعدّى حدود الله من الواجبات من آداب اللّه و إقامة أحكامه في خلقه، و إرشاد الأمّة، و تقويم اعوجاج المعوجّ و اصلاح[٥] الفاسد؛ فمن وجد فيه هذه الخصال مضافة إلى ما يليق به من الأخلاق الموجودة فيه كوجودها في النبيّ و الرسول في وقته و ما كان يتميّز بها من غيره، ما خلا الخصال الّتي كان يتلقّى بها الوحى فإنّها لا [توجد[٦]] فيمن تقيمه الأمّة من بعده لأنّه ينقطع الوحي ـ عمّا كان ـ بذهاب الأنبياء أصحاب الشرائع و إنّما يبقى فيمن يخلفونهم من بعدهم ما أودعوهم إيّاه و أسرّوا إليهم و عهدوا فيه إليهم، و بذلك يكونوا قوّاما مقامهم على الأمّة من بعدهم، و يجب على الأمم الطّاعة لهم و الانقياد إليهم. و أمّا من لا يحسن القيام بما تحتاج[٧] إليه الأمّة كما إذا سأله عن السّؤالات الدّقيقة الخفيّة الصّعبة وقف و تبلّد و تحيّر و انقطع، فهم أئمّة يهدون إلى النّار بالجهل و الحيرة، كما كانوا قبل قيام الشّريعة في جاهليّتهم أئمّة ضلال[٨]، «خَتَمَ اللّهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ علىٰ اَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ[٩]» إلى معرفة أنفسهم، و لماذا خلقوا، و كيف كان بدؤهم؟! أولئكَ «كالأَنْعامِ

---

١. من بعدهم: ص. ٢. سورة الصف، الاية ٨. ٣. سورة القصص، الاية ٥.
٤. عارفاً أجوبة: مص. ٥. اصلاح: مص. ٦. يوجد: ص.
٧. يحتاج: ص. ٨. في الضلالة: ص.
٩. سورة البقرة، الاية ٧. و قد جاءت الاية في الأصل بشكل مغلوط: مص.

بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً[١]»؛ فمن تبعهم و دان بدينهم فأولئك أتباع الشّيطان و أعوان الظّالمين و خيل إبليس اللّعين ـ عليهم لعنة اللّه و الملائكة و النّاس أجمعين ـ. ثمّ لا يخفى أنّ معرفة علل الأشياء و معلولاتها علم غامض صعب لا يكاد يطّلع عليه و يصل إليه إلّا ورثة الأنبياء و خلفاؤهم و القائمون مقامهم بالحقّ، ثمّ المرتاضون بالعلوم الإلهيّة و الحكم الربّانيّة الآخذون[٢] أنوار الحكمة من مشكوة النّبوّة و الولاية، و هم الفلاسفة الحقّة الّذين أفعالهم محكمة، و صنائعهم متقنة، و أقاويلهم صادقة، و أخلاقهم جميلة، و آراؤهم صحيحة، و أعمالهم زكيّة، و علومهم حقيقية؛ و هي معرفة حقيقة الأشياء و كميّة أجناسها، و أنواع تلك الأجناس و خواصّ تلك الأنواع واحدا واحدا، و البحث عن عللها: بـ«هل هي؟ و ما هي؟ و كم هي؟ و ايّ [شيء[٣]] هي؟ و كيف هي؟ و أين هي؟ و متى هي؟ و لِمَ هي؟ و من هي؟» فالحكيم المستحقّ اسم الحكمة و الفلسفة ـ بعد أن يجيب هذه المسائل التّسعة إذا سئل عنها، و يقيم عليها الأدلّة و البراهين الشاهدة على صحّتها ـ من بلغ نفسه[٤] النّطقية إلى كمالها العقليّ، و استغنى عن الحركات و الافكار، فحينئذ [يصير[٥]] علمها عملا، و عملها علما. كما أنّ العلم و القدرة في المفارقات بالنّسبة إلى ما تحتها واحد، فالحكمة على ما قيل: «استكمال النّفس الإنسانيّة بتحصيل ما عليه الوجود في نفسه و ما عليه الواجب ممّا ينبغي أن يكتسبه تعلّمها ليصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود، و يستعدّ للسّعادة القصوى الأخرويّة بحسب الطاقة البشرية». و الأسماء مختلفة بحسب اختلاف طرق التعليم: فإن أدركها بزمان يسير من غير تعلّم بشريّ، و كان مأمورا من الملأ الأعلى بإصلاح النّوع الانسانيّ، سمّيت نبوّة ـ مأخوذة من النّبوة و هو ما ارتفع من الأرض، فمعنى النُّبوة: الرّفعة، و معنى النّبيّ: الرفيع ـ و إن كان بالتّعلّم و الدّراية، سمّيت فلسفة في لسان اليونانيّين. و الفيلسوف محبّ الحكمة، و أصله: فيلاسوفا، و فيلا: هو المحب، و سوفا: الحكمة، و هي أمّ الفضائل، و معرفتها مبعدة عن الرذائل، و موصلة إلى الاوائل، و يلزمها صفات شريفة، أحدها: أنّها تُنوّر النّفس بالنّور الإلهيّ، فيشرف على جميع المجهولات العلميّة، فلا يخفى عليه شيء من المجهولات، كما

---

١. سورة الفرقان، الاية ٤٤. ٢. المأخوذون: ص. ٣. شيء ساقطة من ص.

٤. من بلغ بنفسه المنطقية: مص. ٥. بصير: ص.

يقال: إنّ آخر درجات[1] الحكمة أوّل درجات[2] النبوّة. و ثانيها: أنّها [تزهد[3]] في هذا العالم و [تحقّره[4]] عند النّفس، لأنّ الزّهد في الدّنيا[5] من ضرورة الحكمة، و من لم يزهد في الدّنيا ما ظفر بالحكمة. فإنّ المشتغل بأمور الدّنيا و المتكالب[6] على ما يقوم بحال جسده و مشتهياته غير مستحقّ لعلم الفلسفة و التسمّي بالحكيم، و مثله كمثل من جلس بعد النبيّ في مجلسه للتّسلّط و التّسلطن و التفوّق على الأمّة و التّحكّم[7]، فيصير مستعدّا للعذاب الأليم. و ثالثها: أنّها [ترغب[8]] في الرّحلة عن هذا العالم الفاني إلى ذلك العالم الباقي، لأنّ الموت يطيب و يسهل على العارفين الّذين قد استقاموا على طريق النجاة، و تحقّقوا أنّهم ملاقوا ربّهم، فعند ذلك يتمنّون الموت و اللحوق بدار السّعادة و مفارقة دار البلاء و الهوان، كما قال بعض أهل العرفان:

اقتلوني اقتلوني يا ثقات ‌‌ ‌‌ ‌‌ إنّ في قتلي حياة في حياة
آزمودم مرگ من در زندگيست ‌‌ ‌‌ ‌‌ چون رهم از زندگی پایندگیست

و رابعها: أنّها [تعرّف[9]] ما علّة هذا العالم و ما معلوله، و ما المتوسّط بين العلّة و المعلول: فعلّة العلل: هو الباري ـ جلّ شأنه ـ و العلل المتوسّطة: هي العقول الثّابتة المجرّدة، و المعلول: الجسم و ما يتعلّق [به[10]] من الجسمانيات، و المتوسّط بينهما: النّفس. فمن أدرك المتوسّط أدرك الطّرفين لكون العقل مضيئا بالنّور الأوّل ـ تعالى ـ لا يشوبه ظلمة و كدر أصلا، و معرفته في أوّل الوهلة من غير متوسط مشكل جدّا، وَ الجسم و قواها[11] لا علم لها و لا معرفة: لكثرة القشور و الأدناس فبقيت النفس[12] في أفقها، و لكن كلّما كانت أشرف قلّت[13] قشورها و كثر ضياؤها، فتيسّر لها بقوّة نورها إدراك الطّرفين و معرفة الجانبين، و من هذا[14] سئل من[15]

---

۱. درجة: ص. ۲. درجة: ص. ۳. يزهد: ص.
٤. يحرقره: ص. ٥. من الدنيا: ص.
٦. المتكالب: من هو حريص على الدنيا: معص. ۷. و التحكيم: ص.
۸. يرغب: ص. ۹. يعرف: ص. ۱۰. به: ساقطه من ص.
۱۱. و قواه: معص. ۱۲. متوسطة: ص. ۱۳. قلّ: ص.
۱٤. اذ: ص. ۱٥. عن: ص.

المعلّم الأوّل أرسطاطاليس: كيف تعمى النفس عن معرفة نفسها و هي أمّ الحكمة؟ فقال: إذا غابت الحكمة عن النّفس عميت عن نفسها و غيرها كما تعمى[١] البصر عن نفسه و غيره إذا غاب عنه المصباح، و في كلامه أيضا انّ العقل الّذي هو السّيّد يوجد في النّفس كثيرا و النّفس متّصلة به، إلّا أن يتعدّى حدودها و يرتدّ عن رَقيتها، فإذا فارقته كان ذلك[٢] موتها و فسادها، فإذا اتّصلت به و يصير كأنّهما شيء واحد حييت بحياة دائمة؛ و ما أحسن ما قال بعض الحكماء: إنّ العلوم كلّها في النّفس بالقوّة، فإذا عرفت ذاتها صارت العلوم كلّها بالفعل؛ فلقد صدق من قال:

دمی با حق نبودی چون زنی لاف شناسایی
تمام عمر با خود بودی و نشناختی خود را!

فالنّفس العاقلة في العالم الصّغير الّذي هو الإنسان بمنزلة النّبيّ في الإنسان الكبير الّذي هو العالم، إلّا أنّ العقل لا يهتدي إلى الأحكام إلّا بمعاونة ضوابط الشّرائع، كما قال شيخ الأبرار في منظومته مخزن الاسرار:

عقل به شرع تو ز دریای خون   کشتی جان برده به ساحل برون

فإنّ معرفة حرمة كثير من الجزئيّات أو حلّها[٣] بحيث يجب الاحتراز عن الأولى دون الثّانية، لا [يعرفها[٤]] العقل و لا سبيل له إلى [معرفتها[٥]] بدون الشّرع، كما في كثير من الجزئيّات المعلومة بالشّرع كالمنع من وطئ الحائض و جوازه في المستحاضة، و اختلاف العِدد، و أمثال ذلك ممّا يطول تعداده؛ أنّى للعقل أن يدركه؟! فإنّه إنّما [يصل[٦]] إلى كلّيّات الأمور دون جزئيّاتها، و الشّرع يحكم على الكلّيّات و الجُزئيّات؛ فعلم أنّ بالشّرع حصلت الاعتقادات و استقامت[٧] الأحوال بين صحيحها و سقيمها، فهو دليل على المصالح الدّنيويّة و الأخرويّة،

---

١. يعمى: مص.   ٢. هو: ص.   ٣. حلّيتها: مص.
٤. يعرفه: ص.   ٥. معرفته: ص.   ٦. يوصل: ص.
٧. استقامة: ص.

فالضالّ عنه ضالّ عن قصد السّبيل، قال اللّه ـ تعالى ـ في التّنزيل العزيز: «وَ مَا كُنّا مُعَذّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسولاً[١]» فالعقل بإمداد الشّرع يسوق سفينة النّفس عن آفات بحر الدّنـيا، و [يوصلها[٢]] إلى ساحل النّجاة، كما أنشد بعض الثّقات:

العـــقل نـــور اللّـــه إلّا أنّـــه — للـعالم المحســوس غـير ممـازجِ
فـتى اكـتفيت بـفعل عـقل داخـل — فسـدت أمـورك كـلّها مـن خـارجِ
حكيم عقل اگر يونان زمين است — اگر چه بر همه بـالا نشـين است
به هر جا شرع بـر مسـند نشـيند — كسش جـز در بـرون در نـبيند

فبالحقيقة [انّ[٣]] العقل شرع من داخـل، و الشّرع عـقل مـن خـارج، فـهما مـتعاونان متعاضدان؛ و لأجل أنّ الشّرع عقل، سلب اللّه ـ تعالى ـ اسم العقل عن الكفّار في مواضع من الكتاب الكريم، مثل قوله ـ تعالى ـ: « صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلونَ[٤]» و كذا الكلام في كون العقل شرعا، فإنّه ـ تعالى ـ قال: «فطرةَ اللّهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلكَ الدّينُ القَيّمُ[٥]»، فسمّى العقل دينا؛ و في اتّحادهما قال: «نور على نور[٦]» عنى بهما: نور العقل و نور الشّرع، فإنّه يقول: «يهدى اللّه لنوره من يشاء[٧]» فجعلهما نورا واحدا.

و قد يتوهّم أكثر ضعفاء العقول أنّ أقوال الحكماء و حججهم مخالفة للشّرائع الإلهيّة، و لما صارت به الأنبياءعليهم السلام و ليس الأمر كذلك، فإنّ الحكمة الحقّة المتقنة غير مخالفة للشّرائـع الإلهيّة، و إنّما يقول[٨] بمخالفتها من لا معرفة له بتطبيق الخطابات الشّرعيّة عـلى البراهـين الحكميّة؛ و لا يعرف ذلك إلّا من هو مؤيّد من عند الله ـ عز مجده ـ، كامل في العلوم الشّرعيّة و الحكمية، مطّلع على الأسرار النّبويّة؛ فإنّه قد يكون الإنسان كاملا في الحكمة لا حظّ له من العلوم الشّرعيّة و بالعكس، و من أحاط بالجانبين[٩] و أحرز الطّرفين، وجـد تـوافـقهما و تطابقهما، كما قال من قال:

---

١. سورة بني اسرائيل، الاية ١٥. ٢. يوصل: ص. ٣. ساقطة من ص.
٤. سورة البقرة، الاية ١٧١. ٥. سورة الروم، الاية ٣٠. ٦. سورة النور، الاية ٣٥.
٧. سورة النور، الآية ٣٥. ٨. يقولون: ص. ٩. الجانبين: ص.

چراغ مدرسه و شمع خانقاه یکی است
اگر چه دیده دو آمد، ولی نگاه یکی است

و إليهما أشار أيضا بقوله الكريم: «و لولا فَضْلُ اللّهِ وَ رَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إلّا قليلا» فإنّه قد قيل: إنّ الفضل هو العقل، و الرّحمة هو الشّرع. و في قوله العزيز: «إلّا قليلا» إشارة إلى أنّ هناك طائفة هم الصّفوة و الخيار من البريّة ليس من شأنهم اتّباع الشّيطان، باعتبار الإصطفاء و الاختيار، و لولا هم لما كانت الأكوان و لا دارت الأدوار. و المرويّ أنّ مولانا موسى بن جعفر عليه السلام قال لهشام بن الحكم: يا هشام، إن لِلّه على النّاس حجّتين: حجّة ظاهرة و حجّة باطنة. فأمّا الظّاهرة فالرّسل و الأنبياء و الأئمّة ـ عليهم السلام ـ، و أمّا الباطنة فالعقول. فبان أنّ درجة الحكمة مفخّمة و لامرتبةَ في المعاد عند اللّه ـ عزّ مجده ـ للجاهل بها، و القرآن العزيز، و أحاديث أصحاب العصمة ـ سلام الله عليهم ـ و كلام أساطين أهل الولاية مشحونة بمدحها، و وصف جنابه المقدّس[1] بالحكمة. قال بعض الأعاظم من علمائنا في بعض مؤلّفاته بالفارسية[2] في إطلاق الحكمة عليه ـ جلّ شأنه ـ بقوله: حكمت دو معنى دارد: یکی افضل علم به افضل معلومات، و اللّه ـ تعالى ـ كنه ذات خود را كه افضل معلومات است به علم تامّ کامل خود که افضل علوم است می‌داند، و جز او هیچکس را این علم حاصل نیست. دوم آنکه فعل فاعل مختار، محکم و متقن و مُنطوی بر فایده و غایت و مصلحت و منفعت بوده باشد، و عقول مراجیح عقلا در ادراك احكام و اتقان و غایات و فواید و مصالح و منافع و تدبیر خیرات و برکات که مطاوی هر فعلی از افاعیل فعّال علی الاطلاق بر آن منطوی و مشتمل است، متحیر و مبهور و متفکر و مدهوش مانده؛ پس حکیم حقیقی به هر دو معنی نیست الاّ قیّوم واجب بالذات ـ جلّ سلطانه ـ.

فظهر أنّ الحكيم المطلق هو اللّه ـ تعالى ـ و كلّ من أدرك من المعقولات نصيبا سمّى على سبيل التّجوز حكيما لدُنوّه من اللّه ـ تعالى ـ و تشبّهه به و قربه منه بالإدراك و العلم الّذى هو

---

١. المقدّسة: ص. ٢. بلسان الفرس: ص.

صفته ـ تعالى شأنه ـ بالقرب المعنويّ و الدّنو الإدراكيّ؛ فإذا كانت السعادة الأبديّة هو القرب منه و مشاهدة جلاله و معاينة كبريائه و ذلك لا يحصل و لا يتيسّر إلّا بالحكمة، فلا شيء أعظم و لا أتمّ فائدة منها. و قد أمر أميرالمؤمنين حكيم حكماء العرب و العجم ـ سلام اللّه عليه ـ بتعلّم الحِكمة أنّىٰ وُجدَتْ و لو من المنافقين، حيث نقل عنه ـ عليه السّلام ـ جامع (نهج البلاغة) المكرّم[1] أنّه قال: خذ الحكمة أنّىٰ كانت فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتّى [تخرج فتسكن[2]] إلى صواحبها في صدر المؤمن[3]. و قال أيضا: الحكمة ضالّة المؤمن فخذ الحكمة و لو من أهل النّفاق[4]. كنّى ـ عليه أكمل التّسليمات ـ بتلجلجها: عن اضطرابها و عدم ثباتها في صدر المنافق، و كونه ليس مطيّة لها فهي غير مستقرّة فيه إلى أن [تخرج] إلى مطيّتها، و هي صدر المؤمن [فتسكن] إلى صواحبها، فيجب على المؤمن أخذها من مطيّتها[5] و إخراجُها من غير مطيّتها[6]. فإنّ الحكمة تفسد عند غير أهلها، كما تقلب السّبخة طيب البذر إلى العفن، و لذا ورد في كلامه ـ عليه السّلام ـ: إنّ كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواء، و إذا كان خطاء كان داء؛ و ذلك لقوّة اعتقاد الخلق فيهم و شدّة قبولهم لما يقولونه، فإن كان حقّاً كان دواء من الجهل، و إن كان باطلا وجب للخلق علاج داء الجهل، و لذا قال العارف الرّوميّ في المثنويّ:

كاف كفر اينجا بحق المعرفه	دوست‌تر دارم ز فاء فلسفه
زانكه اين علم لزج چون ره زند	بيشتر بر مردم آگه زند

و قد روى الشّيخ الجليل الكليني ـ طاب ثراه ـ عن مولانا أبي عبداللّه عليه السلام أنّه قال: قام عيسى بن مريم ـ سلام اللّه عليه ـ خطيبا في بني إسرائيل، فقال يا بني اسرائيل، لا تحدّثوا الجهّال بالحكمة فتظلموها، و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم، و من هذا أنشد بعض أهل الكمال:

فَمَنْ مَنَحَ الجُهّالَ عِلْماً أَضاعَهُ	وَ مَن مَنَعَ المستوجبينَ فَقَدْ ظَلَم

---

۱. المكرّمة: ص.	۲. المكرّمة: ص.	۳. قصار الحكم: ۷۹.
٤. قصار الحكم: ۸۰	٥. مطيّته: ص.	٦. مطيّته: ص.

و ما زال الحكماء و العلماء و السّلاك يوصون تلاميذهم بكتمان العلم، و صيانة الحكمة، و إخفاءِ الحقائق عن غير المستوجبين، و يوجبون عليهم بذل ذلك إلى المستعدّين و أهل الاستيهال. قال بعض الأعاظم من علمائنا إنّ الحكمة سداها و لحمتها نفض غشاوة الوهم، و رفض كورة الطّبيعة، و الاستضاءة بأضواء عالم القدس، و من ليست تلك شاكلته فهو في سبيل العلم كالأكمه في سياحة الأرض، أو كالزّمن في أن يكون قَيْجا. أقول: من أراد صيد طيور مطالب الحكمة المتعالية الحقّة بلا مصاحبة كلاب الشّكوك و الأوهام، فعليه بتربية صقور قواه العقلانيّة على آداب شريعة خير الأنام، و التّخلّق بأخلاق أصحاب الوحي و الإلهامﷺ ليحصل له ملكة الطّيران في فضاء مصايد كلمات الأوائل من الأعلام، حتّى اصطادوا طيوراً مأكولات اللّحوم من المعارف الحقّة اللّذيذة، ليغذّي بها نفسه المجرّدة بعد المفارقة من دار الكربة و الآلام، و إلّا مثله كمثل أخذ الصّيود من أفواه الكلاب للإدام، فهو كآكل الميتة أو المستظلّ بظلّ الذّباب في [اليوم[١]] الصائف، فهذا كالمستيقظ المحترق أطرافه بنار الخيبة:

از دام عنكبوت كه بهر مگس تنند
نتوان اميد داشت كه عنقا شود شكار

فينبغى لمن أراد الشّروع في الحكمة على ما نصّ به معلّم الصّناعة الشّيخ الفارابي: أن يكون شابّا صحيح المِزاج، متأدّبا بآداب الأخيار، و قد تعلّم القرآن و علوم الشّرع و اللّغة أوّلا، و يكون عفيفا صدوقا معرضا عن الفسق و الفجور و الغدر وَ الخيانة و المكروا الحيلة، و يكون فارغ البال من مصالح معاشه مقبلا على أداء الوظائف الشّرعيّة غير مخلّ بركن من أركانها و لا بأدب من آدابها، معظّما للعلم و العلماء و لا يكون لشيءٍ عنده قدر إلّا للعلم و أهله و لا يتّخذ علمه لأجل الحرفة؛ و من كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور، [لا يُعَدّ[٢]] من الحكماء. و لمّا كانتِ السعادة هي المطلوبة لذاتها، و إنّما يكدح الإنسان لنيلها و الوصول إليها، و هي لا تُنال إلّا بالحكمةِ الحقّةِ، فالحِكمة: إمّا ليعمل[٣] بها، و إمّا ليعلم[٤]، فانقسمت الحكمة إلى

---

١. يوم: ص. ٢. لايعدّ: ص. ٣. ليعلم: ص.

قسمين: علمي و عملي، و لذا قال الشّيخ الرّئيس في بعض مؤلّفاته بالفارسية[5]: الحكيم: راست گفتار و راست كردار. و القسم العمليّ هو عمل الخير، و القسم العلميّ هو علم الحقّ. و القسمان ممّا يوصل إليه بالعقل الكامل و الرّأى الرّاجح، و أكثر [الأنبياء[6]]ﷺ أيّدوا بإمداد روحانيّ[7] لتقرير القسم العمليّ، و بطرف ما من القسم العلميّ؛ فغاية الحكيم هو أن يتجلّى لعقله أصل الكون، و [تشبهه[8]] بالإله الحقّ بغاية الإمكان. و غاية النّبيّ أن يتجلّى له نظام الكون فيقدّر على ذلك مصالح العامّة حتّى يبقى نظام العالم و [تنتظم[9]] أمور بني آدم. و قال الحكيم المهرجاني من حكماء إخوان الصّفاء: إنّ الشّريعة طبّ المُرضاء و الفلسفة طبّ الأصحّاء، و الأنبياء يطبّون للمرضى حتّى لا يتزايد مرضهم، و يزول المرض بالعافية فقط. و أمّا الفلاسفة فإنّهم يحفظون الصّحة على أصحّائها حتّى لا يعتريهم مرض أصلا.

اقول: الظّاهر أنّ حفظ الصّحة أسهل من مداواة المرض، لأنّ حفظ الحاصل و استدامته أسهل من تحصيل الزائل و استرداده، فإنّ الطّبيب الجسمانيّ لا يحتاج في حفظ الصحة إلّا إلى سَبب واحد، و أمّا في مداواة المرض فانه يحتاج إلى تحصيل اسباب متعددة، و ما هو موقوف إلى[10] سبب أسهل مما هو موقوف على أسباب متعددة، و إنّ المخاطرة في المرض أشدّ، لأنّ خطر المرض، الموت؛ و خطر الصحة، المرض. فالاحتياج إلى إزالة المرض أشد، و عموم الإنسان به أحوج. فبان أنّ المزيلَ للأمراض الروحانية هو المفيض للحياة الدائمة، و هو الّذي قال في حقّه من قال:

ای دوای نخوت و ناموس ما ای تو افلاطون و جالینوس ما

ثم إنّ الحكماء الذين نريد أن نذكر أحوالهم ـ بعون اللّه و حسن توفيقه ـ بعضهم يونانيون و بعضهم روميون و بعضهم هنديون، و من حكماء الهند منهم [صابئة[11]] و منهم براهمة.

---

٤. لِتُعلم. ٥. بلسان الفرس: ص. ٦. انبياء: ص.
٧. روحانيّة: ص. ٨. يتشبّهه: ص. ٩. ينتظم: ص.
١٠. على: مص. ١١. صابيّة: ص.

و أما [الصابئة[1]] و هي[2] جمهور الهند و معظمها ـ مِن صبا الرجل إذا مال و زاغ. ولميل هؤلاء عن سنن الحق و زيغهم عن نهج الانبياء قيل لهم: [الصابئة[3]] ـ فانهم يقولون: بأزلية العالم و أنه معلول لذات علة العلل التي هي الباري ـ جل و علا ـ و [يعظّمون[4]] الكواكب، و تصوروا لها صورا يمثّلونها[5] بها، و [يتقربون[6]] إليها بأنواع القرابين حسب ما علموا من طبيعة كل كوكب منها ليستجلبوا بذلك قواها، [و يتصرفوا[7]] في العالم السفلي على اختيارهم تدبيرها، و قالوا: إنّا نحتاج في معرفة الله ـ تعالى ـ و معرفة طاعته و أوامره و أحكامه إلى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لا جسمانيا، و ذلك لذكاء الروحانيات و طهارتها، و قربها من رب الأرباب، و الجسماني بشر مثلنا يأكل ممّا نأكل و يشرب ممّا نشرب، يماثلنا في المادة و الصورة قالوا: «و لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرون[8].» [فصابئة[9]] الروم مقرعها السيارات، و [صابئة[10]] الهند مقرعها الثوابت؛ و ربما نزلوا عن الهياكل إلى الاشخاص التي [لا تَسمع و لا تُبصر و لا تُغني[11]] عن الانسان شيئاً. و الفرقة الأُولى هم عبدة الكواكب، و الثانية هم عبدة الاصنام، و كان الخليل عليه السلام مكلفا بكسر المذهبين على الفريقين و تقرير الحنيفية السمحة السهلة.

و أما البراهمة، و هؤلاء انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: برهام، قد مهد لهم نفي النبوّات أصلا و قرّر استحالة ذلك في العقول بوجوه واهية، ذكرها صاحب كتاب الملل و النحل. و من الناس من ظن أنهم سمّوا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام و ذلك خطأ، فإنّ هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوّات أصلا و رأسا، فكيف بإبراهيم ـ سلام الله عليه ـ ؟! و القوم الذين اعتقدوا نبوّته عليه السلام من أهل الهند، فهم الثنوية، منهم القائلون بالنور و الظلمة. و [تفرّق[12]] البراهمة أصنافا: فنهم أصحاب البددة، و منهم أصحاب الفكرة و الوهم، و منهم

---

١. صابيّة: ص.
٢. و هم: مص.
٣. صابيّة: ص.
٤. يعظموا: ص.
٥. يمثّلها: ص.
٦. يتقربوا: ص.
٧. و تصرفوا: ص.
٨. سورة المؤمنون، الاية ٣٤.
٩. فصابيّة: ص.
١٠. فصابيّة: ص.
١١. لا يسمع و لا يبصر و لا يغني: ص.
١٢. و تفرّقوا: ص.

أصحاب التناسخ. و معنى البدّ عندهم: شخص في هذا العالم لا يولد و لا ينكح و لا يطعم و لا يشرب و لا يهرم و لا يموت. و أول بدّ ظهر في هذا العالم على زعمهم اسمه «ساكمين» و تفسيره السيد الشريف، و من وقت ظهوره إلى وقت الهجرة خمسة [آلاف[۱]] سنة، و ليس يُشَبِّه البد ـ على ما وصفوه ان صدقوا في ذلك ـ إلّا بالخضر الذي [أثبته[۲]] أهل الاسلام.

و أما أصحاب الفكرة و الوهم، و هم أهل العلم منهم بالفلك و النجوم و أحكامها المنسوبة إليهم، هؤلاء يعظمون أمر الفكر و يقولون: هو المتوسط بين المحسوس و المعقول، فالصور من المحسوسات [ترد[۳]] عليه، و الحقائق من المعقولات أيضا [ترد[٤]] عليه، فهو مورد العلمين من العالمين، فيجتهدون كلّ الجهد حتى [يصرفوا[٥]] الوهم و الفكر عن المحسوسات بالرياضيات البليغة و الاجتهادات المجتهدة، حتى إذا تجرّد الفكر عن هذا العالم، تجلّى له ذلك العالم، فربّما يخبر عن مغيبات الأحوال، و ربّما يقدر على حبس الأنظار، و ربما يوقع الوهم على رجل حيّ فيقتله في الحال، و لا يستبعد ذلك، فان للوهم أثرا عجيبا في تصرف الأجسام و النفوس. أليس الإحتلام في النوم تصرف الوهم في الجسم؟ أليس الرجل يمشي على جدار مرتفع فيسقط في الحال؟ و لا يأخذ من عرض المسافة في خطواته سوى ما أخذه على الأرض المستوية، و لهذا يغمض عينيه[٦] أياما لئلا يشغل الوهم و الفكر بالمحسوسات، و مع التجرد إذا اقترن به وهم آخر و اشتركا في العمل أثّرا أثراً عجيبا، خصوصا إذا كانا متفقين غاية الاتفاق، و لهذا كانت عادتهم إذا [دهمهم[۷]] أمرٌ ان يجتمع أربعون رجلا مِن المهذبين المخلصين المتفقين على رأي واحد في الاصابة، فيتجلى عنهم المهمّ الذي يهمهم جملة، و يندفع عنهم البلاء الملمّ الذي [تؤودهم[۸]] ثقله.

و قال الآملي في كتابه نفايس الفنون: علم دَم و علم وهم، كه اول عبارتست از معرفت انفاس و دلالات آن. و دوم تسخير اوهام و تدبير رياضت در آن نزد هنود شايع و به غايت معتبر است، و هر كه در اين هر دو به كمال رسد آن را جوكى خوانند، و از زمره

---

۱. ألف: ص.   ۲. ثبته: ص.   ۳. يرد: ص.
٤. يرد: ص.   ٥. تصرفوا: ص.   ٦. عينها: ص.
۷. وهمهم: ص.   ۸. تكادهم: ص.

روحانیان شمرند، و گویند: نفس گرفتن به مرتبه‌ای رسد که به هر ششماه میسر شود، و حصول این مرتبه را سبب طول عمر و دواء جمله علّتها و وصول به همه سعادتها دانند. و بناء وهم نزد ایشان به ریاضت است، و از غرایب آنکه گویند: اگر در وقت استیلای ضعف و ظهور علامت موت توهم کند که آب حیات بر خود می‌ریزد، و بدین توهم جازم شود، و استمرار دهد، چنانکه هیچ ترددی در خاطر راه نیابد، از آن ضعف خلاصی یابد و مرگ مندفع شود.

أقول لا يبعد أنّ التصورات الوهمية و التخيّلات النفسانية قد [تكون[1]] سببا لحدوث عوارض بدنية كما أنّ المريض إذا استحكم توهمه للصحة ربما يصحّ، و كذا الصحيح إذا استحكم توهمه للمرض يمرض و يحدث الضَرَسُ بتخيل شيئ حامض. و من هذا القبيل أيضا نهي المرعوف عن تبصر الأشياء الحمر البراقة، و لهذا المدّعى امثال و نظائر لا تكاد تنحصر[2] و ما ذاك إلا للعلاقة العشقية التي بين النفس و البدن. و في شرح الفصوص لبعض أفاضل العرفاء بهذه السياقة: «در کتب حکایات غریبه راویان معتمد القول آورده‌اند که در زمان یکی از سلاطین ـ که در عهد وی حکمت ورزیدندی و حکماء بسیار بودندی ـ زنی بار نهاد، و فرزندی آورد که صورت روی وی صورت بشر بود و جسم وی بر شکل مار بود. آن سلطان حکماء را جمع کرد، و از آن حال پرسید. هر کس تقریری مناسب فکر خویش کردند: یکی از ایشان اختیار این کرد که باید که در حالت اسقاط نطفه به رحم نظر وی بر ماری افتاده باشد، یا تخیل ماری کرده باشد. بفرمود تا آن زن را حاضر کردند و از وی استکشاف نمودند؛ گفت در حالت مواقعه ماری در نظر من بگذشت، انفعالی در نفس من پدید آمد، و لذت شهوت و انزال منی از من منقطع گردید. پس حکم کردند حکماء بر آنکه این از تاثیر نفس بوده است حين الرؤية؛ و هم چنین حين التخيل نفس نیز متاثر می‌گردد.»

و للهند طريقة تخالف[3] طريقة منجمي الروم و العجم، و ذلك أنّهم يحكمون أكثر الاحكام باتّصالات الكواكب دون طبائعها و يعدّون زحل السعد الأكبر، و المشتري النحس الأكبر،

---

١. يكون: ص.
٢. لا يكاد ينحصر: ص.
٣. يخالف: ص.

و ذلك لرفعة مكانه و عظم جرمه؛ و هو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة و النحوسة. و كذلك طبّهم فإنّهم يعتبرون خواص الادوية دون طبائعها.

أقول: و لعلّ في نسبتهم كوكب زحل إلى السعادة، انّه لما أودع اللّه ـ سبحانه ـ أنواع التأثيرات في الكواكب العلوية و ظهر منهم باختلافات أوضاعهم آثار متنوعة صورية و معنوية؛ كما أنّ زحل إذا وقع قوي الحال في بيت الثالث من الطالع حسبما بيّن أرباب الأحكام النجومية، أعطى لصاحبه حظّا وافرا من العلوم[١] الحكمية و المعارف اليقينية؛ و كما أنّ المشتري إذا وقع في الطالع بوضع موافق قوي الحال، يهب لصاحبه نصيباً كاملاً من السعادات الدنيوية من المال و الجاه[٢]. و نسبة النحوسة إلى زحل و السعادة إلى المشترى ـ في المشهور ـ [هي[٣]] بناء على انّ الناس أكثرهم يظنون أنّ السعادة بإصابة الأمور الصورية و النيل بالملذات[٤] الظاهرية؛ و لمّا كان موطن العلم و الحكمة طرف البطون، و باختلال طرف الظاهر قوي جانب الباطن، فإنّ العقل بمعاونة القوّة[٥] المفكرة اذا عزل الحواس الظاهرة المدركة للجزئيات المشوشة للكليات، يتمكن [من إدراك[٦]] الحقائق الكلية، كما قال من قال:

صحّت اين حس ز معمورى تن   صحّت آن حس ز تخريب بدن

فلما كان [الأثر[٧]] المترتب من كوكب زحل يرجع بنقصان الصورة المنافية للسعادة الصورية المتعارفة [ينسبه[٨]] [الاحكاميون[٩]] إلى النحوسة، و المشترى الى السعادة (برعكس نهند نام زنكى كافور). أليس السعادة العظمى و المرتبة الكبرى مقصورة على من[١٠] ينال الحكمة الحقة؟ حيث قال ـ سبحانه ـ في التنزيل الكريم: «يؤتي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيراً كَثيرا و ما يَذَّكَّرُ إلاّ أولواالألبابِ[١١]» فلما [تجافى[١٢]]

---

١. للعلوم: ص.
٢. من المالية و الجاهية: ص.
٣. هي ساقطة من ص: مص.
٤. بالمستلذات: ص.
٥. قوة: ص.
٦. لإدراك: ص.
٧. اثر: ص.
٨. ينسبونه: ص.
٩. احكامين: ص.
١٠. لمن: ص.
١١. سورة البقرة، الاية ٢٦٩.
١٢. تجافوا: ص.

حكماء الهند عن جانب الصورة و أعرضوا بالكلية عن المستلذّات الجسمانية البائدة الفاسدة، [نسبوا[۱]] زحل [إلى] السعادة[۲]، و المشتري [إلى] النحوسة[۳]؛ و مؤيد زعمهم ما في مخاطبات مولانا موسى الكاظمعليه السلام لهشام بن الحكم، حيث قال: يا هشام إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة و لم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارته[٤]، و في ما نقل شيخنا الأفخم الكليني في الكافي عن سادس الائمة ـ عليهم السلام ـ انّه قال: إن للّه نجماً في الفلك السابع خلقه من ماء بارد، و سائر النجوم الجاريات من ماء حار، و هو نجم أميرالمؤمنين ـ سلام اللّه عليه ـ يأمر بالخروج من الدنيا و الزهد فيها، و بافتراش التراب، و توسّد اللّبن، و لباس الخشن، و اكل الجشب، و ما خلق اللّه نجما اقرب إلى الله منه.

از اين جا گفته‌اند كه جرم كوكب زحل از جهت قرب و اتصال و قابليت استشراق و استضاءت و نورانيت ذاتى، محل جلوه تجليات اشعه اضواء متضاعفه و اشراقات انوار متعاكسه شده، خود را عرضه احراق داشته، و چون هر خلطى يا جرمى كه محترق گردد طبيعت سودا و خاصيت او مى‌گيرد، اصحاب احكام نجوم به كوكب زحل كمودت و كدورت لون و برودت و يبوست مزاج نسبت كرده‌اند.

فإن قال قائل: أليس قد ثبت في الحكمة أنّ الأجرام كلّها خيرات، و ليس الشرّ إلا في عالم الكون و الفساد؟، فكيف يمكن الجمع بين هذه القاعدة و بين ظاهر قول المنجمين: إنّ بعض الكواكب نحوس كزحل و المريخ؟

قلنا الجواب: إنّ الحاصل من استيلاء زحل هو البرد المفرط، و من استيلاء المريخ الحرّ المفرط. و الظاهر أنّ استيلاء البرد و الحرّ بالافراط يوجب انحلال التركيب و العود الى حالة البساطة، فزحل و المريخ سعدان مطلقا بالنسبة إلى البساطة، و نحسان بالقياس إلى المركبات. و أما المشترى و الزهرة فلما كانا [مبدأين[٥]] لكيفيتي الحرارة و الرطوبة، و الحيوة انما يتم بهما، فمقتضى طباعهما إحداث المركبات و الإبقاء على تركيباتها، فهما سعدان بالنسبة

---

۱. ينسبون: ص. ۲. بالسعادة: ص. ۳. بالنحوسة: ص.
٤. تجارتهم: ص. ٥. مبدان: ص.

إلى المركبات، نحسان بالنسبة إلى البسائط.

أقول: و يظهر من هذا أيضا سرّ ما ذهب إليه حكماء الهند من سعادة زحل و نحوسة المشتری، فإنّ زحل لمّا کان في تدبير البسائط و کان البسيط أقدم و أشرف من المرکب، فلا جرم کان زحل سعدا بزعمهم و المشتري نحسا؛ و عند الاحکاميين بالعکس، فسبحان من له تحت کلّ شيءٍ حکمة بالغة خفية.

و قال بعض الأعلام في رابطة کوکب زحل بالعلم: «رقيقه ارتباط زحل با علم، قدما دريافته‌اند و به رمز ـ چنانکه دأب ايشان بوده ـ باز نموده، چه منقولست از ايشان که زحل پيريست بر کرکسی سوار و به دست راست سر آدمی دارد و به دست چپ کف دست آدمی و به عصا مردگان را می‌جنباند. پيريش اشارتست، بتقدم علم بر ديگر سدنهٔ اسم حی، و رکوب بر کرکس بلند پرواز، به سرعت زوال متعلقش و دوام نمايش آن مدتی به تجدد امثال. و سر آدمی که محل قوای نفسانيست و مجمع مشاعر و مدارك به دست راست که مصدر عطاست، به ممرّيت فيض علم ايما است. و همان نيز که به عصا مردگان را می‌جنباند: «أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها[۱]» و آنکه به دست چپ که طرف شمال ظهور است، کف دست آدمی که اصل انامل است که آثار قدرت ازيشان صدور يابد دارد، اشارت به آن حکمت که حرکت ارادی را که ظل قدرتست مبدأ تصوری می‌باشد که از جزئيات علم است».

ثم لا يخفى على أولي النّهى أنّ السيارات السبع مهبط [الفيوضات[۲]] الالهية و مورد [الاشراقات[۳]] النورية السماوية، و أوضاعهم و حالاتهم كالجداول و السواقي [للفيوضات[٤]] الربانية؛ فمن كان مطمح نظره [القاصر[٥]] الانهماك في اللّذات الجسمانيّة الداثرة[٦] الجسمانية، يصف المشتري بالسعد الأكبر و ينسب[۷] زحل بالنحس الأكبر، و من كان منتهى همته و مشتهى رويته نيل اللّذات[۸] باللذات العقلانية، يقول بالعكس كما سبق. و

---

۱. سورة الانعام، الاية ۱۲۲.
۲. فيوضات: ص.
۳. اشراقات: ص.
٤. لفيوضات: ص.
٥. القاصة: ص.
٦. اللذات الداثرة: ص.
۷. و يصف: مص.
۸. النيل باللذات العقلانية: ص.

الحق أنّ الكواكب مجاري الشوارق و وسائط البوارق، فما أفاضوا محض خير و فواضل. و الشرور و النقائض النسبية من قصور القوابل و فتور السوافل، كما قال ـ عز من قائل ـ «ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ و ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ[1]»

باران كه در لطافت طبعش خلاف نيست
در باغ لاله رويد و در شوره‌زار خس

و أما تناسخية الهند لما عاينوا من طير يطير في وقت معلوم فيقع على شجرة فيبيض فيفرخ، ثم إذا تمّ نوعه بفراخه حكّ بمنقاره مخالبه فتبرق منه نار [تلتهب[2]] فيحترق الطير و يسيل منه دهن يجتمع في أصل الشجرة في مغارة، ثم إذا حال الحول و حان وقت ظهوره خُلق من هذا الدهن مثله طير فيطير و يقع على الشجرة و هو أبدا كذلك. قالوا: فما مثل الحيوة الدنيا و أهلها في الأدوار و الأكوار إلا كذلك، و قالوا اذا كانت حركات الافلاك دورية لا محالة يصل رأس البركار الى مابدأ و دار دورة ثانية على الخط الاول فأفاد ماأفاد الدور الاول إذ لم يكن اختلاف بين الدورين حتى نتصور اختلافاً بين الأثرين، فإنّ المؤثرات عادت كما بدأت، و النجوم و الأفلاك دارت على المركز الاول، و ما [اختلفت[3]] ابعادها و اتصالاتها و مناظراتها و مناسباتها بوجه، فيجب أن لا [تختلف[4]] المتأثرات المتأديات منها بوجه، و هذا هو تناسخ الادوار و الاكوار بمقتضى رأيهم الفاسد. و لهم اختلاف في الدورة الكبرى أنّها كم هي من السنين؟ و أكثرهم على ستة و ثلاثين ألف سنة. و بعضهم على ثلاثمائة الف سنة و ستين ألف سنة؛ و إنّما يعتبرون في تلك الأدوار سير الثوابت لا السيارات. و قال القاضي الميبدي في فواتح شرحه للگلشن: «طايفه‌اى برآنند كه در هر سيصد و شصت هزار سال منطقة البروج بر معدل النهار منطبق مى‌شود، و كره آب احاطه كره زمين مى‌كند، و بر روى زمين متنفسى نمى‌ماند، پس خطاب: «يا أَرْضُ ٱبلَعي ماءَكِ و يا سَماءُ أَقْلِعي[5]» مى‌رسد، و منطقة البروج از معدل جدا مى‌شود، و زمين منكشف

---

١. سورة النساء، الاية ٧٩.
٢. يلتهب: ص.
٣. اختلف: ص.
٤. يختلف: ص.
٥. سورة هود، الاية ٤٤.

می‌گردد، و حق ـ تعالی ـ بحسب تأثیر اوضاع فلکیه که پیشتر اقتضای آدم و اولاد او می‌کرد بار دیگر انشای ایشان می‌کند. و بمقضای آرای باطله این فرقه شاعر می‌گوید:

هر هیأت و هر نقش که شد محو کنون
در پردهٔ روزگار ماند مخزون
چون وضع فلك باز همان وضع شود
از پردهٔ غیبش آورد حق بیرون»

أقول ليس من ضرورة كل دورة أن يفرض عود مثلها و سبق مثلها و ذلك خيال ضعيف فاسد، بل يجوز أن يحدث في كل دور شكل لم يسبق له نظير و لا يلحقه نظير، و لذلك قد يحدث في بعض الأدوار حيوانات غريبة الشكل لم [يعهد[1]] مثلها قط، و لا يبعد أن [تكون[2]] الأدوار متناسبة و الأشكال الحاصلة من ترتيبها مختلفة؛ فإنّا إذا فرضنا إلقاء [حجر[3]] في الماء يحدث في الماء شكل مستدير، و لو ألقينا مثلها عقيبها قبل انقطاع حركة الأول لم يلزم أن يكون شكل الماء بعد الحركة الثانية كحركته [الاولى[4]] لأنَّ [الحجر[5]] الاول [صادف[6]] الماء ساكنا [و الثاني[7]] [صادفه[8]] متحركا، فكان تشكيلها للمتحرّك خلاف تشكيلها للساكن [فتختلف[9]] الاشكال مع تساوي الاسباب لا متزاج أثر السابق باللاحق.

ثم اعلم أَن [اليونانيين[10]] في قديم الزمان أمة عظيمة القدر في الأمم، طائرة الذكر في الآفاق، مفخمة الملوك عند جميع أهل الاقاليم؛ منهم الاسكندر بن فيلقوس المعروف بذي القرنين الذي غزا دارا ملك الفرس في عقر داره فَثَلَّ عرشه و فرّق جمعه، ثم تخطاه[11] قاصداً إلى ملوك الشرق من الهند و الترك و الصين حتى اجتمع ملوك الارض طُرّا على الطاعة

---

١. يعيد: ص. ٢. يكون: ص. ٣. حجرة: ص.
٤. الاول: ص. ٥. الحجرة: ص. ٦. صادفت:ص.
٧. و الثانية: ص. ٨. صادفت: ص. ٩. يختلف: ص.
١٠. اليونانيون: ص. ١١. تخطّي: ص.

لسلطانه، و كان بعده من ملوك اليونانيّين جماعة يُعرفون بالبطالسة ـ واحدهم بطليموس ـ دانت لهم الممالك و ذلّت لهم الرقاب، و لم يزل ملكهم متصلا إلى أن غلبهم الروم، فصارت الروم و اليونان مملكة واحدة رومية؛ كما فعلت الفرس بمملكة البابليين حين استولت عليهم، و صيّرت المملكتين مملكة فارسية. و كانت بلاد اليونان[١] في الربع الغربي الشمالي من الأرض، و يحدّها من جهة الجنوب البحر الرومي و الثغور الشامية و الخزريّة، و من جهة الشمال بلاد اللان و ما حاذاها من ممالك الشمال، و من جهه المغرب تخوم بلاد امانية[٢] التي قاعدتها رومية، و من جهة المشرق تخوم بلاد ارمينيا[٣] و باب الابواب و الخليج المعترض ما بين بحر الروم و بحر يبطش الشمالي يتوسط بلاد اليونانيين فيضيق [القسم[٤]] الأعظم منها في حيز المشرق منه و الأصغر في حيز المغرب منه. قال صاحب كتاب طبائع الحيوان: إنّ الفلاسفة [كثر[٥]] عددهم في بلد يقال له مقدونية[٦] حتى سمّوه مدينة الحكماء، و كانت بلادهم في جزائر البحر فغلب الماء عليها، فلما أجحف بهم البحر انتقل من بقي منهم إلى قسطنطينية[٧] و نقلوا كتبهم إليها، فبنى صاحب الروم لهم في الكنيسة العظمى مسكنا و سماه دارالعلم و سكنهم فيه و أدارهم رزقا و معيشة، و هناك منهم قوم[٨] يعلّمون الناس العلوم و الحكم، فلهذا [تنسب[٩]] العلوم إلى الروم.

و لغة اليونانيين [تسمّى[١٠]] الإغريقية و هي من أوسع اللغات و أجلّها، و رأيتُ في كتب العارفين بلغة الروم القديمة ـ و هي اليونانية ـ أنّ في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة عندهم من أسماء الناس و غيرهم، [اخرها[١١]] سين، مثل: جالينوس و ديسقوريدس و انكساغورس و أرسطوطاليس و ديوجانس و غير ذلك، و كذلك مثل قولهم: قاطيغورياس و باريميناس و مثل: اسطو خودوس من أسماء الادوية؛ فان السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيّين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة

---

١. يونان: ص.
٢. يريد «بلاد ايطاليا»: مص.
٣. ارمنية: ص.
٤. قسم: ص.
٥. كثرت: ص.
٦. ماقدونية: ص.
٧. قسطنطنية: ص.
٨. مقام: ص.
٩. ينسب: ص.
١٠. يسمّى: ص.
١١. اخرهم: ص.

مثل قول: زيدٌ و عمروٌ و خالدٌ و بدرٌ و كتابٌ و سحرٌ، [فتكون[١]] النون التي تبيّن في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك. ثم إنّ من الألفاظ التي في لغة اليونانيين ـ و هي قلائل ـ ما لا يكون في آخره سين، مثل: سقراط و أفلاطُن و اغاثاذيمون و اغلوقن، و كذلك من غير أسماء الناس مثل: أنالوطيقا و مقوماخيا و مثل: جندبيدستر و ترياق؛ فـان هـذه الاسماء [تكون[٢]] في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم تنوينها [فتكون[٣]] بلاسين، و ذلك مثل ما عندنا في لغة العرب من الأسماء مالاينوّن و هي الأسماء التي لا[تنصرف[٤]] مثل: إسمعيل و إبراهيم و أحمد و مساجد و دنانير و ماشاكلها. و قال محمد بن زكرياء الرازي في كتاب الحاوي: إنّه ينطلق[٥] في اللغة اليونانية أن ينطق بالجيم عينا و كافا، فيقال مثلا: جالينوس و عالينوس و كاليتوس، و كل ذلك جايز. و قد يجعل الألف و اللام لاما مشدّدة، فيكون ذلك أصحّ في اليونانية، انتهى كلامه.

و كانت عامة اليونانيين صابئة[٦] معظمة للكـواكب دانـية[٧] بـعبادة الاصـنام، و كـان علماؤهم يسمّون فلاسفة ـ واحدهم فيلسوف ـ و هم من أرفع الناس طبقة، و أجلّ أهل العلم منزلة، لما ظهر منهم الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم المنطقية و الطبيعيّة و الرياضية و الالهيّة، و السياسات المنزلية و المدنيّة.

قال صاحب الملل و النحل: التقسيم الضابط أن يقول، من الناس من لا يقول بمحسوس و لا معقول، و هم السوفسطائية. و منهم من يقول بالمحسوس و لا يقول بالمعقول، و هم الطبيعية. و منهم من يقول بالمحسوس و المعقول[٨] و لا يقول بحدود و احكام، و هم الفلاسفة الدهرية. و منهم من يقول بالمحسوس و المعقول و الحدود و الاحكام و لا يقول بالشريعة و لا بالاسلام، و هم الصابئة[٩]. و منهم من يقول بهذه كلّها و شريعة و اسلام و لا يقول بشريعة نبينا ـ صلوات الله عليه و آله ـ و هم اليهود و المجوس و النصارى. و منهم من يقول بهذه كلها، و هم المسلمون. انتهى مقاله.

---

١. فيكون: ص. ٢. يكون: ص. ٣. فيكون: ص.
٤. ينصرف: ص. ٥. يتطلق: ص. ٦. صابيّة: ص.
٧. تدين: مص. ٨. العقول: ص. ٩. صابيّة: ص.

و أعظم الفلاسفة عند اليونانيّن طبقة و قدرا خمسة: انباذقلس، و فيثاغورس، و سقراط، و افلاطُن، و أرسطوطاليس، و إليه انتهت فلسفة اليونانيين، و هو خاتمة حكمائهم، و سيد علمائهم؛ و هو أول من خلّص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية، و صوّرها بالاشكال الثلاثة و جعلها آلة العلوم النظرية، و لخّص آراء الفلاسفة، و نخل مذاهب الحكماء فنقّ خبثها، و أسقط غثّها، و انتق لبابها، و اصطفى خيارها، فاعتقد منها ما [تُوجبه[1]] العقول السليمة، و تراه البصائر النافذة، و تدين به النفوس الطيّبة، فأصبح إمام الحكماء و جامع فضائل العلماء:

ليس[2] على اللّه بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

و يروى انّ عمرو بن العاص قدم من الاسكندرية على سيدنا رسول اللهﷺ فسأله عمّا رأى، فقال: رأيت قوما يتطلسون و يجتمعون حلقا و يذكرون رجلا يقال له ارسطوطاليس ـ لعنه الله ـ فقال ـ صلوات الله و تسليماته عليه و آله ـ: مه يا عمرو إنّ أرسطوطاليس كان نبيّا فجهله قومه. قال الفاضل الشهرزوري في تاريخ الحكماء: هكذا سمعناه. أقول: و يؤيدهذه الرواية ما نقل السيد الطاهر ذوالمناقب و المفاخر رضي الدين علي بن طاوس ـ قدس الله روحه ـ في كتابه فرج المهموم في معرفة الحلال و الحرام من علم النجوم قولا بأنّ ابرخس و بطليموس كانا من الأنبياء، و أنّ أكثر الحكماء كانوا كذلك، و إنّما التبس على الناس أمرهم لأجل أسمائهم اليونانية، أي لمّا كانت اسماؤهم موافقة لاسماء بعض حكماء [اليونان[3]] الذين يُنسب إليهم فساد الاعتقاد، إشتبه على النّاس حالهم و ظنوا أنّ أصحاب تلك الأسامي بأجمعهم على نهج واحد من الإعتقاد، و ستأتي[4] أحوالهم ـ ان شاءالله تعالى ـ

و أمّا بلاد الروم فإنّها مجاورة لبلاد اليونانيين و لغتهم مخالفة للغتهم، و [تُسمّى[5]] لغة الروم اللطنية. و حدّ بلاد الروم من جهة الجنوب: البحر الرومي الممتد طولا من المغرب إلى

---

١. يوجبه: ص.   ٢. و ليس: ص.   ٣. يونين: ص.
٤. و سيأتي: ص.   ٥. تسمى: ص.

المشرق ما بين طنجة إلى الشام، و حدّها من جهة الشمال: بعض ممالك الامم الشمالية من الروس و البربر و غيرهما مع طائفة من البحر الغربيّ الاعظم المحيط المعروف [باقيانوس[١]]، و حدّها من جهة المشرق: تخوم بلاد اليونانيين، و حدّها من جهة المغرب: أقصى الاندلس إلى البحر الغربي المحيط المعروف [باقيانوس[٢]]. و كانت هذه المملكة ثلاث قطع يتميّز بعضها من بعض: فأولها من جهة المشرق و ممّا يتاخم بلاد اليونانيين بلاد امانية[٣]، ثم أوسطها بلاد افريسه[٤]، ثم آخرها بلاد الاندلس في أقصى المغرب و طرف المعمور. كانت قاعدة هذه المملكة كلها مدينة رومية العظمى من بلاد أمانية، و كان بانيها رومليس [اللطيني[٥]]، و اليه [تنسب[٦]] الروم، و هو أول ملك مشهور من ملوك الروم؛ و كان بنيان رومية قبل مولد المسيح بسبعمائة سنة و أربع و خمسين سنة، و لم يزل ملكهم على حاله إلى قيام اغسطس[٧] ـ أول ملوك القياصرة ـ فتغلّب اغسطس[٨] على ملك اليونانيين، فأضاف ملكهم الى مملكته فصارتا مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن، طولا من المشرق الى المغرب نحو مائة مرحلة من تخوم بلاد ارمينيا[٩] الى اقصى بلاد [الاندلس[١٠]]، فصارت رومية قاعدة هاتين المملكتين معا، و مكث ثلاثمائة سنة و خمسا و ثلاثين سنة إلى أن قام قسطنطين بن هيلالي بدين المسيح عليه السلام و رفض دين الصابئة[١١]، و بنى مدينة على الخليج منسوبة اليه معروفة[١٢] بالقسطنطينية[١٣] في وسط بلاد اليونانيين و استوطنها.

ثم اعلمْ أنَّ العلماءَ اختلفوا في ابتداء ظهور الفلسفة فذكر بعضهم: أنّ أول من [ظهرت[١٤]] منه الفلسفة و عرف بالحكمة، ثالس الملطي من حكماء الملطية[١٥]، و هو أول من تفلسف بمصر، و صار بعد ذلك إلى مالطة[١٦]، و هو شيخ و به سمّيت فرقة من اليونانيين فلاسفة. و زعم جماعة مِن الأعلام: أنّ جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس

---

١. باقبالس: ص.
٢. باقبالس: ص.
٣. يريدها (بلاد ايطاليا) لانه اشار سابقاً الى انه قاعدتها (رومية) مص.
٤. يريدها بلاد فرنسا: مص.
٥. الطيغ: ص.
٦. نسب: ص.
٧. اغشطش: ص.
٨. اغشطش: ص.
٩. أرمنية: ص.
١٠. اندلس: ص.
١١. الصابية: ص.
١٢. المنسوبة اليه المعروفة: ص.
١٣. بالقسطنطنية: ص.
١٤. ظهر: ص.
١٥. مالطة: مص.
١٦. ملطية: ص.

الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، و هو الذي يسمّيه العبرانيون اخنوخ بن لاوذ بن سهلايل بن انوش بن شيث بن آدم، و هو إدريس النبي، و قالوا إنّه أول من أنذر بالطوفان و رأى آفة سماوية [تلحق[١]] الأرض من الماء، فخاف ذهاب العلم و درس الصّنائع فبنى الاهرام في صعيد مصر الأعلى و ضرب فيها جميع الصناعات و الآلات، و رقّم فيها صفات العلوم، حرصا منه على تخليدها لمن بعده، و خيفة أن يذهب رسمها من العالم.

و قال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار: إنّ الأوائل من الأمم لمّا علموا من جهة النجوم أنّ آفة سماوية [تصيبهم[٢]] و هي الطوفان: بنوا في صعيد مصر أهراما بالحجارة على رأس الجبال و المواضع المرتفعة ليتحرزوا[٣] بها، و جعلوا الهرمين أرفع منها، و هما على فرسخين من الفسطاط كل واحد اربعمائة ذراع عرضا، و الأساس زائدا على جريب مبني بحجارة المرمر و الرخام، غلظ كل حجر عشرأذرع إلى ثمان، مهندم لا يستبين هندامه إلّا لحادّ البصر، و حجارتهما منقولة من مسافة أربعين فرسخا، [من[٤]] موضع يعرف ببنات الحمام فوق الاسكندرية، و لا يزالان ينخرطان في الهواء صنوبريّاً حتى رجعت[٥] ذروتهما إلى مقدار خمسة أشبار في خمسة، و شكلهما التربيع، و ليس على وجه الأرض بناء أرفع منهما، منقور فيهما بالمسند كل سحر و طب و طلسم، و فيه: إنّي بنيتهما، فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمهما، فإذاً خراج الدنيا لا يفي بهدمهما، و كان يوسف عليه السلام يجمع فيهما الطعام، و قالوا: لا يعرف من بناهما، قال المتنبي:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ما [يومه ما المصرع[٦]]
[تتخلّف[٧]] الآثار عن أصحابها ... حيناً و يدركها [الفناء[٨]] فتتبع

قال صاعد في كتاب الطبقات: إنّ أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية و

---

١. يلحق: ص. ٢. يصيبهم: ص. ٣. ليستحرزوا: ص.

٤. ساقطة من ص، مص. ٥. رجع: ص. ٦. قومه بمصرع: ص.

٧. يتخلف: ص.

٨. الفنى: ص. وقد نقل المؤلف هذين البيتين بعكس الترتيب الذي وردا في أصله. راجع شرح ديوان المتنبي للعكبري طبعة دار المعرفة، بيروت، ٢/ ٢٨٠.

الازمِنَة السالِفة، و كانوا أخلاطا من الأمم ما بين قبطيّ و يونانيّ و علقميّ إلّا أنّ أكثرهم قبط، و أكثر من تملك مصر الغرباء، و صار بعد طوفان نوحعليه السلام بمصر علماء بضروب من العلوم، لا سيما علم الطلسمات و النير نجات و الكيمياء، و طلسماتهم إلى الآن باقية، و حكمتهم باهرة، و عجائبهم ظاهرة. و ملك مصر سبع من الكهنة كانت لهم الأعمال العجيبة و الأمور الغريبة:

الكاهن الاول ـ اسمه ظليم ـ كان يعمل الأعمال العجيبة، و هو أول من [عمل[١]] مقياسا لزيادة النيل، و عمل بركة من نحاس عليها عقابان ذكر و انثى و فيها قليل من الماء، فإذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة و تكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين، فإن صفر الذكر كان الماء غالبا، و إن صفرت الأنثى كان الماء ناقصا.

الكاهن الثاني ـ اسمه اغشامش ـ و من أعماله العجيبة: أنه عمل ميزانا في هيكل الشمس و كتب على الكفّةِ اليمنى حقا و على اليسرى باطلا و عمل تحتها فصوصاً و إذا حضر الظالم و المظلوم أخذا فُصّين، و يسمى عليهما [ما يريد[٢]] و جعل فصا منهما في كفة [فتثقل[٣]] كفة المظلوم و [ترتفع[٤]] كفة الظالم.

الكاهن الثالث، عمل مرآة من المعادن السبعة، ينظر فيها الأقاليم السبعة ما أخصب منها و ما أجدب، و ما حدث فيها من الحوادث، و عمل في وسط المدينة صورة امرأةٍ جالسة و في حجرها صبيّ كأنها [ترضعه[٥]]، فايّ امراءة أصابها وجع في جسمها [مسحها[٦]] بجسد تلك المرأة [فتبرأ[٧]] و هذا من العجائب.

الكاهن الرابع، عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف إذا تقرب منها ظالم اختطفته تلك الخطاطيف فلا يغلبه حتى يقرّ بظلمه و يخرج منه، و عمل صنماً من كدّان اسود و سمّاه عبد زحل، يتحاكمون إليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه لا يقدر على الحركة حتى ينصف من نفسه و لو أقام سبعين سنة.

---

١. علم: ص.   ٢. ما تريد: ص.   ٣. فيثقل: ص.
٤. يرتفع: ص.   ٥. يرضعه: ص.   ٦. مسحه: ص.
٧. فيبرأ: ص.

الكاهن الخامس، عمل شجرة من نحاس فكل وحش يصل إليها لا يستطيع الحركة حتى يؤخذ، فشبع الناس في أيامه من لحوم الصيد من الوحوش. و عمل على باب المدينة صنمين عن يمين الباب و يساره، فإذا دخل أحد من اهل الخير ضحك الذي عن يمين الباب، أو من أهل الشر بكى الذي عن يساره.

الكاهن السادس، صنع درهما إذا ابتاع به صاحبه اشترط أن يزن له زنة من النوع الذي يشتريه فإذا وضع [في[١]] الميزان و وضع مقابله كل ما يوجد من ذلك الصنف الذي يريد شراءه لم يعدله، و وجد هذا الدرهم في كنوز مصر في أيام بني أمية.

الكاهن السابع، كان يعمل أعمالا عظيمة من جملتها: أنه كان يجلس في السحاب في صورة إنسان عظيم و أقام مدة على ذلك ثم غاب عنهم و أقاموا بلا ملك إلى أن رأوه عند صورة الشمس و هي في الحمل، فأعلمهم أنه لم يعد إليهم أبدا و أنّهم تملكوا فلانا، انتهى كلام صاعد.

و قيل: إنّ للفلسفة مبدأ آخر هو من فيثاغورس، و هو أول من سمّى الفلسفة بهذا الاسم. و ذكر محمد بن يوسف العامري: أنّ أول الحكماء لقمان تلميذ داودعليه السلام و كان انباذقلس تلميذه، إلا أنه لمّا عاد إلى بلاد [اليونان[٢]] تكلم في خلقة العالم بأشياء ظاهرة قادحة في أمر المعاد، فهجره بعضهم على ما هو دأب العوام مع الأعلام ثم وصف بعده بالحكمة فيثاغورس، و قد اختلط بمصر إلى أصحاب سليمانعليه السلام حين جلا عن الشام، و كان تعلّم الهندسة قبلهم من المصريين، فتعلّم العلوم الطبيعية و الإلهية من أصحاب سليمانعليه السلام ، و نقل العلوم الثلاثة أعني: الرياضي و الطبيعي و الالهي إلى بلاد [اليونان[٣]]، ثم استخرج بذكائه علم الألحان و أوقعها تحت النسب العددية، و ادّعى أنه استفاد ذلك من مشكوة النبوة؛ ثم [أخذ سقراط[٤]] من فيثاغورس و اقتصر من أصنافها على المعارف الإلهية و أعرض [عن[٥]] ملاذّ الدنيا و أظهر الخلاف على اليونانيين في الدين و قابل روساء ذوي الشرك بالحجاج و الأدلة فثوّر [وا[٦]] العامة [عليه[٧]] و الجأوا ملكهم إلى قتله، على ما سيأتي في شرح أحواله ـ ان شاء الله

---

١. وضع الميزان: ص. ٢. يونان: ص. ٣. يونان: ص.

٤. سقراط أخذ: ص. ٥. و اعرض ملاذ: ص. ٦. فثور: ص.

٧. عليه: ساقطة من ص.

تعالى ـ. ثم افلاطون[1] و لم يقتصر على المعالم الدينية بل جمع إليها العلوم الطبيعية و الإلهية و الرياضية، و في الأخير فوّض التعليم إلى البارعين من تلاميذه، و تخلّى عن الناس لعبادة ربه؛ و في زمانه ظهر الوباء، فأمرهم بعض أنبياء بني إسرائيل بإذن الله ـ تعالى ـ [باضعاف[2]] مذبح كان لهم على شكل المكعب ليرتفع الوباء، فأثبتوا آخر مثله و أضافوه إليه لأنّهم فهموا من التضعيف ما هو المستفاد من اللغة في معناه. فازداد الوباء، فأوحى الله إليه بأنّهم ما ضعّفوه بل قرنوا إليه آخر مثله و هذا ليس بتضعيف المكعب، فاستعانوا حينئذ بأفلاطُن[3] فقال لهم: إنكم تزجرون على الحكمة وتنفرون من الهندسة فابتلاكم الله بالوباء عقوبة لكم، فإنّ للعلوم الحكمية عند الله مقداره، ثم ألق على أصحابه بأنّه متى أمكنكم استخراج خطّين بين خطين على نسبة واحدة متوالية توصلهم [الى[4]] تضعيف ذلك المذبح فلاحيلة غيره، [فعملوا[5]] على استخراجه و تمّموا العمل بتضعيفه، فارتفع الوباء، فامسكوا عن ثلب الهندسة و غيرها من المعالم العقلية.

و التحقيق في ذلك: ان نفرض خط «ا ب» طول المذبح و خط «ا ح» شفعه حيث يكون «ب ا ح» قائمة و نتمم مسطح «ا ب د ح» و نصل قطر «ا د» و ننصّفه على نقطة «ط» و نخرج خطّي «د ح د ب» على الاستقامة و نضع طرف مسطرة على نقطة «ا» و نحرّكها على الخطين المخرجين ليتساوى خطي «ر ط ه ط» فاذا «ا ب ب ه ر ح ح ا» اربعة متوالية على نسبة واحدة أي نسبة «ا ب» الى «ب ه» كنسبة «ب ه» إلى «ر ح» و كنسبة «ر ح» الى «ح ا» لانّا إذا وصلنا قطر «ب ح» الّذي يمرّ بالضرورة على نقطة «ط» و نخرج عن نقطة «ط» عمود «ط ح» على خط « ح د» فلا محالة ينصّف «ح د» و سطح «د ر» في «ر ح» مع مربع «ح د» كمربع «ح ر» بالسادس من الثانية من كتاب اقليدس و نجعل مربع «ح ط» مشتركا فسطح في «ر ح» مع مربعي «ح ح ط» أي مربع «ح ط» بشكل العروس مثل مربعي «ح ر ح ط» أي مربع «ر ط» و نبيّن بمثل ذلك أنّ سطح «د ه» في «ه ب» مع مربع «ط ب» أي «د ط» مثل مربع «ط ه» أي «ر ط» فسطح «د ر» في «ر ح» مثل سطح «د ه» في «ه ب» فنسبة «د ر» إلى

---

١. أفلاطن: ص.　　٢. اضعاف: ص.　　٣. أفلاطون: مص.

٤. على: ص.　　٥. فعلموا: ص.

«د ه» أي نسبة «ا ب» إلى «ب ه» بالرابع من السّادسة و السّادس عشر من الخامسة مثل نسبة «ب ه» إلى «ر ح» بالسادس عشر من السادسة و مثل نسبة «ر ح» إلى «حا» بالرابع منها. و قد بين ذلك المحقق الطوسي ـ قدس نفسه القدوسية[۱] ـ بوجه آخر على ما حرره في ذيل تحرير الاقليدس[۲] اقامة للبرهان على الخامس عشر من الثانية [عشرة[۳]] فنسبة «ا ب» على «حا» كنسبة «ا ب» إلى «ب ه» مثلّثة بالتكرير بالصدر من الخامسة أي نسبة مكعب معمول على «ا ب» إلى مكعب معمول على «ب ه» بالسّادس و الثّلاثين من الحادية [عشرة[٤]] من الكتاب و ذلك هو المطلوب. ثُمّ إن ارسطوطاليس كان يسمّى فى حداثته الروحاني لفرط ذكائه، و كان معلمه أفلاطون[٥] يسمّيه العقل، و في أيّامه أثبت الملك لذي القرنين و انقمع به الشّرك في بلاد [اليونان[٦]]، فهؤلاء الخمسة كانوا يوصفون بالحكمة، و ليس بعد هؤلاء حكيم يُسمّى بها، بل كلّ واحد يُنسب إلى صناعة، مثل بقراط الطّبيب، و أوميرس الشّاعر، و ارشميدس المهندس، و ديوجانس الكلبي، و ذيمقراطيس الطّبيعي؛ و قد تعرض جالينوس لمّا كثرت مصنّفاته في الحكمة ان ينقل عن لقب الطّبّ إلى لقب الحكمة و الحكيم [فهزؤا[۷]] به، و قالوا له: عليك بالمراهم و المسهلات و علاج القروح و الحميّات، فانه من شهد على نفسه بأنه شاكّ في العالم أقديم أو محدث؟ و في المعاد أحق هو أو باطل؟ و في النّفس أجوهر [هي[۸]] أو عرض؟ لمنخفض الدّرجة من أن يسمّى حكيما، حتّى قال الاسكندر الافروديسي في حقه: إنّ جالينوس غرم ثمانين سنة من عمره حتى حصل الإقرار بأنّه لا يعلم.

قال العلامة الشّيرازي، قطب المحقّقين في شرح كلّيّات القانون: إنّ الفيلسوف لمّا كان إنّما يلقّب به من تمهّر في جميع أجزاء الفلسفة، و أحبّ جالينوس أن يُدعى فَيلسوفا، صنّف في جميع أجزائها كتبا و عَرضها على ملك من ملوك زمانه، و سأله أن يلقّبه به، فقال الملك: نحن لا نعرف هذه العلوم و لا مرتبةهذه الكتب، فالأولى أن نبعثها الى فلان ـ فيلسوف كان في

---

۱. القدوسي: ص. ۲. اقليدس: مص. ۳. عشر: ص.
٤. عشر: ص. ٥. أفلاطن: ص. ٦. يونان: ص.
۷. فهزوا: ص. ۸. هو: ص.

زمانه ـ فان استحسنها فلقّبك به، فلمّا رآها قال: مصنّفها لا يستحقّ بها هذا اللّقب، إنّما هو رجل طبيب، و أمّا الفروع الطّبيّة فلاكرم في تبريزه فيها.

و في كلام الأوائل من الحكماء [كافلاطن[1]] و سقراط و فيثاغورس رموز و ألغاز، و كانوا يفعلون ذلك لثلاثة أوجه:

أحدها، لئلّا يغوص على أسرار الحكمة ممّن ليس لها بأهلٍ فيصير عدّة على اكتساب ضرب من الشرّ[2]، و من هذا قال بعض الأعلام: إنّ أرواح الحكماء أمرت بكتمان هذه الأسرار؛ لأنّ الساكنين إلى الطّبيعة إذا عرفوا أمثال هذه العلوم استعملوه فيما يغمسهم في الشّهوات الرّذلة المميتة للنفس الحية، و أيضا فلأن أرواح العالَم الأعلى يكرهون وقوف البشر على أسرارها، فإنّ من عرفها طغى و استكبر و خرج من حدّ الناسوتيّة إلى اللّاهوتيّة، فيطغى في الأرض؛ و ما زال الحكماء و العلماء و السُّلاك يوصون تلاميذهم بكتمان العلم، و صيانة الحكمة، و إخفاء الحقائق عن غير المستوجبين، و يوجبون عليهم بذل ذلك للمستوجبين و أهل الاستيهال كما ذكرنا سابقا.

و الثّاني أن لا يتوانى الطّالب لها في بذل العناية لا قتنائها و إن [لحقه[3]] استلذ بعد المشقّة في تحصيلها، و يستصعبها الكسلان لغموضها، و لهذا لمّا [عذل[4]] افلاطون[5] ارسطاطاليس على إظهاره للفلسفة، أجاب بأنّي و إن كنت أظهرتها و كشفتها لكن أودعتُ فيها مهاوي و أمورا غوامض لا يطّلع عليها إلّا الفريد من الحكماء، و هو إشارة إلى ما رمز فيها.

و الثّالث تشحيذ الطّباع باستكداد الفكر لئلّا يركن[6] المتعلّم إلى طيب الدّعة و روح النّفس، و يصل بجهده على تفهّم ما تنفر عنه.

و پوشيده نماند كه اين شيوه مخصوص حكماى فلاسفه نيست بلكه سنت حاملان عرش نبوت و رسالت و شيمهٔ خازنان اسرار ربوبيت و الوهيت هميشه بر اين نهج جارى بوده است:

---

۱. كافلاطون: مص. ۲. الشررة: ص. ۳. لحقته: ص.
٤. عدل: ص. ٥. أفلاطن: ص. ٦. يحتاج: ص.

سر سودای وصالش نه من مفلس راست
مایه‌داران جهانم همه انبازانند

شیخ الرئیس در رساله اثبات نبوت به این عبارت می‌گوید:

إنّ الشّرط على النّبي أن يكون كلامه رمزاً، و ألفاظه إيماء، كما يذكر أفلاطون[۱] في كتاب النّواميس: إن من لم يقف على معاني رموز الرّسل لم ينل الملكوت الاعلى؛ و الحكمة كانت في قديم الزّمان ممنوعا عنها إلّا من كان من أهلها، و من يتقبّلها طبعا؛ و [كان[۲]] الحكماء ينظرون في مواليد من يريد الحكمة و الفلسفة فإن [علموا[۳]] أنّ صاحب المولد في مولده يحصّل ذلك استخدموه، و إلّا فلا؛ و أنّ الملوك من اليونانية و غيرها إذا أرادوا أن يعلّموا أولادهم الحكمة و الفلسفة و [يؤدّبوهم[٤]] بأصناف الادب، [يتّخذون[٥]] لهم بيوت الذّهب المصوّرة بأصناف الصّور، و إنّما جعلت الصور لارتياح القلوب إليها و اشتياق النّظر إلى رؤيتها، فكان الصبيان يلازمون بيوت الصّور [و يتأدّبون[٦]] بسبب الصور التي فيها:

از پی تعلیم کتاب عزیز طفل فریبند به جوز و مویز

و كذلك نقشت اليهود هياكلهم، و النّصارى كنائسهم و بيعهم، و المسلمون مساجدهم [لترتاح[۷]] القلوب إليها و [تشتغل[۸]] بها، فإذا حفظ المتعلّم من أولاد الملوك علما و حكمة أو أدبا، صعد على درج في مجلس ـ معمول من الرّخام المصوّر المنقوش ـ في يوم العيد الذي يجتمع فيه أهل المملكة إلى ذلك البيت بعد انقضاء الصّلوة، فيتكلّم بالحكمة الّتي حفظها، و ينطق بالآداب التي وعاها على رؤوس الأشهاد في وسطهم؛ و عليه التّاج و حُلل الجواهر و يُحيى المعلّم و يكرّم و يبرّد[۹] و يشرّف الغلام، و يعدّ حكيما على قدر ذكائه و فهمه؛ و [تعظّم[۱۰]] الهياكل و [تشتعل[۱۱]] فيها النّيران و الشّمع، و [تبخّر[۱۲]] بالبخور و بالأدهان

---

۱. أفلاطن: ص.
۲. كانت: ص.
۳. علمت: ص.
٤. يؤدهم: ص.
٥. يتخذ: ص.
٦. تأدبوا: ص.
۷. ليرتاح: ص.
۸. يشتغل: ص.
۹. يتبر: ص.
۱۰. يعظم: ص.
۱۱. يشتعل: ص.
۱۲. يبخّر: ص.

الطّيبة، و يزيّن الناس بأنواع الزّينة، و بقي ذلك إلى اليوم [للصّابئة[1]] و المجوس و النّصارى انابات[2] في الهياكل، و للمسلمين منابر في المساجد.

و أما ابتداء العلوم، فقد نقل الفاضل المؤرّخ الشّهرزوري عن فرفوريوس: أنّ ابتداء علم النجوم كان من بابل من جهة الكلدانيين، و ذلك قبل زمان الخليل عليه السلام و سببه إقبالهم على صناعة الفلاحة و الملاحة و هُما [لا يستغنيان عنهما[3]]، و كان يُعينهم على ذلك صفاء الجوّ في بلادهم، و لطافة طباعهم، و ذكاء أذهانهم، و خفّة أرواحهم؛ و الكلدانيّون [كانوا[4]]أمّة قديمة، كان منهم النّماردة الجبابرة [الّذين[5]] اوّلهم النّمرود، الّذي ذكره الله ـ عزّوجلّ ـ في كتابه ـ العزيز الكريم ـ: «قَدْ مَكَرَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» الآية[6]. و يزعم البابليّون أنّ هذا النّمرود ـ باني الصّرح ـ أوّل ملوك الارض بعد الطّوفان و كان منهم بُختنصر[7] الذي غزا بني اسرائيل، و قتل منهم خلقا كثيرا، و لم يزل ملك آل بختنصر ببابل، و جميع بلاد الكلدانيين إلى أن ظهر عليهم الفرس و غلبوهم على مملكتهم، و أبادوا خلقا كثيرا منهم، فدرست أخبارهم، و طمست آثارهم.

و أمّا الهندسة فابتداؤها من مصر بسبب احتياجهم إليها[8] لأجل النّيل و المزارع، و كسح النّيل مزارعهم في كلّ سنة.

و أما اللّحون، فأوّل من أبدعها من اليونانيين قوم فيما بين قسطنطينية[9] و صقلية لكثرة ما نالهم من الحروب فوضعوا أداتين: إحداهما للجرأة و تحريضهم على لقاء عدوّهم و إزالة الجبن عن صدورهم بالألحان [القاذفة[10]] لنار الغضب، المهوية للحرب. و أخرى لترهيب قلوب أعدائهم، و تسوية عقولهم، و تولية فكرهم بالألحان الجزعة المؤدّية إلى النكول.

و أما علم الحساب، فاوّل من فتقه أهل حِمص و من يليهم؛ لأنّهم كانوا تجارا مسافرين محتاجين إلى الحساب.

---

۱. للصابية: ص.
۲. إينابات: ص.
۳. لايستغنيان عنه: ص.
٤. كانت: ص.
٥. الّتي: ص.
٦. سورة النحل، الاية ٢٦.
٧. بيوخذ نصّر: مص.
٨. اليه: ص.
٩. قسطنطنية و سقلبة: ص.
١٠. القاذية: ص.

و أما علم الطّبائع، فمن الشّام و سببه الوباء، و كان يكثر بنواحيهم و يعم، فاضطرّوا إلى الاستعانة بالقوى الطّبيعية.

و حكى المعلّم الثّاني الشّيخ الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصّه، قال: إنّ الفلسفة اشتهر في أيّام ملوك اليونانيين و بعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية إلى آخر أيّام المرأة، و انّه لمّا توفّى بقي التّعليم بحاله فيها إلى الآن ملك ثلاثة عشر ملكا و توالى في مدّة ملكهم من معلّمي الفلسفة اثناعشر معلّما، أحدهم المعروف باندرونيقوس، و كان آخر هؤلاء الملوك المرأة فغلبها اوغشطش الملك من أهل روميّة، و قتلها و استحوذ على الملك، فلمّا استقرّ له، نظر في خزائن الكتب فوجد فيها نسخا لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في أيّامه و أيّام ثاوفرسطس، و وجد المعلّمين و الفلاسفة قد عملوا كتبا في المعاني [التي[1]] عمل فيها أرسطاطاليس، فأمر أن [تنسخ[2]] تلك الكتب الّتي كانت نسخت في أيّام ارسطو و تلميذه، و أن يكون التعليم منها، و أن ينصرف في الباقي، و حكم اندرونيقس في تدبير ذلك، و أمره أن ينسخ نسخا يحملها معه إلى رومية، و نسخا يبعثها [إلى[3]] موضع التعليم بالاسكندرية، و أمره أن يستخلف معلّما يقوم مقامه بالاسكندرية، و يسير معه إلى رومية، فصار التّعليم في موضعين، و جرى الأمر على ذلك إلى أن جاءت النّصرانية [فبطل[4]] التعليم من رومية، و بقي بالاسكندرية، إلى أن نظر ملك النّصرانية في ذلك، و اجتمعت الأساقفة و تشاوروا فيما ترك من هذا التّعليم و ما يبطل، فرأوا أن يعلّم من كتب المنطق الى آخر الأشكال الوجودية، و لا يعلّم ما بعده، لأنّهم رأوا أنّ في ذلك ضرراً على النّصرانية، و أنّ فيما أطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرة دينهم، فبقي الظّاهر من التّعليم هذا المقدار، و ما نظر فيه من الباقي مستورا إلى أن كان الاسلام بعده بمدّة طويلة، فانتقل التّعليم من الاسكندرية إلى أنطاكية، و بقي بها زمانا طويلا، إلى أن بقي معلّم واحد، فتعلّم منه رجلان و خرجا و معهم الكتب؛ و كان أحدهما من أهل حرّان، و الآخر من أهل مرو، فأمّا الذي من أهل مَرو فتعلّم منه رجلان: أحدهما إبراهيم المَروزيّ، و الآخر يوحنّا بن ختلان. و تعلّم من الحرّاني إسرائيل

---

١. الذي: ص. ٢. ينسخ: ص. ٣. في: ص.

٤. فيبطل: ص.

الأسقف، و قويريريّ، و سارا إلى بغداد، فتشاغل ابراهيم بالدّين و أخذ قويريريّ في التّعليم. و أمّا يوحنا بن ختلان فانه تشاغل أيضا بدينه، و انحدر ابراهيم المروزيّ إلى بغداد و أقام بها؛ و تعلّم من المَروزيّ ابن ثومان، و كان الذي يتعلّم في ذلك الوقت إلى آخر الأشكال الوجوديّة. و قال المعلّم الفارابي عن نفسه: أنّه تعلّم من يوحنّا بن ختلان إلى آخر كتاب البرهان، و كان يستثنى ما بعد الأشكال الوجوديّة، الجزء الذي لايقرأ إلى أن قرئ ذلك، و صار الرّسم بعد ذلك حيث صار الأمر إلى معلّمي المسلمين أن يقرأ من الأشكال الوجوديّة إلى حيث قدر الانسان أن يقرأ؛ هذا ما نقل المؤرّخ الخَزرجيّ عن المعلّم الثّاني، الشّيخ الفارابيّ في ظهور الفلسفة.

و قال أبو معشر البلخيّ في اختلاف الزّيجات: إنَّ ملوك الفرس بلغوا من عنايتهم بصيانة العلوم و حرصهم على بقائها في وجه الدّهر و اشفاقهم عليها من أحداث الجوّ و آفات الأرض، أن اختاروا لها من الأوراق أصبرها على الأحداث، و أبقاها على الدّهر، و أبعدها عن التّعفّن، لحاء شجرة الخدنك و يسمّى التّوز؛ و بهم اقتدوا اهل الصين و الهند و الرّوم، و اختاروها لِقِسيّهم لصلابتها و ملاستها، ثم طلب لها بعد ذلك من بقاع الارض و بلدان الأقاليم أصحّها تربةً، و أقلّها عفونةً، و أبعدها من الزّلازل و الخسف، و أبقاها على وجه الدهر بناءً، فلم يجدوا أجمع لهذه الأوصاف من مدينة اصفهان، ثمّ فتشوا عن بقاع هذا البلد فلم يجدوا أفضل من رستاق جي فجاؤوا إلى [قهندز[١]] و هو في داخل المدينة المُسماّة بجى فأودعوه كتبهم فيه و بقي إلى زماننا هذا، و هو يسمّى سارو به؛ و نقل أنّ قبل زماننا هذا بسنين كثيرة انهدمت من هذه ناحية و ظهر فيها على أزجٍّ مغمورٍ كتبٌ كثيرة من كتب الأوائل مكتوبة بلحاء التّوز موّدعة أصناف علوم الأوائل بلسان الفارسيّة القديمة، و أنّه كان فيها كتاب منسوب إلى بعض الحكماء [المتقدمين[٢]]، فيه سنون و أدوار معلومة لاستخراج أوساط الكواكب و علل حركاتها، و كانوا يسمّونها أدوار الهَزارات، و جميع القدماء من الهند و الكلدانيين و هم سكان بابل يستخرجون الأوساط من [هذه[٣]] السّنين و الأدوار، و استخرج المنجّمون منه في ذلك الزمان زيجاً سمّوه زيج الشّهرياريّة، و معناه

---

١. منهدم: ص.   ٢. المتقدمون: ص.   ٣. هذا: ص.

ملك الزّيجات. هذا ملخّص ما قال أبو[1] معشر على ما نقل عنه الفاضل الشّهـرزوريّ في تاريخه، و يقال: إنّ صاحب[2] ابن العميد وجد في سور هذه المدينة صناديق فيها كتب فأنفذها إلى بغداد، فاستخرجها بعضهم، و قالوا: إنّ المنطق و الحكمة الّتي آلـفها و هـذّبها ارسطوطاليس أصل ذلك مأخوذ من خزائن الفرس حين ظفر الاسكندر بدارًا و بلادهم، و إنّه ما قدر أرسطوطاليس على ذلك إلّا بمدد كتبهم، و لا يشكّ ذلك من أدرك طرفاً من الحكمة الصّحيحة مقدار حكمة فارس و شرفها، و يؤيّد هذا ما هو المرويّ عن سيّد الرّسل ـ صلوات اللّه و تسليماته عليه و آله ـ أن قال: لو كان العلم بالثّريا [لتناوله[3]] رجال من فارس، و كان فيهم ملوك أفاضل مثل كيومرث، و افريدون، و اردشير بابك، و كيخسرو و غيرهم من الملوك العارفين بحقيقة الحكمة، و مثل جاماسب، و فرساوشير، و بزرجمهر و غيرهم من أجلّة الحكماء. و قال القاضي صاعد في كتاب التّعريف لطبقات الأمم: إنّ أصحّ ما قيل في مملكة الفرس انّ من ابتداء كيومرث بن لاود بن سام بن نوح أبو الفُرس كلّها الذي هو عندهم آدم أبو البشر إلى ابتداء ملك كيقباد أول ملوك الطبقة الثّالثة من ملوك الفرس [مائتا[4]] عام، و من ملك كيقباد الى ابتداء ملك الطّوائف و هي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس و ذلك عند مقتل[5] الاسكندر لداراء بن دارا آخر ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس نحو ألف سنة، و من أول ملوك الطّوائف إلى ابتداء ملك أردشير بن بابك السّاساني أول ملوك بني ساسان، و هي الطبقة الخامسة من ملوك الفرس خمسمائة سنة و احدى و ثلاثون سنة، و من ابتداء ملك أردشير بن بابك إلى انقضاء دولة الفرس من الأرض و ذلك عند قتل يزدجرد بن شهريار زمان خلافة عثمان بن عفان، و هو في سنة [اثنتين[6]] و ثلاثين من الهجرة المقدسة اربعمائة سنة و ثلاثة و ثلاثون، سنة و انّما ذكرنا مدّة ملكهم ليدلّ بذلك

---

١. ابي: ص.

٢. ورد لقب الصاحب اسماعيل بن عباد لمصاحبته مؤيد الدولة البويهي في صغره و لم يذكر المؤرخون لقب الصاحب لابن العميد لا الاب محمد بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ) و لا الابن علي بن محمد (ت ٣٦٦ هـ) و ان كانت مصاحبة مؤيدالدولة تعني الصاحب فقد صاحبه ابن العميد الابن و قتل في زمانه.

٣. لتناولته: ص.

٤. من ماتي: ص.

٥. قتل: مص.

٦. اثنين: ص.

على فخامة ملكهم و عظم سلطانهم، و لهذا و مثله من سائر جلالتهم [استحقّ[١]] ملوكهم عند سائر الملوک أن يقال [لهم[٢]] ملك الملوك.

فائدة: لما استولى الملك الملقّب بجلال الدولة أحد ملوك الديلم على بغداد فزيد في ألقابه شاهنشاه[٣] الاعظم ملك الملوك، و خطب له بذلك على المنبر، فجرى في ذلك ما أحوج إلى استفتاء علماء بغداد في ذلك، فاختلفوا فيه، و أفتى الأكثر بالجواز، و جرى بينهم في ذلك مباحث و رسائل نقضاً و جواباً، و كان من حجة المحرّم ما روي عن النّبي صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: أَخنع رجل يسمّى مَلِك الملوك، و لا ملك الملوك إلا اللّه تعالى. قال شيخنا زين الفقهاء طاب ثراه في بعض مؤلّفاته: فتنظر إن أرادوا ملوك الدنيا و نحوه و قامت قرينة للسّامعين يدلّ على ذلك جاز، سواء كان متّصفا بهذه الصفة أم لا كغيره من الألقاب الموضوعة للتفاؤل او المبالغة، و إن أرادوا العموم فلا إشكال في التّحريم، أي تحريم الوضع بهذا القصد. حكي أنّ ملوك الصّين يقولون: إنّ ملوك الدّنيا خمسة، و سائر النّاس أتباع لهم فيذكرون ملك الصّين، و ملك الهند، و ملك التّرك، و ملك فارس، و ملك الرّوم، و كانوا يسمّون ملك الصّين ملك النّاس، لأنّ أهل الصّين أَطوع النّاس لملكه، و أشدّهم انقياداً للسّياسة، و يسمّون ملك الهند ملك الحكمة؛ لفرط عنايتهم بالعلوم، و تقدّمهم في جميع المعارف، و يسمّون ملك التّرك ملك السّباع؛ لشجاعة الترك و شدّة بأسهم و يسمّون ملك الفرس ملك الملوك؛ لفخامة مملكته و جلالتها، و نفاسة خطرها و عظم شأنها؛ و لأنّها جاءت على الملوك وسط المعمور من الارض، و احتوت دون سائر الملوك على أكرم الأقاليم، و يسمّون ملك الرّوم ملک الجمال؛ لأنّ الرّوم أجمل النّاس وجوهاً، و أحسنهم أحسابا.

حكماء اليونان سبع فرق:

ثمّ اعلمْ أنّ حنين بن اسحق التّرجماني و ابو نصر محمد بن ترخان الفارابي و غيرهما من العارفين بأحوال الفلاسفة، ذكروا أنّ [الحكماء[٤]] اليونانيّين سبع فرق، سميّت بسبعة أسماء

---

١. استحقّوا: ص. ٢. لهم: ساقطة من ص. ٣. الشاهنشاه: مص.

٤. حكماء: ص.

اشتقّت لها من سبعة أشياء، [أولها[1]] من اسم الرجل المعلّم للفلسفة، و الثّاني من اسم البلد الّذي كان فيه مبدأ ذلك العلم، و الثّالث من اسم الموضع الّذي كان تعلّم فيه، و الرّابع من التّدبير الّذي كان يتدبّر به، و الخامس من الآراء الّتي كان يَراها من الفلسفة، و السّادس من الآراء الّتي كان يراها في الغرض الّذي كان يقصد اليه في تعلّم الفلسفة، و السّابع من الأفعال الّتي كانت تظهر عليه في التّعليم. فأمّا الفرقة المسمّاة من اسم الرّجل المعلّم في الفلسفة فشيعة فيثاغورس، و أمّا الفرقة المسمّاة من اسم البلد الذي كان فيه الفيلسوف فشيعة يقال لهم الفيثاغوريّون، و أمّا الفرقة المسمّاة من [الاسم[2]] الّذي كان منه الفيلسوف فشيعة ارسطيقوس من أهل فرونيا و أمّا الفرقة المسمّاة من اسم الموضع الّذي كان يعلّم فيه الفلسفة فشيعة كرسيفس و هم اصحاب الظّلة؛ سمّوا بذلك لأنّ تعليمهم كان في رواق هيكل مدينة اثينة[3]، و أمّا الفرقة المسمّاة من تدبير أصحابها و أخلاقهم فشيعة ديوجانس المعروفون بالكلابيّة، و سمّوا بذلك لأنّهم كانوا يرون اطراح الفرائض المفترضة في المدن على النّاس و محبّة أقاربهم و بغض غيرهم من سائر النّاس، و إنّما يوجد هذا الخلق في الكلاب، و أمّا الفرقة المسمّاة من الآراء التي كان يراها أصحابها في الفلسفة فشيعة فورون، و يسمّون أصحاب اللذّة؛ لأنّهم كانوا يرون أنّ الغرض المقصود إليه في تعلّم الفلسفة اللذّة التّابعة لمعرفتها، و أمّا الفرقة المسمّاة من الأفعال الّتي كانت تظهر عليها فشيعة افلاطون[4] و أرسطوطاليس، و يعرفون [بالمشّائين[5]] لِأنّ افلاطون[6] و أرسطو كانا يعلّمان النّاس و [هما[7]] يمشيان، كيما يرتاض البدن مع رياضة النّفس. و قال صاحب الملل و النّحل: و أمّا المشاءون المطلق فهم أهل لوقين، و كان افلاطون[8] تلق الحكمة ماشياً تعظيما لها، و تابعه على ذلك أرسطو، فيسمّى هو و أصحابه [المشائين[9]]، ثم قال: و كان لأفلاطون[10] تعليمان: تعليم كَلَيْسٍ و هو الرّوحاني، الذي لا يدرك بالبصر و لكن بالفكرة اللّطيفة، و تعليم كَأَيْسٍ و هو الهيولانيّات. فهذه

---

١. احديها: ص. ٢. اسم: ص. ٣. ابثينية: ص.
٤. أفلاطن: ص. ٥. المشّائين: ص. ٦. أفلاطن: ص.
٧. هي: ص. ٨. أفلاطن: ص. ٩. المشّائين: ص.
١٠. أفلاطن: ص.

طبقات الفلاسفة اليونانيّين.

ثم لا يخفى أنّ العلوم الّتي يتعاطاها النّاس أربعة أجناس، منها الرياضيّة، و منها الشّرعيّة، و منها الوضعيّة، و منها الفلسفة الحقيقيّة، و لِكلّ واحد منها أصل هم فيه متفاضلون متفاوتون، ما بين فاضل و مفضول، و تابع و متبوع، و لكلّ منها ضدّ موضوع له أيضا أهل و أصحاب متفاضلون فيه تابعون و متبوعون. فأمّا الرّياضيّة فهو علم الآدب الّذي وضع أكثرها لطالبي المعاش، و لها أهل و هم أفاضل من النّاس، و من تبعهم و يتعلّم منهم و يأخذ عنهم و هم متعلّمون و معلّمون، و أضدادهم من النّاس من كان بالضّدّ ممّا لسبيله، و منهم تابعون و متبوعون، و أصناف الآداب تسعة، أولها: القراءة، و الكتابة، و علم النّحو، و اللّغة، و علم الحساب، و العلامات. و منها علم الشّعر و العروض. و منها علم الزّجر[1] و الفال و ما شاكلها؛ و منها علم الحرف و الصّنائع؛ و منها علم البيع [و الشراءِ[2]]، و التّجارات و الحرث و النّسل؛ و منها علم السّير و الأخبار.

و العلوم الشّرعية هي الّتي وضعت لطلب الآخرة، و رجاء الوعد عليها بالثّواب لمن عملها، و الوعيد بالعقاب لمن تخلّف عنها، و هي تسعة أنواع: أولها: علم التّنزيل، و ثانيها علم التّأويل، و ثالثها علم الرّوايات و الأخبار، و رابعها علم الفقه و السّنن و الأحكام، و خامسها علم التّذكار و المواعظ و التّصوف، و سادسها علم تأويل المنامات، و سابعها علم التوحيد، و ثامنها علم المبادئ، و تاسعها الجمع بين التّنزيل و التأويل على الحدّ و التّرتيب، و لكلّ صنف من هذه الأصناف أهل و أصحاب هم بها قائمون، و عليها دائمون، و كلّ منهم له مقام معلوم و جزء مقسوم، و هم كالبدن القائم بأعضائه بصلاح مشيته و استواء بنيته. فأما أصحاب التّوحيد و المبادى فهم الأنبياء و الرّسل، الّذين تلقّوه من الملائكة المقرّبين بنفوسهم الزكية، و عقولهم المضيئة فهم أصحاب الأحكام و الأوامر و النّواهي و العزم و القطع، و لكلّ واحد منهم كتاب هو مخصوص به، و أمته: [التي[3]] بعث فيها[4] و أرسل إليها[5]،

---

۱. اثارة الطير للتيمّن بسنوحها و التشاؤم ببروحها. و الزجر: العيافة و هو ضرب من التكهن. راجع لسان العرب مادة زجر.

۲. و الشّرى: ص. ۳. الذي: ص. ٤. فيهم: ص.

٥. فيهم: ص.

و أمّا أصحاب التّأويل فهم خلفاء الأنبياء عليهم السلام. و علماء الرّوايات هم أصحاب الحديث، و علماء الأحكام و السّنن هم الفقهاء، و علماء التّذكار هم العبّاد و الزّهاد و الرّهبان.

و العلوم الفلسفية أربعة أجناس: الرّياضيّات، و الطّبيعيّات، و المنطقيّات، و الالهيّات. فأمّا الرّياضيّات فأربعة أنواع: الأرثماطيقي، و هو معرفة ماهيّة العدد، و كيفية أنواعه و خواص تلك الأنواع و كيفية نشرها من الواحد الذي قبل الإثنين، و ما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض. و الثّاني الهندسة و الجومطريا، و هو معرفة ماهية المقادير ذوي الأبعاد، و كميّة أنواعها و خواص تلك الأنواع، و ما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض، و كيفية مبدئها من النقطة التي هي رأس الخط، و هي في صناعة الهندسة كالواحد في صناعة العدد. و الثّالث الاسطرنوميا، و هي النّجوم و هو معرفة كمّية الأفلاك و الكواكب و البروج، و كمّية أبعادها، و مقادير أجرامها، و كيفية تركيبها، و سرعة حركاتها، و كمية دورانها، و ماهية طبائعها، و كيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها. و الرابع: الموسيقي الذي هو علم التّأليف، و هو كيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر، المتباينة الصّور، المتضادّة القوى، المتنافرة الطباع، و كيف [تجمع و تؤلّف[1]]، و يتّحد[2] بعضها مع بعض[3] و تصير[4] شيئا واحدا، و تفعل[5] فعلا واحدا أو عدّة أفعال.

و العلوم المنطقية خمسة أنواع: أولها: انولوطيقا، و هو معرفة صناعة الشّعر؛ و الثّاني لوطيقا، و هو معرفة صناعة الخطب؛ و الثّالث طونيقا، و هو معرفة صناعة الجدل؛ و الرّابع نوطيقا، و هو معرفة صناعة البرهان؛ و الخامس سوفسطيقا، و هو معرفة صناعة المغالطين في المناظرة و الجدل. و قد تكلّم العلماء الأوّلون و الآخرون في هذه الصّنائع و وضعوا فيها كتبا هي موجودة في أيدي النّاس، و قد عمل أرسطاطاليس ثلاثة كتب أخر و جعلها مقدمات لكتاب البرهان، أولها: قاطيغورياس، و الثّاني باراريميناس، و الثّالث انولوطيقا. و سنذكر ـ [إن شاء[6]] الله تعالى ـ في تضاعيف أحوال المعلّم ما سعى في تدوين المنطق و

---

١. يجمع و يؤلف: ص. ٢. و تتحد: ص. ٣. ببعض: ص.
٤. يصير: ص. ٥. و يفعل: ص. ٦. انشاء: ص.

تهذيبه، ـ شكر اللّه سعيه ـ، و إنّما غرضنا في [عدّ[1]] هذه العلوم و ذكر هذه الصنائع؛ ليعلم النّاظر فيها و المتأمّل لها أنّها كلّها دالّة على توحيد خالق الأشياء و مبدعها، لا إله إلّا هو، و أنّها ألسنة ناطقة [تنطق[2]] بالتّوحيد ما كان منها حقّا و صدّقه البرهان، و وكّده العيان، متقن للصّنعة، قائم بالحكمة، و ما كان بخلاف ذلك ممّا يدعو إلى التّعطيل و التّشبيه و التّمثيل و الإلحاد فهو الباطل، المخالف للحقّ، الذي يجب على العقلاء رفضه، و البعد منه، و التّحول عنه.

هذا ما أردنا بيانه في المقدمة.

---

١. تعديد: ص. ٢. ينطق: ص.

المقالة الأُولىٰ

المقالة الأُولى في أحوال الحكماء من لدن آدم ـ على نبيّنا و عليه السّلام ـ إلى بداية الاسلام، و نقل حكمهم البالغة و كلمهم النّافعة.

[١] ـ آدم

أول الحكماء آدم أبو البشر و خليفة اللّه في الأرض، استخلفه في عمارة الأرض، و سياسة النّاس، و تكميل نفوسهم لقصور المستخلف عليهم عن قبول فيضه، و تلقّي أمره بغير وسيط[١]. و عن عبداللّه بن مسعود قال: قال سيّدنا رسول اللّه ﷺ : لمّا خلق اللّه تعالى آدم، و نفخ فيه الرّوح عطس آدم، فألهم أنْ قال: ألحمدللّه ربّ العالمين فأوحى اللّه ـ عزّ مجده ـ يا آدم حمدتني، فوعزّتي و جلالي لَولا عبدان[٢] أريد أن أخلقَهما في آخر الدّنيا ما [خلقتك[٣]]. قال: أي ربّي فتى يكونان و ما سمّيتهما؟ فأوحى اللّه تعالى إليه أن ارفع رأسك، فرفع آدم رأسه، فإذا تحت العرش مكتوب: لا إله إلّا اللّه، محمد نبيّ الرّحمة، عليّ مفتاح الجنّة، أُقسم بعزّتي أنّي أرحم من تولاّه، و أعذّب من عاداه. و قد أنزل اللّه ـ تعالى ـ على آدم أربعين صحيفة، فيها الشّرائع و الحكم، و كان في الدّور الأول بعد خراب الرّبع المسكون بالطّوفان، و إنّ الله العليم علّمه العلوم الشّريفة بأسمائه، ثم علّم العلم بالأسماء و حقائق الأشياء، و ما كان يتعلّق بمصالح العباد و منافع الدّواء.

تقسيم الاسماء لدى العرفاء:

و الأسماء عند المحقّقين من العرفاء تنقسم باعتبار الذّات و الصّفات و الأفعال الى الذاتية كاللّه، و الصّفاتية كالعليم، و الأفعالية كالخالق، و تنحصر باعتبار الأنس و الهيبة عند

---

١. وسطه: ص. ٢. عبدين: ص. ٣. خلقك: ص.

مطالعتها في الجمالية كاللطيف، و الجلالية كالقهّار. و الصفات تنقسم باعتبار استقلال الذات بها إلى ذاتية، و هي سبعة: الحياة، و العلم، و الإرادة، و القدرة، و السمع، و البصر، و الكلام. و باعتبار تعلّقها بالخلق إلى افعالية، و هي ماعدا السبعة، و لكلّ مخلوق سوى الإنسان حظّ من بعض الأسماء دون الكلّ، كحظّ الملائكة من اسم السّبّوح و القدّوس؛ و لذلك قالوا: «و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك». و حظّ الشّيطان من اسم الجبّار؛ و لذلك عصى و استكبر. و اختصّ الإنسان بالحظّ من جميعها؛ و لذلك أطاع تارة و عصى أخرى، و قوله ـ تعالى ـ «و علّم آدم الاسماء كلها» اى ركّب في فطرته من كلّ اسم من أسمائه لطيفة، و هيئه بتلك اللّطائف: [لتحقّق[1] كلّ] الأسماء الجمالية و الجلالية و عبّر عنهما بيديه، فقال لإبليس: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[2]»؟ و كلّ ما سواه مخلوق بيد واحدة؛ لأنّه إمّا مظهر صفة الجمال كملائكة الرحمة، و إمّا الجلال كملائكة العذاب.

و أمّا الانسان فتارة يكون متّصفاً بالجمالية، و تارة بالجلالية بحسب أغلبيّة أحدهما، فبحسب غلبة الجمالية بالعقل يكون الإنسان نبيّاً، أو رسولا، أو وصيّا، أو مؤمنا موحّدا. و بحسب غَلبة الجلالية بالعقل يكون الانسان شيطاناً، أو فرعونا، أو نمرودا، أو أمثالهم. و إلى تركيب الإنسان و خلقه[3] بهذه الأوصاف قال اللّه ـ تعالى ـ: «خَلَقْتُ بيَدَيَّ». و في الحديث القدسيّ: خَمَّرْتُ طِينَةَ آدمَ بِيَدَيَّ اَربَعِينَ صَباحاً. أشار بقوله خمّرتُ إلى استخلاص النّطفة و استخراجها من أصولها الّتي لابدّ لها من إخراجها منها، و كون ذلك[4] التّخمير في المدّة المذكورة كناية عن حصول الاستعداد لقبول فيض الصورة عليها، بسبب حصول ذلك التخمير و الاستخلاص، و المراد بالطّينة هي العناصر المستجمعة بعضها في بعض، حتى صارت مستعدّة ملتئمة بعد تباينها و تضادّها، و المراد باليدين عند المحقّقين ليس إلّا الصّفتين المذكورتين.

مفصّل و موضح اين كلام آنكه ذات احديّت را با هر صورتى و تعيّنى از صور علميّه نسبتى خاص است، و آن را نزد طايفه صوفيه نسبت اسمائيه مى‌گويند، زيرا كه هر نسبتى

---

۱. لتحقق لكلّ: ص. ۲. سورة ص، الاية ۷۵. ۳. و تخليقه: ص.
۴. تلك: ص.

صفتی است، و ذات با هر یکی از صفات اسمی است، و از این جهت گفته‌اند که اسم عین مسمّیٰ است، و در اصطلاح این طایفه اسم ذات مسمّیٰ است به اعتبار صفتی از صفات، خواه صفت وجودی مثل علیم که ذات مع العلم است، یا صفت سلبی همچو قدوس که ذات مع القدس است، یعنی منزّه از عیب، و باید دانست که مراد باسمائه این اسماء ملفوظه است، زیرا که این اسماء ملفوظه را اسماء اسما می‌خوانند، و اسماء به اعتبار ذات و صفات و افعال منقسم می‌شوند به ذاتی مثل الله، و صفاتی همچون علیم، و افعالی مثل خالق، و هر شیء از اشیاء و تعیّنی از تعیّنات جزویه و کلیه مظهر اسمی‌اند از اسماء جزویه و کلیه الهیه، و اسماء الهیه به اعتبار صفات متضادّه متقابله مثل لطف و قهر، و رضا و سخط منحصر در جمالیه و جلالیه‌اند، و هر مخلوقی که غیر انسان است محفوظ از بعضی اسماست، مثل ملائکه که مظهر سبّوح و قدّوس‌اند، فلهذا گفتند که: «نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك»، و شیطان که مظهر تجبّر و تکبّر واقعست از این جهت «أبیٰ و استکبر» فرمود، و انسان که عبارت از هیأت اجتماعی است مجلی و مظهر جمیع اسماست، و از این جهت است که گاهی مطیع و گاهی عاصی است، و حق تعالی می‌فرماید که: «و علّم آدم الاسماء کلّها[1]»، یعنی طینت آدم را در فطرت مرکب گردانیده از جمیع اسماء جلالی و جمالی که معبر به یَدَیْن شده‌اند که «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[2]»، و غیر انسان هر یکی مخلوق به یَدِ واحده‌اند، زیرا که یا مظهر اسماء جمالیه‌اند همچو ملائکهٔ رحمت، یا مظهر اسماء جلالیه‌اند مثل شیطان و ملائکهٔ عذاب، و مبدأ و معاد هر شیء همان اسمی است که آن شیء مظهر و مربوب آن اسم واقع شده است، چه مبدأ هر یکی از اسم خاص است که از آن اسم ظهور یافته‌اند، و باز معاد هر یك همان اسم خواهد بود که «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ[3]»

و في كتاب مفتاح الغيب و شرحه[4]: من أسماء الذات ما تعيّن حكمه في العالَم و بالعالَم، أو بحكمه يعلم إمّا من خلف حجاب الأثر و هو حظّ العارفين من الأبرار، و إمّا أن يدرك كشفاً و شهوداً بدون واسطة و حجاب و هو وصف المقرّبين الكل.

---

۱. سورة البقرة، الاية ۳۱. ۲. سورة ص، الاية ۷۵. ۳. سورة الاعراف، الاية ۲۹.

٤. مفتاح غيب الوجود و شرحه المسمى «مصباح الانس»: مص.

و من الأسماء الذاتيّة ما لم يتعيّن له في العالَم حكم، و هو الذي استأثر الحقّ به في غيبه، كما أشار إليه النّبيّ ﷺ اللّهمّ إنّي أسئلك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من عبادِكَ، أو استأثرت به علم غيبك ... ويلي هذه الأسماء أعني أسماء الذات أسماء الصّفات، و هي[١] التي [تشعر[٢]] بنوع تكثّر معقول او ملحوظ أَي محسوس كالواحدة، من حيث كونها نعت الواحد، لا من[٣] حيث كونها عين الواحد.

ثمّ أسماء الأفعال، و هي الّتي يفهم منها معنى الفعل، كالقبض و البسط و الإحياء و الإماتة و الخلق و الإحصاء و نحو ذلك، و قال الفاضل المفسّر النيشابوري: إنّ بين الخلق و بين أسماء اللّه تعالى مناسبات عجيبة، و النّفوس مختلفة، و الجنسيّة علّة الضّم، فكلّ اسم يغلب معناه على بعض النّفوس، فإذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به أسرع.

حكي أنّ الشيخ أبا النّجيب البغدادي كان يأمر المريد بالأربعين مرّة أو مرّتين، بقدر ما يرى مصلحته فيه، ثم يقرأ عليه الأسماء التّسعة و التّسعين، و كان ينظر إلى وجهه، فإن رأى[٤] عدم التأثّر عند قراءتها قال له: اُخرج إلى السّوق [و اشتغل[٥]] بمهمّات الدّنيا، فإنّك ما خلقت لهذا الطّريق، و إن رآه يتأثّر مزيد تأثّرٍ عند سماع اسم خاص أمره بالمواظبة على ذلك الذّكر، و قال: إنّ أبواب المكاشفات [تنفتح[٦]] عليك من هذا الطّريق، و ذلک أنّ الرّياضة و المجاهدة لا [تقلّب[٧]] النفوس عن أحوالها الفطريّة، و لكنّها [تضعف[٨]] بحيث لا يستولي الشّيطان على الإنسان، و لهذا قال النّبي ﷺ: إنَّ النَّاسَ مَعادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ و الفِضَّةِ.

تشبيه فيه تحقيق:

انّ صورة الانسان[٩] أجلّ الأشكال و أتمّ الصّور[١٠]، و ذلك أنّه منتصب، و هو الصّراط الممدود بين الجنّة و النّار، و هو سيّد الصّور، و جميع الصّور ممّا دونه ساجدة له و راكعة، و هو

---

١. و هو: ص. ٢. يشعر: ص. ٣. لامن كونها: ص.
٤. فيه: ص. ٥. و استغل: ص. ٦. ينفتح: ص.
٧. يقلّب: ص. ٨. يضعف: ص. ٩. آدم: ص.
١٠. الصورة: ص.

ربّها المجازي و سيّدها، فهو يسوسها سياسة ربّانية، و يتصرّف فيها تصرّف الملاّك في أملاكه، و هي مكلّفة بطاعته[1] و السّجود له، و هو مكلّف بطاعة[2] بارئه و الخضوع له، و التّضرع إليه، و الإجتهاد في القرب منه، و معرفته حقّ معرفته، و لزوم طاعته و عبادته سبحانه حقّ عبادته. و لمّا كان هذا الجسم الّذي هو الصّورة الإنسانيّة المختصّة بهذه البنية المحكمة العجيبة، القائمة بالحكمة البالغة الجميلة، الفاضلة على جميع أشخاص الحيوان، و انّه مالكها يتحكّم فيها و عليها تحكّم الأرباب، كان من جملته أيضا موجود مثل ما هو موجود في جمله العالَم من الفاضل و المفضول، و الرّئيس و المرؤوس، و السّائس و المسوس، ليكون موافقاً بخلقه الصّغير ما في العالَم الكبير، و لمّا شبّهناه بالمدينة العامرة، و كان في تلك المدينة رئيسٌ يدبّرها، و يرمّ حالها، و يضع أهلها كلّامنهم في موضعه، و يعطيه ما لا غنىً به ممّا يستحقّه، و كان له خواص من أجلّائها و أشرافها، و كان فيها عقلاء و أخيار، و سفهاء و أشرار، و أنّهم كلّهم واقفون تحت أمر الملك، و انّه متحكّم فيهم، و أنّهم مؤتمرون لأمره، و قابلون منه مادام ينظر فيهم و يتفقد أحوالهم من غير اشتغال عنهم، فهم منه خائفون، و إلى طاعته منقادون، و إنّه متى غفل عنهم و اشتغل بنهمته و أخذ في لذّته هان عليهم، و خرجوا من طاعته، و ارتكبوا كشفه، و تملّكوه بعد أن كان تملّكهم، و يصير هو كالعبد و هم السّادة و الموالي، و كذلك النّفس الناطقة هي رئيسة الجسد و ملكته، و كلّ ما فيه آلة لها يظهر بها، و منها أفعالها و صنائعها و عجائبها، ممّا هو فيها بالقوة إلى الفعل، من الموادّ المتّصلة بها من النفس الكلّية، و ان معها و مقارناً لها [من يغويها[3]] و يخدعها و يجذبها إلى شهوات الطبيعة و لذّاتها، و يدعوها إلى كل ما نهيت عنه، و تناول ما حذّرت منه و خطر عليها تناوله، و أمرها ربّها بالبعد عنه و التّخلّي منه، و أن لا [تقربه[4]] و لا [تدنو[5]] إليه إلّا بقدر ما [تجد[6]] الحاجة إليه، و ما لا غنى بها عنه، و كانت الطبيعة و لذّاتها الحسّية و الانهماك في نومة الغفلة و رقدة الجهالة هي الشجرة المنهيّ عن أكلها، و كانت النّفس الناطقة في هذا الموضع مثل آدم،

---

١. طاعته: ص. ٢. طاعته: ص. ٣. من نعوتها: ص.

٤. يقربه: ص. ٥. يدنوا: ص. ٦. يجد: ص.

و كانت النّفس الشهوانية مثل إبليس المغويّ. و لذلك انّها[1] متى انخدعت النّفس النـاطقة للنّفس الغضبية و قبلت منها، و سارعت إلى شهواتها، و انهمكت في لذّاتهـا، وقـعت في الخطيئة، و فارقتها الأنوار العقلية، و انكشفت عورتها، و نـزع عـنها لبـاس التّـقوى، و استوجبت العقوبة و الهوان. و كما أنّ إبليس كان أكبر همّه و أشدّ غرضه ـ لما أضمره من العداوة لآدم ـ هو أن يوقعه في الخطيئة ليزول عنه لباسه، و ينقطع عنه مـوادّ إفـادته، و يسخط عليه ربّه؛ كذلك النّفس الشّهوانية مع النّفس الناطقة؛ و لذلك قال الحكيم النّاطق و النّبي الصّادق ـ صلوات اللّه عليه و آله ـ: رَجَعْنا مِنَ الجِهادِ الأَصغَرِ إلى الجِهادِ الأَكْبَرِ. يعني بالجهادِ الأصغرِ السّيف و العدّو المخالف، و بالجهاد الأكبر مجاهدة النّفوس الناطقة للنفوس الشّهوانية و الغضبيّة.

فالنّفس الناطقة متى عطفت على فوائد العقل و قبلت فيضه و موادّه، تخلت عن الطبيعة إلّا بقدر ما يحتاج إليه منها، اذا كانت مبتلاة بها محتاجة إليها، لما كان منها من الخـطيئة و الزّلة. و كان الأصل في ذلك أنّ النّفس الجزئية كان فيها فتور عن قبول فوائد النّفس الكلية و الموادّ العقليّة، فأهبطت إلى عالَم الجسم، جعل لها واسطة لتناول العلوم بالحسّ؛ [لتتصوّر[2]] بتأمّل المحسـوسات المـركّبات صـور الأشـياء المـعقولات الرّوحـانيّات المجـرّدات مـن الهيولانيّات، فإذا فارقت المحسوسات و بقيت آثارها فيها، و شاهدت الصّور العقلية المجردة من الهيولي كان ذلك مُعِيناً لها على الاتّحاد بها، و الكون بحيث هي، و هي جـنّة المأوى و الفردوس الأعلى؛ و لذلك قال اللّه سبحانه: «و أُتُوا بِهِ مُتشابِهاً[3]» و قولهم: «هذا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْل[4]» يعنون و هم في محل الأجسام في دار الدّنيا، و هي الصّورة الباقية، و اللذّات الدّائمة الموجودة في عالَم العقل وجوداً تامّاً لا تشوبُه[5] شوائب التغيير و الزّوال، و الانتقال من حال إلى حال، و إنّما تنال النّفس ذلك مادامت مجتهدة في التعلُّم و التّرقي من حال الى حال. و قد كانت الفوائد بها متّصلة بنوع هو أشرف من هذا النّوع قبل الخطيئة و إليه يعود إذا تخلّصت ممّا وقعت فيه إذا انتبهت من نوم غفلتها و رقدة جهالتها، و تابت كما تاب آدم لمّا ندم على

---

١. انه: ص.
٢. ليتصور: ص.
٣. سورة البقرة، الاية ٢٥.
٤. سورة البقرة، الاية ٢٥.
٥. يشوبه: ص.

معصيته بعد وقوعه في خطيئته، و كما أنّه لمّا تاب آدم و غفر له ربّه و تاب عليه، و ردّهُ إلى دار كرامته، و عوّده[1] من رحمته، حزن إبليس و ازداد حسده و إضراره، و أقبل يغوي ولده، و يطرح بينهم العداوة و الشّرور، يعلّمهم المكر و الخديعة و قول الزّور، و نصب لهم الحيل. فكلّ نبيّ ظهر، و كلّ رسول بعث، إنّما هو رحمة من اللّه ـ سبحانه ـ بعثه إلى خلقه ليحذّرهم و ينذرهم. ألا ترى أنّ كلّ رسول بعث و كلّ نبيّ نطق، عرّفه اللّه ـ سبحانه ـ بقصّة آدم و إبليس؟! و أمره أن يحذر أمته من إبليس و عمله و تغريره بخيله و رجله، فهذا كان السّبب في [مجيء[2]] الانبياء، و تواتر الرّسل، و إقامة الشّرائع؛ ليزول طمع إبليس، و تنحسم موادّ شرّه و أذيّته و غوايته لبني آدم.

و كذلك أيضا إذا عطفت النّفس النّاطقة عن شهوات النّفس الغضبيّة التي هي إبليسها و عدوّها، و أيست النّفس الغضبيّة من وقوع النّفس النّاطقة في حبائلها، حزنت و ذلّت و هو قتلها و موتها. ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ «فَتُوبُوا إِلَىٰ بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ[3]» و كذلك إذا آن الوقت المعلوم الذي فيه كشف الحقائق و زوال دور السّتر بموت إبليس من شدّة الحزن و الأسف و الحسرة و النّدامة، و يكون قتله و قتل حربه و انقراض خيله و رجله، و هلاك قبيلته، فلا يبقى له أثر.

و كلّ نبيّ بعث و كلّ رسول نطق بالحكمة، فلا بدّله من إبليس يكون معه يُظهر له النّصيحة، و يُضمر له العداوة، و يدبر على فساد أمره بالحيلة و الخديعة؛ إذ كان النّبيّ في عصره و الرّسول في زمانه بمنزلة آدم في وقته، و أنّ أهل ذلك العصر هم أولاده و بنوه و ذريّته، كما قال النّبي ﷺ لمولانا عليّ عليه السلام أَنَا وَ أَنْتَ [أَبوا[4]] هَذِهِ الأُمّةِ. و أنّ الرَّسُولَ قَدْ عَصَمَهُ اللّهُ وَ حَمَاهُ مِنْ إِبلِيسِهِ، و عَرَّفَهُ إِيّاهُ فَلاَ [تتمّ[5]] حيلتُه عليه، وَ لاَعَلى أَهلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجسَ وَ طَهَّرَهُم تَطْهِيراً، و هم الذين أشار إليهم بقوله: « إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ[6]» و قوله ـ تعالى ـ على لسان ابليس[7] «إِلّا عِبادَكَ مِنهم المُخلَصِينَ[8]» و بالبرهان أنّ

---

۱. و اعوده: ص. ۲. مجی: ص. ۳. سورة البقرة، الاية ٥٤.
٤. أبو: ص. ٥. يتم: ص. ٦. سورة الحجر، الاية ٤٢.
۷. على لسان ابليس: ص. ۸. سورة ص، الاية ۸۳.

المحذِّر لغيره من الشرّ لا يكاد هو يقع فيه، و انّما كان وقوع آدم في الخطيئة و تمّت عليه الحيلة لأنّه كان البداية، و قد عهد اللّه سبحانه إليه بذلك، و أعلمه أنّ إبليس عدوٌّ له و لزوجه[1] و حذّره منه و نهاه عنه، فنسي. و كذلک أخبر اللّه عنه بقوله: «و لَقَدْ عَهِدنا إلى آدمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ[2]» و الَّذين جَاؤُا مِن بَعدِهِ مِن ذُرِّيَّتِهِ فقد أعلمهم[3] الله سبحانه ما كان من أمر آدم و إبليس، و قَصّ[4] عليهم قِصّته و حذّرهم منه و من عمله، و سمّى الأنبياء و المرسلين من ذرّيّة آدم أولي العزم؛ لأنّهم عزموا على قطع ما أسّسه إبليس من المعصية للّه ـ عزوجلّ ـ، و إخراج ذريّة آدم من الخطيئة التي أوقعهم إبليس فيها و دعاهم إليها، فسمّاهم اللّه ـ سبحانه ـ أولي العزم من الرّسل، و لم يكن لآدم من العزم ما لهم؛ لأنّه أول مخدوع خدعَهُ عدوّه حتى أوقعه في الخطيئة؛ لِنسيانه و أكله المنهيّ عنها.

و كلّ من[5] جاء مِن الأنبياء و المرسلين و الأئمّة الهادين الذين هم قيام في الأمة، مستحفظين للودائع النّبويّة، فهم[6] توابيت الحكمة، و بيوت[7] أَذنَ اللّه أن يرفع، و معهم[8] تابوت السكينة، الذي يحمله الملائكة الموكّلون بحفظه حتى يقوم مستحقّه، يتوارثه الخلف عن السّلف، آية الله في الأرض، و علمه المحض، فمن عرفهم و اتبع سبيلهم و اهتدى بهداهم فقد أخلص العبادة، و نجا من الأبالسة من الجنّ و الإنس، الظّاهرين بالعداوة، و الباطنين معه في جسده، [يجرون[9]] منه مجرى الدّم، فإذا نجا و تخلّص من شباكهم كان ملَكا من الملائكة بالقوّة مادام مع الجسد، فإذا فارقت جسده نفسه صار ملَكا بالفعل، و من غفل عن دعوة الأنبياء و لم يستجب إليهم، و تبع شياطين زمانه و فراعنة وقته، و انهمك في [شهوات[10]] نفسه الدّنيّة الرذلة، فاتته الفوائد العقلية، و خرج من جمله الذّرّية الطاهرة، و صار في حزب الشّياطين الجسمانيين بالقوّة، فاذا مات صار شيطاناً بالفعل، روحانيّاً غويّاً مغوياً رئيساً في ضلالته، يغوي من قدر عليه بالوسوسة، كما قال الله ـ سبحانه ـ شَياطِين

---

١. و لزوجته: ص.
٢. سورة طه، الاية ١١٥.
٣. اعلمه: ص.
٤. وَ نصّ: ص.
٥. جاء الانبياء: ص.
٦. فهو تابوت: مص.
٧. بيت: مص.
٨. و معه: مص.
٩. تجرون: ص.
١٠. شهواته: ص.

الإِنْسِ و الجِنِّ يُوحي بَعْضُهُمْ إلى بَعضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً[1]». و لا يزال هذا الأمر كذلك، كلّ من تهذّبت نفسه و زكت أعماله، و حَسُنت أفعاله صار ملكا، و ارتقى إلى الحالة الفاضلة إلى دار الكرامة و محل النعمة، و كل من أخلد إلى الطبيعة، و سكن إليها، و انهمك في شهواتها في الحسّيّات، و استحلّ المحرّمات، و عدل عن إفاضة الأشخاص العالية فهو عند الموت عائد إلى دار الهوان و محلّ الأسقام و الآلام، و يبقى في جهنّم الكون و الفساد، «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقوا العَذابَ» فلقد صدق مَن قال بالنّظم الفارسيّ في هذا الباب، شعر:

ای نقد اصل و فرع ندانم چه گوهری
کز آسمان بلندتر، از خاک کمتری
دل بد مکن که تیرگی چار عنصری
خود بین مشو که آینهٔ هفت کشوری
بنیان توست مستعد نقش علو و سفل
خواه آسمان و خواه زمین شو مخیّری

و قال بعض حكماء الإسلام: لمّا كان آدم جسماً ذا طبائع متضادّة وجب له الفناء، فكان بقاؤه مدّة مقدّرة له لتمام الامر و نفاذ الحكم، ثم توفّاه الله إليه و جعل منزلته محفوظة يتوارثه[2] الصّفوة الطّاهرة من ولده، كلّما مضى سلف أعقبه خلف، فالمنزلة محفوظة، و هي مرتبة النّبوة، و منزلة الرسالة، و كلّ نبيّ ظهر و كلّ رسول بعث ففي مقام آدم، و عنه ناب في تأديب ذرّيته، و بسط دعوته و كلهم آدم بالنسبة إليه، فهذه معرفة آدم، و كذلك إبليس لمّا كان شخصاً من الأشخاص التركيبيّة بنوع ما كان إنسياً أو جنّيا، لكنّه لم يأتِ آدم إلّا في الصّورة الإنسانية، و بذلك خدعه؛ لأنّه كلّمه و فهم عنه ـ كذلك جاء في الخبر ـ و كان منه ما كان، ثمّ قضى عليه ما يقضي على المخلوقين من أنّه لا يبقى على حالة الدوام شيء، و لا بدّله من التغيير و الاستحالة، و إنّما كان سؤاله للنظرة أن تبقى[3] منزلته محفوظة لمن يخلفه[4] فيها و

---

١. سورة الانعام، الاية ١١٢.
٢. يتوارثه: ص.
٣. يبقى: ص.
۴. تخلفه: ص.

ينوب مَنابه، و يقوم مقامه، و يعمل عمله، و يتمّ دعوته، و يكمل معصيته. فكل عدوّ قام بإزاء كلّ نبيّ بعث فهو إبليس، إذ كان يعمل مثل عمله، و يقوم بمثل ما قام به، و كما أنّ كلّ نبيّ هو بمنزلة آدم، كذلك كلّ عدوّ لأوليائه هو بمنزلة إبليس، و منزلته محفوظة على ولده و ذرّيته طول دور السّتر، فهذه معرفة آدم و إبليس و بقائهما في العالم بالوجيز من القول.

و أمّا القول في قصّة آدم و حواء و الشجرة و إبليس و الخطيئة التي أهبط من أجلها من الجنّة على ما بيّن هذا الحكيم فهو: أنّ الله سبحانه لمّا خلقه أسكنه الجنة التي هي دار كرامته، و محل نعمته في جواره الأمين و قراره المكين، مقرّ عباده المصطفين من الملائكة المقرّبين، و عهد اليه أن لا يقرب شجرة عرّفه إيّاها، و نهاه عن أكلها، و أعلمه أنّها مذخورة إلى وقت معلوم، و أنّ بها يكون العود إلى البداية، و أنّه لا تبدو ثمرتها، و لا يحلّ أكلها إلّا عند النهاية، و أنّها بقية دور الكشف الأول، فتكون[1] مدّة الستر الذي قدّره الله سبحانه أنّ آدم أول المستخلفين فيه، أنّ ثمرة تلك الشّجرة تكون مستورة في أكمامها، مخبئة تحت ورقها، [مكمونة[2]] في أغصانها، و لا يكاد مخلوق في دور الستر [يقف[3]] عليها، و لا يصل إليها، و لا يتناول شيئاً منها، إلّا في الوقت الذي قدّره الله، و الزمان الذي سيّره، إذا بدا دور السعادة، و ظهرت النفس الزكية في يوم العرض الثاني، إذا تجلّت[4] النفس الكلية لفصل القضاء، فعند ذلك تبدو شجرة سدرة المنتهى، و بها يكون النشأة الأخرى. و عهد الله عزّوجلّ إلى آدم و أطلعه على ذلك، و أعلمه أنّ ذلك لا يجوز إظهاره إلّا في وقته، و لا يتهيّأ إباحته إلّا في زمانه، و إباحة ما سوىٰ ذلك من كلّ الشجر، و التناول من أصناف الثمر ما يكون غذاء له و لمن هو معلّم له، فَلَمّا زَيَّن [له[5]] الشيطان سوءَ عَمَلِهِ، و حمله على ارتكاب ما نهى عنه، أخذ ما لا يحلّ، و تناول ما حظر عليه، و لم يمكنه ذلك إلاّ بالحيلة عليه و الملاطفة له و لزوجه[6]، و كان من [حيله[7]] أنه جاءه في صورة الناصح المشفق، يطلب منه الفائدة بالسؤال و التذلّل، فقال له: إنّك قد آتاك الله من العلم و الحكمة ما لم [يؤته[8]] أحدا من قبلك، و قد فضّلك الله على

---

١. فيكون: ص. ٢. مكنّة: ص. ٣. تقف: ص.

٤. تحلّت: ص. ٥. له: ساقطة من ص. ٦. و لزوجته: ص.

٧. حياله: ص. ٨. مَا لم تؤته: ص.

جميع الملائكة الذين أمرهم بالسّجود لك و الخضوع بين يديك، و جعلك معلّماً لهم تعلّمهم أسماء ما يكون، و لم يبق عليك إلّا معرفة شيءٍ واحد، و لو عرفته كنت من الملائكة العالين، الذين لم يؤمروا بالسجود لك، و لم يدخلوا في طاعتك، و لهم المقامات العالية، و الدرجات السامية عند الله. فقال له آدم: ما هذا العلم الذي أخفاه الله عنّي و لم يُطلعني عليه؟ و قد علم أنّي محتاج إليه غير مستغنٍ عنه، فقال له عدوّه ـ و هو[1] يريه أنّه من الناصحين ـ: هو علم القيامة، و كون[2] النشأة الأخرى، و البروز لفصل القضاء، و كيفية بروز الصّورة الروحانية المعرّاة من الأشخاص الهيولانية في دار البقاء، و لو علمت هذا العلم أنت و زوجك لكنتما ملكين و كنتما من الخالدين، عنى أنّهما لو كانا من أهل دور الكشف لكانت خلقتهما روحانية و لم [تكن[3]] جسمانيّة، إذ كان البقاء و الخلود على الحال الأفضل بالنفس أشبه من الجسم.

فعند ذلك اشتاقت نفس آدم إلى ذلك، و أراد الاطّلاع عليه بالإظهار له من حدّ القوة إلى حدّ الفصل؛ ليرى كيف يكون دور الكشف، و كيف يكون قبول أهل ذلك الزمان له، و استجابتهم إليه، و كيف تكون[4] منزلة الزكية في ذلك الوقت؟ فأبدى شيئاً ممّا نهى عنه لغير أهله، و اطّلع عليه غير مستحقّه، و وضعه في غير موضعه، فكان بمنزلة الأكل الذي نهى عنه، فلمّا بدا ذلك منه اضطربت عليه أحواله، و استوحشت منه الوحوش التي كانت قد ألفت صورته، و نزع عنه لباسه، و بدت سوأته، و انكشفت عورته فظفر به عدوّه و أقبل يفرّق جموعه، و يفرّ أهل الجنة عنه. فعند ذلك ناداهما ربّهما: «أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ[5]» قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا بوضعنا ما نهيتنا عنه في غير موضعه، و دفعه إلى من لا يستحقّه، «قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[6]» فأُهبط من دار المملكة التي كان فيها، و أُخرج منها إذ كان أهل الجنة استوحشوا من شخصه لمّا بدت سوأته و انكشفت عورته، فظفر به عدوّه. و خرج آدم و زوجه[7] سائحين في الارض لا يدريان أينَ يتوجّهان من بلاد الله، و بهما من

---

١. «هو» ساقطة من ص: مص. ٢. و يكون: مص. ٣. يكن: ص.
٤. يكون: ص. ٥. سورة الاعراف، الاية ٢٢. ٦. سورة البقرة، الاية ٣٦.
٧. و زوجته: ص.

الندامة ما جاوز وصف الواصفين.

فلمّا طالت المِحنة بآدم استرجع القول، و ناجى ربّه، و توسّل إليه بالقائم في الوقت الذي تظهر[۱] فيه الحقائق، و بأصحاب المقامات العالية في ذلك الدّين، و هم الكلمات التّامات و الآيات الباهرات، فعند ذلك تاب الله عليهما، كما ورد من طرق[۲] الخاصّة و العامّة[۳] عن سيّدنا رسول الله ﷺ تفسير الكلمات في قوله ـ تبارك اسمه و تعالى جدّه ـ: «فتلقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ[٤]» بمحمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين، فأوحى الله إليه أن يستشفع بهم فشفعهم فيه، فتاب عليه برحمته ـ رزقنا الله شفاعتهم، و حشرنا[٥] في زمرتهم ـ.

و قال بعض الأعاظم من علمائنا: كلمات الله ـ سبحانه ـ مجعولاته و معلولاته، و أكثر ما يعهد إطلاقها على الأمريّات و الإبداعيّات، فكلٌّ من عالم الأمر فيه غالب على عالَم الخلق، بحيث أنّ[٦] ملكه مستهلك في ملكوته، و أنّه[۷] هو من عالَم النّور حين اذ هو في عالم الظّلمات، هو كلمة من كلمات الله سبحانه، و منه قوله ـ تعالى ـ: «إنّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسيح [عيسى[۸]] بنُ مَرْيَمَ[۹]». و قول أميرالمؤمنين ـ سلام الله عليه ـ: أَنَا كَلامُ اللّهِ النّاطِقُ، و محمّد و أطائب أهل بيته الطّاهرين كلماتُ الله التّامّاتُ.

لا يخفى أنّ الكلمات التّامات هي القواعد المؤسّسة للإسلام، و المثبتة لنبوة سيّد الأنام ـ عليه و آله ألوف من التحية و السلام ـ كما هو المرويّ المتواتر أنّ وَفد نصارىٰ نجران بعد فتح مكّة قَدِمُوا [إلى[۱۰]] النبيّ ﷺ و فيهم من علمائهم العاقب و عبد المسيح، فسألوه عن دينه و عن نبوّته، و جادلوه، فدعاهم بعد كثرة المجادلة إلى المباهلة، و هي مفاعلة من المداعاة، بمعنى أنّهم يدعون و يبتهلون إلى الله ـ تعالى ـ أن يُهلك المبطل، و أنزل الله ـ تعالى ـ في ذلك قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

---

۱. يظهر: ص. ۲. الطرق: ص. ۳. الخاصية و العامية: ص.
٤. سورة البقرة، الاية ۳۷. ٥. و احشرنا: ص. ٦. أنّه: ص.
۷. انّ: ص. ۸. «عيسى» ساقطة من ص: مص. ۹. سورة آل عمران، الاية ٤٥.
۱۰. «الى»: ساقطة من ص: مص.

فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّٰهِ عَلَىٰ الكاذِبِينَ[1]»، فدعاهم النبيّ ﷺ إلى ذلك، فـاستَمْهَلُوه للـمشاورة و الفكرة، فلمّا خلوا بأنفسهم قالوا لعالمهم: ماذا عندك فيما دعانا إليه محمّد؟ فقال العاقب ـ و كان أعلمهم ـ الرأي عندي أن [تدعوه و تنظروا[2]] بمن [يأتي[3]] للمباهلة، فإن خرج إليكم بقومه و عشيرته فباهلوه، فإنّه ليس بصاحبكم، و إن خرج بأهله و خاصّته فلا تُباهلوه فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ. ثم أَرسـلوا إليـه بـالدعاء إلى المـباهله، و تواعدوا لها، و عيّنوا يوما لإيقاعها، فخرج النبيّ ﷺ إليهـم بـعليّ و فـاطمة و الحسـن و الحسين، و لم يخرج بأحد غيرهم من الأصحاب، فسألوا[4]: مَن أولئك الذين خرج بهم؟ فقيل لهم: هم خاصّة أهل بيته، هذا عليّ اِبنُ عمّه و زوج ابنته، و [هذان[5]] ولداه من ابنته أبوهما ابن عمه و هذه ابنته[6] فقال العاقب لأصحابه: لا تباهلوه فتهلكوا، فأنّه ما خرج بنفسه و خاصّة أهل بيته إلّا و هو واثق بنجح مطلوبه و استجابة دعائه، و إنّي أرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أَنْ يزيل جبلا عن مكانه لأَزالَه، فتركوا المباهلة، فدعاهم إلى المقاتلة، فقالوا: ما لَنَا بحرب العرب طاقة و [بذلوا[7]] الجزية و الدخول في الطاعة، فقبل منهم الجزية، و أمرهم على دينهم. فالجزية على ما في كتاب أعلام الهدى للشّيخ الطبرسيّ رحمه الله ألفي حلة من حلل الأوالي، قيمة كلّ حلّة أربعون درهما جيادا، و كتب بذلك كتابات، و قد تكـرر في الحديث عن سيّدنا رسول الله ﷺ أَنَّ عليّاً ؑ هو الكلمة التي ألزمها الله المتّقين.

و روى الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرّضا، عن عبد السلام بن صالح الهِرَويّ قال: قلتُ للرضا ؑ : يا ابن[8] رسول الله، أخبرني عن الشّجرة التي أكل منها آدم و حوّاء ما كانت؟ فقد اختلف النّاس فيها، فمنهم من يروي أَنّها الحنطة، و منهم من يروي أَنّها العنب، و منهم من يروي أَنّها شجرة الحسد. فقال ـ سلام الله عليه ـ: كلّ ذلك حقّ. قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ ـ فقال ؑ : يا أبا الصّلت إنّ شجرة الجنة [تحمل[9]] أنواعا، و كانت شجرة الحنطة و فيها عنب، و ليست كشجرة الدّنيا، و أَنّ آدم ـ سلام الله عليه ـ لمّا

---

۱. سورة آل عمران، الاية ٦١.
۲. يدعوه و ينظروا: ص.
۳. «يأتي»: ساقطة من ص: مص.
٤. فسئلوا: ص.
٥. هذين: ص.
٦. و هذه ابنته: ص.
۷. و بدلوا: ص.
۸. يابن: ص.
۹. يحمل: ص.

أكرمه الله ـ تعالى ـ [بسجود[1]] ملائكته له، و بإدخاله الجنة، قال في نفسه: هل خلق الله ـ تعالى ـ بشرا أفضل مني؟ فعلم الله ـ عزّوجلّ ـ ما وقع في نفسه، فناداه: إرفع رأسَك يا آدم، فانظر إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوبا لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، و زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة. فقال آدم: يا ربِّ من هؤلاء؟ فقال ـ عزّوجلّ ـ: هؤلاء من ذريّتك و هم خير منك و من جميع خلقي، لولا هم ما خلقتك، و لا خلقت الجنة و النّار، و لا السماء و الارض، فَإيّاك أَنْ تنظر إليهم بعين الحسد، فأُخرِجَكَ عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد، و تمنّى منزلتهم، فسلّط عليه الشيطان، حتى أَكل من الشّجرة التي نهى عنها، و تسلّط على[2] حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد، حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عزّوجلّ عن جنّته، و أهبطهما عن جواره إلى الارض. فبان [أنّهما[3]] لمّا اشتاقا إلى تلك المنزلة الجليلة و الدرجة الرفيعة و استشفعا بغير الإنكار و الاستكبار[4] عن الإقرار بفضلهم، تاب الله عنهما، و لقد[5] صدق من قال:

اگـــر گـــمان تـــو بـــردی بـــه دودهٔ آدم
هــزار بــار نــهادی بــه سجده شیطان سر

و في كتاب مَن لا يحضره الفقيه، أَنّ الخبر الذي روى أَنَّ حواء خلقت من [الضلع[6]] الأَيسر لِآدم صحيح، و معناه من الطينة التي خلقت من ضلعه الأَيسر، فلذلك صارت اضلاع الرّجل انقص من أَضلاع النّساء بضلع، فلنعم ما قيل[7] بالرباعيّة الفارسية:

از ره نـــــروی ز جـــــعد گـــیسو از زن
مـــار ســـیه است هـــر ســـر مـــو از زن

---

۱. باسجاد: ص. و الاسجاد يعني فتور الطرف، و إدامة النظر مع سكون. و الإسجاد: اليهود: راجع اللسان مادة: سجد.
۲. الى: ص. ۳. انه: ص. ٤. انكار و استكبار: مص.
٥. فلقد: ص. ٦. ضلع: ص. ۷. قال: ص.

از پـــهلوی مـــرد زن بـــرون آوردنـــد
یـــعنی کـــه تـــهی بـــه است پـــهلو از زن

و من غرائب المؤیّدات العددیّة لهذا المدّعیٰ[1] ما قال بعض الأعلام بـلسان الفـرس[2]، حیث قال: مربع وِفق صورت جمعیت اعداد است به شرط کمال سوّیت و اعتدال، و لهذا چون مظهر چنان جمعیت در موطن ظهور و اظهار آدم است، و در موقف شعور و اشعار قول عدد تا به چهل و پنج که عدد آدم است نرسد، اصلا آن را در هیچ مربع وفق نتوان نهاد، و تا به صد و سی و شش که عدد قولست نرسد، آن را در مربعی که اقســام هـر ضلعش مساوی شمار اضلاع باشد، و اربعه معربه در او نصاب کمال یافته وضع توان کرد، و از بدایع آثار عدد آنست که فضل ۱۳۶ بر ۴۵ نود و یکیست عدد کمال و مقوّم اسم، شریف محمد ـ عَلی مُسَمّاهُ شرائفُ التسلیمات و کرائم الصّلوات ـ یعنی حقیقت آدمی تا در معارج ترقی به کمال محمدی نرسد، مهبط نزول قول کامل که کافِل اعراب از کنه کُلّ کما ینبغی تواند شد، و بعد از تذکّر این معنی که اول اعداد ممکن الوضع در مربّع وِفق عدلی عدد آدم است، و وِفق طبیعی او البته پانزده تواند بود که عدد حوّاست با آنکه در یک ضلع آن که نسبت با باقی اقلّ و ایسر باشد، به ضرورت باید که صورت عددی حروف حوّا هر سه به صریح نماید، و اصلا غیر آن نشاید سرّ خلق حوّا از ضلع ایسر آدم و صحت مطابقه واضح، که عدد راهست با امور واقع در عالم روشن گشته، رقم لوح یقین گردد، و شیخ زادهٔ لاهجی ﷺ در شرح گلشن فرموده که: بدانکه عقل کلّ است که اصل و حقیقت انسان است از جهت آنکه مفیض و واسطه ظهور نفس کلّ است، و نسبت با نفس کلّ پدر است، و از آن جهت که نفس کلّ از عقل کلّ زاییده است، عقل کلّ نسبت با نفس کل مادر است، و چون عقل کل برزخ وجوب و امکان و محیط طرفین است، وجوب جانب ایمن اوست، و امکان جانب ایسر او، پس نفس کل از جانب ایسر که طـرف امکـان است حاصل شده باشد، و از روی حقیقت آدم صورت عقل کلّ است، و حوّا صورت نفس

---

۱. المدّعا: ص. ۲. بالفارسیّة: مص.

کل، و از این معنی طالب متنبه می‌گردد به کیفیت ظهور حوّا از جانب ایسر آدم ـ سلام الله علیه.

و هو‌علیه السلام أول من استخرج الصّنائع و آلاتها، و علّمها أولاده، و استخرج ایضا العلوم و دوّنها لِأولاده، و له کتب فِي التّعفینات و بعض الصّنائع، نقلها خلف عن سلف، کما نقل صاحب الفلاحة عنه‌علیه السلام أَنّ بزر الرازیانج اذا اقتمح[۱] به انسان وزن درهم و مثله سکّر و ابتدأ ذلك من أول نزول الشّمس بُرج الحمل، و أدام[۲] ذلك الی أَنْ تحلَّ الشمس برج السرطان، و جعل ذلك كلّ عام فَإِنّه لا يمرض ألبتة، و لو بلغ عمره الطّبيعي و تصحّ[۳] حواسّه إلى أَنْ يموت.

و قريب من هذا ما في دروس شيخنا الشّهيد ـ طاب ثراه ـ فانَّه قال فيه: من أخذ السكّر و الرازيانج و الأهليلج في استقبال الصيف ثلاثة أشهر، في كل شهر ثلاثة أيّام، لم يمرض إلّا مرض الموت.

و روي أَنَّه عليه السلام[٤] عاش في الدنيا أَلف سنة و في رواية تسعمائة و خمس سنين[٥] و في كتاب عيون الأخبار عن ثامن الأئمة الأطهار‌علیهم السلام مرفوعا إلى مولانا أميرالمومنين ـ صلوات الله عليه ـ أَنَّه قال في جواب سؤال رجل من أهل الشام، فإِنَّه سأَلَه: كم كان عمر آدم؟ فقال ـ سلام الله عليه ـ: تسعمائة سنة و ستّة و ثلاثين سنة، و سئل[٦] عن أول مَن قال الشعر؟ فقال‌علیه السلام: آدم. قال: و ما كان شعره؟ قال: لمّا أُنزل إلى الارض من السماءِ، فرأى تربتها وسعتها و هواها و قتل هابيل قابيل، قال آدم‌علیه السلام:

تَغَيّرَتِ البلادُ وَ مَنْ عَلَيها
فَوَجهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعمٍ و لَونٍ
وَ قَلَّ بَشاشَةُ الوَجهِ المَليحِ

---

۱. اقتمح الشي‌ء: أخذه في راحته فلطمه. و اقتمح الشي‌ء و السويق: سَفَّهُ. راجع اللسان، مادة: قمح.

۲. أديم: ص.

۳. يصحّ: ص.

٤. يريد به آدم عليه السلام: مص.

٥. سنة: ص.

٦. سأل: ص.

وَ مَـالِي لا أجـود بسَكْبِ دَمـعٍ
و هَـابيلُ تَـضَمَّنَهُ الضَّريحُ
و قـتل قـابيل هَـابيل أخـاهُ
فَـوَا أسَـفا عـلى الوَجـهِ الصَّـبيحِ

فأجابه إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ:

تَـنَحَّ عَـنِ البِـلادِ وَ سـاكِـنِيها
و في الأرضِ و ضَـاقَ بِكَ الفَسِـيحُ
و كُـنتَ بِهـا و زَوجكَ فِي قـرارٍ
وَ قـلبك مِـن أذَى الدّنـيا مـريح
فَـلَم تَـنفك مِـن كَـيدِي وَ مَكـرِي
إلى أنْ فَـاتَك الثَّمـن الرّبـيح
و بـدّل أهـلها مـرَحاً و حَمـصاً
بجـنّاتٍ و أبـوابٍ مـبيح
فَـلَولاَ رحمـةُ الجَـبّارِ أضْـحى
بِكـفّك مـن جـنان الخُـلد ريح

و روي أنّ آدم رثى ابنه هابيل بالشّعر المذكور، و قال صاحب الكشاف: هو كذب بحت، و ما الشعر إلّا منحول و ملحون، و صحّ أنّ الأنبياء معصومون من الشعر.

قال بعض الأعلام: أمّا أنّه منحول فسلّم؛ لما روي عن ابن عباس من تكذيب من نسبه إلى آدمعليه السلام، و أنّ محمداً ـ صلوات الله و تسليماته عليه ـ و الأنبياء كلّهمعليهم السلام سواء في النّهي عن الشّعر، لكن يرثى آدم بالسريانية[1] كلاما منثورا، فلم يزل يُنقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، فنظر الى المرثية فقدّم و أخّر، و جعله شعرا عربيّا. و امّا أنّه ملحون فممنوع، و ما

---

١. بالسرياني: ص.

قيل فيه من لحن[۱] فمن جهة الإعراب أو القافية، و ذلك أَنَّ المليح إنْ رُفع فخطأ؛ لأنه صفة الوجه المجرور و إنْ [خُفِض[۲]] فإقواء[۳]، و هو عيب في القافية، و إنْ كسر. و قول من قال: الوجه مرفوع فاعل قلّ، و بشاشة نصب على التّميز بحذف التنوين أجرى الوصل مجرى الوقف، لحن منظور فيه. قال أبو سعيد السّيرافي: حضرت مجلس أبي بكربن دريد و لم يكن يعرفني قبل ذلك، فجلست فأنشد أحد الحاضرين بيتين يعرفان لآدمعليه السلام تغيرت البلاد... الى آخرها، فقال ابن دريد هذا شعر قد قيل قديما، و جاء فيه إقواء. فقلت له: إنّ له وجهاً يخرجه عن الإقواء، نصب بشاشة و حذف التنوين منها لالتقاء الساكنين، فيكون بهذا التقدير نكرة منتصبة على التمييز، ثم رفع الوجه بإسناد قَلَّ إليه، فيصير اللفظ و قَلَّ بشاشةَ الوجهُ الصَّبيحُ. قال: فعرفني و أقعدني بجانبه. و قال صاحب الطّبقات: غير أنّي رأيتُ أبا العلاء[٤] المعرّي في رسالته التي سمّاها الغفران قد أنكر على ابن دريد إنشاد هذا الشّعر على وجه الإقواء، و ذكر أنّ الرواية الصحيحة: و عود في الثّرى الوجهُ المليحُ. قال أبو العلاء و الوجه الذي قال أبوسعيد في تخريجه أشدّ من الإقواء عَشْر مرّات. و الحال هذا.

و المنقول أنَّ حواء ولدت لآدمعليه السلام أربعين ولدا في عشرين بطنا. و روى الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه عن زرارة عن أبي عبداللهعليه السلام: أَنَّ آدم ولد له شيث، و أَنَّ اسمه هبة الله، و هو أول وصيّ أُوصى إليه من الآدميين في الأرض، ثم ولد له بعد شيث يافث، فلما أدركا، أراد الله أن يبدأ بالنسل [كما[٥]] ترون، و أن يكون جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله ـ عزّوجلّ ـ من الأخوات على الإخوة، أنزل بعد العصر في يوم خميس حوراء من الجنّة اسمها نَزلة، فأمر الله ـ تعالى ـ آدم أن يزوّجها من شيث، فزوّجها منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منلة، فأمر الله ـ عزّوجلّ ـ آدم أن يزوّجها من يافث، فزوّجها منه، فولد لشيث غلام، و ولد ليافث جارية، فأمر الله ـ تعالى ـ آدم حين أدركا أن يزوّج ابنة يافث من[٦] ابن شيث، ففعل، فولد الصفوة من النبيين و المرسلين من نسلهما، و

---

۱. فيه لحن جهة: ص. ۲. خفط: ص.

۳. الإقواء: هو اختلاف حركة الروي بين الضم و الكسر في القصيدة الواحدة. ٤. أبو العلاء: ص.

٥. ما: ص. ٦. عن: ص.

معاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من أمر الإخوة و الأخوات. و هذه[١] إشارة إلى جواب ما قال سائل بحضرته ـ سلام الله عليه ـ أنّ أناسا من عندنا يقولون: إنّ الله ـ تبارك و تعالى ـ أوحى إلى آدم أن يزوّج بناتِه مِن بنيه[٢]، و أنّ هذا الخلق كله أصله من الإخوة و الأخوات. فقال ـ سلام الله عليه ـ: تعالى عن ذلك علوّا كبيرا. ثمّ حدّثﷺ بالحديث المذكور. و روى القاسم بن عُروة عن يزيد العجلي عن أبي جعفرﷺ قال: إنّ الله ـ تبارك و تعالى ـ أَنزل على آدم حوراء من الجنة فزوّجها أحد ابنيه، و تزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء، و ما كان من سوء الخلق فهو[٣] من ابنة الجانّ. و لمّا قرب وفاة آدمﷺ جمع أولاده، و أخبرهم بمآثر الخيرات، و أوصاهم بها، و من جملة وصاياه لولده أنّه قال: كلّ عمل تريدون أن تعملوا به فقفوا له ساعة، فإنّي لو وقفت لم يكن أَصابني ما أَصابني؛ و لذا قال من قال:

عـلىٰ ظَـهرِ تِمساحٍ عُـبورُكَ لُجَّـةً
لَأَجـدَرُ مـن فِـعل الأمـورِ مُـعجّلاً

و قد نظم الفردوسي هذا المعنى في الشاهنامه بالفارسيّة[٤]:

بـه پشت نـهنگان گـذشتن در آب
بـه آمـد كـه در كـار كـردن شـتاب

ثم خطب ـ سلام الله عليه ـ لأولاده و قال: الحمد لله ربّ العالمين، الذي خلقني بيده، و سوّى خلقي، و صوّرني و أحسن صورتي، و أكرمني بسجود ملائكته، و علّمني الأسماء كلّها، و أسكنني جنته، إلّا أنّه لم يكن خلقي للعاجل لها، فمضت مشيئته[٥] فيَّ كما شاء من قَدَرِهِ، فله الحمد حين أَقالني عثرتي، و رحم صوتي و بكائي، و تاب عَلَيَّ، و هداني لطاعته، و قوّاني عليها بعد معصيته، و أَيَّدني على محاربة عدوّي إبليس بعد طاعتي له، و أَشهد أَنْ لا إله إلا

---

١. و هذا: ص. ٢. يتزوّج بناته من بينيه: ص. ٣. من: ص.
٤. الفارسي: ص. ٥. مشيّته: ص.

الله وحده لا شريك له، الباقي بعد فناء خلقه، يا بَنِيّ، عليكم بتقوى الله و لزوم طاعته، و إيّاكم و طاعة النساء، فإنّها [تنبت[١]] الوزيرة، و [تنسب[٢]] الشريكة، و لابدّ منها. و عليكم بمناقب الخير فالزموها، ثمّ قال لشيث: يا بُنَيّ إنّي قد اشتهيت من زيتون الجنة و زيتها، فانطلق يا بُنَيّ إلى طور سينا، و قل يا ربّ إنّ عبدك آدم قد اشتهى زيت الجنة و زيتونها من الشجرة ذات اليمين. فانطلق شيث و معه قعب، فنادى بما أمره أبوه، فقيل له: هات قعبك: فأخذ منه، فما لبث فيه أن أتى به و فيه زيت و زيتون، فجاء به إلى أبيه، فتمرّخ آدم بزيتها و أكل من زيتونها فبرأ، فلم يلبث إلّا قليلا حتى مرض مرّة أخرى، فلمّا اشتدّ مرضه قال لولده: إنّي قد اشتهيت من ثمار الجنة فانطلقوا و اطلبوا لي، قال: فانطلقوا في الجبال، اذ لقيهم جبرئيل عليه السلام في اثنى[٣] عشر ملكا من رؤساء الملائكة، و معهم أكفان من الجنة بيض، و حنوط من الجنة يتضوّع ريحه ما بين السماء و الأرض، و معهم المساحي و الفؤوس، فقالوا لولد آدم: ما لكم محرومين؟ فقالوا: إنّ أبانا قد كلّفنا ما لا نطيق، فإنّه مرض و سألنا من ثمار الجنة. فقال لهم جبرئيل: ارجعوا إلى أبيكم فإنّا قد أتيناه بما يشتهي، فلمّا رأى بنو آدم الملائكة معهم المساحي و الفؤوس و الأكفان استرجعوا، و علموا أنّ أباهم مقبوض، فرجعوا و تبعهم جبرئيل و الملائكة عليهم السلام فأتوا أباهم، و جبرئيل عند رأسه مع ملك الموت، و الملائكة حوله فقال جبرئيل: كيف تجدك يا آدم، فقال: شديد الوجع قد حال الوجع بيني و بين العبادة، و جعلت حوّاء تبكي خلف ظهر آدم، فاغتاظ و قال: اخرجي يا هذه عنّي، خلّي بيني و بين رسل ربّي، فما أصابتني ليس إلّا منك و بسببك، فخلت حواء و بناتها ناحية، و جعل ملك الموت يقبض روح آدم و هو يسبّح بالله[٤] و يقدّسه و يهلّله فقال جبرئيل لملك الموت: يا ملك الموت ارفق به، فقد عرفت حاله، هو آدم الذي خلقه الله بيده، و نفخ فيه من روحه، و أمرنا بالسجود له[٥]، و أسكنه جنّته، فلم يزل آدم يقدّس ربّه حتى قبض ملك الموت روحه، و سجاه جبرئيل بثوبه، ثم غسله جبرئيل و الملائكة و حنّطوه و كفّنوه[٦]، و حفروا له و وُضع على سريره، ثمّ تقدّم جبرئيل و الملائكة ثم بنو آدم ثم

---

١. ينبت: ص.
٢. ينسب: ص.
٣. اثنا: ص.
٤. به: ص.
٥. بسجوده: ص.
٦. حنّطه و كفّنه: ص.

حواء و بناتها، فكبّر جبرئيل عليه أَربعاً، و يقال أنّه قدّم للصلوة عليه شيئاً، و يؤيّد ذلك القول ما في كتاب من لا يحضره الفقيه عن الصادقعليه السلام أنّه قال: لمّا مات آدم و بلغ إلى الصلوة عليه، فقال هبة الله و هو شيث بن آدم لجبرئيل: تقدّم يا رسول الله فصلّ على نبيّ الله، فقال جبرئيل: إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ أمرنا بالسجود لأبيك فلسنا نتقدّم أبرار ولده، و أنت مِن أبرّهم، فتقدّم فكبّر عليه خمساً، عدد الصلوة التي فرض الله ـ عزوجل ـ على أمة محمدصلى الله عليه وآله و هي السنّة الجارية في ولده إلى يوم القيمة، ثمّ بعد إتمام الصلوة دفنوه و سوّوا[1] عليه التّراب، ثم التفت جبرئيلعليه السلام إلى ولد آدم و عزّاهم، ثم قال لهم: احفظوا وصيّة أبيكم فإنّكم إنْ فعلتم ذلك لن تضلّوا بعده، و اعلموا أنّ الموت سبيلكم، و هذه سنّتكم في موتاكم، فاصنعوا بهم مثل ما صنعنا بأبيكم، و أنّكم لن ترونا بعد اليوم إلى يوم القيمة[2]. و روي أنّه مات يوم الجمعة، و صُلّي عليه في الساعة التي أخرج فيها من الجنة، في ستّ ليال خلون من نيسان، و ناحوا عليه مائة و أربعين يوما. و عن ابن عباس [نقل[3] أن] قبر [آدم[4]] بمسجد الخيف.

تنبيه:

في تحقيق الخلافة الآدميّة التي ذكرها اللّه ـ عزوجل ـ في كتابه العزيز بقوله: «إنّي جَاعِلٌ في الأَرضِ خَليفةً[5]» اعلم أنّ الخلافة هي الحكم بين النّاس بالحقّ نيابة من قبله ـ جلّ سلطانه ـ و لعلّه يعبّر عنها في تنزيله الكريم بالأمانة في قوله ـ عزّ مجده ـ: «إنّا عَرَضْنَا الأَمانةَ عَلَى السّموات و الأَرضِ و الجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحمِلْنَها و أَشفَقْنَ مِنها و حَمَلَها الإنسانُ إنّهُ كانَ ظَلوماً جَهُولاً[6]»، و الأمانة ينبغي أن تكونَ[7] عند المأمون المتَجنّب عن الخيانة و الشّرور، خصوصاً عند الملك العادل البارّ العالم بما في الصّدور، و الظاهر أنّ احتفاظ هذه الأمانة بدون الخيانة أمر خطير عسير، لا يطيق [حملها[8]] و لا يليق [الضبطها[9]] الّا من

---

١. و سنّوا: ص.
٢. القيامة: مص.
٣. «نقل ان» ساقطة من ص: مص.
٤. «آدم» ساقطة من ص: مص.
٥. سورة البقرة، الاية ٣٠.
٦. سورة سبأ، الاية ٧٢.
٧. يكون: ص.
٨. لحملها: ص.
٩. بضبطها: ص.

[زادت[1]] قوّته الشّاملة و رُتبتُهُ الجامعة على سائر المخلوقات و المصنوعات، و كأنّه الإنسان الكامل الحائز لجنبتي الملكية و البهيميّة المجاهد مع المزاحمات المتشتتّة القوية [التي[2]] كل واحدة منها كلصّ داخل في بيت بنيته لنهب آلات حفظ الأمانة و أسباب حراستها، فلمجاهدته في مملكة بدنه مع العوائق الجمّة و العلائق الكثيرة قد فاق الأقران في الآفاق، و استعلى الأشباه بالاستحقاق، و أشفقن من حمل ما حمله مَن في السموات و الارض مِن الملائكة و الجنّ و الحيوان؛ لقصور جامعيّتهنّ و فتور استعدادهنّ لطاقة حملها في ذواتهنّ، فلهذا أبَين أن يحملْنَها و خِفْنَ مِن حملها، و حملها الإنسان استعدادا و استحقاقا، إنّه كان ظلوما لنفسه البهيميّة بمخالفته لهواها، و إفناء صفاتها، و مقتضيات مشتهياتها، و هذا غاية العدل في الحقيقة، جَهُولا بمنعها لارتكاب حظوظها، كأنّها لا يعرفها لعصمته عن أَدناس الطبيعة و أرجاس الهيولانيّة، فأَطاع المنوب بتأدية أمانته، و توفية وديعته على أحسن الأسلوب، و هذا نهاية العلم في السّريرة، أو كان قبل قبول الأمانة و حملها ظلوما أي مظلوما بظلمة العدم، جهولا محجوبا لم يعرفه أحد في العالم، كما في قوله ـ الأعزّ الأكرم ـ: «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً[3]» فجعله بجوده منوّرا بنور الوجود لكل شاهد و مشهود.

محبّت تو مرا شهره ساخت در عالم
وگر نه همچو منی را که در حساب آرد؟

فاخلافة الأصلية سرت من لدن آدم في أصلاب الأنبياء عليهم السلام تارة بالاستتار، و تارة بالانكشاف إلى أن ظهرت في أحسنهم خَلقا و أطيبهم خُلقا سيّدنا رسول الله صلى الله عليه و آله كلّ الظهور، فصارت بوجوده الأشرف الأكمل نوراً على نور، و لذا قال مَن قال:

نه فلك راست ميسّر نه ملك را حاصل
آنچه در سرّ سويداى بنى آدم ازوست

و روى الصّدوق رحمه الله في كتاب عيون الأخبار بحذف الإسناد، عن ثامن الأئمة عليهم السلام عن

---

۱. زاد: ص. ۲. بالتي: ص. ۳. سورة الدهر، الاية ۱.

مولانا أميرالمؤمنين ـ صلوات اللّه عليه ـ أنّه قال: بينما أنا أمشي مع النّبيﷺ في بعض طرقات المدينة اذ لقينا شيخ طِوالٌ كثُّ اللّحية بعيد ما بين المنكبين، فسلّم على النبيﷺ و رحّب به، ثمّ التفت إِلَيَّ فقال: السلام عليك يا رابعَ الخلفاء و رحمة الله و بركاته. أَلَيسَ كذلك يا رسول الله؟ فقال له رسول اللهﷺ بَلى ثمّ مضى، فقلت له: يا رسول الله ما هذا الذي قال هذا الشيخ و تصديقك له؟ قال: أَنتَ كذلك، و الحمد للّه أَنَّ الله ـ عزّوجلّ ـ قال في كتابه «إِنّي جَاعِلٌ في الأرضِ خليفةً[1]» و الخليفة المجعول فيها آدمعليه السلام و قال ـ عزّوجلّ ـ: «يا داود إِنّا جعلناكَ خَليفَةً في الأرضِ فَاحْكُمْ بينَ النّاسِ بالحَقِّ[2]» فهو الثّاني، و قال ـ عزّوجلّ ـ حكايةً عن موسىعليه السلام حين قال لهرون ـ سلام الله عليه ـ: «اخْلُفني في قَوْمي وَ أَصْلِحْ[3]» فهو هرون اذا استخلفه موسى في قومه و هو الثّالث، و قال ـ عزّ مجده ـ: «و أَذانٌ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ إِلى النّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ[4]» و كنت انت المبلّغ عن الله و عن رسوله، و أنت وصيّي و وزيري، و قاضي دَيْني، و المؤدّي عنّي، و أنت مِنّي بمنزلة هرون من موسى إِلّا أَنّه لانبيّ بعدي، فأنت رابع الخلفاء، كما سلّم عليك الشيخ، أو لا تدري من هو؟ قلت: لا. قال: ذاك أخوك الخضرعليه السلام .

فلقد أَصاب من فسّر قوله ـ تعالى ـ: «وَعَدَ اللّهُ الّذينَ آمنوا [منكم] وَ عَمِلوا الصّالِحاتِ[5]» يعني عليّ بن أبي طالب ـ سلام الله عليه ـ «لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ[6]» آدم و داود و هرون «و ليمكنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم[7]» يعنى الإسلام «و ليبدّلنّهم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً[8]» يعني من أهل مكّة «يَعْبُدونَني و لا يُشركونَ بِي شَيئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلكَ[9]» يعني بولاية عليّ بن أبي طالب «فأولئكَ هُمُ الفاسِقُون[10]» يعني العاصين لله و رسوله.

[٢] ـ شيث

شيث بن آدمعليه السلام و هو أورياء الأول و آغاثاذيمون [الدائر[11]] على الألسن، أقام بعد أبيه

---

١. سورة البقرة، ٣٠. ٢. سورة ص، الاية ٢٦. ٣. سورة الاعراف، الاية ١٤٢.
٤. سورة التوبة، الاية ٣. ٥. سورة النور، الاية ٥٥. ٦. سورة النور، الاية ٥٥.
٧. سورة النور، الاية ٥٥. ٨. سورة النور، الاية ٥٥. ٩. سورة النور، الاية ٥٥.
١٠. سورة النور، الاية ٥٥. ١١. الذائر: ص.

آدم مقامه، و حفظ وصاياه، و كان نبيًا إلّا أنّه على شريعة أبيه، و لم يخالف طريقته،و هو أول من أُخذ عنه الشريعة و الحكمة و بنى الكعبة المباركة، و ذلك أنّه لمّا تاب والده آدم بعث اليه بخيمة من خيام الجنة من درّة بيضاء مجوّفة أو من ياقوتة حمراء، أو من زُمرّدة خضراء على اختلاف الروايات، و أمره أن يضعها مكان البيت، و يطوف بها ففعل و جعل هو و ولده يطوفون الى أن مات آدم، فرفعت الخيمة إلى السماء، فلمّا رفعت بنى شيث على موضعها البيت الحرام بالحجارة و الطين، ثم خُرّب ذلك لطوفان نوحﷺ، و امتدّ الزمان حتى غِيضَ الماءُ وَ قُضِي الأمر، و انتهت النبوة إلى الخليل ـ سلام الله عليه ـ و حَمْلِهِ هاجر امّ اسمعيلﷺ هناك، و نشوؤه و تربيته ثَمَّة و عود ابراهيمﷺ إليه، و اجتماعه به في بناء البيت، و ذلك قوله ـ تعالى ـ: «و إذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البيتِ و اسمعيلُ[1]» فرفعا قواعد البيت على مقتضى إشارة الوحي مراعياً فيه جميع المناسبات التي بينها و بين البيت المعمور، و شرعا المناسك و المشاعر محفوظا فيها جميع المناسبات التي بينها و بين الشرع الأخير، و تقبّل الله ـ سبحانه و تعالى ـ ذلك منهما، و بقي الشرف و التعظيم إلى زماننا و إلى يوم القيمة دلالة على حسن القبول.

و قال صاحب الملل و النحَل: قد [اختلفت[2]] الروايات في أول من بناه، قيل إنّ آدمﷺ لمّا أُهبط إلى الارض وقع الى سَرانديب من أرض الهند، و كان يتردّد في الارض متحيّرا من فقدان زوجه[3]، و وجدان توبته حتى [لاقى[4]] حواء زوجته بجبل الرحمة من عرفات، و عرفها و صار إلى أرض مكّة، دعا و تضرّع إلى الله ـ تعالى ـ حتى أذن له في بناء بيت يكون قبلةً لصلوته، و مطافاً لعباده، كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة و مزار الروحانيين، فأنزل الله ـ تعالى ـ عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور، فوضعه مكان البيت، و كان يتوجّه إليه و يطوف به.

و روى الصغاني من رواة العامة في جامعه «مشارق الانوار النبوية» عن عائشة أَنّ سيدنا رسول اللهﷺ قال لها: أَلَم تر أَنَّ قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم؟

---

۱. سورة البقرة، الاية ۱۲۷. ۲. اختلف: ص. ۳. زوجته: ص.
٤. دافا: ص.

و قال: لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت الكعبة و بنيتها[1]. و [قال] العلّامة التفتازاني[2] في شرح الحديث قال العلماء: بُني البيت خمس[3] مرّات، بنته الملائكة، ثمّ ابراهيم، ثمّ قريش في الجاهلية و حضر النبيﷺ هذا البناء و عمره خمس و ثلاثون، و قيل خمس و عشرون سنة، ثمّ بناه عبدالله بن الزّبير، ثمّ الحجّاج، و هو على بنائه اليوم.

و نقل القاضي الميبدي في شرح الديوان: شعبي گويد خانهٔ كعبه را ـ شرّفها اللّه ـ اول آدم بنا كرد، پس شيث، پس ابراهيم و اسمعيل، پس قريش، پس عبدالله بن زبير كه شادروان و حجر داخل كرد، پس حجاج بن يوسف كه به وضع اول بساخت، و اينكه امروز هست بناء حجاج است.

و نقل الشيخ الجليل الكليني في الكافي عن علي بن ابراهيم و غيره بأسانيد مختلفة رفعوه قالوا: إنّما هدمت قريش الكعبة لأنّ السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها، فانصدعت و سرق غزال من ذهب رجلاه، و كان حائطا قصيرا، و كان ذلك قبل مبعث النّبيّﷺ بثلاثين سنة، فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة و يبنوها، و يزيدوا في عرضها، ثمّ أشفقوا من ذلك و خافوا إنْ وضعوا فيها المعاول أَنْ تنزل[4] عليهم عقوبة، فقال الوليد بن مغيرة دعوني أبدأ، فإن كان للّه فيه رضاً لم يصبني بشيء، و إنْ كان غير ذلك كففنا، فصعد على الكعبة و حرّك منه حجرا فخرجت عليه حيّة، و انكسفت الشّمس، فلمّا رأوا ذلك بكوا و تضرّعوا، و قالوا: اللّهمّ إنّا لا نريد إلّا الإصلاح، فغابت عنهم الحيّة، فهدّموه و نحّوا حجارته حوله حتى بلغوا القواعد التي وضعها ابراهيم ـ سلام الله عليه ـ فاصابتهم[5] زلزلة و ظلمة، فكفّوا عنه، و كان بنيان ابراهيم، طوله ثلاثين[6] ذراعا، و عرضه[7] اثنين و عشرين ذراعا، و الارتفاع[8] تسعة أذرع. فقالت قريش نزيد في ارتفاعها[9]. فبنوها فلمّا بلغ البناء إلى موضع الحجر تشاجرت قريش في وضعه، فقال كل قبيلة: نحن أولى به، نحن نضعه، فلمّا كثر بينهم التشاجر تراضوا بقضاء من يدخل باب بني شبية، فطلع رسول اللهﷺ فقالوا: هذا

---

١. لفعلت: ص.
٢. و العلامة التفتازاني قال: ص.
٣. خمسة: ص.
٤. ينزل: ص.
٥. اصابتهم: ص.
٦. الطول ثلثون: ص.
٧. المعرض اثنان و عشرون: ص
٨. السمك: ص.
٩. سمكها: ص.

الأمين قد جاء. فحكّوه فبسط رداءه و قال بعضهم: كساء طارونيّ كان له، و وضع الحجر فيه، ثم قال يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا: عتبة بن ربيعة من بني عبد الشمس، و الأسود بن عبد المطّلب من بني أسد، و عبد العزّى أبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، و قيس بن عديّ من بني سهم فرفعوه، و وضعه النبي ـ صلوات الله و تسليماته عليه و آله ـ في موضعه، و كان ملك الروم قد بعث[1] بسفينة فيها سقوف و آلات و خشب و قوم من الفعلة ليبني[2] له هناك بيعة فطرحتها الرّيح إلى ساحل الشّريعة، فنطحت، فبلغ قريشا خبرها فخرجوا إلى السّاحل، فوجدوا ما يصلح للكعبة من خشب و زينة و غير ذلك فابتاعوه، و صاروا به إلى مكة، فوافق ذرع ذلك الخشب البناء ما خلا الحجر، فلمّا بنوه كسوها الوصائد و هي الأردية. و في الكافي أيضا عن أبان بن تغلب، قال: لمّا هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلمّا صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد منع بناؤها[3] فصعد المنبر ثم نشد الناس و قال: أنشد الله عبدا عنده ممّا ابتليناه به علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ و قال: إن يكُن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى، فقال الحجاج مَن هو؟ قال عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: معدن ذلك، فبعث إلى علي بن الحسين ـ سلام الله عليهما ـ فأتاه، فأخبره ما كان من منع الله إيّاه البناء، فقال له عليه السلام: يا حجاج عمدت إلى بناء ابراهيم و اسمعيل عليهما السلام فألقيته في الطريق، و انتهبته كأنك ترى أنّه تراثٌ لك، اصعد المنبر و انشد الناس أن لا يبق أحد منهم أخذ منه شيئا إلّا ردّه، قال: ففعل و أنشد الناس أن لا يبق منهم أحد عنده شيء إلاّ ردّه، قال: فردّوه فلمّا رأى جميع التّراب، أتى علي بن الحسين عليه السلام فوضع الأساس، و أمرهم أن يحضروا، قال: فتغيّبت[4] عنه الحية و حفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، فقال لهم علي بن الحسين ـ سلام الله عليهما ـ تنحّوا فتنحّوا فدنا[5] منها فغطّاها بثوبه، ثم بكى ثم غطّاها بالتراب بيده[6] نفسه، ثم دعا[7] الفعلة فقال: ضعوا

---

١. و قد كان بعث ملك الروم: ص. ٢. لبنى: ص. ٣. بناءها: ص.
٤. فتغيّبت: ص. ٥. فدنى: ص. ٦. بيد: ص.
٧. دعى: ص.

بناءَكم، فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلّب و أُلقي في جوفه، فـلذلك صار البيت مرتفعا يصعد إليه بالدّرج.

و من كلام شيث بن آدمعليه السلام : يجب أن يكون في المؤمن ستّ عشرة[١] خصلة: الاولى[٢]: المعرفة بالله و ملائكته و أهل طاعته[٣]. الثانية: معرفة الخير و الشرّ، أمّا الخير فليرغب فيه، و أمّا الشر فليحذر منه. الثالثة[٤]: السمع و الطاعة للملِكِ الرحيم الذي استخلفه الله في الارض، و ملكه أمر البلاد و العباد.[٥] الرابعة: برّ الوالدين. الخامسة[٦]: اصطناع المعروف بقدر الطاعة. السادسة[٧]: المواساة للفقراء. السابعة[٨]: التعصب للغرباء. الثامنة[٩]: الشجاعة في طاعة الله. التاسعة[١٠]: العصمة عن الفجور. العاشرة[١١]: الصبر بالإيمان و اليقين. الحادية عشرة[١٢]: صدق اللهجة. الثانية عشرة[١٣]: العدل. الثالثة عشرة[١٤]: التورع في الدنيا. الرابعة عشرة[١٥]: الضحايا و القرابين شكراً لله تعالى على ما أولى من النعم لخلقه. الخامسة عشرة[١٦]: الحلم و حمد الله ـ تعالى ـ على مصائب الدنيا بغير ملل[١٧]. السادسة عشرة[١٨]: الحياء و قلة المماراة. و المرويّ أنَّ الله تعالى أنزل إلى شيثعليه السلام ثلاثين صحيفة، و عاش تسعمائة سنة، و قيل أقلّ أو[١٩] أكثر.

[٣]ـ ادريس = هرمس ١

هرمس الهرامسة المسمّى عند العبرانيين أُخنُوخ، و عند اليونانيين إرميس، و معنى ارميس عندهم عطارد، و عند العرب إدريس، كما سمّاه الله ـ تعالى ـ في كتابه العزيز؛ لكثرة دراسته كتاب الله و ذكره، و هو اخنوع بن يزد[٢٠] بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن

---

١. عشر: ص.
٢. الاول: ص.
٣. الثاني: ص.
٤. الثالث: ص.
٥. الرابع: ص.
٦. الخامس: ص.
٧. السادس: ص.
٨. السابع: ص.
٩. الثامن: ص.
١٠. التاسع: ص.
١١. العاشر: ص.
١٢. الحادى عشر: ص.
١٣. الثاني عشر: ص.
١٤. الثالث عشر: ص.
١٥. الرابع عشر: ص.
١٦. الخامس عشر: ص.
١٧. تملل: ص.
١٨. السادس عشر: ص.
١٩. و: ص.
٢٠. يرد (يارد): مص.

آدم، و هو المثلّث بالنعمة، اي النبوّة و الحكمة و الملك، ولد بمصر قبل الطوفان الكبير الذى اغرق[1] الدنيا، و هو الطوفان الاول، و كان بعده طوفان آخر اغرق[2] أهل مصر خاصة، و تلمذ في بداية أمره لغوثاذيمون المصري، و كان غُوثاذيمون أحد أنبياء اليونانيين و المصريين، و هو أورياء الثاني، و ادريس أورياء الثالث، و تفسير غوثاذيمون السعيد الجدّ، و خرج هرمس عن مصر و دار الارض كلها، و عاد إلى مصر، فرفعه الله إلى السماء كما في قوله ـ تعالى ـ: «وَ رَفَعناهُ مكاناً عَلِيّا[3]»، و ذلك بعد اثنين و ثمانين من عمره. و في تاريخ ابن الجُوزيّ: و رفع إلى السماء و هو ابن ثلاثمائة و ثمانية و ستّين سنة. دعا الخلائق من سائر أهل الارض إلى الباري تعالى باثنين و سبعين لسانا. و علّمهم و أدّبهم و بنى لهم مائة مدينة و ثماني مدائن عظام أصغرها الرّها، و هو اول من استخرج الحكمة، و علّم النجوم بإلهام اللّه تعالى، و لو لم يكن ذلك لم [تصل[4]] الخواطر باستقرائها إلى ذلك، و أقام لكل إقليم سنّة [تليق[5]] بهم و تقارب رأيهم، و قسم الارض أربعة أرباع، و جعل على كل ربع ملكا يسوس أمر المعمور من ذلك الربع، و يقدم إلى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعته[6]، و طبقت[7] شريعته الارض كلها.

و اسماء الملوك الأربعة: الأول: ايلاوس، و معناه الرحيم. الثاني ابنه لاوس. الثالث: اسقلبيوس. الرابع: أمُول الملك الحكيم، و هو ابو سياوخش.

دعا الى دين الله ـ عزوجل ـ و القول بالتوحيد و عبادة الخالق، و تخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، و حضّ على الزهد في الدنيا و العمل بالعدل، و أمرهم بصلوة ذكرها لهم على صفات بيّنها، و صيام أيّام معروفة من كل شهر و الجهاد لأعداء الدين، و الزكوة في الأموال معونة لضعفائهم[8]، و غلّظ عليهم في الطهارة من الجنابة و مسّ الموتى، و أمرهم بتحريم أكل لحم الخنزير و الجمل و الحمار، و أكل البصل و الباقلاء و كل ما يضرّ الدماغ، و حرّم المسكر من المشروبات، و شدّد فيه أعظم تشديد، و جعل لهم

---

١. غرق: ص. ٢. غرق: ص. ٣. سورة مريم، الاية ٥٧.
٤. يصل: ص. ٥. يليق: ص. ٦. بشريعة: ص.
٧. طبقت: ص. ٨. لضعفائها: ص.

أعيادا كثيرة في أوقات معروفة و قربانات، منها لِدُخُول الشمس رؤوس البروج، و منها لرؤية الهلال و أوقات القرانات، و كلما صارت الكواكب في بيوتها و أشرافها، و ناظرت كواكب أخر، و وعدهم أنّه سيأتي بعده عدّة أنبياء، و عرفهم صفة النبيّ، فقال يكون بريئاً من المذمّات و الآفات كلها، كاملا في الفضائل و الممدوحات كلّها لا يقصر عن مسئلة يسئل عنها ممّا في الارض و السماء، و ممّا فيه دواء [و[١]] شفاء من كل ألم، و أن يكون مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه من إنزال الغيث و دفع الآفات و غير ذلك من المطالب، و أن يكون مذهبه و دعوته المذهب الذي يصلح العالم.

و لما ملك الارض رتّب الناس ثلاث طبقات: كهنة، و ملوكا، و رعية. و جعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك، لأنّ الكاهن يسأل[٢] الله في نفسه و في ملكه و في رعيّته، و ليس للملك أن يسأل[٣] الله في شيء إلّا في نفسه و في رعيته، و ليس للرعيّة أن [تسأل[٤]] الله شيئا إلّا لأنفسها فقط.

و كان أقوى الملوك عزما من الملوك الأربعة المذكورة المنصوبة من قبل ادريس، اسقلبيوس. فإنّه اجتهد لحفظ الكلمة و تقوية الشريعة[٥] الإدريسيّة، و حزن لرفع إدريس من بين أظهرهم، و صوّر صورته في الهياكل، و كان رجلا ادمي اللون، تامّ القامة، أجلح، حسن الوجه، كثّ اللحية، مليح الشمائل و التخاطيط، تامّ الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين، أكحل، متأنّياً في كلامه، كثيرالصّمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الارض، كثير[٦] الفكرة، به عبسة و اذا اغتاظ حقد[٧]، و يحرّك سبّابته إذا تكلّم.

و كان على فصّ خاتمه الذي يلبسه كلّ يوم: «الصّبر مع الإيمان يورث الظفر» و على فصّ خاتمه الذي يلبسه في الأعياد: «تمام الفرح في الأعياد، الأعمال الصالحة» و على خاتمه الذي يلبسه إذا صلّى على ميّت: «الأجل حصاد الأمل و الموت رقيب غير غافل». و على

---

١. ساقطة من ص: مص. ٢. يسئل: ص. ٣. يسئل: ص.
٤. يسئل: ص. ٥. شريعة: ص. ٦. كثيرة: ص.
٧. احقد: ص.

المنطقة التي يلبسها في الأعياد: «حفظ الفروض و الشريعة من تمام الدّين، و تمام الدين كمال المروّة» و على المنطقة التي يلبسها وقت الصلوة على الميت: «من نظر نفسه فاز عند ربّه بشفاعة الأعمال الصالحة[١]».

و كانت قبلته الجنوب على خطّ نصف النهار.

و زعم أبو معشر أنّ الهرامسة كثيرون[٢]، إلّا أنَّ أفضلهم و أعلمهم ثلاثة: أولهم الذي قبل الطوفان، و يذكر الفرس أنَّ جده جيومرث و هو أخنوخ عند العبرانيين و إدريس عند العرب، و هو أول من تكلم في الاشياء العلويّة من الحركات النجومية، و أنّ جدّه جيومرث عمل ساعات الليل و النهار، و هو أول من بنى الهياكل و مجّد الله بها، و أول من تكلم في الطب، و ألّف لأهل زمانه قصائد موزونة و أشعاراً معلومة في الأشياء العلوية و الارضية. و هو أوّل من أَنذر بالطوفان و أنّ آفة سماوية [تلحق[٣]] الارض من الماء، و كان مسكنه صعيد مصر، فبنى الأهرام و مدائن البراني، لأنّه خاف ذهاب العلم بالطوفان، فبنى في البراني بناء و هو الجبل المعروف باليوماحيّة، و صوّر فيه[٤] جميع الصناعات و صاغها[٥] نقشا، و صوّر فيها جميع آلات الصناعة، و أَشار إلى صغار العلوم برسوم لمن بعده، خشية أن يذهب رسم تلك العلوم. و ثبت في الأثر المرويّ أنّه أول من درس الكتب و نظر في العلوم، و أنزل الله عليه [ثلاثين[٦]] صحيفة، و هو أول من خاط الثياب و لبسها.

[٤] ـ هرمس ٢

و هرمس الثاني بابليّ سكن مدينة الكلدانيين، و كان بعد الطوفان في مدينة بابل، و هو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود الجبّار. و بابل بالسريانية: النّهر، كأنّهم عنوا بذلك دجلة و الفرات. و كان بارعا في الطبّ و الفلسفة، عارفا بطبائع الأعداد، و كان تلميذه فيثاغورس، و جدّد من العلوم مادثر بالطوفان. و مدينة الكلدانيين مدينة الفلاسفة من أهل المشرق، و هم فلاسفة الفرس. و قد سبق في المقدمة ذكر الكلدانيين.

---

١. فاز بشفاعة عند ربه الاعمال الصالحة: ص.
٢. كثيرة: ص.
٣. يلحق: ص.
٤. فيها: ص.
٥. وصائغها: ص.
٦. ثلاثون: ص.

[۵]ـ هرمس ۳

و هرمس الثالث المصري، كان أيضا بعد الطوفان، و هو صاحب كتاب الحيوانات[۱] ذوات السّموم، و هو فيلسوف جوّال في البلاد، عالم بنفسها و بطبائع أهلها، و له كلام في الكيميا. و قيل تليمذه اسقلبيوس[۲].

و من مختار حكم هرمس الهرامسة و مواعظه و آدابه، قال: أول ما يجب على المرء الفاضل بطابعه، المحمود بسنخه، المرضيّ في عبادته، المرجوّ في عاقبته، تعظيم الله ـ سبحانه و تعالى ـ و شكره على معرفته. ثم بعد ذلك فللنّاموس حق الطاعة و الاعتراف بمنزلته، و للسلطان حقّ المناصحة و الانقياد، و لنفسه عليه حق الاجتهاد و التأدّب في فتح باب السعادة، و لخلصائه عليه حقّ التخلّي لهم بالودّ و التّسارع إليهم بالبذل. فاذا أحكم هذه الأسس لم يبق عليه إلّا كفّ الأذى من العامة، و حسن المعاشرة بسهولة الخلق.

و قال: لن يستطيع أحد أَن يشكر الله على نعمة بمثل الإنعام بها على خلقه.

و قال: من أراد البلوغ بالعلم و صالح العمل فليترك من يده أَداة الجهل و سيّئ العمل، كما أنّ الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة أخذ آلاتها، و ترك آلة النجارة، و إذا أراد الكتابة أخذ آلتها، و ترك آلة الخياطة؛ فحبّ الدنيا و حبّ الآخرة لا يجتمعان في قلب واحد أبدا.

و قال: لا ترفعوا دعاءكم بالجهالة، و لا بالنيات المدخولة، و لا تعصو الله[۳] و لا تتعدّوا حدوده و نواميسه، و لا يجرينّ أحدكم معاملة أخيه على ما يكره أن يعامل[٤] بمثله، و أنفعوا و تحابّوا و تابروا[۵] على الصوم و الصلوة جماعة ببصائر صافية نفيسة، و نيات غير منقسمة و لا مشوبة، و توادّوا على طاعة الله و التقوى له، و اتّبعوا الخير و اجتهدوا فيه، وَلْتكن[٦] تأْدية فرائض الله عليكم بالتمام و الكمال و الخشوع و الخضوع من غير عجب و استكبار، و إيّاكم و التّفاخر، و عليكم بالتّواضع لكيما تستكثروا أثمار الخير من أعمالكم.

---

۱. الحيوان: ص. ۲. اسقليبوس: ص. ۳. و لا تعصوه: ص.
٤. تكره ان تعامل: ص. ۵. تائروا: ص. ٦. وليكن: ص.

و قال: ابتعدوا[1] عن مخالطة الحوبة و الفسقة و متّبعي الضلال و مقابيح الأفعال، و لا تحلفوا بالله كاذبين، و لا تهجموا على الله باليمين، و اعلموا و استيقنوا أنّ تقوى الله ـ سبحانه ـ هي الحكمة الكبرى و النعمة العظمى و السبب الداعي إلى الخير، و الفاتح لأبواب الفهم و العقل، و أنّ الله ـ سبحانه ـ لمّا أحبّ عباده و هب لهم العقل، و خصّ[2] من بينهم أنبياءه بروح القدس، و كشف لهم سرائر الديانة و حقائق الحكمة لإنهاء الضلال، و تتبّع الرشاد.

و قال: استشعروا الحكمة، و اتّبعوا الديانة، و عوّدوا أنفسكم الوقار و السكينة، و تحلّوا بالآداب الحسنة الجميلة، و تروّوا[3] في أموركم و لا تستعجلوا، و لا سيّما في مجازاة المُسيء، و اجعلوا[4] الحياء ماء وجوهكم، و الخيفة من الله ـ سبحانه ـ حشو جنوبكم، و احذروا عواقب الندامة، [فبسلوك[5]] هذه السّبل [تصير[6]] النفس معتقةً من رقّ الجهالة و عبودية الحداثة.

و قال: لا تكن أيّها الانسان كالصبيّ، اذا جاع ضغا[7]، و لا كالعبد اذا شبع طغى، و لا كالجاهل إذا ملك بغى.

و قال: اهربوا من المآكل الخبيثة، و اجتنبوا[8] المكاسب الدنية، فإنّها و إنْ ملأت أكياسكم من المال، فإنّها [تفرغ[9]] قلوبكم من الإيمان. و من هذا سنح لي بالنظم الفارسي:

دين نيابى ز درم كيسه تهى تا نكنى
شاخ چون بذل درم كرد ثمر مى‌گيرد

و قال: عوّدوا أنفسكم إكرام الأخيار و الأشرار، أمّا الأخيار فلأجل خيرتهم، و أمّا الأشرار فلاستكفاء شرّهم.

و قال: لا تعجّل الذّنب بالعقوبة، و اجعل بينهما للاعتذار طريقا.

---

۱. ابعدوا: ص. ۲. اختصّ: ص. ۳. وردّوا: ص.
٤. اجعل: ص. ٥. فسلوك: ص. ٦. يصير: ص.
۷. ضغا: صاح و بكى و ضجّ: مص. ۸. + من: ص. ۹. يفرغ: ص.

و قال: [زلّة[١]] العالم ككسر السفينة تغرق و [يغرق[٢]] معها: خلق كثير.

و قال: غضب الجاهل في قوله، و غضب العاقل في فعله.

و قال: الأدب صورة العقل، فحسن عقلك في أدبك.

و قال: من جهل صورة الحكمة جهل صورة ذاته، و من جهل صورة ذاته كان بغير ذاته أجهل.

و قال: ما ينبغي للعاقل أن يطلب غيره، و طاعة نفسه ممتنعة عليه.

و قال: لا تمدح بكمال العقل من لا [تكمل[٣]] عفّته و لا بكمال العلم من لا يكمل عقله.

و قال: النصح بين الملأ تقريع.

و قال: إعادة الاعتذار تذكير للذّنب.

و قال: الجاهل صغير و إنْ كان شيخا، و العالم كبير و إنْ كان حدثا.

و قال: الجهل و الحمق للنفس بمنزلة الجوع للبدن، لأنّ هذين خلاء النفس، و هذا[٤] خلاء البدن. و سئل ما بالُ العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: لمعرفة العلماء بفضل الغناء، و جهل الأغنياء بفضل العلم.

و قال: العلم بالخير و الشّر هو تمام العلم، و بتمام العلم يكون تمام الحكمة، و بتمام الحكمة سلامة العاقبة.

و قال: الناس إثنان: طالب لا يجد، و واجد لا يكتفي.

و قال: العاقل لا يدع عيوبه بفرح ما ظهر من محاسنه.

و قال: الدليل[٥] على غريزة الجود السّماحة عند العسرة، و على غريزة الورع الصدق عند السخط، و على غريزة الحلم العفو عند الغضب.

و قال: مِن أَفضل الأعمال ثلاثة أشياء: أَنْ تبدلوا العدوّ صديقا، و الجاهل عالما، و الفاجر برّاً و قال: ما أَقلَّ منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة، و ما أكثر منفعة المعرفة مع ملك النفس.

و قال: اجتنب مصاحبة[٦] الكذّاب، فإِنّه مثل السراب [يلمع[٧]] و لا [ينفع[٨]].

---

١. ذلة: ص. ٢. تفرق: ص. ٣. يكمل: ص.
٤. هذين: ص. ٥. والدليل: ص. ٦. صاحبة: ص.
٧. تلمع: ص. ٨. تنفع: ص.

و قال: من مدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أَنْ [يذمّك[١]] بما ليس فيك.

و قال: من تكلّم بما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

و قال: خير الأصحاب من نسي ذنبك و لم يفزعك به.

و قال: اعطِ[٢] الحقّ من نفسك و إن لم تعطه منها كان الحاكم خصمك.

و قال: نعمة الجاهل كروضة في مزبلة.

و قال: رُبّ كلام جوابه السكوت، و ربّ عمل الكفّ عنه أفضل، و ربّ خصومة الإعراض عنها أصوب.

و قال: أفضل خلق الله في هذا العالَم الانسان، و أفضل ما في الانسان العقل، و أفضل أمور العقل تدبير العقل صاحبه بالعدل، فكفّ نفسه عن الذنوب.

و قال: إذا كان الملك لا يقدر على قهر حواسه و غلبة شهواته، فكيف يقدر على ضبط خاصّته! و إذا لم يقدر على ضبط خاصته، فكيف[٣] يقدر على ضبط أعوانه! و إذا لم يقدر على ضبط أَعوانه، فكيف[٤] يقدر على ضبط رعيته و مملكته! فسبيل الملك أن يبدأ بسلطانه على نفسه؛ ليستقيم على غيره.

و قال: من عادل الكفاف لم يُغنه[٥] الإكثار في الفائق، الكفاف أن يكون عندك ما يكفّ به الوجه عن الناس. و المنسوب إلى باب مدينة العلم ـ سلام الله عليه ـ بطريقة النظم:

النَّفسُ تَجزَعُ أَن تَكونَ فَقيرةً | و الفَقرُ خَيرٌ مِن غِنى يُطغِيها
و غِنَى النُّفوسِ هُو الكفافُ وَ إِنْ أَبَتْ | فَجَميعُ مَا فِي الأرضِ لا يَكفِيها

و قال الدنيا [تُهين[٦]] من كانت تكرمه، و الأرض تأكل من كانت تطعمه[٧].

و قال: يكفيك من الحاسد أن يغتمّ وقت سرورك.

و قال: لتلميذه: أَفَهمتَ ما قلت؟ قال: نعم. فقال: لا أرى عليك أثر الفهم. قال: و كيف

---

١. تذمك: ص. ٢. اعطى: ص. ٣. كيف: ص.
٤. كيف: ص. ٥. لم يغنيه: ص. ٦. يهين: ص.
٧. تطعمها: ص.

ذلك؟ قال: لا أراك مسروراً، و الدليل على الفهم السرور.

و قال: التزوّد من الخير و أنت مقبل، خير من أنْ تتزوّد[1] و انت مدبر.

و قال: لا يستطيع أحد أنْ يجد الخير و الحكمة، إلّا أنْ يخلص نفسه في المعاد، و الإخلاص له منه، إلّا أنْ تكون[2] له ثلاثة أشياء: وزير، و وليّ، و صديق. فوزيره عقله، و وليّه عفّته، و صديقه عمله الصالح.

[٦] ـ اسقلبيوس[3]

و هو أحد الملوك الأربعة الذين صحبوا هرمس الهرامسة، و أخذوا عنه الحكمة، وولاّه هرمس ربع الارض، كما مرّ ذكره.

و ذكر ابقراط في كتاب العهد، أنّ هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتقّ من البهاء و النّور، و زعم ابن جلجل أنّه تلميذ لهرمس المصري، و كان مسكنه أرض الشام. و كان هرمس الهرامسة لمّا رفعه الله و بلغ اسقلبيوس[4] هذا من أمره حزن لذلك حزنا شديدا، تأسّفاً على مافات أهل الارض من بركته و علمه، و صوّر صورته في هيكل عبادته، و كانت الصّورة على غاية ما يمكن من إظهار هيئة الوقار و العظمة، ثم صوّره مرتفعا إلى السماء، و كان إذا دخل الهيكل جلس بين يَدَي الصّورة معظّما كحالته في الوجود، و لم يزل على ذلك إلى أنْ مات. قيل إنَّ هذا[5] هو سبب عبادة الأصنام.

أَقول: غرض الحكيم من تصويره و تعظيمه كما في الحيوة أَنْ يفهم الناس أنَّ أهل الحكمة و الإيمان لا يموتون لانتقالهم من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية، بحيث يلزم امحاؤهم عن الخواطر و الأذهان، بل حالتهم في المات[6] كحالتهم في الحيوة، فكأنّهم ينظرون لهم، فينبغي تعظيمهم و تكريمهم و الاقتداء بأطوارهم الحسنة، و أوضاعهم الجميلة، و أخلاقهم المستحسنة مرّ الدهور و الأزمان، كما قال بعض أهل الإيقان:

---

١. تزوّد: ص. ٢. يكون: ص. ٣. اسقليبوس: ص.

٤. اسقليبوس: ص. ٥. هو: ص. ٦. المماة: ص.

هـرگز نـمرده‌انـد و نـميرند اهـل فـضل
حـرفيست نـام مـرگ بـرين فـرقه تـرجـمان

و الجهّال لا يفهمون مرامه، و لا يبلغون مقصده، فتصوّروا أنّ غرض الحكيم بتصويره عبادة صورته، حتى انجرّ تصوّرهم الباطل الى عبادة[1] أصنامهم العاطلة. و لذا ورد في الشريعة المطهرة حرمة تصوير صور المجسمة.

و ذكر جالينوس أنّ الله ـ تعالى ـ أوحى الى أسقلبيوس[2] لأن أُسمّيك ملكا أقرب منّي [ان] أُسمّيك إنسانا، و حكى افلاطون[3] عنه أنّه تحاكم إليه رجل و امرأة في جنين كان في بطن المرأة، فقال اسقلبيوس[4] للمرأة: يا ظالمة كان زوجك في هيكل عبدة الشمس يدعو لك بالبقاء و السلامة، و أنتِ قد واقعكِ غلام من بني فلان، و ستلدين غلاما مشوّها، فولدت جنينا في صدره يدان، ثم عطف على الرجل، فقال: يا هذا عقدت نكاح هذه المرأة على ما لا ينبغي، فحصدت منها أكثر مما زرعت.

و في تاريخ الفاضل الشهرزوري: أنّه مستنبط الطب، و كان معظّما عند اليونانيين، يستشفعون بقبره. و يقال: كان له في جميع نواحي الارض اثنا[5] عشر ألف تلميذ، و كان يسرج على قبره كل ليلة ألف قنديل، و كان أكثر الملوك و الحكماء من نسله، و كان نسله يتوارثون الطب إلى زمن أبقراط. و من المشهور في أمره أنّه رفع إلى الملائكة في عمود من نار كما حكاه أبقراط.

و يقال: إنّ الله ـ تبارك و تعالى ـ فعل اسقلبيوس[6] و سائر مَن أشبهه هذا الفعل كما يفنى الجزء الميت الارضيّ منه بالنّار، ثم يجتذب بعد ذلك الجزء[7] الذي لا يقبل الموت، و يرفع نفسه إلى السماء.

أقول: لعلّ المراد من هذا أنّ الإنسان إذا أباد شهواته الجسمانية بنار الصبر و الإمساك عنها، و هي التي يريد بها جزوه الميّت الارضيّ، و زيّن نفسه الناطقة بعد النّفي من هذه

---

١. الباطلة بعبادة: ص.
٢. اسقليبو.س: ص.
٣. أفلاطن: ص.
٤. اسقليبوس: ص.
٥. اثنى: ص.
٦. اسقليبوس: ص.
٧. جزء: ص.

الشهوات بالفضائل، و هي التي يريد بها الارتفاع إلى السماء، كان متّصفا بصفات اللـه ـ تعالى ـ و من هذا قال الشيخ الشبستري في گلشنه:

چو ممکن گردِ امکان برفشاند   بجز واجب دگر چیزی نماند

و توضيحه أَنّ السالك إذا اتّصف بصفات ربّه ـ جل شأنه ـ بحيث لم يبق في نظر كشفه و شهوده إلّا الموجود الحقيق، الذي هو مستقلّ في الوجود و صفاته الكماليّة، فصارت[1] صفاته و جميع الصفات الكمالية راجعة إلى صفاته ـ تعالى ـ التي هي عين ذاته، كما أنّ ذاته و جميع الذّوات الإمكانية صارت مستهلكة عنده في الذات الأحديّة، الواجبة، فلم يبق له ذات و صفات إلّا الواجب تعالى و صفاته التي هي عين ذاته، بمعنى الإنمحاء و الإضمحلال لا بمعنى الاتّحاد و الاتّصال، كما فهمه ضعفاء العقول ـ تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا ـ فتكميل النفوس عندهم يكون بالعلم اليقينيّ، بأَنْ لا موصوف بالوجود، و لا بالصفات الكمالية إلّا الحقّ ـ تعالى ـ و أنّ الصفات التي لها شائبة النقص فهي [ترجع[2]] إلى الهيئات الإمكانية و لوازم الماهيات الجوازية التي لا حقيقة لها كموصوفاتها من حيث موصوفا لها. هذا ما يفي العبارة في حلّ نظمه.

حاصل كلام آنكه چون محبت تامه ميان حق ـ جل و علا ـ و بندگان مخلص او به سرحد كمال رسد ايشان را به خلعت نامى گرامى اوصاف خود سرافراز فرموده بر مسند عزت و اختصاص به صفات ذات احديت متمكن سازد، تا هنگامهٔ محبت و محبوبيّت به جايى رسد كه غير از آنكه ذات مربوب بنده به امكانيت مختص باشد مغايرت صفاتى در ميان نباشد، چناچه پاره‌اى از آهن را حدّاد به كوره برد، و بعد از لحظه‌اى فرق ميان او و ميان آتش نماند، چه رنگ او رنگ آتش، و فعل او فعل آتش گردد، اما آهن آهن است، و آتش آتش، چناچه عارف رومى؛ بعد از تمثيل مذكور مى‌فرمايد:

آتشى چه آهنى چه لب ببند   ريش تشبيه و مشبه را مخند

۱. فصار: ص.   ۲. يرجع: ص.

و قال جالينوس في صورة اسقلبيوس[١] التي يجدونها في هياكلهم: إنّه صورة رجل ملتح[٢] متزيّن بجمة ذات ذوائب، و جعل على رأسه إكليل متّخذ من شجرة الغار. فقال: و إذا تأملته و جدته قائما متشمّرا مجموع الثياب، و ترى الأعضاء منه التي يستحيي من يكشفها مستورة، و الأعضاء التي يحتاج إلى استعمال الصناعة بها معرّاة مكشوفة. قال: و يصوّر آخذا بيده عصا معوّجة ذات شعب من شجرة الخِطميّ[٣]، و صوّروا عليها صورة حيوان طويل العمر ملتفّ[٤] عليها. و هو التنين، و السر في تصويره بهذه الصورة، و كونه بهذه الحِلية، فتصويره ملتحياً[٥] أنّ صناعته [تحتاج[٦]] إلى الشيخوخة و العفة، لأنّ اللحية أقرب إلى العفة، و قيامه متشمّرا إشارة إلى أنّه ينبغي للأطباء أن يتفلسفوا في جميع الأوقات، كما هو شأن القائمين المتشمّرين لإقدام الأمور، و بيده عصا موصوفة، فيدلّ بذلك على أنّه يمكن في صناعة الطب أَنْ يبلغ من السن من استعملها أن يحتاج إلى [عصا يتّكئ[٧]] عليها، و بالعصا أيضا ينتبه النّيام.

أَقول: و لعلّ العصا كناية عن الحكمة، و النيام الجهال، و الحكيم ينبّه الناس بإلقاء الحكمة عن رقدة الجهالة و نومة الغفلة، و أمّا تصوير العصا من شجرة الخَطمِيّ، فأنّ الخِطميّ كما ذكر الأطباء دواء يسخن إسخانا معتدلا، و فيه منفعة كثيرة اذا استعمل مفردا أو مركبا، و لهذا السبب نجد[٨] اسمه في اللسان اليوناني مشتقا من اسم المعالجات، و ذلك بأنّهم يدلون بهذا الاسم على أَنَّ الخِطميّ فيه منافع كثيرة. و أمّا اعوجاجها و كثرة شُعَبِها، فيدل على كثرة الأصناف و التفنّن الموجود في صناعة الطب، و أمّا تصويرهم العصا صورة التنين، فلأسباب[٩] كثيرة، إمّا لِأَنّه حيوان حادّ النظر، كثير السّهر، لا ينام في وقت من الأوقات، و قد ينبغي لمن قصد تعلّم صناعة الطب أَنْ لا يتشاغل عنها بالنّوم، و يكون في غاية الذكاء، لتمكّنه أَنْ يتقدم. فيبدر بما هو حاضر، و بما من شأنه أَنْ يحدث؛ و قالوا: إِنَّ هذا الحيوان ـ

---

١. اسقلينوس: ص. ٢. ملتحي: ص.

٣. الخطمي، بفتح الخاءو كسرها: نبات يغسل به او يغسل به الرأس. ٤. تلتفّ: ص.

٥. ملتحي: ص. ٦. يحتاج: ص. ٧. عصىً تتكئ: ص.

٨. يجد: ص. ٩. لأسباب: ص.

أَعني التنين ـ طويل العمر جدًا، و قد[١] تمكن في المتعملين للصناعة أن يطول أعمارهم، و أمّا تصويره[٢] و في رأسه إكليل من شجرة الغار؛ لأنّ من خاصية هذه الشجرة أَنْ [تذهب[٣]] بالحزن، و أنّ الاطباء ينبغي لهم أَنْ يصرفوا عنهم الأحزان؛ و لأنَّ في هذه الشجرة قوة تشفي الأمراض، و من ذلك أنّك إذا ألقيته في موضع هربت من ذلك الموضع الهوامّ ذوات السموم، و كذلك أيضا ثمرة هذه الشجرة و هي التي تسمّى حبّ الغار، إذا مُرِّخ[٤] بها البدن فعل فيه شبيها بفعل الجنّ[٥] بيدستر.

و من الآداب و الحكم التي لأسقلبيوس[٦] انّه قال[٧]: من عرف الأيّام لم يغفل الاستعداد،

و قال: إنَّ أحدكم بين نعمة من بارئهِ و بين ذنب عمله، و ما يصلح هاتين الحالتين إلا الحمد للمنعم، و الاستغفار من الذنب.

و قال: كم من دهر ذممتوه، فلّما صرتم إلى غيره حمدتموه، وكم من أمر بُغضت أوائله، و بكي عند أواخره عليه.

و قال: المتعبّد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور و لا يرح و لا يدري ما هو فاعل.

و قال: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.

و قال: إعطاء الفاجر تقوية على فجوره، و الصنيعة عند الكفور إضاعة للنعم، و تعليم الجاهل إزدياد في الجهل. و مسألة اللئيم إهانة للعِرض.

و قال: إنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّن يحتمي من المآكل الردية مخافة الضرر، و لا يدع الذنب مخافة الآخرة.

و قال: اكثروا من الصّمت فإنّه سلامة من المقت، و استعملوا الصّدق فإنّه زين النطق، و قيل له: صف الدنيا فقال: أمس أجل، و اليوم عمل، و غدا أمل.

و قال: المشفق عليكم يُسيء الظنّ بكم، و الزاري عليكم كثير العتب عليكم[٨]، و ذو

---

١. و قد ... ان يطول: و الاصح ان تكون العبارة بهذاالاسلوب: و قد أمكن لمستعملي الصناعة أن تطول: مص.

٢. و: الواو ساقطة من ص: مص. ٣. يذهب: ص. ٤. مزج: ص.

٥. الجند: ص. ٦. اسقلينوس: ص. ٧. «انّه» ساقطة في ص.

٨. لكم: ص.

البغضاء لكم قليل النصيحة لكم.

و قال: سبيل من له دين و مروّة أن يبذل لصديقه نفسه و ماله، و لمن يعرفه طلاقة وجهه و حسن محضره، و لعدوّه العدل، و أَنْ يتصاون عن كل حال بغيبته.

تتميم

في طبقات الأطباء اليونانيين، الذين هم من نسل اسقلبيوس[١] الأطباء الحذّاق المشهورين من اليونانيين الذين كان يقتدى بهم في صناعة الطب ثمانية: اسقلبيوس[٢] المذكور، و غُورس، و مَنيس، و برمانيدس، و افلاطون الطبيب، و اسقلبيوس[٣] الثاني، و أبقراط، و جالينوس. و لمّا حصلت لأسقلبيوس[٤] معرفة صناعة الطب بالتجربة شرع في تعليمها لأولاده و أقاربه و عهد إليهم أن لا يعلّموا هذه الصناعة لأحد إلّا لأولادهم و لمن هو من نسل اسقلبيوس[٥] لا غير، و كان الذي خلف[٦] اسقلبيوس[٧] من التلاميذ من ولد و قرابة ستّة، و هؤلاء على رأي أستاذهم اسقلبيوس[٨] في التجربة إلى أن ظهر غورس الثاني من الأطباء الحذّاق، و كان من وفاة اسقلبيوس[٩] إلى ظهور غورس ثمانمائة و خمسون[١٠] سنة، و لمّا نظر غورس في رأي التجربة قوّاه، و خلفه[١١] من التلاميذ سبعة، و هؤلاء أيضا تابعون[١٢] رأي التجربة إلى أن ظهر منيس و هو الثالث من الأطباء الثّمانية، و كانت مدّة حياته أربعة و ثمانين سنة، كان من وفات غورس إلى ظهور منيس خمسمائة و ستّون[١٣] سنة، و لمّا ظهر منيس نظر في مقالات من تقدمه فرأى أَنَّ التجربة وحدها[١٤] خطأ فضمّ إليها القياس، و قال: التجربة بالقياس خطر، و لمّا توفّي منيس خلفه[١٥] من التلاميذ أربعة، و رأيهم أيضا التجربة و القياس، و لم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ إلى مَن علّموه إلى أَنْ ظهر برمانيدس و هو الرابع من الأطباء الثمانية، و كانت مدة حياته أربعين سنة، و لمّا ظهر

---

١. اسقليبوس: ص.
٢. اسقليبوس: ص.
٣. اسقليبوس: ص.
٤. اسقليبوس: ص.
٥. اسقليبوس: ص.
٦. خلفه: ص.
٧. اسقليبوس: ص.
٨. اسقليبوس: ص.
٩. اسقليبوس: ص.
١٠. خمسين: ص.
١١. خلف: ص.
١٢. تابعو: مص.
١٣. و ستّين: ص.
١٤. وحده: ص.
١٥. خلف: ص.

برمانيدس و نظر، قال: إنّ التجربة وحدها لو[١] كانت مع القياس خطر فأسقط التجربة و انتحل القياس وحده، و لمّا توفي برمانيدس خلفه[٢] من التلاميذ ثلاثة انفار[٣]: ثاسلس، و أقرن، و ديوفيلنس، فوقعت بينهم المنازعات فانفصلوا ثلاث فرق، فادّعى أقرن التجربة وحدها، و ديوفيلنس القياس وحده، و توهّم ثاسلس الحِيَل، و ذكر أنّ الطب حيلة، و لم يزل هذا الحال بينهم إلى أن ظهر افلاطون[٤] الطبيب، و هو الخامس من الأطباء الثمانية، و كانت مدة حياته ثمانين[٥] سنة، و كان من مدة وفاة برمانيدس إلى ظهور افلاطون[٦] الطبيب سبعمائة و خمسة و ثلاثون[٧] سنة، و لمّا ظهر افلاطون[٨] نظر في هذه المقالات، و اتّضح له أنّ التجربة وحدها رديّة و خطر، و القياس وحده لا يصحّ، فانتحل الرأيين جميعا، و أحرق الكتب التي ألّفها ثاسلس و أصحابه في الحيل، فاختار رأيا و احدا من التجربة و القياس، و ترك الكتب القديمة التي فيها الرأيان جميعا، و لمّا توفي افلاطون[٩] خلف[١٠] من التلاميذ[١١] و من الأولاد و الأقرباء ستة: ميرونس أفرده بالحكم على الأمراض، و فورونس أفرده بالتدبير للأبدان، و فورس أفرده بالفصد و الكيّ، و ثافروزس أفرده بعلاج الجراحات، و سرجس أفرده بعلاج العين. و فانيس أفرده بجبر العظام المكسورة و إصلاح المخلوعة. و لم يزل الطب يجري أمره على سداد بين هؤلاء التلاميذ الستّة و بين من خلفوهم إلى أن ظهر اسقلبيوس[١٢] الثاني، و هو السادس من الأطباء المشهورين الثمانية، و كانت مدة حياته مائة و عشر سنين، و كان من وفاة افلاطون[١٣] إلى ظهور، اسقلبيوس[١٤]، الثاني ألف و اربعمائة و عشرون[١٥] سنة، و لمّا ظهر اسقلبيوس[١٦] الثاني نظر في الآراء القديمة فصوّب رأي افلاطون[١٧] و اختاره ثم توفّي. و خلف[١٨] ثلاثة تلاميذ من أهل بيته: و هم بقراط بن

---

١. او: ص.
٢. خلف: ص.
٣. ثلث نفر: ص.
٤. أفلاطن: ص.
٥. ثمانون: ص.
٦. أفلاطن: ص.
٧. ثلاثين: ص.
٨. أفلاطن: ص.
٩. أفلاطن: ص.
١٠. خلفه: مص.
١١. «و» ساقطه من ص: مص.
١٢. اسقليبوس: ص.
١٣. أفلاطن: ص.
١٤. اسقليبوس: ص.
١٥. و عشرين: ص.
١٦. اسقليبوس: ص.
١٧. أفلاطن: ص.
١٨. و خلفه: مص.

ابراقليس، و ماغارانيس و وارجيس، فلم تمض عدّة اشهر[۱] حتى توفّي ماغارانيس، و لحقه وارجيس، و بقي بقراط و حيد الدّهر كامل[۲] الصناعة قويّ[۳] التجربة و القياس بقوّته العظيمة العجيبة، و لمّا رأى أبقراط صناعة الطب قد قربت إلى الذّهاب و وجد[٤] كثيرا منهم قد أحدثوا آراء كاذبة ـ يريد في كل زمان ـ فخاف أَنْ ينمو[٥] الفساد، فيضيع ما خلّفه حبرهم اسقلبيوس[٦] و سورس من[۷] صناعة الطب فرأى إثباتها في الكتب بأَقاويل غامضة، و تعليمها على الغرباء المستحقّين ذاهبا إلى أَنَّ الغريب مستحقّا كان أولى من القريب الغير[۸] المستحقّ، و أمر أَنْ يذيعَها في سائر البلاد؛ لئلّا تبيد، و جعل المتعلّمين للطب كأولاده بما عقد في رقابهم من الأَيمان ـ كما سيأتي في تلو أَحواله إن شاء الله تعالى ـ و لم يكن في الطب قبل زمانه كتب، بل كان كل واحد من آل اسقلبيوس[۹] يلقّنه[۱۰] إلى مَن علّمه[۱۱] إيّاه تلقينا قريبا بالألغاز؛ لئلّا تخرج[۱۲] هذه الصناعة الشريفة عن أهلها[۱۳] إلى سفالة الناس فتذهب[۱٤] محاسنها، و يكثر الغلط فيها. ثم لا يخفى أنّ هذا القول ـ أعني عدمَ كتابة[۱۵] صناعة الطب قبل زمان أبقراط ـ لا ينافي ما تقدم من إحراق افلاطون[۱٦] الطبيب ـ الذي قبل زمان أبقراط بكثير ـ الكتب[۱۷] التي أَلَّفها ثاسلس و أصحابه في الحِيل؛ لأَنَّ الكتب المؤلّفة المحروقة في بيان أَنَّ الطب إنّما هو حيلة لا بسط صناعة الطب و إثباتها مفصّلة في الصحف كما فعله أبقراط، و أمر بنشرها و تعليمها و تدريسها ـ فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء و رفع درجته في يوم الجزاء من بين الأطباء ـ.

[۷] ـ أبقراط الحكيم

هو السابع من الأطباء العظماء الثمانية ابن ابراقليس بن أبقراط بن عبو سيد يقوس بن

---

۱. بمض عديدة: ص. ۲. كاملة: ص. ۳. قوية: ص.
٤. فوجد: ص. ٥. ان ينتمي: ص. ٦. اسقليبوس: ص.
۷. ـ من: ص. ۸. غير: مص. ۹. اسقليبوس: ص.
۱۰. يلقّيه: ص. ۱۱. تعلّمه: ص. ۱۲. يخرج: ص.
۱۳. توجد كلمة «و نال» في ص و هي زائدة: مص. ۱٤. فذهب: ص.
۱۵. كتبة: ص. ۱٦. أفلاطن: ص. ۱۷. كتب: ص.

هردوس بن سوسطراطس بن ثاودروس بن فلامونطاداس بن فرسائيس الملك، و أمّه فراكسيا بنت فهيارهطى من بنت ابرقليس فهو نجيب الطرفين، لأنّ أباه من آل اسقلبيوس[١] و أمّه من آل ابرقليس تعلّم صناعة الطب من أبيه أبرقليدس، و هو تلميذ الاسقلبيوس[٢] الثاني الطبيب.

أقول: إن كان [أبقراط[٣]] من ولد اسقلبيوس[٤] الثاني الطبيب فممكن و إن كان من الاول كما نصّ به الفاضل الشهرزوري في تاريخه، فالظاهر أنّه مستحيل، لأنّ الجمّ الغفير من المؤرّخين ذهبوا إلى[٥] أنّ النسل انقطع بالطوفان إلّا من ولد نوح عليه السلام و هم سام، و حام، و يافث. و كان اسقلبيوس[٦] الأول كما سبق قبل الطوفان، و بين زمن اسقلبيوس[٧] الاول و أبقراط آلاف السنين[٨] فلا سبيل لأحد أنْ ينسب إليه إلّا من ينكر عموم الطوفان، و من الطوائف القائل بذلك[٩] هو يعلم.

و ظهر أبقراط سنة ستّ و تسعين لبختنّصر بن اسفنديار بن كشتاسب، و هي سنة أربع عشرة لملك بهمن، و كان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة، و تفسير أبقراط: ضابط الحيل، و قيل معناه: ماسك الصحة، و قيل: ماسك الأرواح، و أصل اسمه باليونانية ابقوقراطيس، و يقال بقراطيس، و إنّما العرب عادتهم تخفيف الاسماء و اختصار المعاني فخفّف، فقالوا أبقراط و بقراط، و مدّة حياته خمسة و تسعون[١٠] سنة؛ و نقل من خطّ اسحق أنّه عاش تسعين سنة، و مات بالفالج؛ و كان سكناه في مدينة فو، فلمّا رأى انقراض صناعة الطب لقلّة الأبناء المتوارثين لها من آل اسقلبيوس[١١]. قال: إنّ الجود بالخير يجب أنْ يكون على كلّ أحد يستحقّه قريبا كان أو بعيدا، و اتّخذ الغرباء و علّمهم هذه الصناعة الجليلة ـ كما ذكرنا ـ و عهد إليهم العهد الذي كتبه، و أحلفهم بالأيمان المذكورة فيه، و أنْ لا [يخالفوا[١٢]] ما شرطه

---

١. اسقليبوس: ص.
٢. اسقليبوس: ص.
٣. بقراط: ص.
٤. اسقليبوس: ص.
٥. على: ص.
٦. اسقليبوس: ص.
٧. اسقليبوس: ص.
٨. سنين: ص.
٩. و: أظنها ساقطة من ص: مص.
١٠. تسعين: ص.
١١. اسقليبوس: ص.
١٢. تخالفوا: ص.

عليهم، و أن لا يعلّموا هذا العلم أحدا إلّا بعد أخذ العهد منه[١]، و كان له ولدان فاضلان و هما: ثاساليس و درافن، و تلميذ فاضل، و هو فولونس، فعلّمهم هذه الصناعة، فوضع عهداً استحلف فيه المتعلّم لها على أنْ يكون لازما للطهارة و الفضيلة، ثم وضع ناموسا عرّف فيه من الذي ينبغي أن يتعلّم صناعة الطب، ثم وضع وصية عرّف فيها جميع ما يحتاج إليه الطبيب في نفسه. و سننقل لاحقاً[٢] نسخة العهد و الناموس و الوصية ـ ان شاء[٣] الله تعالى ـ.

و له عناية بالغة في مداواة المرضى، حيث أنَّه استنبط أجناس الامراض و جهات مداواتها، و أنّه أول من جدّد البيمارستان و اخترعه و أوجده، و ذلك أنّه عمل بالقريب من داره موضعا مفردا للمرضى، و جعل فيه خدما[٤] يقومون بمداواتهم، و سمّاه أخشدوكين أي مجمع المرضى، و لم يكن لِأبقراط رغبة في خدمة أحد من الملوك بطلب الغنى، و لا في زيادة مال يفضل عن احتياجه الضروري، و كان لا يأخذ الأجرة إلّا من الأغنياء دون الفقراء و أواسط الناس، و كان أخذه طوقا او إكليلا أو سوارا من ذهب، و أنّه أول من دوّن صناعة الطب و أشهرها و أظهرها ـ كما قلنا قبل ـ و جعل أسلوبه في تأليف كتبه على ثلاث طرائق من طرق[٥] التّعليم: أحدها على سبيل اللّغز، و الثانية على طريق الإيجاز و الإختصار، و الثالثة على طريق التساهل و التليين. و الذي يُدرّس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب إذا كان درسه على أصل صحيح و ترتيب جيّد اثنا عشر كتابا، و هي المشهورة كثيرا من سائر كتبه:

الأوّل: كتاب الأجنّة[٦].

الثاني: كتاب طبيعة الانسان.

الثالث: كتاب الأهوية و المياه و البلدان.

الرابع: كتاب الفصول.

الخامس: تقدمة المعرفة.

السادس: كتاب الامراض الحادّة.

السابع: كتاب أوجاع النساء.

الثامن: كتاب الأمراض الوافدة و يسمى ابيذيميا.

---

١. اليه: ص. ٢. و قد نقلنا آنفا: ص. ٣. انشاء: ص.

٤. + و: ص. ٥. طريق: ص. ٦. الأخبة: ص.

التاسع: كتاب الأخلاط.

العاشر: كتاب الكسر و الجبر.[١]

الثاني عشر: كتاب قاطيطريون، أي حانوت الطب. و يستفاد من هذا الكتاب ما يحتاج إليه من أعمال الطب التي تختص[٢] [بعمل[٣]] اليَدَينِ دون غيرها من الرّبط و الشدّ و الجبر، و الخياطة و ردّ الخلع و التنطيل[٤]، و التكميد، و جميع ما يحتاج إليه.

و قال جالينوس: إنَّ أبقراط بنى أمره على أَنَّ هذا الكتاب أول كتاب يقرأ من كتبه. و كذلك ظن به جميع المفسّرين، و سمّاه الحانوت يجلس فيه الطبيب لعلاج المرضى.

قال المؤرّخ الخزرجي: و الأجود أَنْ يَجعَلَ ترجمته كتاب الأشياء تعمل[٥] في حانوت الطبّ.

أقول: و لعلّ تفسيرهم أوفق، و المراد أَنَّ هذا الكتاب كالمسكن للطبيب؛ لشدّة احتياجه إليه، أي يتوقّف في هذا الكتاب و يتمرّن على[٦] أعماله المذكورة أوّلاً، ثم يشتغل[٧] بسائر ما يحتاج لمداواة المرضى من اكتسابه.

و حكى جالينوس أَنَّ في زمان أردشير ملك الفرس جدّ دارا ابن دارا عرض للفرس وباء فوّجه إلى عامله أَنْ يحمل أبقراط مائة قنطار، و يحمله بكرامة و إجلال، و أَنْ يكون هذا المال تقدمة له و يضمن له أَقطاعا[٨] بمثلها، و كتب إلى ملك اليونانيين يستعين به على إخراجه إليه، فلم يجب ابقراط إلى الخروج عن بلده إلى الفرس، فلمّا ألحّ عليه ملك اليونانيين في الخروج قال له أبقراط: لَستُ أُبدّل الفضيلة بالمال؛ و كان شديد العناية بعلاج المساكين و الفقراء الذين كانوا في بلدته و في مدن أخر، و دار بنفسه جميع مدن اليونانيين حتى وضع لهم كتابا في المياه و الأهوية و البلدان. و رأيت في بعض التواريخ القديمة أَنَّ ابقراط كان في زمن

---

١. سقط من ص الكتاب الحادي عشر: مص. ٢. يختص: ص.
٣. يعمل: ص.
٤. نطّل المريض: صبّ عليه السائل شيئاً بعد شيء يعالجه به. و أظن أنه يقصد به التنتيل و هو الجذب إلى قدّام.
٥. يعمل: ص. ٦. - على: ص. ٧. اشتغل: ص.
٨. جمع قطعة: مص.

بهمن بن اردشير، و كان بهمن اعتلّ فأنفذ إلى أهل بلد أبقراط يستدعيه، فامتنعوا من ذلك، و قالوا: إنْ خرج بقراط من مدينتنا خرجنا جميعا، فرقّ لهم بهمن و تركه عندهم.

و رأيت حكاية ظريفة لأبقراط و ذلك أنّ افليمون صاحب الفراسة كان يزعم في زمانه أنّه يستدلّ بتركيب الإنسان على أخلاق نفسه فاجتمع تلاميذ بقراط، و قال بعضهم لبعض: هل تعلمون في زماننا هذا أعلم و أورع من هذا المرء؟ يعني أبقراط ـ فقالوا: لا نعلم. فقالوا: نمتحن به أفليمون فيما يدّعي من الفراسة، فصوّروا صورة أبقراط، ثم نهضوا بها إلى أفليمون، فلمّا حضروا قالوا له: أيّها الفاضل الذكيّ أُنظر إلى صورة هذا الشخص و احكم من تركيبه على أخلاق نفسه، فنظر أفليمون إليه فأمعن النظر، ثم حكم فقال: رجل يحب الزنا. فقالوا له: كذبت هذه صورة بقراط. فقال لهم: لابدّ لعلمي اَنْ يصدق فاسئلوه، فإنّه لا يرضى بالكذب، فرجعوا إلى بقراط و أخبروه الخبر، فقال بقراط: صدق أفليمون أحبّ الزنا و لكنني أملك نفسي.

و افليمون هذا، رجل فاضل خبير بالفراسة، معاصر لبقراط، شاميّ الدار، إذا رأى الشخص استدلّ بتركيبه على أخلاقه؛ و له في ذلك تصنيف مشهور، خرج من اليونانية إلى العربية، و لم يذكر أهالي تواريخ الحكماء التى[1] رأيناها أحواله مفصّلا، و رأيت في بعض الكتب نقلا عن المعلم الثاني الشيخ الفارابي اَنَّ أول من أبدع علم القيافة هوشنج[2]، و قال افلاطون[3] في شأنه: لا سابق له و لا لاحق. و من كلامه: الظّاهر عنوان الباطن. و هذه نسخة العهد الذي وضعه ابقراط:

قال: إنّي أقسم بالله رب الحيوة[4] و الموت، و واهب الصحة، و خالق الشفاء و كلّ علاج، و أقسم بأسقلبيوس[5] و بأولياء الله من الرجال و النساء جميعا، و أشهدهم[6] جميعا على اَنْ أَفِيَ بهذه اليمين و هذا الشرط، و أرى اَنَّ المعلّم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي، و أواسيه في معاشي، و إذا احتاج إلى مال واسيته و واصلته من مالي، و أمّا الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لاخوتي، و أعلّمهم هذه الصناعة إنِ احتاجوا إلى تعليمها بغير أجرة و لا شرط و

---

١. الذى: ص.
٢. هوشنگ: ص.
٣. افلاطون: مص.
٤. الحياة: مص.
٥. اسقليبوس: ص.
٦. و أُشهدتم: ص.

أُشرك أولادى و أولاد المعلم لي، و التلاميذ الذين كتب عليهم الشرط و حلفوا[١] بالناموس الطبي في الوصايا و العلوم و سائر ما في الصناعة.

و أما غيرها فلا أفعل به ذلك، و اقصد في جميع التدبير ـ بقدر طاقتي ـ منفعة المرضى. و أما الأشياء التي يضرّ بهم دَيدَنِي منهم بالجور عليهم فامنع منها بحسب رأيي، و لا أعطي إذا طلب منّي دواء قتّالا، و لا أشير أيضا بمثل هذه المشورة، و لذلك أيضا لا أرى اَنْ اُدني من النسوة فرزجة[٢] تسقط[٣] الجنين، و احفظ في تدبيري و صناعتي على الذكاء و الطهارة، و لا أشقّ أيضا عمّن في مثانته و لكن أَترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، و كل المنازل التي أدخلها إنّما أدخل إليها لمنفعة المرضى، و أَنا بحال خارجة عن كل جور و ظلم و فساد رأي مقصود إليه في سائر الاشياء. و أمّا الاشياء التي أُعانيها في أوقات علاج المرضى، أو غير أوقات علاجهم في تصرّف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجا، فأمسك عنها داري إن أَمثالها لا ينطق به من أكل هذه اليمين، و لم يفسد منها شيئاً كان له اَنْ يكمل تدبيره و صناعته على أفضل الاحوال و أجملها، و اَن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائما، و من تجاوز ذلك فلما يصل.

و هذه نسخة ناموس الطب لأبقراط، قال: إنّ الطب أشرف الصنائع كلها إلّا اَنّ نقصَ فهم من ينتحلها[٤]، صار سببا لثَلبِ الناس إياها؛ لاَنّه لم يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدّعيها ممّن ليس بأهل للتسمّي بها إذا كانوا تشبهوا بالأشباح[٥] التي يحضرها أصحاب الحكاية، ليلهوا[٦] الناس بها، فكما أنّها صور لا حقيقة لها، فكذلك هؤلاء الاطباء بالاسم كثيرون و[٧] بالفعل قليلون جدّا، و ينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أَن يكون ذا طبيعة جيّدة مواتية، و حرص شديد و رغبة تامة، و أفضل ذلك كلّه الطبيعة؛ لاَنّها إذا كانت مواتية فينبغي أن يُقبل على التّعليم لا لضجر؛ ليتطبع في فكره، و يثمر ثمارا حسنة مثل ما يُربي في نبات الارض، أمّا الطبيعة فمثل التربة، و أما منفعة التعليم فمثل الزرع، و أما تربة[٨]

---

١. و احلفوا: ص. ٢. الفرزج: نوع من الصباغ: مص. ٣. يسقط: ص.
٤. يتحللها و: ص. ٥. الاشباح: ص. ٦. لِتُلهوا: ص.
٧. كثيرو بالفعل قليل: ص. ٨. بتربته: ص.

التعليم فمثل وقوع البزر في الارض الجيّدة فمتى قدموا[1] العناية في صناعة الطب بما ذكرنا، ثم صاروا إلى المدن لم يكونوا أطباء بالاسم، بل بالفعل. و العلم بالطب كنز جيّد، و ذخيرة فاخرة لمن علمه مملوّاً سرورا سرّا و جهرا، و الجهل به لمن انتحله صناعة سوء و ذخيرة رديّة، عديمة السرور، دائم الجزع و التهور، و الجزع دليل على الضعف، و التهوّر دليل على قلّة [الخبرة[2]] بالصناعة.

و هذه وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطب، قال: ينبغي اَن يكون المتعلّم للطب في جنسه حُرّا، و في طبعه جيّدا، حديث السنّ، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيّد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأي عند المشورة، عفيفا شجاعا غير محبّ للفضة، مالكا لنفسه عند الغضب، و لا يكون تاركا له في الغاية، و لا يكون بليدا. و ينبغي أَن يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه، حافظا للأسرار؛ لأَنّ كثيرا من المرضى يوقفنا على أمراض بهم لا يحبّون أن يقف عليه غيرنا، و ينبغي اَن يكون محتملاً للشتيمة؛ لاَنّ قوما من المُبرسمين و أصحاب الواسواس السوداوي يقابلوننا بذلك، و ينبغي لنا اَن نحتملهم عليه، و نعلم اَنّه ليس منهم، و اَنّ السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة. و ينبغي اَن يكون خلق رأسه معتدلا مستويا، و لا يستقصي قصّ أظافير يَدَيه و لا يتركها تعلو على أطراف أصابعه، و ينبغي أن تكون[3] ثيابه بيضاء نقيّة ليّنة، و لا يكون في مشيه مستعجلا؛ لاَنّ ذلك دليل على الطيش، و لا متكاسلا؛ لاَنّه يدلّ على فتور النفس، و إذا دُعي إلى المريض فليقعد متربّعا، و يستخبر منه حاله بسكون و تأنّ، لا بقلق و اضطراب، فإنّ هذا الشكل و الزيّ و الترتيب عندي أَفضل من غيره.

و قال حنين بن اسحق في كتاب نوادر الفلاسفة و الحكماء: اَنّه كان منقوشا على فصّ خاتم أبقراط: المريض الذي يشتهي أَرجىٰ عندي من الصحيح الذي لا يشتهى شيئا.

و في كتاب مختار الحكم و محاسن الكلم: اَنّ ابقراط كان ربعة، أبيض، حسن الصورة، أشهل العينين، غليظ العظام، ذا غضب، معتدل اللحية ابيضها، منحنى[4] الظهر، عظيم الهامة،

---

۱. قدمت: ص. ۲. الخبر: ص. ۳. يكون: ص.

٤. منحن: ص.

بطيء الحركة، اذا التفت، التفت بكلّيته، كثير الإطراق، مصيب القول، متأنّياً في كلامه، يكرّر [للسامع[۱]] منه، و نعلاه أبدا بين يديه إذا جلس، إن كلّم أجاب، و ان سكت عنه سأل، و إن جلس كان نظره إلى الارض، معه مداعبة، كثير الصوم، قليل الأكل، بيده إمّا مرود و إمّا مبضعٌ.

و من الآداب و الحكم لأبقراط، قال: الأبدان إذا لم [تكن[۲]] نقيّة فكلما غذوتها ازدادت رداءتها[۳]، و كذا النفس العليلة الرديّة بالقياس إلى أغذيتها أعني الحكمة.

و قال: ليس بحكيم مَن عرف السبيل و جاز عنه، و لبس رداء الجهالة، و ليس بحيّ من لم يسع في نجاة نفسه، و موت البلى للجاهل خير من الحيوة، لأنّ الرذائل الطبيعية إذا تعلقت بالنفوس[٤]، ربطتها في حبالتها، فهو يموت موتا بعد موت و تألُّماً بعد تألُّم، و ربّما بقيت مربوطة لا ينجو منها، و الأَسير إذا آثر ذلّ الأَسر على عزّ النجاة و الخلاص، و رضي بالصغار، فالموت له راحة.

و قال: العلم روح، و العمل بدن، و العلم أصل، و العمل فرع، و العلم والد، و العمل مولود، و كان العمل لمكان العلم، و لم يكن العلم لمكان العمل.

و كان يقول: العمل خادم العلم، و العلم غايته، و العلم رائد و العمل مرسل.

و قال: إنّ الناس اغتذوا في حال الصحة بأَغذية السّباع فأمرضتهم، فغذوناهم بأَغذية الطير فصحّوا.

و قال: إنّما نأكل لنعيش لا نعيش لنأكل.

و قال: لا تأكل حتى يأكل.

و قال: مثل المنيّ في الظهر، كمثل الماء في البئر إن نزفته فَارَ و إن تركته غَارَ.

و قال: إذا كان الغدر طبعاً[٥]، كانت[٦] الثقة بكل أحد عجزاً و اذا كان الرزق مقسوما، كان الحرص باطلا.

و قال العافية ملك خفيّ لا يعرف قدرها إلّا من عدمها.

---

۱. السامع: ص. ۲. يكن: ص. ۳. رداءته: ص.
٤. بالنفوس و: ص. ٥. طباعاً: ص. ٦. كان: ص.

و قال: قلّة العيال أحدا ليسارين.

أقول: هذا الكلام بلا تغيير [في] العبارة و النظم في نهج[۱] البلاغة المكرّمة لِباب مدينة العلم ـ سلام الله عليه ـ و المراد أنّ الغنىٰ المتعارف يكون بحصول المال، و للمال اعتباران: أحدهما حصوله، و الثاني عدم إنفاقه، فحصوله يسار، و عدم إنفاقه على العيال لقلّتهم يسار ثان، و أَطلق اليسار على قلّة العيال ـ مجازا ـ اطلاق اسم المسبّب على السبب. و قيل له: أَيّ العيش خير؟ فقال: الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف. و دخل على عليل فقال له: أَنَا و أَنت و العلّة ثلاثة فَإن أَعنتَنِي عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين، و انفردت العلّة فقوينا عليها، و الإثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه. و لقد[۲] صدق من قال:

اگـر دو يـار مـوافـق دو دل يكـى سـازد
فـلك بـه يك تـن تـنها چـه مـى توانـد كـرد

و قال: من أحبّ لنفسه الحيوة[۳] أماتها.

و قال: العلم كثير، و العمر قصير، فخذ من العلم ما يبلغك قليله إلى كثيره.

و قال: إنّ المحبة قد تقع[٤] بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل، و لا تقع[٥] بين الأحمقين من باب تشاكلهما في الحمق؛ لأنّ العقل يجري على ترتيب موافق، فيجوز أَنْ يتّفق فيه اثنان على طريق واحد، و الحمق لا يجري على ترتيب فلا يجوز أن يقع به اتّفاق بين اثنين.

و قال: ينبغي للمرء أَن يكون في دنياه كالمدعوّ في الوليمة إذا أُتته الكأس تناولها، و إن جاوزته لم يرصدها، و لم يقصد لطلبها، كذلك يفعل في الأهل و المال و الولد.

و من كلامه: الجسد يعالج جملة على خمسة أضرب: ما في الرأس بالغَرغَرة، و ما في المعدة بالقيّ، و ما في البدن بإسهال البطن، و ما بالجلد بالعرق، و ما في العمق و داخل العروق بإرسال الدم.

و قال: الصفراء بيتها المرارة، و سلطانها في الكبد و البلغم بيتها المعدة، و سلطانها في

---

۱. النهج: ص. ۲. فلقد: ص. ۳. الحياة: مص.
٤. يقع: ص. ٥. يقع: ص.

الصدر، و السوداء بيتها الطحال، و سلطانها في القلب، و الدم بيته القلب، و سلطانه في الرأس.

و قال: الإقلال من الضارّ خير من الإكثار من النافع.

و قال: منزلة لطافة القلب في الأبدان، كمنزلة النواظر في الأجفان.

و قال: للقلب آفتان، و هما الغمّ و الهمّ، فالغمّ يعرض منه النوم، و الهمّ يعرض منه السهر، و ذلك لأنّ الهمّ فيه فكر في الخوف بما سيكون فمنه يكون السهر، و الغمّ لا فكر فيه؛ لأنّه إنّما يكون بما قد مضى و انقضى.

و قال: القلب من دم جامد، و الغمّ يهيّج الحرارة الغريزية، فتلك الحرارة تُذيب[١] جامد الدم؛ لأنّ العوارض المروعة تُهيّج[٢] الحراره، و تُحمي[٣] المزاج، فيحلّ جامد الدم، فيقص التركيب.

و لمّا حضرته الوفاة قال: خذوا العلم مني: من كثر نومه و لَانَتْ طبيعته و [بدنت[٤]] جلدته طال عمره.

[٨] ـ فاضل الاطباء جالينوس

هو الثامن من الأطبّاء الكبار المعلمين الذين سبق ذكرهم: أوّلهم اسقلبيوس[٥] الاول، و ثامنهم جالينوس. و كان منذُ وفاة أبقراط إلى ظهور جالينوس ستمائة سنة و خمسة و ستّون[٦] سنة، و يكون من وقت مولد اسقلبيوس[٧] الاول على ما ذكره يحيى النحوي إلى وقت وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة و خمسمائة و ستة و ستّون[٨] سنة. فلمّا ظهر جالينوس وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء، و امّحت محاسنها، فأبطل آراء أولئك القوم، و أيّد و شيّد كلام أبقراط و آراءه، و نصر ذلك بحسب إمكانه، و صنّف في ذلك كتباً كثيرة، كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة، و أفصح عن حقائقها، و نصر القول الحق فيها، و لم يجئ بعده من الأطباء إلّا من هو دون منزلته.

---

١. يذيب: ص. ٢. يهيج: ص. ٣. و يحمي: ص.
٤. يدنت: ص. ٥. اسقليبوس: ص. ٦. ستّين: ص.
٧. اسقليبوس: ص. ٨. ستّين: ص.

و ذكر اسحق بن حنين أنّ ما بين صعود المسيح ـ سلام الله عـليه ـ إلى السماء و إلى الوقت الذى[1] ولد فيه جالينوس ثلاث و سبعون[2] سنة، و عاش جالينوس سبعا و ثمـانين سنة، فيكون بين صعود المسيح إلى وفاة جالينوس مائة و ستّون[3] سنة من سني الهجرة، و أنّ من وقت وفاة جالينوس إلى سنة الهجرة خمسمائة سنة و خمس و عشرين[4] سنة.

فأمّا قول من ذهب الى[5] أنّ جالينوس معاصر المسيح، و أنّه توجّه اليه ليراه و يؤمن به فغير صحيح.

و قد أورد جالينوس في مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى و المسيح عليهما السلام و تبيّن من قوله أنّه كان بعد المسيح، منها في مقالته في المحرّك الأول، إذ يقول: لو كنت رأيت أقـوامـا يعلّمون تلاميذهم كما كان يعلّمون[6] اهل موسى و المسيح اذ كانوا يأمرونهم ان يقبلوا[7] كل شئ بالأمانة، لم أكن أُوذيكم جدا.

و من جملة من ذكر أنّ جالينوس كان معاصر المسيح، البيهقي، فـإنّه قـال في كـتاب المشارب [و][8] التّجارب: إنّه لو لم يكن في الحواريين إلّا بولص[9] ابن اخت جالينوس لكان كافيا، و إنّما بعثه جالينوس إلى عيسى ـ سلام الله عليه ـ و أظهر[10] عجزه عن الهجرة إليه لضعفه و كبر سنّه، و آمن بعيسى، و أمر إبن اخته بولص[11] بمتابعة عيسى عليه السلام و تبعه الفاضل الشهرزوري في تاريخه، فإنّه قال فيه: لمّا بعث الله المسيح كان جالينوس شيخا هرما، فبعث جالينوس ابن اخته بولص[12] إليه و اعتذر، و قال: أنا محبوس بالهرم، و كتب إلى المسـيح كتابا، و هذا مضمون الكتاب: يا طبيب النفوس نبيّ الله، ربّما عجز المريض عـن خـدمة الطبيب بسبب العوارض الجسمانية، و قد بعثت إليك ابن اختي بولص[13] ليعالج نفسه بالآداب النبوية، فلما وصل بولص[14] إلى المسيح أكرمه، و صار من الحواريين، و كتب المسيح عليه السلام إليه

---

۱. ـ الذي: ص.　۲. و سبعين: ص.　۳. و ستين: ص.
٤. عشرون: ص.　٥. ـ الى: ص.
٦. يعلّمون ... يأمرونهم: و الاصح ان تكون العبارة بهذا الاسلوب: موسىٰ و المسيح يعلّمان أهلها، اذ كانا يأمرانهم: مص.
۷. يقبلون: ص.　۸. الواو ساقطة من ص: مص.　۹. بولس: مص.
۱۰. أظهره: ص.　۱۱. بولس: مص.　۱۲. بولس: مص.
۱۳. بولس: مص.　۱٤. بولس: مص.

يا من أَنصف من علمه الصحيح، المسافة لا تحجب[1] النفوس و السلام. فلقد صدق مَن قال:

غرض گر آشنایی‌های جانست   چه غم گر صد بیابان در میانست

و كان مولد جالينوس و منشأة بغرعامس، و هي مدينة صغيرة من جملة مدائن قسطنطينية[2] و ذكروا اَنّ مدينة غرعامس كانت موضع سجن الملوك، و هنالك كانوا يحبسون من غضبوا عليه، و سافر إلى اثينة و رومية و الاسكندرية و غيرها من البلاد في طلب العلم، و تعلّم أولا من أبيه، ثم تعلّم من أرمنيس الرومي الطب، و تعلّم من جماعة مهندسين و نحاة، الهندسة و النحو، و غير ذلك، و درس الطب على امرأة اسمها فلانطرة، و أخذ عنها أدوية كثيرة، و لا سيّما ما تتعلّق بعلاجات النساء. و شخص جالينوس إلى قبرص ليرى القلقطار في معدنه، و كذلك شخص إلى جزيرة كيوش ليرى الطين المختوم، فباشر كل ذلك بنفسه و صحّحه برؤيته، و سافر أيضا إلى مصر، و أقام بها مدة، و نظر عقاقيرها، و لا سيّما الأفيون في بلد أسيوط من أعمال صعيد [مصر]، ثم خرج متوجها منها نحو بلاد الشام راجعا إلى بلده، فمرض في طريقه و مات بالفرماء، و هي مدينة على البحر الاحمر[3] من[4] أعمال مصر، كما ذكر الاَمير مبشر بن فاتك.

و قال المسعودي في كتاب المسالك و الممالك: انّ الفرماء شط بحيرة تيس، و هي مدينة حصينة و بها قبر جالينوس، و يقال إنّ العلّة التي مات بها الذرب، و حكى عنه أنّه لما طالت به العلة عالجها بكل شيءٍ فلم ينجع، فقال[5] تلاميذه: إنّ الحكيم ليس يعرف علاج علته، و قصّروا في خدمته، فأحسّ بذلك منهم، و كان زمانا صائفا فأحضر جرّة فيها ماء، و أخرج شيئا فطرحه فيها، و تركها ساعة فكسرها، و إذا بها قد جمدت فأخذ من ذلك الدواء فشربه، و احتقن به فلم ينفع. فقال لتلاميذه: هل تعلمون لم فعلت هذا؟ قالوا: لا. قال: لئلا تظنّون أنّي قد عجزت عن علاج نفسي، فهذه علّة تُسمّى[6] دامد يعني الداء الذي لا دواء له،

---

١. يحجب: ص.   ٢. قسطنطنيّة: ص.   ٣. الاخضر: ص.
٤. في: ص.   ٥. فقالت: ص.   ٦. يسمّى: ص.

و هو الموت.

و قال جالينوس في كتابه في نفي الغمّ أنّه احترق له في الخزائن العظمى التي كانت للملك بمدينة رومية كتب كثيرة، و أثاث له قدر، و كان بعض النسخ المحترقة بخط أرسطاطاليس، و بعضها بخط انكساغورس و اندروخاوس، و صحّح قراءتها على معلّميه الثقات، و على من رواها عن أفلاطون[۱]، و سافر إلى مدن بعيدة حتى صحّح أكثرها، و ذكر أنّه كان فيما احترق له كتاب روفس في الدّرياقات و السموم و علاج المحمومين، و تركيب الأدوية بحسب العلة و الزمان. فإنّ من عرفه يمليه كتبه في ديباج[۲] ابيض بحبر أسود، و ذكر أنّ من جملة ما ذهب له في هذا الحريق كتب كثيرة من كتبه التي صنّفها و لم تكن بها نسخة سواها، و ذهب له في هذا أيضا أشياء كثيرة قد ذكرها في كتابه يطول حصرها.

أقول: و قد حدثت[۳] لي أيضا حادثة كما وقعت[٤] لجالينوس من حرق الكتب النفيسة قريبا من ستمائة مجلدة مع البيوت و سائر الأشياء في الحريق الذى سنح في بلدة اللاهجان ـ صانها الله عن الحدثان ـ في حدود سنة ثمان و خمسين و ألف (۱۰۵۸) من الهجرة المقدسة، و فيها من الكتب بخطّ المحقّق نصير الملّة و الدين الطوسيّ، و العلّامة جمال الدين بن مطهر الحلّي ـ طاب ثراهما ـ و غيرهما من الأعلام، و كثير من مكتوبات أبي و أخي ـ روّح الله روحهما ـ و ما كتبت أنا و صححت و قابلت مع النسخ الصحيحة، حتى لم يبق[٥] لي شيءٌ سوى رأس مالي، و هو حسن الظنّ بالله ـ عزّ مجده ـ و محبة اهل بيت رسوله ـ عليه و عليهم السلام ـ فالحمدلله على السّراء و الضّراء، و الشكر له لما خفّف ظهر قلبي عن أثقال المواد لتعلّقات الزخارف في الحيوة[٦] الدنيا.

هر چیز که دیدم همه بگذاشتنی بود
جز یاد تو ای دوست که آن داشتنی بود

---

۱. افلاطن: ص.

۲. الافضل ان تكون العبارة بهذا الشكل: فان من عرفه يراه قد كتب في ديباج. مص.

۳. حدث: ص. ٤. وقع: ص. ٥. لا يبق: ص.

٦. الحياة: مص.

و قال جالينوس في كتاب كتبه إلى افيجالس، و وسمه بكتاب نوادر تقدمة المعرفة: ان الناس كانوا يسمّونني[١] أولا لجودة ما يسمعونه مني في صناعة الطب «المتكلم بالعجائب» فلمّا ظهرت لهم المعجزات التي كانوا يجدونها في معالجتي المرضى، سمّوني «الفاعل للعجائب».

و قال في كتابه في محنة الطبيب الفاضل: انه قد حضر مريضا. و قد ظهرت[٢] فيه علامات بيّنة جدًّا تدل[٣] على الرعاف فلم اكتف بان أنذرت بالرعاف حتى قلت: انّه يكون من الجانب الأيمن، فلامني من حضر ذلك من الاطباء، و قالوا: حسبنا ليس بنا حاجة ان[٤] تبيّن لنا. فقلت لهم: و أراكم ـ مع ذلك ـ أنّكم عن قريب يستكثر اضطرابكم، و يشتدّ وجلُكم من الرعاف الحادث و ذلك أنّي لست أرى طبيعته تقوى[٥] على ضبط المقدار الذي يحتاج إليه من الاستفراغ و الوقوف عنده. فكان الأمر على ما وصفته، و لم يقدر[٦] أولئك الأطباء على حبس الدم؛ لأنّهم لم يعلموا من أينَ ابتدأ حين ابتدأت حركته، و قطعته أنا بأهون السعي فسمّاني أولئك الاطباء «البديع الفعل».

و قال في الكتاب المذكور أيضا: إنّي لأعرف رجلا آخر سقط من دابّته فهشّم، ثم عولج فبرأ من جميع ما كان ناله خلا[٧] اصبعين من أصابع كفه و هما الخنصر و البنصر بقيتا خدِرتين زمانا طويلا و كان لا يحسّ بهما كثير حسّ، و لا يملك حركتهما على ما ينبغي، و كان من ذلك أيضا شيءٌ في الوسطى، فجعل الاطباء يضعون على تلك الأصابع أدوية مختلفة، كلما[٨] وضعوا دواء فلم[٩] ينجع انتقلوا منه إلى غيره، فلما أتاني سألته عن الموضع الذي قرع الارض من بدنه، فلما قال لي: إنّ الموضع الذي قرع منه هو ما بين كتفيه، و كنت قد علمت من التشريح أنّ مخرج العصبة التي تأتي هاتين الاصبعين من أول خرزة فيما بين الكتفين، علمت أنّ أصل البلية في الموضع الذي تنبت فيه تلك العصبة من النخاع، فوضعت

---

١. يسمّوني: ص. ٢. ظهرت: مص. ٣. يدلّ: ص.
٤. ـ أن: ص. ٥. يقوى: ص. ٦. لم يقدروا: ص.
٧. + انّ: ص. ٨. فكلّما: مص. ٩. لم: مص.

على ذلك الموضع الذي تنبت فيه تلك العصبة بعض الأدوية التي كانت تُوضع[١] على الأصابع بعد أن قلعت عن الأصابع تلك الأدوية التي وضعت[٢] عليها باطلا، فلم يلبث إلّا يسيرا حتّى[٣] بُرئ، و بقي كل من رأى ذلك متعجبا من أنّ ما بين الكتفين يعالج فتبرأ[٤] الأصابع.

و بالجملة فانّ لجالينوس أخبار كثيرة، و حكايات مفيدة ممّا جرى له في مداواة المرضى مما يدلّ على قوته التامة، و براعته الكاملة في صناعة الطب. و كان جالينوس أسمر اللون، حسن التخاطيط، عريض الأكتاف، واسع الراحتين، طويل الأصابع، حسن الشعر، محبا للأغاني و الألحان و قراءة الكتب، معتدل المشية، ضاحك السنّ، كثير الهذر، قليل الصمت، كثير الوقوع في أصحابه، و كثير الأسفار، طيّب الرائحة، نقيّ الثياب، و كان يحبّ الركوب و التنزّه مداخلاً للموك و الرؤساء من غير أن يتقيد في خدمة أحد من الملوك، بل إنّهم كانوا يكرّمونه، و إذا احتاجوا إليه في مداواة شيء من الأمراض الصّعبة دفعوا له العطايا الكثيرة من الذهب و غيره في بُرئها.

و من آداب جالينوس و ألفاظه و نوادره الحكمية: قال: إنّ في القلب تجويفين أيمن و أيسر، و في التجويف الأيمن من الدم أكثر من الأيسر، و فيهما عِرقان يأخذ ان إلى الدّماغ، فاذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه انقبض، فانقبض لانقباضه العرقان فتشنّج لذلك الوجه و ألم له الجسد، و اذا عرض له ما يوافق مزاجه انبسط العرقان لانبساطه.

و قال: و في القلب عُريق صغير كالانبوبة مطلّ على شغاف القلب و سويدائه، فاذا عرض للقلب غمّ انقبض ذلك [العُريق[٥]] فقطر منه دم على سويداء القلب و شغافه فينعصر عند ذلك من العرقين دم يتغشاه فيكون عصرا على القلب حتى يحسّ ذلك في القلب و الروح و النفس و الجسم، كما يتغشّى[٦] بخار الشراب الدماغ فيكون منه السكر.

و قال: العشق فعل النفس، و هي كامنة في الدماغ و القلب و الكبد. و في الدماغ ثلاث قوى: التخيّل، و هو في مقدم الرأس: و الفكر و هو في وسطه؛ و الذكر و هو في مؤخّره؛ و

---

١. يوضع: ص. ٢. يوضع: ص. ٣. ـ حتّى: ص.
٤. فيبرأ: ص. ٥. العرق: ص. ٦. يتغشّا: ص.

ليس لكل أحد اسم عاشق حتى يكون إذا فارق من يعشقه لم يخل من مخيّلته[١] و فكره و ذكره و قلبه و كبده فيمتنع من الطعام و الشراب باشتغال الكبد، و من النوم باشتغال الدّماغ بالتخيّل، و الذكر له و الفكر فيه، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، فمتى لم يشتغل به وقت الفراق لم يكن عاشقا، فاذا لقيه خلت هذه المساكن.

و قال: من رغب عن الحقائر نافس في العظائم.

و قال: العليل الذي يشتهي أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي.

و قال: رأيت كثيرا من الناس يزيدون في ثمن الغلام المتأدّب بالآداب و العلوم و الصنائع، و في ثمن الدّوابّ الفاضلة في أجناسها، و يغفلون[٢] أمر أنفسهم في التأدّب، حتى لو عرض على أحدهم غلام مثله ما اشتراه و لا قبله، فكان من أقبح الأشياء أنّ المملوك أفضل و أشرف من مولاه.

و قال: كان الأطباء يقيمون أنفسهم مقام الأمراء، و المرضى مقام المأمورين الذين لا يتعدّون ما يحدّ لهم فكان الطب في أيامهم أنجع، فلمّا حال الأمر في زماننا فصار العليل بمنزلة الأمير، و الطبيب بمنزلة المأمور، و خدم الاطباء رضا[٣] الأعلّاء، و تركوا خدمة أبنائهم فقلّ[٤] الانتفاع بهم.

و قيل له: إنّك لَتقلّل[٥] الطعام فقال: غرضي في الطعام أن آكل لِأَحْيىٰ، و غرض غيري أن يحيى ليأكل. و من هذا قال مَن قال:

و كُن انتَ لاستبقاء عيشِك طاعِماً إذا كانَ ذُوجهلٍ يَعيشُ لِيَطعَمَا

و قال: كان الناس قديما يجتمعون على الشراب فيتفاضلون في ذكر ما تعمله[٦] الأشربة في الأمزجة، و الالحان في قوة العصب، و ما يرد كل واحد منها من أنواعه، و هم اليوم اذا اجتمعوا، فانّما يتفاضلون بعِظَمِ الأقداح التي يشربونها.

و قال: الحياء خوف المستحيى من نقصٍ يقع به عند من هو أفضل منه.

---

١. تخيّله: ص. ٢. + في: ص. ٣. رضى: ص.
٤. فتقلّ: ص. ٥. لتقلّ: ص. ٦. يعمله: ص.

و قال: إنّ ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته، و إنّ ابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه.

و رأى رجلا يعظّمه الملوك لشدّة جسمه، فسأل عن أعظم ما فعله؟ فقالوا: انّه حمل ثوراً مذبوحا من وسط الهيكل حتى أخرجه إلى الخارج[1]. فقال لهم: فقد كانت نفس الثور تحمله[2] و لم تكن له[3] في حمله فضيلة.

أقول: مراده أنّ النفس الحيوانية التي للثور تحمل[4] هيكله و بها حياته و حركته، و لم تكن لها لحمل جسمها و هيكلها فضيلة فَلِمَ للانسان لحمل الميتة منه فضيلة حتى يستحقّ التعظيم، فبان أنّه لم يكن للانسان لحمل الأثقال الجسمانية و الأوزان[5] الهيولانية تفضّل، بل التفضّل لثقل النفس و عظمها المعنوية، كما قال بعض أرباب الكمال:

يا خادمَ الجسمِ كَم تَسعى بخِدمتِهِ
أتطلُبُ الرّبحَ فيما فيه خُسرانٌ
أَقبِل على النفس و استكمل فَضائِلَها
فَأَنتَ بالنفس لَا بِالجسمِ إنسانٌ

اينجا تن ضعيف و دلِ خسته مى‌خرند
كس عاشقى به قوت بازو نمى‌كند

و قال: إنّ العليل يتروّح بنسيم أرضه، كما تتروّح[6] الارض الجدبة ببلّ القطر.

أقول: و يؤيّد قوله ما حكى الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار: أنّه اعتل شاپور ذو الاكتاف بالروم و كان أسيرا، فقالت له بنت الملك و قد عشقته: ما تشتهي؟ قال: شربة من ماء دجلة و شمّاً من تراب اصطخر. فأتته بعد أيّام، و قالت: هذا ماء دجلة و من تربة

---

۱. خارج: ص. ۲. يحمله: ص. ۳. و لم يكن لها: ص.
٤. تحمل: مص. ٥. الاوزاد: ص. ٦. يتروّح: ص.

أرضك. فشرب و اشتمّ فشفي. و لقد[1] صدق مَن قال:

نگردد تشنهٔ خاك وطن سيراب در غربت
كه يوسف دركنار نيل ميل آب چه دارد

و قال في تمثيل الأخلاط الأربعة: إنّ مثل الصفراء كمثل امرأة سليطة صالحة تقيّة، فهي تؤذي[2] بطول لسانها و سرعة غضبها إلّا انّها ترجع سريعا بلا غائلة. و مثل الدم كمثل الكلب، فإذا دخل فعاجله إمّا بإخراجه أو قتله. و مثل البلغم إذا تحرك في البدن مثل ملك دخل بيتك و أنت تخاف ظلمه و جوره، و ليس يمكن أن تخرق به و تؤذيه، بل يجب أن ترفق به و تخرجه. و مثل السوداء في الجسد مثل الانسان الحقود الذي لا يتوهم فيه بما في نفسه، ثم و ثب وَثبةً فلا يبق مكروها إلّا و يفعله و لا يرجع إلّا بعد الجهد الصعب.

و من تمثيلاته الطريفة، قال: الطبيعة كالمدّعي، و العلة كالخصم، و العلامات كالشهود، و القارورة و النبض كالبيّنة، و يوم البحران كيوم القضاء و الفصل، و المريض كالمتوكل، و الطبيب كالقاضي.

و أقول: لعلّ تعبير العلامات بالشهود و القارورة و النبض اللذين هما أيضا من العلامات بالبيّنة مع أنّهما لفظان مترادفان[3] لغة و شرعا بناءً على اَنّ الشاهد أعم من أن يكون إذا ظهر له أمر كتمه أو أظهره، و أمّا البينة فمفاد اللفظ أنّه إذا ظهر له أمر بيّنه و أظهره، فلما كان القارورة و النبض من أظهر العلامات و أبين الدلالات للمرض المخصوص، بحيث لا يشتبه مرض بمرض آخر للطبيب الحاذق إذا أمعن فيهما، كأنّهما كالبيّنة العادلة عنده لتشخيص المرض، فعبّر بالبينة، و اَمّا سائر العلامات فلإمكان اشتراكها في الأمراض المختلفة، و عدم تبيينها للمرض الخاص بياناً شافيا عبّر عنها[4] بالشهود. هذا ما سنح لي في حلّ بيانه و هو[5] أعلم بمرامه.

و قيل: لما مات جالينوس وجد في جيبه رقعة فيها مكتوب: أحمق الحمقاء من ملأ بطنه

---

١. فلقد: ص.
٢. يؤذي: ص.
٣. لفظين مترادفين: ص.
٤. عبّرها: ص.
٥. ـ هو: ص.

من كلّ ما يجد، و كثرة الطعام تؤدّي[١] إلى الأسقام، و الحمية رأس الطب، و ما أكلته فلجسمك و ما تصدّقت فلروحك، و ما تركته فلغيرك، و المحسن حيّ و إن مات، و المسيء ميّت و إن بقي، و لم أرلابن آدم شيئا أنفع من قطع علائق الناسوت، و الرغبة في عالم[٢] القدس و اللاهوت. و كان منقوشا على فصّ خاتمه: من كتم داءه أعياه شفاؤه.

تتميم

قال المختار بن الحسن بن بطلان: إنّ الاسكندرانيّين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر و فسّروها، كانوا سبعة، و هم: اصطفن[٣]، و جاسيوس، و ثاذوسيوس، و كيلاوس، و انقيلاوس، و فلاديوس، و يحيى النحوي. و كانوا على مذهب المسيحعليه السلام و قيل انقيلاوس الاسكندراني هو كان المتقدم على سائر الاسكندرانيّين، و أنّه هو الذي رتّب الكتب الستة عشر لجالينوس، و هي كتاب الفرق، و كتاب الصّناعة[٤] الصغيرة، و كتاب النبض[٥] الصغير، و الكتاب[٦] المسمّى باغلوقن، و كتاب الأسطقسّات، و كتاب المزاج، و كتاب القوى الطبيعة، و كتاب التشريح، و كتاب العلل، و الاَعراض، و كتاب علل[٧] الاَعضاء الباطنة، و كتاب النبض الكبير، و كتاب البحران، و كتاب حيلة البرء، و كتاب تدبير الأصحّاء.

و هؤلاء الاسكندرانيّون[٨] يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر المذكورة لجالينوس في موضع تعليم الطب بالاسكندرية، و كانوا يقرؤونها على الترتيب، و يجتمعون في كلّ يوم على قراءة شيْ منها و فهمه[٩]، ثم صرفوها إلى الجمل و الجوامع؛ ليسهل حفظهم لها و معرفتهم إيّاها، ثم انفرد كل واحد منهم بتفسير الستة عشر و اَجود ما وجدت من ذلك تفسير جاسيوس للستة عشر، فإنّه أَبانَ فيه[١٠] عن فضل و دراية.

قال أبوالحسن علي بن رضوان في كتاب النافع في كيفية تعلّم صناعة الطب: و إنّما اقتصر الاسكندرانيّون على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس في التعليم؛ ليكون

---

١. تؤدي: مص. ٢. الى عالم: ص. ٣. اسطيفن: مص.
٤. صناعة: ص. ٥. نبض: ص. ٦. كتاب: ص.
٧. العلل: ص. ٨. الاسكندرانيين: ص. ٩. و يفهمه: ص.
١٠. فيها: ص.

المشتغل بها إن كانت له قريحة جيدة و همّة حسنة، و حرص على التعليم، فإنّه إذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه، بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب[١]، أَن ينظر في باقي ما يجده من كتبه؛ و قال أبوالفرج على بن هندو صاحب كتاب مفتاح الطب: و أنّا أرى أنّ الاسكندرانييّن[٢] اِنّما اقتصروا على الكتب الستة عشر لا من حيث هي كافية في الطب، و حاوية للغرض، بل من حيث أنّها افتقرت إلى المعلّم، و احتاجت إلى المفسّر، و لم يكن للمعلّم أَن[٣] يقف على أَسرارها و المعاني الغامضة فيها، من دون مذاكرة و مطارحة و مراجعة و مفاوضة. و عمّر من هؤلاء الاسكندرانيين يحيى النحوى حتى لحق أوائل الإسلام.

[٩]ـ الحكيم لقمان

المذكور في القرآن، هو ابن باعور بن ناخور بن تارخ، و هو آذر. هذا على قول محمد بن اسحق. و على قول وهب؛ هو ابن اخت أيوب النّبيّ عليه السلام. و قال مقاتل: هو ابن خالته؛ و قيل: إنّه عبد حبشيّ[٤]، اسود اللون، غليظ الشفتين، مصفّح القدمين، مصطك[٥] الركبتين، و كان عبداً لِرَجُل من بني اسرائيل، اشتراه بثلاثين ديناراً ذهبا، و منشأه[٦] و تعليمه و تهذيبه ببلاد الشام، و أدرك داود النبي عليه السلام. و قيل[٧] كان يقتبس منه الحكمة، فيقول له داود: هنيئاً لك يا لقمان، أوتيت الحكمة، و وقيت الفتنة. لأنّ الأمر الذي فيه داود، فقد اُلقي به[٨] اليه، فأَبى أَن يقبله، و ذلك أنّه كان[٩] نائما نصف النهار فنودي: يا لقمان هل لك أَن يجعلك[١٠] الله خليفة في الارض؛ لتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت، و قال: ان خيّرني ربّي قبلت العافية و لم أقبل البلاء، و إن عزم عليّ فسمعاً و طاعة. فإنّي أعلم أنّه إن فعل بي ذلك أعانني و عصمني. فقالت الملائكة بصوت ـ لا يراهم ـ: لِمَ يا لقمان؟ قال: لأنَّ الحاكم بأشدّ المنازل و أكدرها يغشاه الظلم من كل مكان، إن أصاب فبالحريّ أن ينجو، و إن أخطأ، أخطأ طريق الجنة، و

---

١. الطلب + الى: مص.
٢. الاسكندرانيون: ص.
٣. ان يقف للمعلم: ص.
٤. عبدا حبشياً: ص.
٥. مصطل: ص.
٦. منشأوه: ص.
٧. - كان: ص.
٨. - به: ص.
٩. - كان: ص.
١٠. + ان: ص.

من يكن في الدنيا ذليلا و في الآخرة شريفا خير من أن يكون في الدنيا شريفا و في الآخرة ذليلا، و من تخيّر الدنيا عن الآخرة تفته الدنيا، و لا يصيب[1] الآخرة. فتعجّبت[2] الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة. فأعطي الحكمة، فانتبه و هو يتكلّم بها، ثم نودي داود عليه السلام بعده فقبلها.

و في كتاب ربيع الأبرار: إنّ جبرئيل الأمين ـ سلام الله عليه ـ نزل على لقمان و خيّره بين النبوة و الحكمة، فاختار الحكمة، فمسح جبرئيل عليه السلام جناحه على صدره، فنطق بها، فلما ودّعه قال: أوصيك بوصيّة فاحفظها، يا لقمان: أن تدخل يدك إلى مرفقك في فم التنين خير لك من أن تسأل فقيراً قد استغنى.

و في تفسير أهل البيت روى حماد، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن لقمان و حكمته التي ذكرها الله ـ عزوجل ـ في القرآن العزيز بقوله: «وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمٰنَ الحِكْمَةَ أنِ اشْكُرْ للّٰهِ وَ مَن يَشْكُرْ فَإنّما يَشْكُرُ لِنفَسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ[3]». فقال ـ سلام الله عليه ـ أما و اللّه ما أوتي لقمان الحكمة لِحَسب، و لا مال و لا أهل و لا بسط في جسم، و لا جمال، و لكنّه كان رجلا قويّا في أمر الله، متورّعا في اللّه، ساكنا سكّيتا، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالغير، لم ينم نهارا قط، و لم يَرَه أحد من الناس على بول و لا غائط و لا اغتسال لشدّة تستّره، و لم يضحك من شيء قط مخافة الإثم، و لم يغضب قط، و لم يمازح إنسانا قط، و لم يفرح بشيءٍ أتاه من أمر الدنيا، و لا احزن منها على شيء قط، و قد نكح من النساء، و أولد له من الاولاد الكثير، و قدم أكثرهم افراطا، فما بكى على موت أحد منهم، و لم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلّا أصلح بينهما، و لم يمض عنهما حتى يتحابّا[4]، و لم يسمع قولا قط من أحد استحسنه إلّا سأل عن تفسيره و عمّن أخذه.

و كان يكثر مجالسة الفقهاء و الحكماء و كان يغشى القضاة و الملوك و السلاطين، فيرثي القضاة مما ابتلوا به و يترحّم[5] على الملوك و السلاطين لعزّتهم بالله و طمأنينتهم في ذلك، و يتعلّم و يعتبر ما يغلب به نفسه، و يجاهد به هواه، و يحترز به من الشيطان. و كان يداوي

---

۱. تصيب: ص. ۲. فتعجّب: ص. ۳. ۱۲/۳۱.

٤. تحابّا: ص. ٥. ترحّم: ص.

قلبه بالتفكر، و يداوي نفسه بالعبر. و كان لا يطعن إلا فيما يعنيه فبذلك أوتي الحكمة، و مُنح العصمة. و أوّل ما ظهرت حكمته أنّ مولاه قبل اعتاقه، أمره ذات يوم أن يذبح شاة و يأتيه بأطيب شيءٍ منها[١]، فذبح الشاة و جاءه بالقلب و اللسان. فأمره ثانياً بذبح شاة و قال ايتني منها بأخبث شيءٍ فأتاه بالقلب و اللسان. فسأله سيّده عن ذلك فأجابه لقمان، و قال: إنّ القلب و اللسان إذا طابا و كانا سالمَيْن سلم البدن بسلامتهما من الآفات، فهما أطيب شيءٍ في البدن، و إن كانا غير سليمين فلم يسلم البدن، فكانا أخبث شيءٍ فيه.

و كان سيده أمره أن يزرع له في أرضه السمسم، فزرع الشعير، فلمّا دنا[٢] الحصاد، قال له سيّده: لِمَ زرعت الشعير، و قد أمرتك بزرع السمسم؟ فقال لقمان: كنت رجوت من الله أن ينبت[٣] لك السمسم، فقال له سيّده: هل يكون ذلك ممكنا؟ فقال لقمان: أراك تعصي اللّه ـ تعالى ـ و ترجو منه الجنة، فقلت لعلّ ذلك يكون، فبكى سيّده فتاب على يده، فأعتقه.

و من حكمته أنّه صحب داود عليه السلام شهوراً، و كان داود يسرد الدّرع، فلم يسأله عنها، فلما أتمّها لبسها، و قال نعم لبوس الحرب أنتِ. فقال لقمان: الصمت حكمة و قليل فاعله. و مِن هذا قال مَن قال:

چو لقمان دید کاندر دست داود	همی آهن به معجز موم گردد
نپرسیدش چه می‌سازی چو دانست	که بی پرسیدنش معلوم گردد

و كان يوما يعظ الناس، فمرّ عليه رجل من عظماء بني اسرائيل، فراى زِحام الناس عليه، فأتى الحلقة، و غمز عنقه، و قال له: ألست عبد بني فلان؟ قال: نعم. قال: بِمَ بلغت هذه المنزلة؟ قال: بصدقِ الحديث، و أداء الأمانة، و ترك ما لا يعنيني[٤]، فانصرف عنه متعجّبا.

و تصديق ذلك ما روى الصّدوق رحمه الله في كتاب عيون الأخبار، بحذف الإسناد عن ثامن الائمة مولانا الرضا عن آبائه الطاهرين ـ سلام الله عليهم ـ عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال: لا تنظروا إلى كثرة صلوتهم و صومهم و كثرة الحجّ و المعروف و طنطنتهم بالليل، و

---

١. منه: ص. ٢. دنى: ص. ٣. نبت: ص.
٤. لا يعني: ص.

لكن انظروا إلى صدق الحديث، و أداء الأمانة.

و عاش لقمان ثلاثة آلاف سنة، و قيل أقلّ و قبره بمدينة الرملة من أعمال فلسطين، بين مسجد الرملة و بين موضع سوقها. و فيها قبر كثير من أنبياء بني إسرائيل، فلمّا قربت[١] وفاته، اَوصى ابنه بوصايا كثيرة جامعةٍ لخير الدنيا و الآخرة.

و انّه أوصاه بثلاثة أشياء: و قال: يا بُنيّ لا تفش سرّك بين يدي امرأتك، و لا تستقرض من جديد الكيس، و لا تؤاخي[٢] الشرطيّ أبدا. فلمّا توفّي لقمان أراد ابنه اَن[٣] يجرّب وصيّته، فذهب إلى السوق و اشترى شاة مسلوخة، و جعلها في جوالق، فأتى إلى اِمرأته، و قال إنّي قتلت نفسا، و اَدفنها في بيتي، فلا تقولي لأحد[٤]، فدفنها عندها، فذهب إلى أحد جديد الكيس فاستقرض منه، و اوقع الصّحبة[٥] مع شُرطيّ، فلمّا مضت[٦] اَيّام، تشاجر مع امرأته فضربها، فصاحت و قالت: قتلت رجلا، و تريد أن تقتلني، فأخبرتِ الملك بذلك، فهرب[٧] الى بيت الشرطيّ، فلمّا ذهب الشرطي الى[٨] الملك و رأى المرأة عنده فقال له[٩] الملك: أينَ اَطلبه؟ فقال الشرطي: أنا أعرف مكانه لأنّه صديقي، فذهب إليه ليأخذه، فقال له: سبحان الله أنت صديقي، و قد التجأت إليك، قال الشرطيّ: هذا دم، و أمر الامير أشدّ من أن أكتمك عنه، فأخذ به[١٠] يجرّه إلى الاَمير، اذ وصل اليه صاحب الدين، فتعلّق به، و قال: لعلّك تقتل او تصلب، فاَينَ مالي؟ قال: اصبر حتى أخلّص من أيديهم. فقال: لا أُوجلّك حتى تقضي[١١] ديني أولا، فلمّا دخل على الملك قال له الملك: يابن لقمان، ما كنت جديراً بهذا، فلم قتلت نفسا من غير حلّها؟ قال: أعزّ اللهُ الأمير أرسل أحداً حتى يُحضر القتيل، ففتّشوا و فتحوا رأس الجوالق، فأخرجوا شاة مسلوخة، فضحك الأمير، فقال: كيف الحال؟ فقال: إنّ أَبي أوصاني بثلاثة أشياء، فاردت ان[١٢] أُجرّ بها فجرّبتها، فكان كما قال.

و في تاريخ ابن الجوزي: و عندي هذا الكتاب بخطّه، أنّ لقمان أرسل ابنه إلى غريم كان

---

١. قرب: ص. ٢. + مع: ص. ٣. - ان: ص.
٤. عند احد: ص. ٥. وقع الحبة: ص. ٦. مضى: ص.
٧. - الى: ص. ٨. عند: ص. ٩. - له: ص.
١٠. به و: ص. ١١. يقضي: ص. ١٢. فاراد اجربه: ص.

في قرية أُخرى؛ ليأخذ منه دينا عليه، فقال: يا بنيّ إن استقبلك مَن هو أكبر منك سِنّاً و يصاحبك فلا تخالِف أمره، فإذا مررت بشجرة فلا تنزل تحتها، و إذا دخلت تلك القرية فيعرضون عليك إمرأة فلا تتزوّجها[١]، و إذا دخلت على المديون فلا تلبث عنده باللّيل، و لكن لا تخالف أمر الشيخ. فلمّا خرج ابنه و بلغ راس الطريقين[٢] رأى شيخاً و سلّم عليه، فقال الشيخ: إلى أينَ يا فتى؟ قال: إلى القرية الفلانية. فقال: الصحبة، فصاحب الشيخ و قال في نفسه[٣]: به أمر أبي، فلما قرب إلى الشجرة مرّ، قال الشيخ، إنزل، فقال: إنّ أبي نهاني عنه، فقال الشيخ: لا بأس[٤]، فنزلا فهبطت حية من الشجرة و أرادت أن تلدغه، فقتلها الشيخ، و جعل رأسها في مخلاة، فلمّا قدما القرية عرضوا عليه بنتا فأبى عن ذلك، و قال: إنّ أبي نهاني عن ذلك[٥]، فقال الشيخ: تزوّج بها، و لا بأس، و لكن لا تجامعها بغير إذني، فتزوّجها و أخبره، فجاء الشيخ و دفع رأس الحية إليه، و قال: خذه وضَعْه[٦] في ساعة الزفاف على مجمرة من النار تحت ذَيل المرأة، فلمّا فعل كذا خرجت منها حية فقتلها الشيخ، و كانت المرأة كلّما تزوّجها أحد كان يموت الرجل من ليلته، فيقسّمون[٧] ماله على الورثة، فلمّا كان الصبح اجتمعت الورثة و الجماعة، فلما رأوا أن الشباب لم يمت، دفعوا البنت مع الأَموال إليه، ثم ذهب إلى المديون، فقال له: أمكث معنا الليلة، قال: إنّ أبي نهاني عن ذلك، فقال: الشيخ، لا بأس، فلمّا كان الليل وضعوا له سريراً على شاطئ البحر، حتى يجيء الموج فيختلسه، و وضعوا سريراً آخر أبعد لابنهم، فلمّا جنّ الليل جاء الشيخ و وضع سريره موضع سرير ابنهم، و سرير ابنهم موضع سريره، فأغرق الموج ابنهم، و نجا هو من الغرق. فلمّا أصبح أخذ الدّراهم و رجع مع المرأة إلى الشيخ، و قال: وهبت نصف مالي لك، فإنّه كان ببركتك. قال الشيخ: بارك الله فيك[٨] فَأنا الخضر، و بلّغ أباك منّي السلام.

و قد سنح للمؤلّف في تأويل تلك القصة. أنّ لقمان[٩] كناية عن النفس الناطقة الّتي هي بمنزلة الآَب الشفيق لسائر القوى، و الابن المرسل إشارة إلى القوّة العمليّة المسمّاة بالعقل

---

١. تزوجها: ص. ٢. الطرقين: ص. ٣. - في نفسه: ص.
٤. فلا بأس: ص. ٥. عنه: ص. ٦. وضع: ص.
٧. فيقتسمون: ص. ٨. فيها: ص. ٩. اللقمان: ص.

العملي، و القرية الأخرى هي هذه القرية البدنية الظلمانيّة الدائرة الفاسدة، و الدَّين هو الكمال؛ لأنّه كالدين الذي في ذمّة و[۱] همة الانسان تحصيله، و الظاهر أنّ استحصاله له منوط[۲] بوُرود هذه القرية؛ لأنها دار الكسب، و الشيخ الأكبر بالسّنّ، هو العقل النظري، المترقّي إلى حصول العقل المستفاد، و هو بمنزلة الخضر في حماية قطع الفَيافي المخوقة، لاستحصال الدّين الذي هو الكمال، و الابن مأمور من قبل الأب لإطاعةِ أوامره بالغُدوّ و الآصال، و الشجرة إشارة إلى الدنيا الدّنية التي هي كالشجرة الخبيثة، و المرأة كناية عن ملاذّها البائدة غير[۳] اللذيذة في الحقيقة، و الحية هي حبّ ملاذها اللدّاغة[٤] الملتفّة بهذه الشجرة الخبيثة التي أرادت من[٥] محبّيها تناول أثمارها المضرّة الفاسدة، و الاستراحة في ظلّها غير[٦] الظليلة، و قتلها الشيخ إشارة الى غلبة العقل[۷] النظري على حبّها، و إفنائها عن مملكة البدن، و رأسها إيماء بأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، و قطع رأسها، إفنائها بالكلية و هو بمنزلة قطع سائر الرذائل رأساً، ثمّ وضع رأسها في مجمرة النار، تعليمه و تفهيمه بإحراق مشتهياتها في مجمرة القلب بنار الصبر و الامساك، و وضعه تحت ذيل المرأة تنبيه بأنّ رأس سائر الرذائل التي كل واحدة منها بمنزلة حية لدّاغة تحت[۸] ذيل حبّ ملاذّ[۹] الدنيا، فمتى أحرقها كأنّه أحرقها جمعاء[۱۰]، و مكثه الليله عند المديون، كناية عن توقفه لاستحصال الدين في عالم التركيب الذي كأنّه لقلّة امتداده و ظلمة جوهره بالنسبة إلى عالم الأنوار البسيطة، كالليلة الواحدة، و وضع السرير له على شاطئ البحر حتى يجيء الموج و يختلسه، إشارة إلى الحيلة التي صنعت لأجل إفنائه، كما هو دَيْدَنُ أكثر العالم و أبنائه، ثم وضع الشيخ سريره موضع سرير ابنهم إيماء إلى دفع المخاطرة عنه بتبديل أحواله، و تحسين أخلاقه؛ لئلّا تتمكّن[۱۱] وساوس شياطين الهوى ـ كشياطين أبناء الدنيا ـ من الافتتان[۱۲] و الاحتيال، و

---

۱. ـ و: ص.
۲. منوطة: ص.
۳. الغير: ص.
٤. ملاذهما اللذّاعة: ص.
٥. ـ من: ص.
٦. الغير: ص.
۷. عن غلبة عقل: ص.
۸. لذاعة في تحت: ص.
۹. ملاذهما الدنيا: ص.
۱۰. جمع: ص.
۱۱. يقدر: ص.
۱۲. للافتتان: ص.

الظاهر أنّ هذه الإعانة من الشيخ المرشد الذي هو العقل النظري، مستندة الى هدايته[١] و تدبيره للنجاة من الغرق في بحر فتن الدنيا و متاعبها، و إغراق أمواج الفتن ابنهم لصنعهم[٢] الحيلة في حقّ أخيه، فإنّ مَن حَفر بئراً لأخيه وقع فيه.

و الحاصل أنّ القوة العملية إذا أطاعت العقل النظري و أحرقت المشتهيات الجسمانية، القاطعة لطريق النجاة بنار الصبر و السكون، و لم تقبل الزواج[٣] بجهاز الدنيا، و الزفاف لمشتهياتها، إلّا بإعمال العقل النظرى، فبالحقيقة هو القاتل للحيّات اللداغة[٤] المانعة للوصول بالمطلوب و حصول المرغوب، ثم بعد رفع المانع و دفع القاطع قد أخذ الدين المطلوب الذي دخل في هذه القرية لاستيفائه و استحصاله بالوجه المرغوب، و نجا عن[٥] لجة بحر الدنيا و اختلاس أمواجها، التي هي الفتن و المتاعب، فنا في سرير الاستراحة، ثم إذا انتبه بالموت و قطع العلاقة عن هذه المملكة، رجع الى عالَمه الأول بالصحة و السلامة.

و من وصاياه و مواعظه لابنه قال:

يا بُنيّ عليك بالصبر و اليقين و مجاهدة نفسك، و اعلم انّ الصبر[٦] فيه أنواع الشرف، فإذا صبرت على محارم الله ـ تعالى ـ و زهدت في الدنيا، و تهاونت بالمصائب، لم يكن شيء أحبّ اليك من الموت[٧] و أنت تترقّبه.

يا بنيّ عليك بالخير، و احذر الشرّ، فإنّ الخير يطفئ الشر، و كذب من قال: إنّ الشر بالشر يطفأ فإن كان صادقا فليوقد[٨] نارا إلى جنب نار، و لينظر هل يطفئها؟ و لكن الشرّ لا يطفئه إلاّ الخير، كما يطفئ الماء النار. و قد نظم العارف السبحاني هذا المضمون في الرباعي الفارسي:

عـــاقل هـــرگز اداى نـــاخوش نكـــند

جـــز پـــيروى دشـــمن ســـركش نكـــند

---

١. بهدايته: ص.
٢. لتضيتهم: ص.
٣. و لا يقبل الازدواج: ص.
٤. اللذّاعة: ص.
٥. نجى عن: ص.
٦. و اعلم الصبر: ص.
٧. بالموت: ص.
٨. فليتوقد: ص.

آتش چـــو بـــلند شـــد بـرو[1] آب زنـنـد
دفـــــع آتش كـســـى بـــه آتش نكـــند

يا بنيّ مُر بالمعروف[2] و انه عن المنكر، و حاسب نفسك قبل أن تسبق عليها، و اعرف العسرة، و لا[3] تفرط في أمرك.

يا بنيّ أكثر ذكر الله ـ عزوجل ـ فان اللّه ـ تعالى ـ ذاكر من ذكره.

يا بنيّ لتكن[4] ذنوبك بين عينيك، و عملك خلف ظهرك. و ثلاثة مَنْ كنّ فيه قد استكمل الإيمان: مَن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، و إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحقّ، و إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

يا بنيّ أَطع الله؛ فإنَّ من أَطاع الله ـ تعالى ـ كفاه ما أَهمّه، و عصمه من خلقه.

يا بنيّ خف الله خيفةً لو جئته ببرّ الثقلين لعذّبك، و آرجو اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثّقلين لرحمك. و مِن هذا قال الشاعر بالرباعية الفارسية:

غـــافل مشـــو كـــه مـــركب مـــردان مـــرد را
در ســـــنگلاخ بـــاديه پَـــى‌ها بـــريده‌انـــد
نـــوميد هـــم مـــباش كـــه رنـــدان دُرد نـوش
نـاگـه بـه يك خـروش بـه مـنزل رسيده‌انـد

و قال: يا بنيّ لا تركن إلى الدنيا، و لا تشغل قلبك بحبّها، فإنّك لم تخلق لها، و ما خلق الله خلقا أهون عليه منها؛ لأنّه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين، و لم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين.

و قال: يا بنيَّ إنَّ الدنيا بحر عميق، و قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الإيمان باللّه، و اجعل شراعها التوكل على اللّه، و اجعل زادك فيها تقوى اللّه، فإن نجوت فبرحمة اللّه، و إن هلكت فبذنوبك.

أقول: وجه تشبيه الدنيا بالبحر لتغيّرها و انقلابها، و عدم ثبات ما فـيها مـن صـور

---

۱. بر آن: مص. ۲. المعروف: ص. ۳. لم: ص.
٤. ليكن: ص.

الكائنات، و إهلاك من دخل فيها و ركن إليها، و مشى عليها بقدم الضلالة و الغواية، و قد هلك فيها عالم كثير بسبب انهماكهم في زَهَراتها، و اشتغالهم بشهواتها، و إغماض بصر بصيرتهم عن ملذّات[1] دار القرار، و تركهم ما يوجب النجاة من عقاب الملك[2] الجبار، و إنّما خصّ العالَم بالذكر؛ لأنّ هلاكه محل التعجب. و أمّا الجاهل فلا اعتناء به؛ لعدم اتّصافه بالحقيقة الإنسانيّة، و اللّطيفة الربانيّة، و وجه تشبيه الإيمان بالسفينة بناء على أنّه كالسفينة مانع للهلاك و التلف، مع حيازة الشروط المعتبرة عند السلف و الخلف. و من هذا الباب ما قد ورد عن سيّدنا رسول اللهﷺ انّه قال: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا[3]، و من تخلف عنها غرق. و الشّراع بكسر الشين المنقوطة بادبان، كذا في المغرب، و التوكل الاعتماد بالكلية على اللّه، و الوثوق بجنابه في جميع الأمور، لكيلا يمنع الانهماك في طلب غير المطلب و صرف الأَوقات بغير المصرف عن الموائد الربّانية، و المطاعم السّبحانيّة؛ و التقوى ملكة التجنب عن المعاصي و التنزه عمّا يشغل عن الحقّ، فمن كان زاده التقوى في سفينة الايمان، فالظاهر[4] أنّه يمنع جوف السرّ عن الامتلاء بأثقال الآمال حتى لا يغرق في بحر الوبال و النكال. و مع هذا فنجاتك منوطة[5] برحمة موجدك و هلاكك بسوء عملك.

و قال: يا بنيّ بعِ الدنيا بالآخرة تربحهما جميعا. و نِعم ما أَنشد بُجير بن مندة:

عَجِبتُ لِمُبتاعِ الضلالةِ بالهُدى	و للمُشتري دنياه بالدّين أَعجبُ
و أَعجَبُ من هذَينِ مَن باع دِينَهُ	بِدُنيا سواه فَهوَ مِنْ ذَيْنِ أَعجَبُ

و عن أعرابيّ: السافل[6] الذي يأكل الدنيا بدينه. قيل له: فَمَن اسفل[7] السفلة؟ قال: الذي يصلح دنيا غيره بفساد دينه. و يؤيّد هذا ما ورد في الحديث: إنَّ شَرَّ الناس عند الله ـ تعالى ـ عبدٌ اَذهب آخرته بدنيا غيره. و للّه دَرُّ من قال[8] في هذا المعنى:

---

١. مستلذّات: ص. ٢. ملك: ص. ٣. نجى: ص.
٤. فظاهر: ص. ٥. منوط: ص. ٦. السفلة: ص.
٧. سفلة: ص. ٨ - في: ص.

أُكَــلِّفُ نــفسي كُــلَّ يـومٍ و ليـلةٍ   هُمـــومَ هـوى مَـن لا أَفـوزُ بِخَـيرِهِ
كَما سَوّد القَصّارُ في الشـمس وَجـهَهُ   حَريصاً على تَـبييضِ أَثـوابِ غـيرِهِ

و قال: يا بنيَّ لا تفرح بطول العافية، و اكتم البلوى فإنّه كنوز البرّ و اصبر عليها، فإنّ ذلك ذخر في المعاد.

و قال: يا بنيّ اقنع بما رزقت، و لا تمدّنَّ عينيك إلى رزق غيرك، فإنّ ذلك يؤذيك.

و قال: يا بنيَّ تكلم بالحكمة عند أهلها، و عليك بمجالسة أهل الذكر، فإنّها محياة للعلم، و تحدث[1] في القلوب خشوعا.

و قال: يا بنيّ اقتصد للحاجة، و لا تنطق[2] بما لا يعنيك، و لا تكن مضحاكا من غير عجب، و لا مشّاء في غير ارب.

و قال: يا بنيّ عليك بالصّمت، فما ندمت على السكوت قط، و ربما تكلمت فندمت.

و قال: يا بنيّ لا يكن الديك أكيس منك، فإنّه إذا انقضى نصف الليل خفق بجناحيه و صرخ إلى الله سبحانه بالتسبيح.

و قال: يا بني إنَّ في يديك لؤلؤا و أنت تزعم أنّك فقير.

أقول: لعلّ اللؤلؤ كناية عن النفس المجردة فإنّك إن هـذّبتها عـن الرذائـل و حَـليتها[3] بالفضائل، اَغْنتك[4] عن الدنيا و ما فيها، و ذلك غاية الغنى، أو إشارة إلى العمر العزيز، فإن صرفته في مرضاة الله ـ عز مجده ـ فإنّه أغناك عمّن سواه.

و قال: يا بنيّ انتفع بما علّمك الله ـ تعالى ـ و انّما انتفع بالعلم من اتّبعه و لم ينتفع به من علمه و تركه.

يا بنّي أعلم الناس أشدّهم خشيةً له.

و قال: يا بنّي إنّ الدنيا لا خير [فيها[5]] إلّا لأحد رجلين: رجل سبق منه عمل سيّئ فهو حريص على أن يتدارك بعمل صالح؛ ليغفر الله ـ تعالى ـ به[6] سيّئاته و رجل اَعطاه الله ـ

---

۱. يحدث: ص.　۲. ينطق: ص.　۳. تجليتها: ص.
٤. فيغنيك: ص.　٥. - فيها: ص.　٦. + عن: ص.

تعالى ـ في الدنيا شرفا و ذكرا، فهو يلتمس شرف الآخرة و ذكرها.

يا بنيّ من يَرحم يُرحم، و من يصمت يسلم، و من يفعل الخير ينعم، و من يفعل الشرّ يندم، و من لا يملك لسانه يخسر.

يا بنيّ طوبى لمن انتفع بعلمه، و استمع القول فاتّبع أحسنه، و ويلٌ لِمَن تبين له فاستحبّ العمى على الهدى.

و قال: يا بنيّ ما عند الله ـ تعالى ـ أفضل من العقل، و ما تمّ عقل امرىءٍ حتى تكون[1] فيه عشرة خصال: الكبر منه مأمون، و الرّشد منه مأمول، نصيبه من الدنيا القوت، و فضل ماله مبذول، التواضع أحبّ إليه من الكبر، الذلّ أحبّ إليه من العزّ، لا يسأم من طلب العفو طول عمره، و لا يقدم في طلب الحوائج من قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، و يستقلّ الكثير من نفسه، و الخصلة العاشرة و هي التي ينار بها[2] مجده، و يعلو[3] قدره، يرى أنّ جميع الناس خير منه، و أنّه شرّهم.

و قال: يا بنيّ استح[4] من الله ـ تعالى ـ بقدر قربه منك، و خف من الله ـ تعالى ـ بقدر قدرته عليك، و إيّاك و كثرة الفضول، فإنّ حسابك غدا عنها يطول.

يا بنيّ عليك بصلوتك التي فُرضت لك، فإنّ مثل الصلوة مثل السفينة في البحر، فإن سلمت سلم من فيها، و إن[5] هلكت هلك من فيها.

يا بنيّ إيّاك و المراء، فإنّه يدعوك إلى سفك الدماء.

و قال يا بنيّ «الحمدلله» تجارة تأتيك بالأرباح[6] بلا بضاعة فالحمدلله وحده.

[۱۰] ـ الحكيم انبادقلس

المذكور في تواريخ الحكماء باسم بندقليس، حكيم عظيم الشأن، جليل القدر، كثير الرياضة و التألّه، تاركاً للدنيا، مقبلا على الأخرى. هو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة، و هم: انبادقلس هذا، ثم فيثاغورس، ثم سقراط، ثم افلاطون[7]، ثم

---

۱. يكون: ص. ۲. يُناديها: ص. ۳. علا: ص.

٤. استحيى: ص. ٥. فإن: ص. ٦. يأتيك الأرباح: ص.

۷. افلاطن: ص.

ارسطوطاليس.

و كان انبادقلس في زمن داود النبي‌عليه السلام و قد أخذ الحكمة عن لقمان الحكيم بالشام، ثم انصرف إلى بلاد اليونانيين، فتكلم في خلقة العالم بأشياء يقدح خواطرها في أمر المعاد، فهجره لذلك بعضهم، و طائفة من الباطنية تنتمي[۱] إلى حكمته، و تزعم أنّ له رموزا قلّما يوقف عليها، و مؤيّد قولهم ما قال محيي مراسم الاشراق، الشيخ السهروردي المقتول، في كتاب المطارحات: و أمّا الذي نسب انبادقلس أنّه قائل بالاتّفاق و البخت، و أنّه ليس يعترف بالغايات، فأكثره مرموز؛ لأنّ الرجل انّما أنكر العلة الغائية في فعل واجب الوجود لا غير، و هو معترف بأنّ ما لا يجب لا يكون، بل قد يسمّي هو وغيره الأمور اللاحقة بالماهيّات لا لذاتها بل لغيرها اتّفاقية، و حينئذ يصح أَن يقال وجود العالم إتّفاقي، لا بمعنى أنّه يعتبر موجدا نفسه؛ كلّا، أو يفعله الباري جزافا، بل إنّ وجوده ليس لاحقا به من ذاته، بل هو من غيره. فالاصطلاحات و طبائع اللغات مختلفة.

و هذا الرجل تصفحنا كلامه، القدر الذي وجدناه، فدلّ على قوة سلوكه و ذوقه، و له مشاهدات[۲] قدسية رفيعة، و أكثر ما نسب إليه افتراء محض، بل للقدماء ألغازٌ و رُموزٌ و أغراض، و مَن بعدهم يردّ على ظواهر رموزهم، إمّا لغفلتهم، أو تعمداً لما يطلب من الرياسة.

و انبادقلس أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله ـ تعالى ـ و أنّها كلها تؤدّي إلى شيءٍ واحد، و أنّه و إن وصف بالعلم و الجود و القدرة فليس هو ذو معان متميّزة يختص بهذه الاسماء المختلفة، بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه ما أصلا، بخلاف سائر الموجودات، فإنّ الوحدانيّات العالية معرّضة للتكثّر، إمّا بأجزائها، أو بمعانيها، أو بنظائرها، و ذات الباري ـ تعالى ـ متعالية عن هذا كلّه. و إلى هذا المذهب في الصفات ذهب أبوالحسن البصري و جماعة من المعتزلة و جمهور الحكماء.

و من لطائف كلماته قوله: إنّ في طلب الفلسفة شرفا، و إنّ مرتبتها عالية عظيمة، فينبغي لمن طلبها أن يكون ذهنه صافيا، و عقله لطيفا، و همومه في هذا العالم قليلة. و أنّ الحكمة هي الرغبة في[۳] الرحلة عن هذا العالم، و نزهة العقل و النفس في هذا العالم، فلا مرتبة أَفضل من

---

۱. ينتمي: ص.   ۲. و مشاهدات له: ص.   ۳. ليرغب: ص.

هذه المراتب الثلاثة.

و قال: الباري ـ تعالى ـ أبدع الصور لا بنوع إرادة مستأنفة، بل بنوع أنّه علّة فقط، و هو العلم و الإرادة، فاذا كان المبدع إنّما الصّور بنوع أنّه علّة لها، فالعلّة و لا معلول، و إلّا فللمعلول مع العلّة معيّة بالذّات، فإن جاز أن يقال: إنّ معلولا مع العلة، فالمعلول حينئذ ليس هو غير العلة، و ان يكون المعلول ليس أولى بكونه معلولا من العلة، و لا العلة بكونها علةً أولى من المعلول، فالمعلول إذاً تحت العلة و بعدها، و العلة علة العلل كلّها، أي علة كل معلول تحتها، فلا محالة أنّ المعلول لم يكن مع العلة بجهة من الجهات اَلبتة، و إلّا فقد بطل اسم العلة و المعلول، فالمعلول الأول هو العنصر، و المعلول الثاني بتوسط العقل، و الثالث بتوسطهما النفس. و هذه بسائط متوسطات، و ما بعدها مركّبات.

و قال: ليس بقادر[١] أن يعرف النفس إلّا من كانت نفسه طاهرة زكية، مستولية على بدنه، فيعرف حينئذ ما النفس، و يراها رؤيا حسنة[٢] روحانية غير متجسّمة، و يعرف أنّها جوهر لا أشرف منه و لا أكرم، دائم باق لا يموت و لا يفنى. فأمّا جُلّ الناس فإنّ نفوسهم ناقصة كأنّها بدن مقطوع الأعضاء، فينكرون شرفها و حسنها و بساطتها و عدم موتها، و هو خطأ؛ لأنّه ينبغي لأحد أن لا يقول في شيء قبل أن يتفحص عنه و يعرف علته و باطنه و ظاهره، ثم يقضي عليه[٣]، و إذا أراد أن يتفحّص عن شئ فلا يلقي بصره خارجا على القشر الظاهر، بل يحرص أن يلقيه على روحانية الشيء الباطن، فإنّ الشيء الباطن هو الجوهر الخالص الذي هو بعينه، و إلّا لم ينل معرفة حقيقة ذلك الشيء، فافهم ذلك فإنّه في غاية الحسن.

و قال: إنّ النفس النباتية قشر للنفس البهيمية الحيوانية، و النفس الحيوانية قشر للنفس المنطقية، و المنطقية قشر للعقلية، و كلّما هو أسفل فهو قشر لما هو الأعلى، و الأعلى لبّه. و ربّما يعبّر عن القشر و اللبّ بالجسد و الروح، فيجعل النفس النباتية جسداً للنفس الحيوانية، و هذه روحاً له. و على ذلك حتى ينتهي إلى العقل.

و قال: لمّا صوّر العنصر الاول في العقل ما عنده من الصور المعقولة الروحانية، صوّر

---

١. يقدر: ص. ٢. حسنا: ص. ٣. عنه: ص.

العقل في النفس ما استفاد من العنصر، و صوّرت النفس الكلية في الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل، حصّلت قشورا في الطبيعة لا تشبهها و لا تشبّه[۱] بالعقل الروحاني اللطيف، فلمّا نظر العقل إليها، و أبصر الأرواح و الألباب[۲] في الأجساد و القشور ساح عليها من الصور الحسية الشريفة البهية، و هي صور النفوس المشاكلة للصور العقلية اللطيفة الروحانية حتى يدبّرها، و يتصوّر فيها بالتميز بين القشور و الألباب[۳] فيصعد بالألباب[٤] إلى عالمها، و كانت النفوس الجزئية أجزاء النفس الكلية، كأجزاء الشمس المشرقة على منافذ البيت، و الطبيعة الكلية معقولة للنفس، و فرق بين الجزء و بين المعلول، فالجزء غير، و المعلول غير.

و ممّا قال الحكيم انبادقلس في أمر المعاد: أنْ يبقي هذا العالم من النفوس التي تشبّثت بالطبائع، و الأرواح التي تعلقت بالشباك[٥] حتى تستغيث في آخر الأمر إلى النفس الكلية التي هي كلها، فتضرّع[٦] النفس إلى العقل، و يتضرّع العقل إلى الباري ـ تعالى ـ فيسح الباري ـ تعالى ـ على العقل، و يسح العقل على النفس، و تسح[۷] النفس على هذا العالم بكل نورها، فتستضيء[۸] الأنفس الجزوية، و تشرق[۹] الارض و العالم بنور ربّها، حتى تعاين[۱۰] الجزويات كلياتها، فتتخلّص[۱۱] من الشّبَک فتصل[۱۲]، بكلياتها فتستقرّ[۱۳] في عالمها مسرورة[۱٤] محبورة، و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

[۱۱] ـ الحكيم فيثاغورس

حكيم متألّه، ذو[۱٥] الرأى المتين و العقل الرصين، فيلسوف مشهور من فلاسفة اليونان[۱٦] ابن مينسارخوس من أهل صور، و كان في زمن سليمان بن داود عليه السلام بعد انبادقلس بزمان،

---

۱. لا يشبهها و لا تشبّهه: ص.
۲. باللبوب: ص.
۳. اللبوب: ص.
٤. باللبوب: ص.
٥. بالشّبائك: ص.
٦. فيتضرّع: ص.
۷. و يسح: ص.
۸. فيستضيّ: ص.
۹. و يشرق: ص.
۱۰. يعاين: ص.
۱۱. فيتخلص: ص.
۱۲. الشبكة فيصل: ص.
۱۳. فيستقرّ: ص.
۱٤. مسبورة: ص.
۱٥. ذوى: ص.
۱٦. يونان: ص.

و قد أخذ الحكمة من معدن النبوة بمصر، حين دخل إليها من بلاد الشام، و قد كان أخذ الهندسة قبله عن المصريين، ثم رجع إلى بلاد اليونان[١] و أظهر عندهم علم الهندسة، و لم يكونوا يعلمونها قبل ذلك، و أدخل إليهم أيضا علم الطبيعة و علم الدين، و يدّعي أنّه شاهد العوالم بحسّه و حدسه، و بلغ في الرياضة إلى أن سمع حفيف الفلك، و وصل إلى مقام الملك.

و قال: ما سمعت شيئاً قط ألذَّ مِن حركاتها، و لا رأيت شيئا أبهى من صورها و هيآتها. و استخرج بذكائه علم الموسيقى و أوقعها تحت النسب العددية، و ادّعى أنّه استفاد ذلك من مشكاة[٢] النبوية. و هو أول من تكلم في طبيعة العدد، و له في نضذ العالم و ترتيبه على خواص العدد و مراتبه رموز عجيبة و أغراض بعيدة، فمن ذلك قال: إنّ الموجودات واقعة بحسب طبيعة العدد و أنواعه و خواصّه، و قد أمكنه ذلك أن[٣] يعرف كمية أنواع الموجودات وأجناسها، و ما الحكمة في كميتها على ما هي عليها الآن، و لم يكن أكثر من ذلك و أقلّ منه، و ذلك أنّ الباري ـ عزوجلّ ـ لمّا كان هو علّة الموجودات، و خالق المخلوقات، و هو واحد بالحقيقة، لم يكن من الحكمة أن تكون[٤] الأشياء واحدا من جميع الجهات، بل وجب أن تكون[٥] واحدا بالهيولي، كثيرا بالصورة، و لم يكن من الحكمة أن تكون[٦] الأشياء كلّها ثنائية، و لا ثلاثية و لا رباعية، و لا أكثر من ذلك، و لا أقلّ، بل كان الأحكم و الأتقن أن تكون[٧] على ما هي عليه الآن من الأعداد و المقادير، و كان ذلك في غاية الحكمة، و ذلك أنّ من الأشياء ما هي ثنائية، و منها ما هي ثلاثية، و رباعية، و خماسية، و مسدّسات، و مسبّعات، و مثمّنات، و متسّعات، و ما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ.

فالأشياء الثنائية: الهيولي و الصورة، و الجوهر و العرض، و العلة و المعلول، و البسيط و المركب، و اللطيف و الكثيف، و النّير و المظلم، و المتحرك و الساكن، و العالي و السافل، و الثقيل و الخفيف، و الضارّ و النافع، و الحقّ و الباطل؛ و بالجملة من كل زوجين اثنين.

---

١. يونان: ص. ٢. المشكوة: ص. ٣. امكنة ان: ص.
٤. يكون: ص. ٥. يكون: ص. ٦. يكون: ص.
٧. يكون: ص.

فأمّا الأشياء الثلاثية، فمثل: الأبعاد الثلاثة التي هي الطول و العرض و العمق، و مثل المقادير الثلاثة التي هي الخط و السطح و الجسم، و مثل الأزمان الثلاثة التي هي الماضى و المستقبل و الحاضر، و مثل الحقائق الثلاثة التي هي الواجب و الممكن و الممتنع، و مثل العلوم الثلاثة التي هي رياضيّةٌ و طبيعيّة و إلهيّة.

و أمّا الأشياء الرباعيّة، مثل الطبائع و الأركان و الأخلاط و الأزمان المعبّر عنها بالفصول و الجهات، و الأوتاد الأَربعة التي هي الآحاد و العشرات و المآت و الأُلوف. ثم قال: و اعلم أنّ أصل العدد الواحد، و من الواحد يأتلف العدد، فالواحد هو علّة العدد، كما أنّ الباري ـ جل شأنه ـ علة الموجودات و موجدها. و كما أنّ الواحد لا جزء له[١]، و لا مثل له و لا شريك له، فكذلك الباري، فإنّه لا جزء له و لا مثل له و لا شريك له. و كما أنّ الواحد يعطي اسمه لكل عدد و مقدار، كذلك الباري أعطى الموجودات وجودها، و سمّى كل موجود باسم مناسب له. و كما ان يبق ببقاء الواحد بقاء العدد، كذلك ببقاء الباري يكون بقاء الموجودات و دوامها. و كما أنّ من تكرار الواحد ينشأ[٢] العدد و يتزايد، كذلك من فيض البارى وجُودِه العام نشأت[٣] الموجودات. وَ[٤] كما أنّ الاثنين أول عدد نشأ من تكرار الواحد، كذلك العقل الاول فإنّه أول موجود فائض من جُود الباري، و صار ثاني الوجود. و كما أنّ الثلاثة تترتّب[٥] بعد الاثنين، كذلك النفس تترتّب[٦] بعد العقل. و كما أنّ الأَربعة تترتّب[٧] بعد الثلاثة، كذلك الطبيعة تترتّب[٨] بعد النفس. و كما أنّ الخمسة تترتب[٩] بعد الأربعة، كذلك الهيولي تترتب بعد الطبيعة. و كما أنّ الستة تترتب[١٠] بعد الخمسة، كذلك الجسم يترتب بعد الهيولى. و كما أنّ السبعة تترتب[١١] بعد الستة، كذلك الفلك الأَعلى يترتّب بعد الجسم. و كما أنّ الثمانية تترتّب[١٢] بعد السبعة، كذلك الأركان تترتّب[١٣] بعد الفلك. و كما أنّ التسعة تترتّب[١٤]

---

١. لها: ص. ٢. نشأ: ص. ٣. نشأ: ص.
٤. او كما: ص. ٥. يترتب: ص. ٦. يترتب: ص.
٧. يترتب: ص. ٨. يترتب: ص. ٩. يترتب: ص.
١٠. يترتب: ص. ١١. يترتب: ص. ١٢. يترتب: ص.
١٣. يترتب: ص. ١٤. يترتب: ص.

بعد الثمانية، كذلك المولدات الثلاثة تولّدت بعد الأركان. و كما أنّ التسعة آخر مراتب الآحاد، كذلك المولدات آخر مرتبة الموجودات الكليات، و هي المعادن و النبات و الحيوان، فالمعادن كالعشرات، و النبات كالمئات، و الحيوان كالألوف، و المزاج كالواحد.

حاصل كلام آنكه چنانچه واحد اگر چه عدد نيست منشأ جميع وحدات اعدادست، و هم ازو[1] حاصل شده‌اند، و عدد به حقيقت اعتبار تكرار و تجلّى واحد است، و اگر في المثل يكى از هزار بردارى هزار نماند، و همچنين باري ـ عز شانه ـ را وحدتيست مطلقه كه تكثّر مرايا قادِح وحدت حقهٔ او نمى‌شود، چنانچه صاحب بصيرت اگر نظر به اين ارتباط اندازد، و تجلّى وحدت مطلقه را در مراتب كثرات مشاهده كند، يقين داند كه غير از يک حقيقت نيست كه به حسب تكثر مرايا كثير نموده. مع بقائه على الوحدة الحقيقيّة، چنانكه بعضى از عرفا گفته‌اند:

و ما الوجهُ اِلّا واحدٌ غير أنّه   إذا أنتَ أعددتَ المرايا تعدّدا

چه كثرات و تعيّنات كه در مراتب ظهور عارض وجود شده‌اند بالكل أمور اعتباريه‌اند، و محقق است كه أمور اعتباريه في نفس الامر موجود نيستند و موجوديت ايشان همين اعتبار معتبرست، مانند تعداد واحد كه چون دو بار بشمارى دو شود، و سه بار بشمارى سه شود، و چهار بار بشمارى چهار، همچنين به تكرار تعداد واحد كه محض اعتبار است اعداد بسيار و بيشمار پيدا مى‌شود، و معدود همان يک چيز است واحد است.

من و تو عارض ذات وجوديم   مشبّكهاى مشكاة وجوديم

و شيخ‌زاده لاهجى در شرح گلشن اين معنى را به اين عبارت مذكور ساخته: كه بدان كه انسان عبارت از مجموع روح و جسد و هيأت اجتماعيست، و اصل و حقيقت او روح اعظم است كه مخلوق اول و در مرتبه دوم از مراتب وجود واقع است، و ازين جهت

---

۱. ازان: مص.

که در مرتبه دوم است مشابه به حرف بی است، و ذات احدیث از آن جهت که اول مرتبه از مراتب موجودات است مشابه به حرف الف، و چنانچه حرف الف به صورت حرف بی ظاهر گشته و حرف بی مظهر اوست، حرف بی صورت جمیع حروف ظهور یافته هر جا به خصوصیت اسمی و صفتی، و جمیع حروف دیگر مظهر حرف بی شده‌اند.

قال الشیخ العربي‌ﷺ في فصوصه: فاختلطت الأمور و ظهرت الأعداد بالواحد في المراتب المعلومة، فأوجد الواحد العدد، و فصّل العدد الواحد، و ما ظهر حکم العدد إلّا بالمعدود، و المعدود منه عدم، و منه وجود، فقد یعدم الشيئ من حیث الحسّ و هو موجود من حیث العقل، فلابدّ من عدد و معدود و لابدّ من واحد ینشيءُ[1] ذلك، فینشأ بسببه.

و بعضی از شرّاح فصوص کلام مذکور را بدین‌گونه تبیین فرموده، که: بدانکه چون به سبب تکثرات واقعه در امور ـ مع انها متحققة الرجوع إلی الواحد الحقیقي ـ امور مختلط و مشتبه گردیده بود، بر آن کسی که هنوز عین بصیرت او منفتح نگشته است، و در غواشی حجب تکثرات مانده، که تجلیات متنوعه مختلفه سبب ظهور وجود کثرتست. شیخﷺ خواست تا مثالی واضح و نظیری لایح از ظهور واحد در مراتب متعدده بیان فرماید، تا محجوب از آن مثال استدلال کند بر تکثری که واقعست در وجود حق مطلق، به حسب ظهورات او در مراتب تنزّلات و صور تکثرات، و آنکه قطعا و اصلا حق واحد حقیق از وحدت حقیقیه خود خارج نیست، گفت: و ظهرت الأعداد بالواحد. یعنی اعداد به ظهور واحد در مراتب معلومه از آحاد و عشرات و مآت و الوف ظاهر می‌گردد، و واحد همان واحد است. و قوله: فأوجد الواحد العدد نتیجة قوله: و «ظهرت الأعداد بالواحد» است، یعنی اگر نه واحد متکرر شدی، عدد از کجا حاصل بدی، و اگر نه عدد بودی، مراتب واحد کی روی نمودی، پس آن موجد این، و این مفصل آن باشد. و تقریر این بحث چنین باید کرد تا روشن گردد، که اثنان[2] و ثلاثه و اربعه تا تسعه، که مراتب آحاد است، و عشره و عشرین و ثلثین تا تسعین[3] که مراتب عشراتست و مائة و مأتان[4] تا تسعمائة، که

---

۱. یُنشأ: ص.
۲. اثنین: ص.
۳. عشرون و ثلاثون تا تسعون: مص.
۴. مائتین: ص.

مراتب مئآت است و الف تا الوف، و اعداد ما لا نهایة لها، جمله تفصیل مرتبه واحد می‌کنند، یعنی مبین آنند که واحدست که درین مراتب به تکرار ظهور کرده، و الا غیر واحد نیست که متجلّی به این مراتب شده است، چرا که اثنین دو واحد است و ثلاثه سه واحد، و همچنین جمیع اعداد را اعتبار کن، که آن در هیأتی وحدانی مجتمع گشته است، و از آن اثنان و ثلاثه و غیرهما من الاعداد حاصل شده.

پس ما را معلوم شد که مادهٔ اعداد واحد متکرر است، و صورت اعداد هم واحد است، چرا که ما از عدد جز واحد متکرر نمی‌یابیم، که عدد مرتبه‌ای از مراتب اوست. و چون این دانستی، هر آینه بدانی که هر یکی ازین مثالِ کدام یکیست از آن، و ما نیکو تبیین کنیم تا هیچ پوشیده نماند که غالبا در توحید مثالی روشنتر ازین نباشد، و گوییم که: پیدا کردن حق خلق را به ظهور خویش در صور کونیه، و تفصیل عدد مراتب واحد را مثالیست مر اظهار اعیان احکام اسماء و صفات را و ارتباط میان واحد و عدد، که او موجد این، و این مفصل مرتبه آن است، مثالیست مر ارتباط میان حق و خلق که حق موجد خلقست، و خلق مفصل مرتبه تنزلات و ظهورات حق، و آنکه تو گویی که واحد نصف اثنین است، و ثلث ثلاث، و ربع اربعه و خمس خمسه، مثالیست مر نسبت لازمه که آن را صفات حق خوانند، و آنکه گفته است که ظهور عدد به معدود است مثالیست مر ظهور اعیان ثابته در علم حق، و آن عبارت از احاطه علم اللّه است به موجودات، که بعضی از آن حسی و بعضی عینی، چنانچه بعضی از معدود در حس است و بعضی در عقل و مراد از قوله: «و ما ظهر حکم العدد الا بالمعدود» آنست که عدد از آن روی که عرضی است غیر قائم بنفسه، هر آینه وقوع او در معدودی باشد، خواه که آن معدود در حس، یعنی خارج موجود باشد، یا معدوم باشد در خارج، و موجود در عقل، و چون این معلوم شد، تو را معلوم گردد، که ظاهر شدن عدد به معدود و استناد او به آن مثالی باشد، مر ظاهر شدن اعیان ثابته در علم به موجوداتی که بعضی از آن خارجی و حسی‌اند، و بعضی عقلی و عینی، و چون این محقق گشت «که لا یظهر العدد الا بالمعدود» پس مراتب واحد مبین و معین نگردد الا به عدد، و عدد پیدا نمی‌شود الا به تکرار واحد. پس واحد یا سبب

وجود عدد باشد، و سببی باشد فاعلی یا سبب ظهور عدد باشد، و سببی باشد قابلی. و «ینشیٔ» بمعنی یوجد باشد، یا به معنی یظهر، و فاعل «ینشیٔ» واحد است، و فاعل «فینشأ» عدد است:

پس شارح می‌گوید: و همچنین دان شأن حق مطلق با خلق که اوست که گاه در مظاهر بسایط، و گاه در صور مرکبات ظاهر می‌گردد، و آن کس که محجوب است و جاهل، می‌پندارد که آن ظواهر به حقایق نیز مغایرند، و آن کس که مکشوف است و عارف می‌داند که وجودات مظاهر از قبیل متوهمات است، و موجود حقیقی جز حق نیست، و عارف ازین‌جا گوید، که: لا موجود إلّا هو. و لبعض الأعلام في هذا المقام کلام، لا یخلو من عذوبة، فنقلناه بألفاظه[1]: پوشیده نماند که آل فیثاغورس که ینبوع علوم ایشان مترشح از نهری بوده که از تحت جنت کرامت «فَفَهَّمْنَاهَا سلیمان[2]» انفجار داشت، انسب لفظی که به آن از مبدأ کل یاد کنند واحد دانسته‌اند، و دیگران وجود، و چون بعد از تدوین منطق، قبل از صرف توجه و اعراض کلی از شواغل و اعداد محل از برای قبول فیض به تصفیه نفس و تطهیرش از رذایل که شرط استحصال کمال انسانیت، هم به طریق ریاضت و سلوك، و هم به طریق نظر و استفاده منتهجان مسلك ثانی به خواندن و گفتن کتب حکمی مشغول شدند، و مدلول آن دو لفظ را به اطلاق و شمولی که ایشان اراده داشتند در نیافتند، که پرتو انظار فکری بی شرط مذکور بر تحقیق آن نمی‌افتد، از وحدت همان فهم کرده که عارض معدود می‌گردد، و از وجود صور کونی که نمایش اشیاء به آن است و بَوْنی بعیدست ازین تا مقصد ایشان.

آیا تو کجا و ما کجاییم

و فساد در اصل سرایت کرد در فروع، و مُفضی شد به آنکه طریقه فیثاغورسیان انطماس یافت، و آن دیگر مصبّ سیل تبدیع و تشنیع اکثر ناس آمد، و آنچه قدماء حکماء از لفظ وجود و وحدت اراده نموده تا نور نورش از کمّ اطلاق انفتاق نیابد، و عکسش بر

---

۱. بالیفاظه: ص.

۲. سورة الانبیاء، الآیة ۷۹.

فضای بی انتهای، وَسِعَتْ رَحْمَتِي كُلَّ شيءٍ[1] نتابد، از مستحیلات است که غیر ازو او را دریابد، و بعد از دستگیری رحمت و تنویر شمع فکرت، اول عکسی از آن که پرتو ادراك عقول و اوهام بر آن می‌افتد در عالم ظهوری صور کونیست، و در موطن شعوری وحدت عددی، و چون عدد را مجلی وسعت آباد فسیح قلب است، و مرآت حقیقتش از آلایش تغیر و استحاله پاك کثرت غیر متناهی، که در حیطه سعت اصل اندماج داشت، همه را چنانچه در واقع است می‌نماید، و هوشمند چون موفق گردد به اندیشه، آنکه از حضرت خالق ـ جل و علا ـ آنچه از برای هدایت نازل گشته به آن حق از باطل و صواب از خطا باز دانند، و به تکرار و مبالغه امر شده که تدبر و تفکر در آن حسب المقدور به تقدیم رسانند حروف است. و اطلاع بر دلالت اصلی حروف که مواضعات جعلی را در آن مدخل نباشد تا غایت از کمّل واحدا بعد واحد را کرامت گشته، و دلالات وضعی که به صور کلامی و کتابی دارند، و باتفاق اهل عقل و نقل احتمالات متعدد می‌باشد آن را و برد الیقین نمی‌چشد بی‌شبهه متفطّن گردد که طالب حق را چاره به از توسل به مجلی معنوی که وحدت عددیست و مراتب تنزلاتش نتواند بود. و نظر صواب آل فیثاغورس در اختیار طریق عدد برین معانی بوده:

و للحكيم فيثاغورس في شأن المعاد مذاهب، قارب فيها الحكيم انبادقلس من أنّ فوق عالم الطبيعة عالما روحانيّا نورانيّا لا يدرك العقل حسنه و بهاءه، و أنّ الأنفس الزكية تشتاق إليه، و ان كان انسان احسن تقويم نفسه بالتبرّءِ من العجب و التجبّر و الرياء و الحسد و غيرها من الشهوات الجسمانيّة[2] فقد صار أهلا للّحوق به، و الاطّلاع على ما يشاء من جواهره من الحكمة الإلهية، و الانغماس في لذّاته البهية السرمدية. و له تآليف[3] شريفة في الأرثماطيقي و الموسيقي، و ذكر أنّه كان يرى السياحة، و اجتناب مماسّة القابل و المقبول، و أنّه أمر بتقديس الحواسّ، و تعلّم العمل بالعدل، و جميع الفضائل، و الكفّ عن الخطايا، و البحث عن العطية الإنسية؛ ليعرف طبيعة كل شيء، و أمر بالتحابب و التأدّب لشرح العلوم

---

۱. اصل آيه «... و رحمتي وسعت كلّ شيْ» سورة الاعراف، الاية ۱۵٦.
۲. الجسمانية: ص.
۳. تواليف: ص.

العلوية، و مجانبة المعاصي و عصمة النفوس، و إقامة الجهاد و إكثار الصيام، و القعود على الكراسي، و المواظبة على قراءة الكتب، و أن يعلّم الرجال الرجال، و النساء النساء، و أمر بجودة المنطق، و مواعظة الملوك.

و كان يقول ببقاء النفوس، و كونها فيما بعد في ثواب أو عقاب على رأي الحكماء الإلهيّين؛ و ذكر فرفوريوس في المقالة الاولى من أخباره في الفلاسفة و قصصهم و آرائهم، حكايات عجيبة ظهرت عن فيثاغورس ما تكهن به، و من أخباره بمغيبات سُمعت منه و شوهدت كما قاله. و يحكى أنّه أول من قال: إنّ أَموال الأخلّاء مشاعة غير مقسومة، و كان يقدّم إخوانه على نفسه، و كانت نفسه لطيفة جدّاً، و لم يكن يفرح بإفراط و لا يحزن بإفراط، و لا رآه أحد قطّ ضاحكا و لا باكيا.

أقول: لأنّ الضحك و البكاء بسبب وجدان الملائم أو المنافر، و الحكيم العارف من الذين قال الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم: «كَيلا تَأْسَوْا عَلَى مافاتَكُمْ و لا تَفْرَحُوا بِما آتيكُمْ» و حكى أنّه أراد أن يؤنس أصحابه بنفسه قبل فراقهم، فاجتمعوا في بيت رجل يقال له ميلون، فبينا هم في البيت مجتمعون إذ هجم عليهم رجل من أهل فروطونيا اسمه فولون، كان له شرف و حسب و مال عظيم، و كان يستطيل بذلك على الناس و يتمرّد عليهم و يعبر بالجور، و كان قد دخل على فيثاغورس، و جعل يمدح نفسه، فزجره بين يدي جلسائه و أشار عليه باكتساب خلاص نفسه، فاشتدّ غيظ فولون و جمع أَخلّاءه، و قذف فيثاغورس عندهم، و نسبه إلى الكفر، و واقعهم على قتله و أصحابه، و لمّا هجم عليهم قتل منهم أربعين إنسانا و هرب باقيهم، فمنهم من أُدرک و قتل، و منهم من أُفلت و اختفى، و دامت السعاية بهم و الطلب، و خافوا على فيثاغورس القتل [فاغروا] له قوما منهم، و احتالوا حتى أخرجوه من تلك المدينة بالليل، و وجّهوا معه بعضهم حتى اَو صلوه إلى فاولمونيا، و من هناك إلى لوقاروس، فانتهت الشناعة فيه إلى أهل هذه المدينة. فوجّهوا إليه مشايخ منهم فقالوا: أما أنت يا فيثاغورس فحكيم فيما ترى، و أما الشناعة عنك فسمجة جدّاً، لكنّا ما نجد في نواميسنا ما يلزمك القتل، و نحن متمسّكون بشرائعنا[1] فخذمنّا ضيافتك و نفقة لطريقك

---

۱. شرائعنا: ص.

و ارحل عن بلدنا بسلام، فرحل عنها إلى سطايوطيقون، و تكاثرت الهيوج عليه في البلاد بسببه حتى صار بذلك أهل تلك البلاد سنينا[١]، ثمّ انحاز[٢] إلى هيكل الإنسان المسمّى هيكل الموسين فتحصّن فيه و أصحابه، و لبث فيه أربعين يوما لم يتغذّوا[٣]، فاضرموا[٤] الهيكل الذي كان فيه بالنار، فلما أحسَّ أصحابه بذلك، عمدوا إليه فجعلوه في وسطهم، و أحدقوا به ليوقوه النار بأجسامهم، فحين ما امتدّت النار في الهيكل و اشتدّ لهبها، غشي عليه من ألم حرّها فسقط ميتا، ثم إنّ تلك الآفة عمّتهم أجمعين فاحترقوا كلهم، و كان ذلك سبب موته.

و كان إذا ورد واردٌ ليسمع كلامه كلّمه[٥] على أحد وجهين: إمّا بالاحتجاج و الدّراس، و إمّا بالموعظة و المشورة.

و كان يرمز حكمته و يسترها، فمن رموزه و ألغازه: لا تعتدي في الميزان، أي اجتنب الإفراط و التفريط. و لا تحرك النار بالسّكّين؛ لأنّها قد حميت فيها مرة أخرى، أي اجتنب الكلام المحرّض عند الغضوب المغتاظ؛ و لا تجلس على فقر، اي لا تعش[٦] في البطالة، و لا تمرّ بغياض الليوث، أي لا تعبد بآراء المردة؛ و لا يعمر الخطاطيف البيوت، اي لا تعبد بأصحاب الطريدة غير المالكين لأنفسهم، و أن لا يلق الحمل على حامله لكن يعان على حمله، أي لا يفعل أحد أعمال نفسه في الفضائل و الطاعات، و أن لا تلبس[٧] تماثيل الملائكة على فصوص الخواتيم، أي لا تجهر نيّاتك في أسرار العلوم الالهية عند الجهال. و المذكور أنّه صنّف مأتين و ثمانين كتابا، و خلّف من التلاميذ خلقاً كثيراً. و كان نقش خاتمه: شرّ لا يدوم خير من خير لا يدوم، أي شر تنتظر زواله ألذُّ من خير تنتظر زواله. و توضيحه: أنّ الشر المنقطع المنجرّ إلى الخير الدائم، خير من الخير المنقطع المنجرّ إلى الشّرّ الدائم. و المراد ترجيح النشأة الباقية على النشأة الفانية، و الترغيب لإصلاح الأمور[٨] الأخروية الدائمة الغير[٩] المنقطعة. و المنقوش على منطقته: الصمت سلامة من الندامة.

---

١. يعني اتفقوا على رأي واحد. (اللسان: سنن).
٢. انحاز: ص.
٣. يتغذّا: ص.
٤. فصرموا: ص.
٥. تكلّمه: ص.
٦. تعيش: ص.
٧. يلبس: ص.
٨. أمور: ص.
٩. غير: مص.

و قال فلوطرخس: إنّ فيثاغورس أول من سمّى الفلسفة بهذا الاسم.

و من آداب فيثاغورس و مواعظه، قال: كما أنّ بدء وجودنا و خلقتنا من الله ـ سبحانه ـ هكذا ينبغي أَن تكون[۱] نفوسنا منصرفة إلى الله ـ تعالى ـ

و قال: من أحبّ الله ـ سبحانه ـ عمل بمحابّه، و من عمل بمحابّه قرب منه، و من قرب منه نجا و فاز.

أقول مصداق كلامه ما في أَمالي الصدوق بالإسناد إلى محمد بن عُمير قال: حدّثني من سمع الصادق عليه السلام يقول: ما أحبّ الله من عصاه، ثم تمثل فقال:

تَـعصي الإله و أنتَ تُـظهِر حُـبَّهُ ... هَـذا لَـعَمرِي في الفِـعال بَـديعُ
لَـو كـانَ حُـبُّك صـادقا لأَطـعْتَهُ ... إنَّ المحبَّ لِمَـن أَحَبَّ مُـطِيعُ

و يؤيّد أيضا ذلك قوله ـ عز مجده ـ «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ[۲]» علّق المحبة على اتّباع أوامره و نواهيه.

ثم لا يخفى أنّ الحبّ من حيث التحقيق ينقسم إلى ثلاثة أَقسام: حبّ طبيعيّ، و هو حبّ العوام و غايته الاتّحاد في الروح الحيواني، فيكون روح كلّ واحد منهما روحا لصاحبه بطريق الالتذاذ و إثارة الشهوة. و حبّ روحانيّ، و غايته التشبّه بالمحبوب مع القيام بحقّ المحبوب و معرفة قدره. و حبّ الهيّ، و هو حبّ الله للعبد، و حبّ العبد للّه، كما قال اللـه ـ العزيز ـ «يحبّهم وَ يُحِبّونَهُ[۳]» و لمّا كان الحبّ من صفات الحق حيث قال: «يحبهم» و من صفات الخلق حيث قال: «و يحبونه» اتّصف الحبّ بالعزّة لنسبته إلى الحقّ، و وصف الحقّ به، و سرى في الخلق بتلك النسبة العزية.

و تفصيل الكلام في المرام أنّ المحبّة عند المحققين هي الابتهاج بحصول كمال في المشعور به محققا كان أو مظنونا، و قسّموها إلى فطرية أي ذاتية، و كسبية، فالذّاتية تكون[٤] في الموجودات كلّها فما هو في الواجب ـ جل ذكره ـ فهو الذي ظهرت[٥] به الكائنات، كما أشار

---

۱. يكون: ص. ۲. سورة آل عمران، الاية ۳۱. ۳. سورة المائدة، الاية ٥٤.
٤. يكون: ص. ٥. ظهر: ص.

إليه قوله: كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيًا فأحببتُ أن أُعرفَ فخلقتُ الخلقَ لِأُعرف. و الآيات الواردة بذكر المحبة تدلّ[1] على وجود المحبة في الله ـ عز مجده ـ و ما هو في غيره، فإنّ كل عقل يحبّ ما هو عليه من الكمال بالفعل لا يريد مفارقته، و إنّ كل فلك يحبّ[2] و تقتضي، حركته تشبّها بعقله كما علم ذلك في العلم الطبيعي.

و أما المواليد فإنّ المعدنيّ يحبّ ما عدن فيه و ما يركّب منه لا يستحيل عنه إلّا بخارج، و هي في النبات أزيد، لكونه ذا نفس نباتية يفعل أفعالا مختلفة بسبب مباديها، و هي التي يسمّيها الاطباء قوى طبيعيّة و هي ثلاث: قوة تحفظ[3] النفس النباتية للشخص إذا كان كاملا. و قوّة تكمّله[4] بها مع ذلك إذا كان ناقصا. و قوّة تستبق بها النوع بتوليد مثله، و هي المسمّاة بالغاذية و المنمّية و المولّدة للمثل. فالمحبة في النبات أزيد ممّا تقدم عليه من المحدثات، و في الحيوان أكثر منها في النبات لوجود ذلك فيه، مع وجود الحركات الاختيارية، و هي التي تصدر عن شيء يقدر على الفعل و الترك، و تتساوى نسبتها إليه بحسب إرادة يترجّح أحدهما، و لها مبادئ أربعة:

[الاول:] التصور الجزئي للشيء الملائم و المنافي تصورا مطابقا أو غيره.

الثاني: شوق ينبعث عن ذلك التصور، إمّا نحو جذب ـ إن كان ذلك الشيء لذيذا أو نافعا يقينا، أو ظنّا و يسمّى شهوة ـ و إمّا نحو دفع و غلبة، إن كان ذلك مكروها، و يسمّى غضبا.

الثالث: الإرادة و الكراهة، و هي العزم الذي ينجزم بعد التردّد في الفعل و الترك.

الرابع: حركة من القوة المنبثّة في العَضلة[5]. و لا شكّ في زيادة هذه الأشياء على النفس النباتية فلا يشكّ في زيادة المحبّة في الحيوان.

و أمّا في الانسان، فإنّها موجودة فيه مع زيادة المحبة الكسبية بالمزاورة، و تحصيل ما به يظهر سلطان الاتّحاد أو المقاربة بين أوصاف المحبّ و محبوبه و أخلاقهما، بحيث يبتهج المحبّ بأخلاق المحبوب و شمائله و أفعاله، فإن اتّحدث صار الأمر من الجانبين، و عن هذا قالوا: إنّ التحقيق الكشفي أفاد أنّ كلّ محبّ إنّما[6] أحبّ ـ في الحقيقة ـ نفسه، و لكن أقام صورة المحبوب

---

١. يدلّ: ص. ٢. تحبّ: ص. ٣. يحفظ: ص.
٤. يكمله: ص. ٥. الفضلة: ص. ٦. فإنّما: ص.

كالمرآة لمشاهدة نفسه من حيث المناسبة التامة و المحاذاة الروحانية، فكان المسمى محبوبا شرط في حبّ المحبّ نفسه، و في تأثيره في نفسه، و في ذلك أسرار لا يسع كشفها؛ ثم إنّها تستلزم[١] أمورا عظاما كالرجاء، و الخشية، و الشوق، و الأنس، و الانبساط، و التوكل، و الرضا، و التسليم. و ذلك لأنّها مع تصوّر رحمة المحبوب تقتضي الرجاء، و مع تصوّر الهيبة يقتضي الخشية، و مع عدم الوصول تقتضي الشوق، و مع استقرار الوصول تقتضي الأنس، و مع فرط الأنس يقتضي الانبساط، و مع الثقة بالعناية تقتضي التوكل، و مع استحسان كلّ أثر صدر من المحبوب تقتضي الرضا، و مع التصور[٢] القصور و العجز في نفسه و قدرة المحبوب تقتضي التسليم. و الإنسان الكامل محبّ و عارف بالمحبة و لوازمها، و بالمحبوب و لوازمه، و أسباب كونه محبّا، و أسباب كون المحبوب محبوبا جملة و تفصيلا. فهو أشدّ محبة. قال اللّه ـ تعالى ـ: «و الّذينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّٰهِ[٣]» انتهى ما أردنا بيانه.

و قال: إِحذَرْ أن ترتكب قبيحا من الأمر لا في خلوة و لا مع غيرك، و ليكن استحياءك من نفسك أكثر من استحيائك من كلّ أحد.

و قال: ليكن قصدك في المال اكتسابه من حلال، و إنفاقه في مثله.

و قال: إذا سمعت كذبا فهوّن على نفسك الصبر عليه.

و قال: كن متيقّظاً في اَوائل أيّام حياتك، فإنّ ثبات الرأي مشارك للموت في الحبس. و من هذا قيل:

خوی بد در طبیعتی که نشست   نرود جز به وقت مرگ از دست

و قال: ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن تخطره[٤] ببالك.

أقول: و هذا يدل على مؤاخذة الخطرات[٥] القلبيّة. و لي رسالة مفردة في هذا المطلب في جواب سؤال بعض الأصدقاء عن هذه المسئلة[٦].

---

١. يستلزم: ص.   ٢. التصور: س.   ٣. سورة البقرة، الاية ١٦٥.

٤. يخطره: ص.   ٥. مخاطرات: ص.   ٦. المسألة: مص.

و قال: عسير على الانسان أن يكون حرّا، و هو مطيع[1] للأفعال القبيحة الجارية بجرى العادة.

و قال: إعتقدْ أنّ أبينَ مخافة اللّه ـ سبحانه و تعالى ـ الرحمة.

اقول: مصداق كلام الحكيم ما ورد في كلام مولانا اميرالمومنين ـ سلام الله عليه ـ: يا ابن آدم إذا رأيت ربّك ـ سبحانه ـ يتابع[2] عليك نعمه و أنت تعصيه فاحذره[3].

و لا يخفى أنّ هذا الكلام تخويف من الاستدراج و تنفير عن المعصية، فإنّ العبد بسبب موالاة النعم و تتابعها عليه يغتر و يأمن من مكره فابتلى بالإمهال فيعصيه[4]، قال اللّـه ـ تعالى ـ: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمونَ[5]» و لذا قال ـ عليه‌السلام ـ: الحذَر الحذَر، فواللّه لقد سَتَر حتّى كأنّه قَد غَفَرَ[6].

و قال: الإنسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح أن يكون صديقا و خلاًّ إحذر أن تجعله لك عدوّاً.

و قال: ما أحسن بالإنسان أن لا يخطئ، و إنْ أخطأ فما أكثر انتفاعه بأن يكون عالِما بأنّه أخطأ، و يحرص في أن لا يعاوده.

و قال: الأولى أن يفعل الانسان ما ينبغي لا ما يشتهي.

و قال: ينبغي أن يعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام، و الوقت الذي يحسن فيه السكوت.

و قال: ليس الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فَصَبَر و احتمل، و لكنّ الحكيم من حمل عليه أكثر ممّا تحتمل[7] الطبيعة فَصَبَرَ.

و قال: الدنيا دول، مرّة لك و أخرى عليك، فإنْ تولّيت فأحسن، و إنْ تولّوك فَلِنْ.

و قال: من لم تقهر[8] نفسه جسدهُ فإنّما جسده قبر لنفسه. و لعلّ مراده أنّ عدم قهر النفس لجسدها، و لمشتهياتها الفاسدة الجسدانية، موجب لإماتتها من الحياة العقلانية، فإذا ماتت

---

۱. مطاع: ص.
۲. تتابع: ص.
۳. قصار الحكم: ۲۵.
٤. فعصاه: ص.
٥. سورة الاعراف، الاية ۱۸۲.
٦. سورة الاعراف، الاية ۱۸۲.
۷. يحتمل: ص.
۸. يقهر: ص.

النفس بالوُغُول في عالم الطبيعة صار جسدها قبرها. «زنده در گور بودن اين بوده است».

و كان يقول: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء، فهو حقيق أن لا ينزل به المكروه كما ينزل بغيره: العجلة، و اللّجاجة، و العُجب، و التواني. فثمره العجلة الندامة، و ثمرة اللّجاجة الحيرة، و ثمرة العُجب البغضاء، و ثمرة التواني الزلّة. و نظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلّم فيلحن في كلامه، فقال: إمّا تتكلّم بكلام يشبه لِباسَك، أو تلبس لباسا يشبهه كلامك.

و قال لتلاميذه: لا تطلبوا من الأشياء ما تكون[1] بحسب محبتكم و لكن حبّوا من الأشياء ما هي محبوبة في أنفسها.

و قال: استعمل الفكر قبل العمل.

و قال: كثرة العدوّ تقل الهدوّ.

و قال: اجعل اختبارك للناس من أفعالهم، لا من أقوالهم، فإنّ كثيرا من الناس تدبّراتهم رديّة، و أقاويلهم سديدة، و أفعالهم خبيثة، و أقاويلهم جميلة.

و قال: ليس المتقدم عند اللّه ـ سبحانه ـ لسان الحكيم بالتكرمة بل أفعاله.

و قال: إن أحببت أن تعرف اللّه ـ سبحانه ـ فلا تصرف عنايتك إلى معرفة الخلق، فإنّه قد يمكنك أن تعرف اللّه باليسير من الكلام.

و قال: إذا ثبت واحد لزم لا واحد بإزائه، فحصل التنزّه[2].

اَقول: هذا تعبير بأنّ في الكثرة بسبب لزوم الاعتبارات سرّ عظيم في الخليقة.

و قال: الأقوال الكثيرة في اللّه ـ سبحانه و تعالى ـ علامة تقصير الإنسان عن معرفته، فإذا خطر ببالك في كلّ وقت شغل فيه أخذ أفعال الجسم أو النفوس، فرأيت اللّه ـ سبحانه ـ المشاهد لجميع الأفعال و الأعمال و الأفكار، فإنّك بسرعة تستحي[3] ممّن لا يفوته رؤية شيء. و هذا يكون إذا كان على اللّه ـ تعالى ـ اعتمادك.

و قال: الإنسان الحكيم المراقب للّه ـ سبحانه ـ من عند اللّه معروف، فلهذا لا يندم متى لم يكن معروفا عند جميع الناس.

---

۱. يكون: ص. ۲. تنزّه: ص. ۳. يستحي: ص.

و قال: إنّ العوامّ يظنّون[1] أن الباري ـ تعالى ـ في الهياكل فقط، فيحسّنون سيرتهم[2] فيها، كذلك يجب على مَن علم [أنّ[3]] الله[4] في كل مكان، أن تكون[5] سيرته في كل مكان كسيرة العامة في الهياكل.

و قال: اختر أن تكون متحركا في نفسك لا في جسدك، فتكون[6] أرباحك نفسانية لا جسمانية.

و قال: لا يعدّ حرّا من لا يتمكّن مِن ضبط نفسه.

و قال له رجل: مَن أشق الناس؟ فقال: من يجمع لغيره.

و قال له: مَن صديقك؟ فقال: من لا يغضب مِن الحقّ إذا سمعه منّي.

و قيل له: أيّ الناس أولى بالسّعادة؟ فقال: أَنقصهم ذنوبا.

فقيل له: و أيّهم ذلك؟ فقال: أكملهم عقلا، و أوفرهم عملا بالواجب.

و قال: حفظ ما [في[7]] يديك أولى من التماس ما ليس عندك.

و قال: اِحرصْ أن لا تجعل للعداوة طريقا إلى النموّ.

و قال: جرّد العقل من الهوى، يظهر صدق المعاملة.

و قيل[8] له: فلان سَيّئ القول فيك، فقال: لعلّه جاهل بالقول الحسن.

و قال: الطبيب ليس من عالج غيره و هو سقيم.

أقول: لعلّ مراده أنّ من لم يداوِ نفسه عن داء الجهالة، فليس ينبغي له أن يباشر مداواة[9] الغير، و من هذا قال من قال:

و غَـيرُ تَـقيٍّ يَأمُـر النـاسَّ بـالتّقى طَبِيبٌ يُداوي المـرءَ وَ هْـوَ مَـريضُ

و يؤيّد هذا ما هو المرويّ عن مولانا عليّ عليه السلام انّه قال: مـعلّم نـفسه و مـؤدّبها أحـقُّ

---

۱. يظنّ: ص.
۲. فيحسن سيرتها: ص.
۳. أنّ: ساقطة من ص.
٤. + بأنّه: ص.
٥. يكون: ص.
٦. يكون: ص.
۷. «في»: ساقطة من ص.
۸. و قال له: ص.
۹. بمداواة: ص.

بالإجلال من مؤدب الناس و معلّمهم[۱].

و كان فيثاغورس إذا جلس على كرسيّه أوصى بهذه الوصايا السّبع[۲]: قوّموا موازينكم، و اعرفوا أوزانها. عدلوا الخط تصحبكم[۳] السلامة. لا تشعلوا[٤] النار حيث ترون[٥] السكين يقطع. عدّلوا شهواتكم تستديموا الصحة. استعملوا العدل تحظ[٦] بكم المودة. عامل الزمان[۷] لا كالولاة الذين يستعلون عليكم[۸] و ينعزلون[۹] عنكم. لا ترفّهوا أبدانكم و أنفسكم فتفقدوا في أوقات الشدائد إذا وردت عليكم. فلقد صدق من قال:

آن خـــور و آن پــوش چــو شــير و پــلنگ
كـــاورى آن را هـــمه روزه بـــه چـــنگ

و حضرت[۱۰] امرأته الوفاة في أرض غربة، فجعل أصحابه يتحزّنون على موتها في أرض غربة، فقال: معاشر الإخوان؛ ليس بين الموت في الغربة و الوطن فرق، و ذلك أنّ الطريق إلى الآخرة واحد من جميع النواحي.

و كلامه في الإلهيات: أنّ الباري ـ تعالى ـ واحد لا كالآحاد، و لا يدخل في العدد.

أقول: مراده أنّه ـ تعالى ـ واحد لا كالآحاد، و لا يدخل في العدد. لعلّ مراده أنّه ـ تعالى ـ واحد لا كواحد الأعداد؛ لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد. كما روى الصدوق‌ؒ في كتاب معاني الأخبار، بحذف الإسناد عن أبي المقدام بن شُرَيح بن هاني عن أبيه، قال: إنّ أعرابيًا قام يوم الجمل إلى أميرالمؤمنين ـ سلام الله عليه ـ فقال: يا أميرالمؤمنين، أتقولُ: إنّ الله واحد؟ قال: فكمّل الناس عليه، و قالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أميرالمؤمنين من تقسّم القلب؟! فقال: أميرالمؤمنين‌ؑ : دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي، إنّ القول في أنّ الله ـ تعالى ـ واحد على اَربعة اَقسام: فوجهان منها

---

۱. «ومعلّم نفسه و مؤدبها أحقّ بالاجلال من معلّم الناس و مؤدبهم»: قصار الحكم: ۷۳.

۲. السبع الوصايا: ص. ۳. يصحبكم: ص. ٤. لا تشتعلوا: ص.

٥. يرون: ص. ٦. يحظ: ص. ۷. ـ لا: ص.

۸. اليكم: ص. ۹. يعزلون: ص. ۱۰. و حضر: ص.

لا يجوزان على الله ـ عزوجل ـ و وجهان مثبتان فيه.

فأمّا اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل واحد، يقصد من باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة. و قول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النّوع من الجنس: فهذا ما لا يجوز؛ لأنّه تشبيه، و جَلّ ربّنا عن ذلك تعالى، و أمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه. فقول القائل: هو الواحد يريد به ما ليس له من الأشياء شبيه، كذلك ربّنا. و قول القائل: إنّه ـ تعالى ـ واحد، يريد أنّه ـ عزوجل ـ أحَدِيّ المعنى، يعني به أنّه لا ينقسم في وجود و لا عقل و لا وهم، كذلك ربّنا ـ عزوجل ـ. ثم تقول: فَأمّا ما في التنزيل: «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إلّا هو[1] رابِعُهُمْ، و لا خَمْسَةٍ إلّا [هوَ[2]] سادِسُهُمْ[3]» فلا تحسبنّ معناه رابع الثلاثة، و سادس الخمسة بالعدد، بل إنّما الذي يستحلّه مذهب العرفان في تفسيره، أنّه ـ سبحانه ـ رابع كل ثلاثة، و سادس كل خمسة بالإحاطة و المعيّة الإحاطيّة، على ما هو المنصرح من صريح قوله ـ تَعَاظَم سلطانه ـ: «و لا أَدْنىٰ مِنْ ذلكَ و لا أَكثَرَ اِلّا[4] هو مَعَهُمْ أَيْنَمَا كانوا[5]» و أمّا ما في الصحيفة المكرّمة السجادية: لك يا الهي وحدانيّة العدد. فمعناه على ما فسّره بعض الأعاظم من علمائنا، أنّ الوحدة العدديّة ظلّ لوحدته الحقّة الصرفة القيّوميّة، و مجعولة لجاعليّته المطلقة، و فعاليّته الإبداعيّة، فسبيل اللّام في قوله ـ عليه السلام ـ: لك سبيلها في قوله ـ عزّ كبرياؤه ـ: «لَهُ مَا في السَّمٰواتِ وَ مَا في الأَرضِ[6]».

مفصل اين كلام و بسط اين مرام اگر چه سابقا آنچه از اهل عرفان به نظر قاصر رسيده بود گزارش يافته، اما در اين مقام كه نقل كلام اصحاب عصمت و ارباب طهارت نموده شده بمؤداى: «هو المِسْكُ مَا كَرّرتَهُ يتَضوَّعُ».

آنچه موافق مشرب تحقيق و تدقيق اين مطلب بوده، بعبارة اخرى بر لوح تقرير و تحرير مى‌نگارد، كه واحد عددى كه ظلّ ذات واحد حقيق است، حقيقت او را بما هو واحد عددى چند صفت ذاتى لازم ماهيت افتاده است، كه در مستقرّ ادراك عقل از آن

---

١. الواو زائدة في ص.
٢. هو ساقطة من ص.
٣. سورة المجادلة، الاية ٧.
٤. الواو زائدة في ص.
٥. سورة المجادلة، الاية ٧.
٦. سورة المائدة، الاية ١٧١.

صفات انسلاخ نمی‌تواند داشت:

یکی آنکه در سلسله تعداد مبدء المبادي، و اول الاوائل است، بلا مشارکت شریکی و منازعت سهیمی.

دوم آنکه هر مرتبه از مراتب کثرت و هر نوعی از انواع عدد را هم اولست و هم آخر، و هم مبدء و هم معاد.

سوم آنکه مراتب کثرات و انواع اعداد الی مالا نهایة[۱] همه در ذرات وحدانی وحدت عددی بالقوه موجودند، فهو بوحدته کأنّه الکلّ في وحدة، چه ماهیت و حقیقت کثیر حقیقت عددی نیست الا به همان واحد متحرك، و وحدت متکرره مراتب ظهور و مدارج تنزلات و تکرارات او را انواع متباینه عدد و مراتب متخالفه کثرت می‌نامند، و به اسماء مختلفه می‌خوانند.

چهارم آنکه هر مرتبه از مراتب کثیر که متحصل میشود، ذات واحد را نامی دیگر به نسبتی و شأنی تازه‌تر اضافی قیاس با آن مرتبهٔ متحصّله حاصل می‌آید، و اوفی حد ذاته همان بر عرش وحدت خود مستقرّ، و بر سنّت یگانگی خود مستمرّ است، قیاس با مرتبه اثنین نام او نصفست و نسبت با رتبهٔ ثلاثة نامش ثلث، و قیاس با اربعه ربع، و نسبت با خمسه خمس، و علی هذا القیاس، و این آمیزش و ارتباط و نسب و اضافات از طرف کثیر انگیخته می‌شود، که ذات واحد از همه بی‌نیاز است.

پنجم آنکه مراتب تنزل سیر واحد در مدارج کثرت که به انواع عددیّه موسومند بر دو گونه است: یکی آن عقود که در دایره دور تنزل و تکرر داخل بوده ایشان نیز بر سنت واحد حکم کلیت داشته باشند، و همان سیر واحد را از یکی تا نه شاکلهٔ خود ساخته باشند، مانند عقد عشره که در مراتب عشرین و ثلثین و اربعین و خمسین تا مرتبه تسعین که آخر الدور است متکرر الظهور و مختلف التجلّي است، بعد از آن عقد صد که در عقود تسعه مئات بر اسلوب همان سنت متجلي، و به حلیه همان شاکله متحلی است. بعد از آن عقد هزار که در مراتب تسع الوف همان سیر و همان دور وظیفه دارد، و هکذا الی حیث

---

۱. لا الی نهایة: ص.

يستمر اعتبار العقد. و ديگرى از انواع كه محصور مرتبه جزئيت آمده حقيقت ايشان را بيش از يک لباس ظهور و يک محضر حصول نبوده باشد، مانند اعداد مركبه كه ما بين دو عقد از عقود عشرات يا مئات ـ مثلا ـ واقع باشند، چون يازده و دوازده، و بيست و چهار، و بيست و پنج، و امثال ذلك. و اين خواص و لوازم واحد عددى را همه از سعادت ظلّيت واحد حق حقيقى و فيض زمين بوسى آستان وحدت حقه قيّومى حاصل است. و تدبّر در سرّ اين دقيقه باب الابواب معرفت اصول توحيد، و مفتاح المفاتيح اسرار تجليات و اشعه تطورات اسماء مختلفه حقيقت حقهٔ احديّت مطلقه است.

تو درّ عدن بين كه چون سفته‌اند
سخن بين كه در پرده چون گفته‌اند

ثم قال الحكيم فيثاغورس: و لا يدرك من جهة العقل، و لا من جهة النفس، فلا الفكر العقلي يُدركه، و لا المنطق النفسي يصفه، فهو فوق الصفات الروحانية غير مدرَك من نحو ذاته، و إنما يدرَك بآثاره و صنائعه و أفعاله، فكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التي تظهر[1] فيه فينعته و يصفه بذلك القدر الذي[2] خصّه من صنعه، فالموجودات في العالم الروحانيّ قد خصّت بآثار خاصة روحانية فتنعته[3] من حيث تلك الآثار، و الموجودات في العالم[4] الجسماني قد خصت بآثار جسمانية فتنعته[5] من حيث تلك الآثار، و لا نشك أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التي جبل الحيوان عليها، و هداية الانسان مقدرة على الآثار التي فطر الانسان عليها، فكلّ يصفه من نحو ذاته و يقدسه عن خصائص صفاته.

أقول و من هذا الباب ما قد ورد عن مولانا الخامس أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال في معرفة الله ـ جلّ ذكره ـ كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معاينه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم. و لعل النّمل الصغار تتوهم أنّ للّه ـ تعالى ـ زبانيتين، فان ذلك كما لها، و أنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما. و هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه ـ تعالى ـ به.

---

١. يظهر: ص.
٢. + يصف: ص.
٣. فينعته: ص.
٤. عالم: ص.
٥. فينعته: ص.

قال بعض الأعلام من المتأخرّين: هذا كلام دقيق رشيق انيق صدر من مصدر التحقيق و مورد التدقيق، و السّرّ في ذلك أنّ التكليف إنّما يتوقّف على معرفة الله ـ تعالى ـ بحسب الوسع و الطاقة، و إنما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها و شاهدوها فيهم مع سلب النقائض الناشئة عن انتسابها[۱] إليهم، و لمّا كان الإنسان واجبا بغيره، عالما قادرا حيّا متكلفا سميعا بصيرا، كلف بأن يعتقد تلك الصفات في حقّه ـ تعالى ـ مع سلب النقائض الناشية عن انتسابها إلى الانسان بأن يعتقد أنّه تعالى واجب لذاته لا بغيره، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات، و هكذا في سائر الصفات، و لم يكلف باعتقاد صفة له ـ تعالى ـ لا يوجد[۲] مثالها فينا[۳] بوجه، و لو كلف به لما أمكنه تعلّقه بالحقيقه، و هذا أحد معاني قول مولانا أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. انتهى مقاله. و حاصل كلامه: انّ الصّفات التي نثبتها له سبحانه إنّما هي على حسب أوهامنا، فإنّا نعتقد اتّصافه ـ سبحانه ـ بأشرف طرفي النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصرة، هو ـ تعالى ـ أرفع و أجل من جميع ما نصفه به، كما قال الحكيم العارف السّنائي:

آنچه پيش تو غير از آن ره نيست   غايت فهم توست اللّه نيست

و في الحديث: [إنّ] اللّه ـ تعالى ـ احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، و أنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم، ولي في هذا المعنى بالنظم الفارسي:

در راه طلب پاى فلك آبله دارد
جوياى تو در هر كف خاكى تله دارد

و العجب كلّ العجب أنه ـ تعالى ـ ما ظهر بشيء من مظاهر أفعاله إلّا و قد احتجب به، كما قال بعض العرفاء:

بَدَتْ باحْتجابٍ و اخْتَفَتْ بِمَظاهِرٍ   عَلَى صِبَغِ التلوين في كلّ بَرْزَةٍ[٤]

---

۱. انتسابهم: ص.   ۲. + فيه: ص.   ۳. منا: ص.

٤. بدت باحتجاب و اختفت بمظاهرِ   على صيغ التكوين في كلّ بزرة: ص

راجع: جلاء الغامض في شرح ديوان الفارض، أمين الخوري، بيروت، ۱۹۰٤ م، ص ۸٦

و ذلك من إتقان صنعه و بليغ حكمته، فسبحان من حالت جياد العقول السليمة لطلب غايته في ميدان النظر، فخسرت في بدايته غير مقضية الوطر، فهو كما قال ابو[١] علي الدقّاق من مشايخ الصوفية: غريم لا يقضى دينه، و غريب لا يؤدى حقّه.

ثم قال الحكيم فيثاغورس: الوحدة تنقسم[٢] إلى وحدة قائمة بالذّات غير مستفادة من الغير، لا تتألف منها كثرة، و هي وحدة الباري ـ تعالى ـ وحدة الإحاطة بكلّ شيء وحدة الحكم على كل شيء، وحدة تصدر عنها الآحاد في الموجودات و الكثرة فيها، فهو ـ سبحانه ـ بوحدة ذاته بكلّ شيء محيط. و إلى وحدة قائمة[٣] بالغير مستفادة من الغير، و ذلك وحدة المخلوقات، و هي المبدأ لا تلاف[٤] الكثرة و تقابلها[٥] الكثرة، ثم تتألف[٦] منها الأعداد، و ربّما يقول: الوحدة على الاطلاق تنقسم[٧] إلى: وحدة قبل الدهر، و وحدة مع الدهر، و وحدة بعد الدهر و قبل الزمان، و وحدة مع الزمان. فالوحدة التي هي قبل الدّهر وحدة الباري ـ تعالى ـ، و الوحدة التي هي مع الدهر و قبل الزمان وحدة العقل الأول، و الوحدة التي بعد الدهر و قبل الزمان وحدة النفس، و الوحدة التي هي مع الزمان وحدة العناصر و المركبات.

و ذكر أنّ الإنسان بحكم الفطرة واقع في مقابلة العالم كلّه، فهو عالم صغير و العالم انسان كبير، و لذلك حظّه من العقل و النفس أوفر، فمن أحسن تقويم نفسه و تهذيب أخلاقه و تزكية أحواله، أمكنه أن يصل إلى معرفة العالم و كيفية تأليفه، و من ضيّع نفسه و لم يقم بمصالحها من التهذيب و التقويم، خرج عن عداد العدد و المعدود، و انحلّ عن رباط القدر و المقدور، و صار ضائعاً مهملا.

أقول: الحكماء المتقدمون العالمون بما هو الاحرى[٨] و الأولى، و العاملون بما في الصحف الاولى يبصرون ببصر بصيرتهم أنّ الإنسان البالغ الذي خرج عن المنى، هو العالم الصغير الذي فيه فذلكة ما في الإنسان الكبير الذي هو العالم بأسره[٩]، فقرءَوا بأحسن القراءة و أبلغ التلاوة من نسخة الوجود آيات ربهم الكبرى، و يصدّق هذا المدعى ما في المناشدات

---

١. ابا علي: ص. ٢. ينقسم: ص. ٣. قائم: ص.
٤. لإيتلاف: ص. ٥. يقابلها: ص. ٦. يتألف: ص.
٧. ينقسم: ص. ٨. الأخرى: ص. ٩. بأسرها: ص.

المنسوبة إلى مولانا الإمام ـ عليه ألوف من التحية و السلام ـ:

دواءكَ فيكَ و ما تشعُر — و داءُكَ مِنْكَ و ما تُبْصِرُ
و أنتَ الكتابُ المبينُ الّذي — بأحرفه يَظْهَرُ المُضْمَرُ
و تَزْعَمُ أنَّكَ جرمٌ صَغير — و فيك انْطوى العالَمُ الأكبرُ

فبمقتضى تطبيقهم بين العالمين و توفيقهم بين النسختين، كان الدّماغ في الإنسان، و طبقات تجاويف بطونه في مقابلة طبقات كرات الفلكيات، من الممثل، و خارج المركز، و التداوير، و المتمّمات، و الأرواح النفسانية، و القوى الإدراكية بازاء الملائكة الموكلة، على طبقات الأفلاك من العقول و النفوس. و الأخلاط[1] الأربعة، و القوى[2] الحيوانية و الطبيعية في حيّز العناصر[3] الأربعة، و الطبائع[4] العنصريات، و الملائكة الموكلة، على طبقات العالم[5] العنصري. و قوّتى العاقلة و العاملة للنفس الناطقة، في وزان الشمس و القمر. فكما يعرض للنيّرين كسوف و خسوف، فيمكن أن يحدث للنفس الناطقة الإنسانية أيضا خسوف و كسوف عقلي.

اما الخسوف فلمّا كانت[6] حقيقته حيلولة جرم الأرض بين الشمس و القمر، و نور القمر ليس بذاتي، بل مستعار من الشمس، فهذه الحيلولة صارت منشأ الإنخساف لجرمه، مانعة لاستفادته النور و استشراقه. فبهذا الاعتبار، النفس بمنزلة القمر، و الأنوار العقلية لعالم القدس بمنزلة الشمس، بسبب أنّ استضاءة النفس من إشراقات أنوار عالم العقل، و البدن كجرم الأرض، فتعلّق النفس بالإرادة بالبدن، و توغله بمستلذاته الحسية و لذّاته المزاجية، مثمر لحيلولة جسده بين نفسه و عالم القدس، فهذه الوساطة و الحيلولة مانعة لوصول إشراقات أنوار الملكوت بالنفس، فصارت[7] منشأ الإنظلام و الإنخساف لجوهره.

و أما الكسوف فإنّ عروضه للشمس بسبب حيلولة جرم القمر بين مركز الجليدية

---

١. و اخلاط: ص. ٢. و قوى: ص. ٣. عناصر: ص.
٤. طبائع: ص. ٥. عالم: ص. ٦. كان: ص.
٧. و صارت: ص.

للبصر ـ الذى هو[١] في حكم مركز العالم بالقياس لفلك الشمس ـ و بين جرم الشمس؛ لأنّه ليس لنصف قطر الأرض بالنسبة إليها قدر محسوس، كما تبين في محلّه، فبهذه الجهة ليس يعتري لجرم الشمس نقصان، بل الشمس باقية بنورانيّتها الذاتية، بل النقصان و الخسران على روزنة الحدقة و غرفة القوة[٢] الباصرة لحرمانها[٣] عن ضوء شعاع الشمس، فعتبة الربوبية ـ جلّ شأنه ـ من باب ضرب الأمثال، كالشمس الحقيقية، لما قالوا: إنّ نور الأنوار شمس عالم العقل، و عقول عالم القدس و الجمال و البهاء و النورانية التي تكتسب منها جوهر النفس من حيثية خلع البدن، و رفض عالم الحسّ، و ارتباطه و اتّصاله بالقدسيات بمنزلة جرم القمر، و جوهر نفس العارف المستكمل كالحدقة للبصر، فانكساف جوهر النفس بسبب عدم اتّصاله بعالم الملكوت، و حرمانه عن مطالعة أنوار عالم العقل، و هجرانه عن بهجة نور الحق، و احتجابه عن مشاهدة شعاع الشمس[٤] الحقيق، فهذا الحرمان و الخسران كان كسوفه. فبان من هذا البيان أنّ الإنسان العارف الكامل المتألّه المتقدّس، التام البلوغ في التألّه و التقدّس، بحيث يكون في فطرته الأولى بحسب جبلّة عقله الهيولاني صاحب القوة القدسية، و في فطرته الثانية يستحصل نصابه الأكمل من عقله المستفاد، هو عالم عقلي مضاهٍ لنظام عالم الكلّ، و نسخة لعوالم الوجود بأسرها، بحيث يمكن المقابلة بينهما بأسهل الوجوه، فإن فاز بخواص النبوة[٥] و الرسالة و الخاتمية[٦]، أو فاز بمرتبة الوصاية و الوراثة الصورية و المعنوية، كاد يصير ربّا إنسانيا يكاد ان تحل[٧] عبادته بعد عبادة الله ـ تعالى ـ، فكأنّ ايجاد سائر الموجودات من الحيوانات و النباتات[٨] لأجل انتفاعه، كما نطق به التنزيل الكريم، أو لأجل أنّ فاضل مادة إيجاده لا يضيع، كما يُشعر به ما هو المروي عن خاتم النبوة ـ عليه و آله افضل الصلوات و أكمل التحيات ـ في ايجاد النخلة و إكرامها[٩]، بقوله: أكرموا عمّتكم النخلة، فإنّها من بقية طينة آدم. فكان خلقه الإصبع[١٠] الزائدة التي من

---

١. ـ هو: ص. ٢. قوة: ص. ٣. لحرمانه: ص.
٤. شمس: ص. ٥. نبوة: ص. ٦. الختمية: ص.
٧. يحل: ص. ٨. النبات: ص. ٩. إكرامه: ص.
١٠. الاصبعة: ص.

فضلة المادة[1] المنوية ـ كما تبين في الكتب الطبية ـ أيضا من هذا القبيل.

ثم لا يخفى أنّ بعض العلماء يسمّي الانسان الكامل العالم الكبير [و يسمّي[2]] العالم الإنسان الصغير، اما باعتبار أنّ الكل خلق لأجله، و خادم له و هو مخدوم الكل، و الكل ساجد له و هو مسجود الكل؛ لأنّه مظهر الذات المقدسة و كمالاتها المترتّبة عليها، و العالم مظهر للأسماء و الصفات المترتبة على الذات، و اما باعتبار ما قال بعض الأعلام بلسان الفرس في بعض مؤلفاته بقوله: بعضى انسان را عالم كبير گويند، بنابر آن كه عالم كبير موجودات عينى را گيرند، و انسان نظراً إلى أجزائه و صفاته الموجودة في الخارج جزو آن باشد، و او را من حيث جمع صفاته الذهنية و الخارجية عالمى ديگر گيرند، و حينئذ عالم انسانى اكبر باشد، چه حيطه شمول او به اين اعتبار بيش از تمام عالم است، چه نظر به امور خارجى مشتمل بر تمام اجزاى عالم است، و نظر به امور ذهنى بر چيزى چند زايد بر آن مشتمل است، چون ذات و صفات حق و ممتنعات اين است آنچه از بعضى محققين منقول است، پس شبهه‌اى كه بعضى اذهان را دامنگير مى‌باشد، كه چگونه انسان عالم كبير باشد و حال آنكه او جزوى از اجزاى عالم است، پس لازم آيد كه جزء اعظم از كل باشد، مرتفع گشت، چه دانستى كه او نظر به امور عينيه جزو عالم است، و نظر به جمع اجزاى صفات ذهنيه و خارجيه عالمى ديگر، پس ذهنيات در عالم انسان داخل باشد، و در عالم نه.

فان قلت: العالم الكبير أيضا يشتمل على الموجودات الذهنية إذ العقول و النفوس الفلكيّة ناطقة مدركة للأشياء، كما هو المشهور بين الفلاسفة المثبتين لها، فلا يزيد الإنسان على العالم بالموجودات الذهنية، لكونها متحققة أيضا في العالم.

قلت: أما العقول فلا إحساس لها مطلقا، أي سواء كان حسا ظاهراً أو باطنا لعدم تعلقها بالبدن، و أما النفوس الفلكية فلا إحساس لها بالحواسّ الظاهرة عند القائلين بإثباتها و تجردها ـ و هم الفلاسفة ـ و تقييد الحواس بالظاهرة؛ لأنهم يثبتون للأفلاك الحسّ الباطن المدرك للجزئيات المادية، كما هو المشهور من مذهبهم، و حينئذ يزيد الانسان على العالم

---

۱. مادّة: ص. ۲. و يسمى: ساقطة من ص و اظنه من سهو الناسخ، مص.

يبعض الإدراكات، أعني الإحساسات الظاهرة. فثبت كونه كبيرا بالنسبة إلى العالم، فلقد صدق من قال:

ايــن چــرخ كـدوييست كــهن بــاده مــنم
مـــى در تـــه ايـــن سـبوى افـتاده مــنم
گـــر خـــود نـظر از ديـدهٔ تـحقيق كـنى
كـــاهيست هـمه جـهان و بـيجاده مـنم

تلويح آخر:

إعلم أنّ تصرف الآدميّ في عالمه و مملكته ـ أعني بدنه ـ يُشبه تصرف الخالق في العالم الأكبر؛ لأنّ من عرف أنّ الروح قائم بنفسه ليس بعرض و لا بجسم، و لا جوهر متحيّز، و لا يحل المكان و الجهة و لا هو متّصل بالبدن، و لا هو منفصل، و لا هو داخل في أجسام[١] العالم و لا هو خارج. و هذا كلّه كصفات ذاته ـ تعالى كبرياؤه ـ و عرف أنّ مبدأ فعل الآدميّ إرادة يظهر أثرها أولا في القلب، فيرى منه أثر بواسطة الروح الحيوانِ الّذي هو بخار لطيف في تجويف القلب، و يتصاعد إلى الدّماغ، ثم يرى منه أثر إلى الأعصاب الخارجة من الدماغ، و من الأعصاب إلى الأوتار و الرّباطات المتعلقة بالعَضُد، فتنجذب[٢] به الأوتار، فيتحرك به الاصبع، فيتحرك[٣] بالاصبع القلم، و بالقلم المداد مثلا، و تحدث[٤] منه صورة ما يريد كتابته[٥] على وجه القرطاس، على الوجه المتصور في خزانة التّخيّل؛ فإنّه ما لم يتصوّر في خياله صورة المكتوب أولا، لا يمكن إحداثه على البياض ثانيا، و هذا كأفعاله ـ تعالى شأنه ـ فإنّ كيفية إحداثه النبات و الحيوان على الأرض بواسطة تحريك السموات و الكواكب، و ذلك بطاعة الملائكة له في تحريكها، تبيّن له هذا المدعىٰ[٦] كما هو حقه.

ثم انكشف له أنّ نسبة شكل القلب إلى تصرّفه يُشبه نسبة العرش، و نسبة القلب إلى الدّماغ يُشبه نسبة العرش إلى الكرسيّ، و انّ الحواس كالملائكة، و الأعضاء و الأعصاب

---

١. الاجسام: ص. ٢. فينجذب: ص. ٣. فتحرّك: ص.
٤. و يحدث: ص. ٥. كتبته: ص. ٦. المدّعا: ص.

كالسموات، و القدرة في الاصبع كالطبيعة المسخّرة المركوزة في الأجسام، و المداد كالعناصر التي هي أمّهات المركبّات في قبول الجمع و التركيب و التفرقة، و خزانة التخيّل كاللّوح المحفوظ. فمهما اطّلع بالحقيقة على هذه الموازنة، عرف معنى «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، و أنّ اللّه خلق آدم على صورته، فسبحانه من صانع جمع الكل في أحد أجزائه، كما قال مَن قال:

ليسَ عَلَى اللّهِ بِمُستَنْكَرٍ أنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحِدِ

و قال الحكيم فيثاغورس: النّفس الإنسانية تأليفات عددية و لحنيّة، و لهذا ناسبت النّفس مناسبات الألحان و التذّت بسماعها، و طاشت باستماعها متواجدات و حاشت، و لقد كانت قبل اتّصالها بالأبدان قد أبدعت من تلك التأليفات العددية الأولى، ثم اتّصلت بالأبدان، فإن كانت التهذيبات الخُلقية على تناسب الفطرة، و تجرّدت النفوس عن المناسبات الخارجة اتّصلت بعالمها، و انخرطت في سلكها على هيئة أكمل و أجمل من الأولى، فإنّ التأليفات الأُوَل قد كانت ناقصة من وجه، حيث كانت بالقوة و بالرياضة و المجاهدة في هذا العالم إلى أن بلغت إلى حدّ الكمال، خارجة من حدّ القوة إلى حدّ الفعل. و قال: و الشّرائع التي وردت بمقادير الصلوات و الزكوات و سائر العبادات إنما هي لإيقاع هذه المناسبات، و في مقابلة تلك التأليفات الروحانية، و ربما يبالغ في تقرير التأليفات حتى يكاد يقول: ليس في العالم سوى التأليف، فالأعراض و الأجسام تأليفات، و النفوس و العقول تأليفات.

و قيل لفيثاغورس: لم قلت بإبطال العالم؟ قال: لأنّه يبلغ العلة التي من أجلها كان، فاذا بلغت سكنت حركته، و أكثر اللّذات العلوية هي التأليفات اللّحنيّة، و ذلك كما يقال: التسبيح و التقديس غذاء الروحانيين، و غذاء كل موجود هو مما خلق منه ذلك الموجود[1].

بعضى از اعلام مذكور ساخته كه اعاظم حكماء إلهيّن و أفاخم علماى ربانيين، كه مطاعم حقايق و طعوم دقايق را بذائقه قوت قدسى و ذوق حدسى ادراك مى‌كنند،

---

۱. الوجود: ص.

متفق‌اند بر آنکه مراتب عوالم تکوین را بر مراتب عالم عدد، و نسب کونیه را بر مناسبات عددیه انطباق است، و تألیفات نسب و امتزاجات خـواص عـالم عـددی کـه اظـلال ازدواجات اشواق و تشویقات و رسوم اعتناقات شروقات و اشراقات انوار و اضواء عالم عقلند، مرائی و مشاعر حقایق هویات کون و مکاییل و موازین مراتب کونیات وجودند، و اگر کسی را توفیق اطلاع بر جمیع خصوصیات نسب و خاصیات مراتب آن عالم حاصل باشد، احوال موجودات کاینه و کمیات و کیفیات حوادث ماضیه و آتیه ـ بـاذن اللّـه سبحانه ـ برو منکشف خواهد بود. و این حال نفس مقدس و ذات مکرم باب مدینة العلم و دار مدینة الحکمة قاطن طینة الیقین و مولود کعبة الاسلام أمیرالمومنین و سید الوصیین علي بن ابیطالب و أولاده الاوصیاء الطاهرین ـ صلوات الله و تسلیماته علیه و عـلیهم أجمعین ـ بوده است.

ایشان دارند دل من ایشـان دارنـد　　　ایشان که سر زلف پـریشان دارنـد

و كان لفيثاغورس تلميذان رشيدان، يُدعى أحدهما فلنكس و يعرف بموز پوش، قد دخل فارس و دعا الناس إلى حكمة أستاذه و أضاف حكمته إلى مجوسية القوم. و الآخر يدعى فلانوس، دخل الهند و دعا الناس إلى حكمته، و أضاف حكمته إلى برهمية القوم، إلّا أنّ المجوس كما يقال اخذوا جسمانية قوله، و الهند أخذوا روحانيته.

و ممّا أخبرا عن فيثاغورس أنه قال: إني عاينت هذه العوالم العلوية بالحسّ بعد الرياضة، و ارتفعت عن عالم الطبائع إلى عالم النفس و عالم العقل، فنظرت ما فيها من الصور المجردة، و ما لها من الحسن و البهاء و النور، و سمعت مالها من اللحون الشريفة و الأصوات الشجيّة الروحانية.

و قال: إنّ ما في هذا العالم يشتمل على مقدار يسير من الحسن، لكونه معلول الطبيعة، و ما فوقه من العوالم أبهى و أشرف و أحسن إلى أن يصل الوصف إلى عالم النفس و العقل فيقف، فلا يمكن للمنطق وصف ما فيها من الشرف و الكرم و الحسن و البهـاء، فـليكن حرصكم و اجتهادكم على الاتّصال بذلك العالم، حتى يكون بقاءكم و دوامكم طويلا مبعدا

من الفساد و الدّثور، و تصيرون إلى عالم هو حسن كلّه، و سرور كلّه، و عزّ و حقّ كلّه. و يكون سروركم لديكم دائماً غير منقطع[۱].

و قال: من كانت الوسائط بينه و بين مولاه اكثر، فهو في رتبة العبودية أنقص. و لمّا كان البدن مفتقراً في مصالحه إلى تدبير الطبيعة، و كانت الطبيعة مفتقرة في تأدية أفعالها إلى تدبير النفس، و كانت النفس مفتقرة في اختيارها[۲] الأفضل إلى إرشاد، العقل، و لم يكن فوق العقل فاتح، إلا الهداية الالهيّة، فالحريّ أن يكون المستعين بصريح العقل في كافّة المصارف، مشهودا له بفطنة الإكتفاء قريبا بمولاه، و لا يكون مطيعا لشهوة البدن المنقادة[۳] لدواعي الطبيعة المو آتية[٤] لهواء النفس، بعيدا من مولاه، ناقصا في رتبته.

و من دعاء فيثاغورس: يا واهب الحيوة[٥] أنقذها من درك الطبيعة على خط مستقيم، فإنّ الخطّ المعوج لا نهاية له.

[۱۲] ـ الحكيم سقراطيس

الزاهد المتألّه المتخلّي عن ترّهات هذا العالم الفاني، كان من تلاميذ فيثاغورس و طيماناوس، و قد اقتبس الحكمة منهما، و اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية و الأخلاق، و أعرض عن ملاذ الدنيا و رفضها، و اعتزل إلى الجبل، و سكن فيه أكثر الاوقات ـ خصوصا في اللّيالي ـ إلى الحُبّ و هو الدّنّ، و لهذا يعرف بسقراط الحُبّ. و أعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام، و قابل رؤساءهم بالحجج و الأدلة فثوّروا العامّة عليه، و اضطروا ملكهم على قتله، فأودعه الملك الحبس توصلا إلى قلوبهم و تسكينا[٦] لثورانهم، ثم سقاه السم تفادياً من شرّهم، بعد مناظرات جرت له مع الملك.

و في كتاب الملل و النحل: أنّ اليونانيين بنوا ثلاثة أبيات على طوالع مقبولة: أحدها بيت بانطاكية على جبلها، و كانوا يعظّمونه و يقربون القرابين فيه. و الثاني من جملة الأهرام التي بمصر، بيت كانت فيه اصنام يعبدونها و هي التي[۷] نهاهم سقراط عن عبادتها. و الثالث بيت

---

۱. دائمة غير منقطعة: ص. ۲. اختياره: ص. ۳. المنقاد: ص.
٤. المواتي: ص. ٥. الحياة: مص. ٦. و تسكنًا: ص.
۷. يعبدوا و هو الذي: ص.

المقدس الذي بناه داود و أتمّه سليمانعليهما السلام و يقال: إنّ سليمان هو الذي بناه.

و لسقراط وصايا شريفة، و آداب فاضلة، و حكم مشهورة، و مذاهب في الصفات قريبة من مذاهب فيثاغورس و انبادقلس. و معنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل، و هو ابن سقرويسقس.

و حكي أنّ رجلا شريف النسب عيّره لسقوط نسبه، فقال: نسبي عار عليّ و أنت عار على نَسَبِك.

و مولده و منشأه باثينة[١] في زمن بهمن بن اسفنديار. و خلف من الذكور ثلاثة أولاد، و لما الزم التزويج ـ على عادتهم الجارية في إلزام الأفاضل بالتزويج ليبقى نسلهم بينهم ـ طلب تزويج المرأة السليطة التي لم يكن في بلده أسلط منها؛ ليعادل[٢] جهلها، و الصبر على سوء خلقها؛ ليقدر أن يحتمل العامة. و بلغ من تعظيمه الحكمة مبلغا أضرّ بمن بعده من محبي الحكمة؛ لأنه كان من رأيه أن لا يستودع الحكمة الصحف و القراطيس تنزيها لها عن ذلك. و يقول: الحكمة طاهرة مقدسة غير فاسدة و لا دنسة، فلا ينبغي لنا أن نستودعها إلا للأنفس الحيّة المقدسة، و ننزهها[٣] عن الجلود الميتة، و نصونها[٤] عن القلوب المتمردة، فلم يصنّف كتابا، و لا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس، و إنّما كان يلقّنهم[٥] علمه تلقينا لا غير، و تعلم ذلك من أستاذه طيماناوس، فإنه قال في صباه: لم لا تدعني[٦] أن أدوّن ما[٧] استمع منك من الحكمة؟ فقال له: ما أوثقك: بجلود البهائم الميتة، و ازهدك في الخواطر الحية؟! هَبْ أنّ إنسانا لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم، هل كان يحسن أن تحيله[٨] على الرجوع إلى منزلك و النّظر في كتبك؟ فإن كان لا يحسن، فالزم الحفظ فلزمه سقراط.

و كان سقراط زاهدا في الدنيا، قليل المبالاة بها، و كان من رسوم ملك اليونانيين أنهم إذا حاربوا اخرجوا حكماءهم معهم في أسفارهم، فأخرج الملك سقراط معه في سفره، فخرج لبعض مهماته. و كان سقراط يأوي في عسكر ذلك الملك إلى حُبّ مسكور يستكن[٩] فيه من

---

١. منشأوه بأثيبية: ص. ٢. لتعادل: ص. ٣. تنزهها: ص.
٤. يصونها: ص. ٥. تلقّنهم: ص. ٦. يدعني: ص.
٧. لما: ص. ٨. يحيله: ص. ٩. تستكن: ص.

البرد، و إذا طلعت الشمس خرج منه فجلس عليه يستدفئ بالشمس، و لأجل ذلك سمّي سقراط الحُبّ. فمرّ الملك به و هو على ذلك الزى، فوقف عليه، و قال: ما لنا لا نراك يا سقراط، و ما منعك من المسير إلينا؟ قال: الشغل أيها الملك. قال: بماذا؟ قال: بما يقيم الحياة. قال: فسر إلينا، فإنّ هذا لك عندنا معه أبدا. قال: لو علمت أيّها الملك أني أجد ذلك عندك لم أدعه. قال الملك: بلغني أنك تقول: إنّ عبادة الأصنام ضارة. قال: لم أقل هكذا قال: فكيف قلت؟ قال: إنّما قلت إنّ عبادة الاصنام نافعة للملك ضارة لسقراط؛ لأنّ الملك يصلح بها رعيته، و يستخرج بها خراجه، و سقراط يعلم أنها لا تضره و لا تنفعه[۱]، اذ كان مُقرا بأنّ له خالقا يرزقه و يجزيه بما قدّم من سيّئ أو حسن. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، تصرف عنان دابتك، عنّي، فقد سترت عنّي جيوشك ضوء الشمس[۲]. فدعا له الملك بكسوة فاخرة من ديباج و غيره، و بجواهر و دنانير كثيرة ليحبوه بذلك، فقال سقراط: أيّها الملك وعدت بما يقيم الحياة، و بذلت ما يقيم الموت، ليس لسقراط حاجة إلى حجارة الارض و هشيم النبت و لعاب الدود، و الذي يحتاج إليه سقراط هو معه حيث توجّه.

و كان أهل دهره لمّا سألوه عن عبادة الأصنام صدّهم عنها و أبطلها و نهى الناس عن عبادتها، و أمرهم بعبادة الإله الواحد الصمد البارئ الخالق العالم الحكيم القدير، لا الحجر المنحوت الذي لا ينطق و لا يسمع و لا يحسّ بشيء من الآلات، وحثّ الناس على البر و فعل الخيرات، و أمرهم بالمعروف، و نهاهم عن الفواحش و المنكرات في تقية من أهل زمانه. فلمّا علم الرؤساء في وقته من الكهنة ما رامه من دعوته، و أنّ رأيه نفي الأصنام و ردّ[۳] الناس عن عبادتها، شهدوا عليه بوجوب القتل، و كان الموجبون عليه القتل قضاة اثينا[٤] الأحد[٥] عشر، و سقي السّمّ الذي يقال[٦] له فربيون؛ لأن الملك لمّا أوجب القضاة عليه القتل لم يمكنه مخالفتهم، فقال له: اختر أيّ قتل شئت، فقال: بالسمّ. فأجابه إلى ذلك، و الذي أخرّ قتل سقراط شهورا بعد ما اوجبوه[۷] عليه، أنّ المركب الذي كان يبعث به في كل سنة إلى هيكل

---

۱. يضرّه و لا ينفعه: ص.
۲. فقد ستر مني جيوشك عن ضوء الشمس: ص.
۳. و بردّ: ص.
٤. ابثنين: ص.
٥. الاحدى: ص.
٦. ـ له: ص.
۷. اجبوه: ص.

لوقولون، و يحمل إليه فيه ما يحمل، عرض له في البحر حبس شديد؛ لتعذّر الرياح فأبطأ شهورا، و كان من عادتهم أن لا يراق دم و لا غيره حتى يرجع المركب من الهيكل إلى اثنيا[١]، و كان أصحابه يختلفون اليه[٢] في الحبس طول المدة، فدخلوا إليه يوما فقال له افريطون ـ رجل منهم ـ: ان المركب داخل غدا أو بعد غد، و قد اجتهدنا في أن ندفع[٣] عنك مالا إلى هولاء القوم و تخرج سرا فتصير إلى رومية، فتقيم بها حيث لا سبيل لهم عليك. فقال له سقراط: يا أفريطون قد تعلم أنه لا يبلغ ملكي غير اربعمائة درهم. فقال له افريطون: لم أقل لك هذا القول على أنك تغرم شيئا لأنّا نعلم[٤] أنه ليس في وسعك ما سأل القوم، و لكن في أموالنا سعة لذلك و اضعافه و انفسنا طيبة بأدائه لنجاتك و أن لا نفجع[٥] بك، فقال له سقراط: يا افريطون هذا البلد الذي فعل بى فيه ما فعل هو بلدي، و بلد حيشي، و قد نالني فيه ما رأيت، و أوجب عليّ فيه القتل و لم يوجب ذلك عليّ لأمر استحقّه، بل لمخالفتي الجور و طعني على الافعال الجائرة و أهلها من كفرهم بالبارئ ـ سبحانه و تعالى ـ و عبادتهم الأوثان من دونه، و الحالة التي اوجبت[٦] عليّ بها عندهم القتل هي معي حيث توجّهت، و اني لا أدع نصرة الحق و الطعن على الباطل و المبطلين حيث كنت، و أهل رومية أبعد مني رحما من أهل مدينتي، فهذا الأمر إذا كان باعثه [هذا]، فغير مأمون عليّ هناك أيضا، و دار بينهما كلام كثير، فقال له افريطون: إن كنت تريد أن تأمرنا بشيءٍ فتقدم فيه فإنّ الوقت قد ضاق، فقال: يشبه أن يكون كذلك، لأني قد رأيت في منامي قبل أن تدخل إليّ ما يدلّ على ذلك، فلما كان اليوم الذي عزموا على قتله، بكّر تلاميذه إليه على العادة، و جاء قيّم السجن ففتح الباب، و جاء القضاة الأحد عشر فدخلوا إليه و التلاميذ مقيمون على الباب، فلبثوا مليأ ثم خرجوا من عنده، و قد أزالوا الحديد عن رجليه، و خرج السّجّان إلى تلاميذه، فأدخلهم[٧] عليه[٨] فسلموا عليه و جلسوا عنده، و نزل سقراط عن السرير و قعد على الارض ثم كشف عن ساقيه فمسحهما و حكهما[٩]، و قال: ما أعجب فعل السياسة الإلهية

---

١. ابثنين: ص.　٢. عليه: ص.　٣. يدفع: ص.
٤. لنعلم: ص.　٥. تفجع: ص.　٦. أوجب: ص.
٧. فأدخل بهم: ص.　٨. اليه: ص.　٩. فسحها و حكها: ص.

حيث قربت الأضداد بعضها ببعض، و أنه لا تكاد[۱] ان تكون لذة إلا يتبعها ألم، و لا ألم إلّا تتبعه[۲] لذة، فانه قد عرض لنا بعد الألم الذي كنا نجده من ثقل الحديد في موضعه لذة، و صار هذا القول سببا لدوران الكلام بينهم، فسأله سمياس و فيلون عن شيء من الأفعال[۳] النفسية، و كثرت المنازعة بينهم حتى استوعب الكلام في النفس بالقول المتيقن المستقصى، و هو على ما كان يعهد في حال سروره و بهجته و فرحه في بعض المواضع، و الجماعة يتعجّبون من صرامته، و شدة استهانته بالموت، و لم ينكل عن تقصّي[٤] الحق في موضعه، و لم يترك شيئا من أخلاقه و أحوال نفسه التي كان عليها في زمان أمنه من الموت:

بلی آن کس که با تلخی کند خوی
نسازد یک جهان زهرش ترشروی

و هم من الكمد و الحزن لفراقه على حالة عظيمة، فقال له سمياس: إنّ في التقصي[٥] في السؤال عليك مع هذا الحال، لثقلا علينا شديدا، و قبحا في العِشرة، و سماجة فاحشة، و ان الإمساك عن التقصي[٦] في البحث لحسرة علينا غداً عظيمة، مع ما نعدم في الارض من وجود الفاتح كما نريد. فقال له سقراط: يا سمياس، لا تدع عنا التقصّي[۷] لشيء أردته فان تقصّيك[۸] لذلك هو الذي اثرته، و ليس بين هذه الحالة عندي و بين الحال الأخرى فرق في الحرص على تقصي الحق، فإنا و إن كنا نعدم أصحابا و رفقاء اشرافا محمودين، فانا نصير إلى إخوان آخرين[۹] فاضلين أشراف محمودين، كما قال من قال:

در غربت مرگ بیم تنهایی نیست   یاران عزیز آن طرف بیشترند

و لما انصرم القول في النفس و بلغوا فيها الغرض الذي أرادوه، سألوه عن هيأة العالم و حركات الأفلاك، و تركيب الاسطقسّات. فأجابهم عن جميعها[۱۰]، ثم قصّ عليهم قصصا

---

۱. لا يكاد ان يكون: ص. ۲. يتبعه: ص. ۳. افعال: ص.
٤. التقصي: ص. ٥. تقصّي: ص. ٦. تقصّي: ص.
۷. تقصّي: ص. ۸. تفصّيك: ص. ۹. آخر: ص.
۱۰. جميعه: ص.

كثيرة في العلوم الإلهية و الأسرار الإلهية الربّانيّة. و لمّا فرغ من ذلك قال: أمّا الآن فأظنّه قد حضر الوقت الذي ينبغي لنا أن نستحمّ فيه، و نصلّي ما أمكننا، و أمّا أنتم فتنصرفون[١] إلى أهاليكم؛ ثم نهض فدخل بيتا و استحمّ، و صلّى و أطال اللبث، و القوم يتذاكرون عظم المصيبة من فقده و أنّهم يفقدون منه حكيما عليما، و أباً شفيقا، و يبقون بعده كاليتامى، ثم خرج و دعا بولده و نسائه، و كان له ابن كبير و ابنان صغيران، فودّعهم و وصّاهم و صرفهم. فقال له أفريطون: فما الذي تأمرنا[٢] أن نفعله في أهلك و ولدك و غير ذلك من أمرك؟ قال: لست آمركم بشيء جديد، بل هو الذي امرتكم[٣] به قديما من الاجتهاد في إصلاح أنفسكم، فإنّكم إذا فعلتم ذلك فقد سررتموني و سُررتم، ثُمَّ كلّ من هو مني بسبيل، ثم سكت مليّا، و سكتت الجماعة، و أقبل خادم الأحد عشر قاضيا، فقال له: يا سقراط جرى مع ما أرى منك، و إنّك لتعلم أني لست علة موتك و انّ علة موتك القضاة الأحد عشر، و أنا مأمور[٤] بذلك مضطرا، و انك لأفضل من جميع من صار إلى هذا الموضع، فاشرب الدواء بطيبة نفس، و اصبر على الاضطراب اللّازم، ثم ذرفت عيناه و انصرف. فقال: سقراط يفعل، و ليس انت بملوم، ثم سكت هنيئة، و التفت إلى افريطون، فقال: مر الرجل أن يأتيني بشربة موتي، فقال للغلام: ادع الرجل، فدعاه، و دخل و معه الشربة، فتناولها فلمّا رأوه قد شربها غلبهم من البكاء و الاسف ما لم يملكوا معه أنفسهم، فعلت أصواتهم بالبكاء، فأقبل عليهم سقراط يلومهم و يعظهم و قال: إنّما صرفنا النساء لئلا يكون منهنّ[٥] مثل هذا، فأما الآن فقد كان منكم أعظم، فأمسكوا استحياءً منه و قصداً لطاعته[٦] له على مضض[٧] شديد منهم من فقد مثله. و أخذ سقراط في المشي و التردد هنيئة، ثم قال للخادم: قد ثقلت رجلاي عليّ فقال له: استلقِ فاستلق، و جعل الغلام يجسّ قدميه و يغمزهما و يقول له: هل تحسّ غمزي لهما، فقال: لا، ثم غمز ساقيه، و جعل يسأله ساعة بعد ساعة و هو يقول: لا، و أخذ يجمد أولا، و يشتد برده حتى انتهى ذلك إلى حقويه[٨]. فقال الخادم إذا انتهى البرد

---

١. فتصرفون: ص. ٢. أمرنا: ص. ٣. أمركم: ص.
٤. + به: ص. ٥. منهم: ص. ٦. للطاعة: ص.
٧. مضض: ص. ٨. الحقو: الكشح و قيل معقد الازار: مص.

إلى قلبه قضى عليه. فقال له افريطون: يا إمام الحكمة ما نرى عقولنا إلّا تبعد[١] عن عقلك، فاعهد إلينا، فقال: عليكم بما أمرتكم به أولادى ثم مدّيده إلى افريطون فوضعها على خدّه، فقال له مرنى[٢] بما تحبّ، فلم يجبه بشيء، ثم أشخص بصره، و قال: أسلمت نفسي إلى قابض أنفس الحكماء، و مات فأطبق عينه، و شدّ لحيه[٣]. و لم يكن أفلاطون[٤] حاضرا معهم، لأنه كان مريضا.

و كان سقراط رجلا أبيض، اشقر، ازرق، جيّد العظام، قبيح الوجه، ضيّق ما بين المنكبين، بطيء الحركة، سريع الجواب، شعث اللحية، غير طويل، إذا سئل أطرق حينا ثم يجيب بألفاظ مقنعة، كثير التوحيد، قليل الأكل و الشرب، كثير التعبد، يكثر ذكر الموت، قليل الاسفار، مجدّ الرياضة، خشن الملبس، مهيبا، حسن المنطق، لا يوجد فيه خلل. مات و له مائة سنة و بضع سنين.

و من خط اسحق بن حنين: عاش سقراط قريبا ممّا عاش أفلاطون[٥]، و قال: عاش ثمانين سنة.

و كان منقوشا على فصّ خاتم سقراط: من غلب عقلَه هواه افتضح.

و كان يرمز في كلامه مثل ما كان يفعله فيثاغورس، فمن كلامه المرموز قوله: عند ما فتشت عن علة الحياة لقيت الموت، و عندما وجدت الموت عرفت حينئذ كيف ينبغي[٦] لي أن أعيش، أي ان الذي يريد أن يحيا حياة إلهيّة، ينبغي أن يُميت نفسه من جميع الأفعال الحسية على قدر القوة الّتي منحها بارئها، فانه حينئذ يتهيأ له أن يعيش[٧] حياة الحق.

و قال: تكلم بالليل حيث لا يكون اعشاش الخفافيش. أي لا ينبغي أن يكون كلامك عند خلوتك لنفسك، و أن تجمع فكرك، و امنع نفسك أن تطلع في شيء من أمور الهيولانيات.

و قال اسدد الخمس الكوى ليضاء[٨] مسكن العلم، أي اغمض[٩] حواسك الخمس عن

---

١. يبعد: ص. ٢. مُرْبي: ص. ٣. لحيته: ص.
٤. أفلاطن: ص. ٥. أفلاطن: ص. ٦. + له: ص.
٧. تعيش: ص. ٨. ليغضىء: ص. ٩. غمض: ص.

الجَولان فيما لا يجدي لتضاء[1] نفسك.

و قال: إملأ الوعاء ثلاثاً، أي أودع عقلك بيانا و فهما و حكمة.

و قال: اَفرغ الحوض الثلاث من اهلال القارعة، أي انـفض عـن قـلبك جمـيع الآلام العارضة في الثلاثة الاجناس من قوى النفس التي هي أصل جميع الشرور.

و قال: لا تأكل الأسُود الذَّنَبَ، أي احذر الخطيئة.

أقول: وجه الشبه، أنّ مباشرة الخطيئة تورث[2] سـوء الخـاتمة، و ظـلمة دار مـنقلبه و مصيره، كما أنّ الذَّنَبَ للحَيَوان آخر اعضائه و خاتمة جوارحه، و الأكل كناية عن الإقدام بها، و الظاهر أنّ ارتكاب الذنب الذي كنّي الحكيم به يأكل الأسود[3] الذَّنب، تبدل النور في النشأة الباقية بالظلمة، و السرور بالكلفة. رب اختم أعمالنا بالخير.

و قال: لا تتجاوز[4] الميزان، اى لا تتجاوز[5] الحق. و من المؤيدات العددية أنّ الميزان و الحق موافقان للعدد[6].

و قال عند المهات: لا تكن نملة، أي وقت إماتتك لا تصن ذخائر الحس.

و قال: ينبغي أن تعلم أنه ليس زمان من الأزمنة تفقد فيه زمان الربيع، أي لا مانع لك في كلّ زمان من اكتساب الفضائل.

و قال: اِفحص عن ثلاث سبل فإنّ لم تجدها فارضَ أن تنامَ لها نوم المستغرق، اي افحص عن علم الأجسام، و علم ما لا جسم له، و العلم[7] الذي كان لا جسم له، فهو موجود مع الأجسام، و ما اعتاض منها عليك فارض بالإمساك عنه.

و قال: ليست التسعة بأكمل من واحد، اي العَشَرة هي عقد من العدد، و هي أكثر من تسعة، و إنما يكمل التسعة ليكون عشرة بالواحد، و كذلك الفضائل التسعة تتم و تكمل[8] بخوف الله ـ عزوجل ـ و محبّته و مراقبته.

و قال: اِقتن بالإثني عشر اثنتي عشرة، يعني بالإثني عشر عضواً[9] بها تكتسب الإثم و

---

١. ليضئ: ص. ٢. يورث: ص. ٣. أسود: ص.
٤. يتجاوز: ص. ٥. يتجاوز: ص. ٦. بالعدد: ص.
٧. علم: ص. ٨. يتم و يكمل: ص. ٩. عضو: ص.

البر، اكتسب بها الفضائل، و هي: العينان، و الأذنان، و المنخران، و اللّسان، و اليـدان، و الرجلان، و الفرج. و أيضا بالإثني عشر شهرا، اكتسب أنواع الأشـياء المحـمودة المـكملة للإنسان في تدبيره، و معرفته في هذا العالم.

و قال: إزرع بالأسود، و احصد بالأبيض، اي ازرع بالبكاء، و احصد بالسرور.

و قال: لا تسئلن الإكليل و لا تهتكه، اي لا ترفض [١] السنن الجميلة؛ لانها تحوط جميع الامم كحياطة الاكليل للرأس.

آداب أبي [٢] الفلاسفة سقراط الحكيم الذي كلامه في القلوب كنسيم الرياح في الهبوب، و كالراحة للمكروب:

قال: أول ما تجعل فيه همتك و محافظتك أن تعرف حق اللّه ـ عزوجل ـ عليك في العبادة و التقوى، و أن تجهد فيما يرضى به، و ذلك ليس بالقرابين وحدها، و لكن ان تحذر التعدي في أن تقيم [٣] به باطلا، فإن هذا النحو ان أحكمته، كان علامة صادقة للأخيار، و أثرا صالحا من شيمة الأبرار، فارض اللّه ـ سبحانه ـ دهرك و اجتهد في موافقة الجماعة، فإن العصمة بذلك مع العمل بالشريعة.

و قال: عجبا لمن عرف فناء الدنيا، كيف يلهيه عما ليس له فناء!

و قال: النفوس أشكال فما تشاكل منها اتّفق، و ما تضاد منها اختلف.

و قال: اتفاق النفوس باتفاق هممها، و اختلافها باختلاف مرادها.

و قال: النفس جامعة لكل شيء، فمن عرف نفسه عرف كل شيء، و من جهل نـفسه جهل كل شيء.

و قال: من بخل على نفسه، فهو على غيره أبخل، و من جاد على نفسه، فذلك المرجـوّ جوده.

و قال: ما ضاع من عرف نفسه، و ما أضيع من جهل نفسه.

و قال: النفس الخيّرة خيرة به بالقليل [٤] من الآداب، و النفس الشريرة لا ينجع فـيها

---

١. ترفضها: ص. ٢. أبو: ص. ٣. يقيم: ص.

٤. بخير بالقليل: ص.

كثير[١] من الأدب لسوء مغرسها.

و قال: لو سكت من لا يعلم، لسقط الإختلاف.

أقول: مراده أن منشأ الإختلاف الذي[٢] يورث الإختلال في الأعمال، و ينتج الوبال و النكال من كلام الجهّال، فلو فوّض عديم العلم التكلم الى العالم[٣]، لسقط الإختلاف في العالم؛ لأن طريق العقل واحد، و للجهل طرق لا تتناهى[٤].

و قال: ستة لا تفارقهم[٥] الكآبة: الحقود، و الحسود، و حديث عهد بِغنى، و غنيّ يخاف الفقر، و طالب رتبة يقصر قدره عنها، و جليس أهل الأدب و ليس منهم.

و قال: من ملك سرّه، خفي على الناس أمره.

و قال: خير من الخير من عمل به، و شرّ من الشرّ من عمل به.

و قال: العقل مواهب، و العلوم مكاسب.

و قال: لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوّك، فكيف إذا كنت لا يأمنك صديقك.

و قال: اتقوا من تبغضه[٦] قلوبكم.

و قال: الدنيا سجن لمن زهد فيها، و جنة لمن أحبّها.

و قال: لكل شيء ثمرة[٧] و ثمرة فلة الفتنة الراحة و طيب النفس الزكية.

و قال: الدنيا كنار مضرمة على محجّة فمن اقتبس منها ما يستضيء به[٨] في طريقه سلم من شرّها، و من خلس ليحتكر منها أحرقته من حرّها.

و قال: من اهتمّ بالدنيا ضيّع نفسه، و من اهتم بنفسه زهد في الدنيا.

و قال: طالب الدنيا إن نال ما أمّله تركه لغيره، و إن لم ينل ما أمّله مات بغصّته.

و قال: إن وليت أمرا فابعد عنك الأشرار فإن جميع عيوبهم منسوبة إليك.

و قال: خير الأمور أوسطها.

و قال: لا يكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم.

---

١. كثيراً: ص. ٢. التي: ص. ٣. بالعالم: ص.

٤. يتناهي: ص. ٥. يفارقهم: ص. ٦. يبغضه: ص.

٧. محذوفة في ص: مص. ٨. منه: ص.

و قال: كن مع والديك كما تحب أن يكون بنوك معك.
و قال: ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب المريض.
و قال: من كان شريراً فالموت سبب راحة الناس من شرّه. و لله درّ من قال:

آنچنان زی که بمیری برهی — نه چنان زی که بمیری برهند

و قال: إنما جعل للإنسان[1] لسان واحد و أذنان، ليكون ما يسمعه أكثر ممّا يتكلم. و قد نظم هذا المعنى من قال:

گوشِ تو دو دادند و زبان تو یکی
یعنی که دو بشنو و یکی بیش مگو

و قال: الملك الأعظم هو الغالب على شهواته.
و قال: إذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق.
و قال: حسن الخلق يغطّي غيره من القبائح و سوء الخلق يقبّح غيره من المحاسن.
و قال: من أراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن[2] امرأة، فإن النساء سلم منصوب، ليس للشيطان حيلة إلا بالصعود عليه.
أقول: و يؤيد هذا وصف اللّه ـ عز مجده ـ في كتابه الكريم كيدهن بالعظيم، و كيد الشيطان بالضعيف[3] و في الديوان المنسوب إلى مولانا أميرالمومنين علي ـ عليه الصلوة و السلام ـ:

دع ذكرهنّ فما لهنّ وفاء — ريح الصبا و عهودهنّ سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه — و قلوبهن من الوفاء خلاء

و قال سقراط لتلميذ له: يا بنيّ إن كان لابدّ لك من النساء، فاجعل لقاءك لهنّ كآكل الميتة، لا تأكلها إلا عند الضرورة، فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق، فان أحداً إن أخذ منها

---

۱. الإنسان: ص. ۲. تطيعن: ص. ۳. بالضعف: ص.

فوق الحاجة اسقمته و قتلته.

و قيل له: أيجوز[۱] لك أن تذم النساء، و لولا هن لم تكن أنت و لا أمثالك من الحكماء؟ و هذا كما قال الفردوسي:

زنان را همین بس که در روزگار   به جای ثمر آدم آرند بار

فقال سقراط: إنما المرأة مثل النخلة ذات السلاء[۲] إن دخلت في بدن الانسان عقرته[۳]، و حملها الرطب الجنى. و في نهج البلاغة المكرمة: المرأة شر كلّها، و شر ما فيها أنه لابد منها[٤]. و حكى أنه حلف رجل عند حكيم: أنه ما دخل بابي شرّ قط. فقال الحكيم: من أين دخلت امرأتك؟!

و قال سقراط: كفى بالتجارب تأديبا، و بتقلب الأيام عظة، و بأخلاق من عاشرت معرفة.

و قال: من قلّ همه على مافاته استراحت نفسه و صفا ذهنه.

و قال: رُبّ محترز من الشيء يكون منه آفته.

و قال: داو الغضب بالصمت.

و قال: غرس النفس الفاضلة الإنصاف، و ثمرة غرسها السلامة. و غرس النفس الرذيلة الشر، و ثمرة غرسها الندامة.

و قال: النفس الفاضلة تعرف[٥] بحسن قبولها للحق، و النفس الناقصة تعرف[٦] بمسارعتها إلى الباطل.

و قال: شخص بغير علم كجسد بغير روح.

و سأله بعضهم: متى تكمل[۷] لي الحكمة؟ فقال: إذا لم تفرح بالمدح، و لا تغم بالذم. فقال: و متى يتهيأ لي ذلك؟ فقال: إذا حصلت لك اربع[۸] آذان، اثنتان[۹] يسمعان[۱۰] الحكمة، و اثنتان[۱۱]

---

۱. يجوز: ص.   ۲. السلى: ص.   ۳. عقرة: ص.
٤. قصار الحكم، ۲۳۸.   ٥. يعرف: ص.   ٦. يعرف: ص.
۷. يكمل: ص.   ۸. أربعة: ص.   ۹. اثنان: ص.
۱۰. يسمعان: ص.   ۱۱. اثنان: ص.

يصمان عن هذر الجهل.

و قال: العالم طبيب الدين، و المال داء الدين. فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نـفسه، فكيف يداوي غيره. و كتب إلى ملك زمانه و قد مات ابنه: أما بعد؛ فإنّ اللّه ـ جل اسمه ـ جعل الدنيا دار بلوى، و جعل الآخرة دار عقبي، و جعل هوى الدنيا لعقاب الاخرة سبباً، و ثواب الآخرة من هوى الدنيا عوضا، فيأخذ ما يأخذه[1] ليعطي، و يبلى إذا بلى ليجزي، و السلام.

و قال: إنّ مساعدة الأمور للمرء تكاد[2] أن تسلبه[3] عقله. و من هذا قال من قال:

تا شدم ديوانه عشقم يار شد   عقل مى‌گيرند و دولت مى‌دهند

وكتب إليه أفلاطون[4]: إني أسئلک عن ثلاثة اشياء، فإن أجبت عنها تلمّذت لك. فكتب سقراط إليه: سل و بالله التوفيق. فكتب أفلاطون[5] إليه: أيّ الناس أولى بالرحمة؟ و متى تضيع[6] أمور الناس؟ و بما تتلقي[7] الرحمة و النعمة من اللّه ـ تعالى ـ فأجابه: أولى النـاس بالرحمة ثلاثة: الحكيم الذي في مملكته السلطان الفاجر، فهو في الدهر حزين لما يسـمع و يرى؛ و العاقل في تدبير الجاهل، فهو في الدهر متعب مغموم؛ و الكريم المحتاج إلى اللئيم، فهو في الدهر له خاضع ذليل. و تضيع أمور الناس إذا كان الرأي عند من لا يعقل، و السلاح لمن لا يستعمله. و المال عند من لا ينفقه. و تتلق[8] نعمة الله بكثرة الشكر له و لزوم طاعته و اجتناب معصيته. فأقبل أفلاطون[9] اليه و تلمّذ له حتى مات.

و قيل لسقراط: إنك تستخف ملک مدينتك. فقال: لأني ملكت الشهوة و الغضب، و ملكا[10] الملك، فهو في محل عبد لعبدي.

و قال: من أمات نفسه موتاً طبيعياً كان جسمه قبرا، و من أماتها موتاً إراديا كان موته

---

۱. يأخذها: ص.   ۲. يكاد: ص.   ۳. يسلبه: ص.

٤. أفلاطن: ص.   ٥. أفلاطن: ص.   ٦. يَضيع: ص.

۷. تلتق: ص.   ۸. يتلقّ: ص.   ۹. أفلاطن: ص.

۱۰. و ملكتا: ص.

الطبيعي حياةً لنفسه أبدا.

أقول: الحق الحقيق بالتصديق على ما حقّق أهل العرفان و التحقيق، أنّ البدن و إن كان شبكة لاقتناص العلوم، و اصطياد المعارف، فهو بغواشيه و غواسقه و عوارضه و علائقه أغلال الجوهر القدسيّ العاقل، و التعلق بالشبكة وبال الصائد المقتنص، فسعادة النفس العاقلة الملكوتية، خلع البدن و رفض عالم الحس، و الرجوع إلى عالمها الحق. فالموت[1] الإرادي كمال الجوهر الحي الناطق، و الموت الطبيعي متمم هذا الكمال. و من هناك قال الأوّلون من الحكماء الراسخين في تعريف الإنسان: أنّه الجوهر الحي الناطق المائت. فالنفس العاقلة إذا تم نصابها من الاستكمال، استشعرت[2] أنّ قبرها البدن، و موتها الوغول في عالم الطبيعة الجسدانية فإذن الموت الطبيعي بعث النفس من قبرها و هو البدن، و إلى ذلك الإشارة في الحديث: من مات فقد قامت قيامته؛ و الموت الإرادى حياتها الحقة الحقيقية، و الحشر الجسماني بعث الأجساد من قبورها، و هي الأجداث، و في التنزيل الكريم نصوص على أنّ البدن قبر النفس حيث قال ـ عز قائلا ـ: «إِنَّ اللهَ يَسْمَعُ ما يَشَاءُ، و ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ[3]» و بالجملة الأبدان قبور النفوس، و الأجداث قبور الأجساد، فالموت بعث النفس من قبر البدن، و الحشر بعث الأجساد من أجداث القبور. هو اعلم بسرائر الامور.

و قال سقراط: الموت راحة لمن كان عَبْد شهوته و مملوك هواه؛ لأنه كلما كثرت حياته كثرت سيئاته و أثبت في العالم جناياته. فلقد صدق من قال بالنّظم الفارسي:

اگر مرگ خود هیچ راحت نبخشد
نه باری رهاند ازین قلتبانی[4]
اگر خوش‌خویی زین گران قلتبانان
و گر بدخویی زین گران قلتبانی

---

١. و الموت: ص. ٢. استشعر: ص. ٣. سورة فاطر، الاية ٢٢.

٤. ورد هذا البيت في عن الشاعر السنائي بهذا الشكل:

اكر مرگ خود هيچ راحت ندارد   نه بازت رهاند همی جاودانی

راجع: لغت نامه دهخدا، مادة: قلتبان.

و يؤيّد هذا ما ورد عن النبي ﷺ أنه مرّ بجنازة فقال: مستريح و مستراح منه. قالوا: يا رسول الله، ما المستريح و ما المستراح منه؟ فقال ـ صلوات الله و تسليماته عليه و آله ـ: العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا و نصبها إلى رحمة الله ـ تعالى ـ، و العبد الفاجر يستريح منه العباد و البلاد و الشّجر[1] و الدواب.

و قال: من خاف من شيء عمل ما يؤمنه، و من[2] خاف الموت فليعمل ما يرجوا منه السلامة.

و قال: الحكمة طب النفوس، و الحكيم معالجها.

و قال: الكلام مملوك ما لم ينطق به صاحبه، فإذا نطق به خرج عن ملكه.

و قال له رجل: ما أقبح وجهك! فقال له: لا أملك الخلقة فَأُلام عليها، فأما ما كان في ملكي فقد زينته و استكملته، و أما أنت، فالذي كان في ملكك فقد هجّنته و قبحته[3].

و قال: و من التزيين و التكميل عمارة الذهن بالحكمة، و جلاء العقل بالأدب، و قلع الغضب بالحلم، و روع الحرص بالقناعة، و إماتة الجسد بالزهد، و تبديل المزاح بالسكوت، و رياضة النفس بالعلم؛ لتكون[4] مضيئة. و من التقبيح و التهجين تعطيل الذهن من الحكمة، و توسيخ القريحة بالوقاحة، و إضرام الغضب بالانتقام، و إمداد الحرص بالطلب، و تذليل النفس بالشهوات البهيمية؛ حتى يصير لها تبعا.

و قال: إفعل ما تحب أن يُفعل بك، و اكفف عما تحب أن يكفّ عنك.

و قال: بالتأنيّ تسهل[5] المطالب، و بلين الكلمة في المعاشرة تدوم[6] المودة، و بخفض الجانب تأمن النفوس، و بسعة خلق المرء يطيب العيش، و بكثرة الصمت تكون[7] الهيبة، و بالعدل تجلب[8] الجلالة، و بالنصفة تكون[9] المواصلة، و بالإفضال تعظم[10] الأقدار، و بالتواضع تتم[11] النعمة، و بصالح الأخلاق تزكى[12] الأعمال، و باحتمال المذلة يجب التودّد، و بالحلم عن

---

۱. الشحر: ص.
۲. فمن: ص.
۳. و قبّحه: ص.
۴. ليكون: ص.
۵. يسهل: ص.
۶. يدوم: ص.
۷. يكون: ص.
۸. يجلب: ص.
۹. يكون: ص.
۱۰. يعظم: ص.
۱۱. يتم: ص.
۱۲. يزكى: ص.

السفيه يكثر أنصارك عليه، و بالرفق و التودّد تستحق[1] اسم الكرم، و بنفي العُجب تأمن[2] من الحسد، و بترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل.

و قال: البشاشة تكسو أهلها المحبة، و الفظاظة تخلع من صاحبها ثوب القبول.

و قال: من حاسب نفسه ربح، و من غفل عنها خسر و من صبر غنم، و من لم يحلم ندم، و من سكت سلم، و من اعتبر أبصر، و من أبصر فهم، و من فهم علم.

و قال: لا تعاشر من الناس إلا من عرف مقدار نفسه. فمعاشرته في[3] طيب نفس عيش، و من لم يعرف فلا خير في عشرته.

و قال: من قلّ همّه على مافاته استراحت نفسه و صفا ذهنه.

و قال: لولا أنّ في قولي إنني لا أعلم إخبارا بأني أعلم، لقلت إني لا أعلم.

أقول: مفاد كلامه أن في القول بأني لا أعلم، علم بفقد علمه، و لولا انتساب هذا القدر من العلم بالقائل لهذا الكلام، لقلت إني لا أعلم. و من هذا قال من قال:

«العجز عن درك الإدراك إدراك»

و كان مكتوبا على باب صومعته: سلام على من لا أعرفه و لا يعرفني. و للمؤلف بالنظم الفارسي:

بیگانگی ز خلق جهان عین وحدت است
زان آشنای کس نشود آشنای ما

و قال يكفي من تأجّج النار نورها.

و قال: الحكمة إذا أقبلت خدمت الشهوات العقول، و إذا أدبرت خدمت العقول الشهوات.

و قال: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

أقول: و يظهر من كلامه حقيّة النسخ، و سر تغير السنن و الأحكام حسب تغير

---

١. يستحق: ص. ٢. يأمن: ص. ٣. فمعاشرته من في: ص.

الأزمان، و لاح سخافة رأي اليهود و ضلالتهم في انكارهم النسخ، كما نبّه عليه[۱] الشيخ الالهي، محيي مراسم الإشراق، الشيخ السهروردي في بعض رسائله، حيث قال: ضلّت اليهود حين منعت النسخ، و قالوا: هو الندم. و لما علمت أنّ التغييرات واقعة على الأجرام لا على الله فامره غير متغيّر، بل العالم متغيّر، و كما أنّ بتغيّر العالم لا يلزم تغيّر المبدع، فبتغيّر الأحكام لا يتغيّر الباري، بل تغير الحكم بإزاء تغيّر الخلق.

فنقول: كما أنّه تغيّر في الأغلب المزاج[۲] الأصلي في العالم الصغير، الذي هو الانسان، بتغيير السن، و سائر الأسباب المبيّنة في الكتب الطبيّة، بحيث يمكن أن يكون ـ مثلا ـ شخص في سن الشباب حار المزاج، فإذا بلغ عمره إلى الأربعين أو الخمسين، مال مزاجه إلى البرودة، و صار بارد المزاج أو بالعكس أو تغيّر أمزجة أعضائه الجزئية بسبب عروض سوء المزاج الحار أو البارد، فكذا مزاج العالم الأكبر أيضا، يتغيّر بحسب تغيّر الأسباب[۳] الأرضيّة و السماويّة، فتتغيّر[٤] بسببه الأوضاع و الرسوم المستمرة المتداولة، و يتجدد ما يناسبه من الأوضاع و الأطوار، بطور آخر، و تشهد[٥] بهذا القواعد و الاحكام النجومية، فكما أن الطبيب الجسماني قد يغيّر و يبدّل الغذاء و الدواء للمريض، حسب تغيّر مزاجه بما رأى موافقته آناً فآناً لحفظ الصحة، أو دفع المرض من غير الندم عن التصرفات السابقة، فكذا الحكيم العليم البارّ الواقف بالسرائر و الضمائر، قد يغيّر بواسطة سفرائهم الذين هم الأطباء الروحانيّون[٦] السنن و الأحكام المقررة في مزاج الإنسان الكبير، الذي هو العالم، بمنزلة الدواء الموافق و الغذاء المناسب، بإزاء تغيّر وضعه و تبدّل طوره.

ثم لا يخفى أنّ بعض السوانح غير[۷] المرضية في أنظار مرضى[۸] النفوس الواقعة في العالم الاكبر، هي بمنزلة الأدوية البشعة و المزوّرة غير[۹] المطبوعة في مذاق مرضى[۱۰] الأبدان، و بالحقيقة ذلك[۱۱] دواء نافع، و غذاء صالح لقوام بنية العالم و انتظامه، و من هذا وقع في بعض

---

۱. به: ص. ۲. مزاج: ص. ۳. أسباب: ص.
٤. فيتغيّر: ص. ٥. و يشهد: ص. ٦. الروحاني: ص.
۷. الغير: ص. ۸. مرضاء: ص. ۹. الغير: ص.
۱۰. و الأحسن أن يقال: المستساغة: ص. ۱۱. تلك: ص.

مناشداتي بالفارسية:

بـرای صـحّت عـالم درشتیها بـه کـار آیـد

ز تن کی خون فاسد بی گزند نیشتر جوشد

و قال: قلوب العارفين في المعرفة بالحقائق منابر الملائكة، و بطون المتلذّذين بالشّهوات قبور الحيوانات الهالكة.

و قال: ينبغي أن تغتم بالحياة، و تفرح بالموت، لأنانحيى[1] لنموت[2] و نموت لنحيى[3]، و لذا قال تلميذ أرسطوطاليس: إنّ النفس الشريفة تأبى[4] مقارنة الذلة، و ترى موتها في حياتها، و حياتها في موتها. و من هذا قال من قال:

آزمـــــودم مـــرگ مـــن در زنـــدگیست

چـــون رهـــم از زنـــدگی پـــایندگیست

و من مذهب سقراط على ما نقله صاحب الملل و النحل: ان النفوس الانسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان، على نحو من أنحاء الوجود إما متصلة بِكُلّيّتها، و إما متمايزة بذواتها و خواصها. فاتصلت بالأبدان استكمالا و استدامة، و الأبدان قوالبها و آلاتها، فتبطل[5] الأبدان و ترجع النفوس إلى كلّيّتها.

أقول: لعل كلامه محمول بتفاوت النفوس، فإنّ المتّصلة بكلّيّتها كأنّها النفوس القدسية، التي للأنبياء و الأولياء عليهم السلام فإنها عند أهل الحق و التحقيق كانت عقولا كاملة بالفعل، ليس شيء[6] من كمالاتها حاصلا[7] لها بالقوة، ليحتاج في تحصيلها إلى العلاقة البدنية، لغرض الوساطة و السفارة فتقتضي[8] الحكمة الربّانية و العناية الإلهيّة وجود الواسطة و السفير و المرشد و المعلم للإنسان، و لابد فيها[9] من المناسبة، فوجب أن تكون[10] تلك العقول في

---

۱. نحيا: مص. ۲. ليموت: ص. ۳. نحيا: مص.

٤. يأبى: ص. ٥. فيبطل: ص. ٦. شيئاً: ص.

۷. حاصلة: ص. ۸. فيقتضي: ص. ۹. فيهما: ص.

۱۰. يكون: ص.

القوالب الإنسانية، لتحصل[١] المناسبة، فأهبطت هذه العقول إلى هذه القوالب ليحصل بوجودهم الصوريّ إتمام مقتضيات العناية المستلزمة لسوق الأشياء بالكمالات اللائقة، الواجبة لها فهي عقول كاملة في ذواتها قبل حصول العلاقة، فلا يمكن أن تعوقها[٢] العلاقة عن شيء منها، لحصولها بالفعل.

و يؤيّد هذا ما روى المحدثون[٣] الثقات عن مولانا أميرالمؤمنين و إمام المتقين على بن ابي طالب ـ سلام الله عليه ـ أنه قال: يا قوم نحن أهل بيت عجنت طينتنا بيد العناية في معجن العناية و[٤] الحماية بعد أن رشّ عليها فيض الهداية، ثم خمّرت تخمير النبوة و سقيت بالوحي، و نفخ فيها من روح الله . فلا أقدامنا تزلّ و لا أبصارنا تضلّ، و لا أنوارنا تقلّ، و إذا نحن ضللنا فمن بالقوم يدل، الناس من أشجار شتى، و شجرة النبوة محمد رسول الله ﷺ أصلها، و أنا[٥] فرعها، و فاطمة الزهراء ثمرتها، و الحسن و الحسين أغصانها، و شيعتنا أوراقها. فأصلها نور، و فرعها نور، و ثمرتها نور، و غصنها نور «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ[٦]». انتهى.

و أمّا ما ذكر الحكيم المذكور، من أنها إمّا متمايزة بذواتها و خواصها، كالنفوس التي احتاجت بالأبدان[٧] للإستكمال و الإستدامة، فكأنّه أراد بذلك الفيض و الصور الموجودة بالقوة في واهب[٨] الصور، كما يقال: إنّ النار موجودة في الخشب، و الإنسان موجود[٩] في النطفة و النخلة موجودة في النواة و الضياء موجود في الشمس. كما حمل عليه[١٠] بعض مفسرى كلام أرسطو قوله ـ ما يدل على أنه يعتقد ـ: أنّ النفس كانت موجودة قبل الأبدان، على ما ذهب إليه استاذه افلاطون[١١] و أستاذ أستاذه هذا الحكيم.

و منهم من المفسرين لكلامه من أجراه[١٢] على ظاهره، و حكم بالتميز بين النفوس

---

١. ليحصل: ص. ٢. بعوقها: ص. ٣. المحدثين: ص.
٤. الواو ساقطة في ص: معس. ٥. فأنا: ص. ٦. سورة النور، الاية ٣٥.
٧. الابدان: ص. ٨. الواسب: ص. ٩. موجودة: ص.
١٠. به: ص. ١١. افلاطن: ص. ١٢. أجرائه: ص.

بالخواص التي لها، و قال[١]: اختصت كل نفس انسانية بخواص لم يشاركها فيها غيرها، فليست متفقة بالنوع، أعني النوع الأخير.

و منهم من حكم بالتميز بالعوارض، التي هي مهيّأة نحوها، و كما أنها تتمايز[٢] بعد الإتّصال بالبدن، بأنها كانت في المادة متمايزة، لذلك تتمايز[٣] بأنها ستكون[٤] متمايزة بالأبدان، و الصنائع و الأفعال، و استعداد كلّ نفس لصنعة خاصة و علم خاص، فتنهض[٥] هذه فصولا ذاتية و عوارض لازمة لوجودها.

و من هذا قال بعض القدماء: إنّ هذه النفوس البشرية و الأرواح الإنسانية مختلفة بجواهرها، فبعضها خيّرة و بعضها شِرّيرة، و كذا القول في البلادة و الذّكاء، و الفجور و العفة، و الشرف و الدّناءة، و غيرها من الهيئات. و لكل طائفة من هذه[٦] الأرواح السفليّة روح سماويّ، هو لها كالأب المشفق و السيد الرحيم، يعينها على مهمّاتها في يقظتها و منامها، تارة على سبيل الرؤيا، و أخرى على سبيل الإلهامات، و هو مبدأ لما يحدث فيها من خير و شر، و تعرف[٧] تلك المبادئ في مصطلحهم بالطّباع التامة، يعني أنّ تلك الأرواح الفلكية في تلك الطّبائع و الأخلاق تامة كاملة بالنسبة الى هذه الأرواح السفليّة، و هي الحافظة لها كما قال سبحانه و تعالى: «في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفوعةٍ مُطَهَّرَةٍ بأيدي سَفَرَةٍ، كرامٍ بَرَرة[٨]».

و حكي عن أنبادقلس الحكيم أنه شاهد في سلوكه روحانيا يناجيه في العلوم، فقال [له[٩]] من أنت؟ [فقال[١٠]] أنا طباعك التامة. و للشيخ العربيّ ﷺ :

كنّا حروفاً عالياتٍ لم نُقَلْ
متعلقّاتٍ في ذُرىٰ أعلى القُلَلْ

قال صاحب الاصطلاحات: الحروف هي [الحقائق[١١]] البسيطة من الأعيان، و الحروف

---

١. و قالت: ص.
٢. يتمايز: ص.
٣. يتمايز: ص.
٤. سيكون: ص.
٥. فينهض: ص.
٦. هذا: ص.
٧. يعرف: ص.
٨. سورة عبس، الآيات ١٣ ـ ١٦.
٩. لها: ص.
١٠. فقالت: ص.
١١. حقايق: ص.

العاليات هي الشؤون الذاتية الكامنة في غيب الغيوب، كالشجرة في النواة ثم لا يخفى أن خلق الأرواح قبل الأجساد مطابق لما ورد في الحديث، عن سيّدنا رسول اللهﷺ أنّه قال: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، و هي كانت مطلعة على بعض الإشرافات الشهودية مقرة لمبدعها بالربوبيّة، كما قال ـ سبحانه ـ: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى[۱]»، لكنها لإلفها بالأبدان الظّلمانية، و انغمارها في الغواشي الهيولانيّة، ذهلت عن مولاها و مبدعها، فاذا تخلّصت بالرياضة من أسر دار الغرور، و ترقّت بالمجاهدة عن الإلتفات إلى عالم الزور، تجدّد عهدها القديم، الذي كاد أن يندرس بتمادي الأعصار أو الدّهور، و حصل لها الإدراك مرّة ثانية و هي المعرفة التي هي نور على نور. و من هذا قال شيخ الكنجة في الخمسة:

تو آن بودی که پیش از صحبت خاک
ولایت داشتی بر بام افلاک
ز تو گر بازپرسند آن نشانها
نداری هیچ حرفی یاد از آنها
چو فردا بگذری زین محنت‌آباد
یقین دانم کزین هم ناوری یاد
کسی کو یاد نارد قصهٔ دوش
کند امروز را فردا فراموش

و من كلام الحكيم سقراط: الفاضل في الطبقه العليا هو الذي يقتني[۲] الفضائل من تلقاء نفسه، و الفاضل في الطبقه الثانية هو الذي يتحرّك لها إذا سمعها من غيره[۳] و من أخطأ الأمرين فهو الساقط.

و قال: إذا أردت أن تشاور أحدا في شيء من أمر نفسكَ، فانظر كيف يدبر ذلك المستشار في أمر نفسه، فإن كان لم يصلح نفسه[٤] و لم يكسبها خيرا، فأنت أحرى به[٥] أن لا

---

۱. سورة الاعراف، الاية ۱۷۲. ۲. يقتى: ص. ۳. غيرها: ص.
٤. لنفسه: ص. ٥. به: زائدة في ص.

تنتفع[1] به.

و قال: احذر حلم الحليم، و لا يغرّك[2] تماديه، فإنّ الصندل مع برده[3] تلج[4] عليه الرياح حتى يجمع بين أغصانه، فيبلغ من مزج بعضها لبعض ما يؤدي إلى حـرقه[5]. و قـال: ربّ صديقك بالمحبّة كما تربّي الصغير، و لا تظهر له المحبة دفعة واحدة، فإنّه متى رأى منك تغيّرا أعقبك بالعداوة.

و رآه بعض أمراء الملك يأكل الحشيش في الصحراء، فقال: لو خدمت الملك لما احتجت إلى هذا؟ فقال سقراط: و أنت لو قدرت على أكل الحشيش لم تعبد من هو مثلك. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

[١٣] ـ الحكيم أفلاطون

الحكيم أفلاطون[6] الإلهي ابن ارسطن أحد أساطين الحكمه، كبير القدر، حسن الأخلاق، كثير الإحسان إلى كل ذي قرابة منه و إلى الغرباء، حليما صبورا، معروفا بالحكمة و التوحيد، و كان يحبّ الجلوس في الصّحارى و الوحدة، و يستدل في أكثر الأوقات عـلى مـوضعه بصوت بكائه، و يسمع على نحو ميلين في الفيافي و الصحاري.

ولد في زمان أردشير بن دارا، في ست عشرة من ملكه، و كان أبوه أشرف اليونانيين من ولد اسقلبيوس، و كانت أمه من نسل اسولون صاحب الشرائع، و كان في أول أمره تعلّم الشعر و اللّغة، فبلغ في ذلك مبلغا عظيما، إلى أن حضر يوما سقراط، و هو يثلب صـناعة الشعر، فأعجبه ما سمع منه، و زهد فيما كان عنده منه، و لزم سقراط و سمع منه خمس سنين، ثم مات سقراط، فبلغه أن بمصر قوما من أصحاب فيثاغورس، فسار إليهم، حتى أخذ عنهم.

و يقال إنه شارك سقراط في الأخذ عن فيثاغورس، و كان يـميل في الحـكمة قـبل أن يصحب سقراط إلى رأى ابرقليطوس، فلمّا صحب سقراط زهد في[7] مذهب ابرقليطوس، و كان يتبعه في الأشياء المحسوسة، و يتبع فيثاغورس في الأشياء المعقولة، و يتبع سقراط في

---

١. ينتفع: ص. ٢. تغررك: ص. ٣. برذه: ص.
٤. يلج: ص. ٥. بحرقه: ص. ٦. أفلاطن: ص.
٧. من: ص.

سياسة المدينة الفاضلة.

و يحكى أن سقراط رأى في المنام، أن فرخ كركي قاعد على حجره، و أنه زعب فطلع ريشه في الوقت فطار نحو السماء، و هو يصوّت بصوت حسن مطرب ألْهى جميع الناس، فلما جاءه أفلاطون[۱] للتّعلم تأوّله ذلك الطائر.

أقول: كأنّه طلوع ريشه في الوقت، اكتسابه الكمالات السقراطـية في أقـصر مـدّة، و طيرانه نحو السماء كناية عن علو قدره، و سمو منزلته في الفلسفة الالهية، و صوته الحسـن المُلهي المطرب[۲] انتشار حكمه اللطيفة و مواعظه الشريفة في أقطار الارض، بحيث التذّت[۳] باستماعها اسماع قلوب المستفيدين من الحكماء المتألهين، و كان يرمز حكمه و يسترها، و يتكلم بها ملغوزة حتى لا تظهر[٤] مقاصده إلّا لذوي الحكمة المتعالية، و الأذهان[٥] الصافية.

و كان يُعلّم[٦] الحكمة في أكثر الأوقات و هو ماشٍ، لتعظيم الحكمة، و لارتياض البدن مع رياضة النفس، و تحليل الفضول بالسعي المعتدل. و جماعة التلاميذ[۷] الذين تعلموا منه في المشي كأرسطو سمّوا بالمشّائين.

و صنّف كتبا كثيرة منها ما بلغنا اسمه ستّة و خمسون كتاباً، و من كتبه: كتاب قاذن في النفس، و طيماوس الروحاني في علم النفس و العقل و الربوبية و كتاب طيماوس الطبيعي في ترتيب عالم الطبيعة، كتب هٰذين[۸] الكتابين إلى تلميذ له يسمى طيماوس.

و تولى التدريس بعده رجلان: أحدهما باثينة في المـوضع المـعروف بـافاديميا، و هـو كسانوقراطيس، و الآخر بلوقين من أعمال اثينة أيضا و هو أرسطوطاليس.

و بلغ من العمر إحدىٰ[۹] و ثمانين سنة، و توفي في السنة التي ولد فيها الاسكندر، و خلف مملوكين، و قدحا، و جاما، و قرطا من ذهب كان يلبسه و هو غلام، و هو لباس أشراف اليونان[۱۰] في ذلك الزمان. و لما قُبر كتب على قبره بالرومي ما تفسيره بالعربي: ههنا رجل قد

---

۱. افلاطن: ص. ۲. الحسـنة الموهلة المطربة: ص. ۳. التذّ: ص.
٤. يظهر: ص. ٥. الذهن: ص. ٦. تعلم: ص.
۷. جماعة من التلاميذ: ص. ۸. بهذين: ص. ۹. أحد: ص.
۱۰. يونان: ص.

تقدم الناس، و علاهم بالعفة و أخلاق العدل، فمن كان يمدح الحكمة أكثر من سائر الأشياء، فإنه يمدح هذا؛ لأنّ فيه أكثر الحكمة، و ليس في ذلك حسد. هذا من جهة واحدة من على القبر[١]، و من الجهة الأخرى: أما الأرض فإنها تغطّي[٢] جسد أفلاطون[٣] هذا، و أما نفسه فإنها في مرتبة من لا يموت.

و معنى أفلاطون[٤] و تفسيره في لغتهم: العميم الواسع.

و كان منقوشاً على فصّ خاتمه تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك.

و هو رجل اسمر اللون، معتدل القامة، حسن الصورة، تام التخاطيط خشن اللّحية، قليل شعر العارضين، أشهل العينين، براق بياضهما، في ذقنه الأسفل خال اسود، تام الباع، لطيف الكلمة، ساكنا حافظا.

و من آدابه و مواعظه قال: أشرف الناس من شرفت[٥] به الفضائل، لا من تشرّف بالفضائل؛ و ذلك أن من كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه[٦] و من كانت فيه عرضية تشرّف بها و لم تشرفه[٧].

و قال: للمادة على كل شيء سلطان.

و قال: إذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه، و إذا طلبهم فاهرب منه.

و قال: من لم يواس الإخوان عند دولته، خذلوه عند فاقته.

و سئل: من أحق الناس أن يؤتمن على تدبير المدينة؟ قال: من كان في تدبير نفسه حسن المذهب.

و قيل له: من يسلم من العيوب و قبيح الأفعال؟ قال: من جعل عقله أمينه، و حذره وزيره، و المواعظ زمامه، و الصبر قائده، و الاعتصام بالتوقّي ظهيره، و خوف الله تعالى جليسه، و ذكر الموت أنيسه.

و قال: الملك كالنهر الاعظم تستمد[٨] منه الأنهار الصغار، فإن كان عذباً عذبت، و إن كان

---

١. في جهة واحدة من على القبر: مص.
٢. يغطى: ص.
٣. أفلاطن: ص.
٤. أفلاطن: ص.
٥. شرف: ص.
٦. تتشرف به: مص.
٧. تتشرف به: مص.
٨. يستمد: ص.

مالحا ملحت.

و قال: غاية الأدب أن يستحيي المرء من نفسه.

و قال: إذا أردت أن تدوم لك اللّذة فلا تستوفِ[١] الملتذ أبدا، بل دع فيه فضلة تدوم لك اللذة.

و قال: ما ألمت نفسي إلا من ثلاث: من غنيّ افتقر، و عزيز ذل، و حكيم تلاعب به الجهال.

و قال: لا تصحبوا الأشرار، فإنّهم يمنّون عليكم بالسلامة منهم.

و قال: إحسانك على الحرّ يحرّكه للمكافأة[٢]، و إحسانك[٣] إلى الخسيس يحركه على معاودة المسئلة.

و قال: الأشرار يتّبعون مساوئ الناس، و يتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد، و يترك[٤] الصحيح منه.

و قال: أحرص الأشياء الذباب، و أقنع الأشياء العنكبوت، فجعل الله تعالى رزق أقنع الاشياء أحرص الاشياء، فسبحان اللطيف الخبير.

و قال: لا تكمل[٥] خيرية الرجل حتى يكون صديقا للمتعاديين.

و قال: أطلب في الحياة العلم و المال، لأنهما يجران الرياسة على الناس، لأنّ الخاصة تفضلك[٦] بما تُحسن[٧] و العامة بما تملك.

و قال إذا خبث[٨] الزمان كسدت الفضائل و ضرت، و راجت الرذائل و نفعت، و كان خوف الموسر أشد من خوف المعسر.

أقول: لا يخفى أنّ الزمان من الأسباب المعدّة لما يحصل في هذا العالم، فيصح نسبة الخير و الشر و الصلاح و الفساد إليه، و يصح تفضيل بعض الازمنة على[٩] بعض، فيقال: زمان صعب، و زمان جائر. و إذا اعتبرنا أجزاء الخير و الشر الواقعة في كلّ العالم بحسب كل زمان،

---

١. يستوفي: ص. ٢. عن المكافأة: ص. ٣. احنانك: ص.
٤. يتركون: ص. ٥. ليس بكمل: ص. ٦. يفطلك: ص.
٧. يحسن: ص. ٨. أخبث: ص. ٩. إلى: ص.

زماناً[١] لم يكن هناك كثير تفاوت، و لذلك قال أفلاطون[٢]: الناس يتوهمون في كلّ[٣] زمان أنه آخر الازمنة، و يثبتون تقصيره عما تقدّمه، و لا[٤] يوفون الزمان الماضي و المقيم حقهما من التأمل، و ذلك أنّهم يقيسون الأحداث في الزمان المقيم إلى من تناهت سنّه و تجاريبه في الزمان الماضي، و ينظرون إلى قصور المروّات في الزمان المقيم، و اتساعها في الماضى، من غير أن ينظروا إلى الأعراض[٥] في الزمانين، و ما يوجبه كل واحد منهما، و إذا تتبعوا[٦] هذا بعدل، و استقصوا[٧] تصرف[٨] الزمانين كانا متقاربين. و لله درّ من قال:

يقولون الزمان زمان سوء
و هم فسدوا و ما فسد الزمان

و قال: إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأي، و إذا ضعفت انقطع إلى البحث.

و قال: لا يزال الجائر ممهَّلا حتى يتخطّى إلى أركان العمارة و مباني الشريعة، و إذا قصدها[٩] تحرّك عليه قيّمُ العالم فأباده. و من هذا قال من قال:

لطف حق با تو مداراها كند
چونكه از حد بگذرد رسوا كند

و قال رجل جاهل لأفلاطون[١٠]: كيف قدرت على كثرة ما تعلمتَ؟ فقال: لأني أفنيت الزيت بمقدار ما أفنيتَ أنت من الشراب.

و قال: الحلم لا ينسب إلّا [إلى[١١]] من قدر على السطوة؛ و الزهد لا ينسب إلّا إلى من ترك بعد القدرة.

و قال: لا تصحب الشرير، فإنّ طبعك يسرق من طبعه شرّا، و أنت لا تدرى.

و قال: من مدحك بما ليس فيك من الجميل و هو راض عنك، ذمّك بما ليس[١٢] فيك من

---

١. زمان: ص. ٢. افلاطن: ص. ٣. بكل: ص.
٤. + ليس: ص. ٥. ينظر الاعراض: ص. ٦. تتّبع: ص.
٧. استقصى: ص. ٨. تصريف: ص. ٩. قصدها: ص.
١٠. أفلاطن: ص. ١١. «إلى» ساقطة من ص: مص. ١٢. + لك: ص.

القبيح و هو ساخط عليك.

و قال: شهوات الناس تتحرّك[١] بحسب شهوات الملك و إرادته.

و قال: إذا صادقت رجلا وجب أن تكون صديق صديقه، و ليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه.

و قيل له: لم صار الرجل يقتني ما لا و هو شيخ؟

فقال: لأن يموت الإنسان فيخلف مالا لأعدائه، خير له من أن يحتاج في حياته إلى أصدقائه. و قد نظم الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي هذا المضمون بقوله:

بگذاری و دشمنان بخورند
بِه كه محتاج دوستان باشى

و من هذا يحكى أنّه كان[٢] بين يدي الثوري دنانير يقبّلها، فقيل له: أتحبّها؟ قال: دعنا، فلولا هذه لتمندلت بأغراضنا قوم تمندلا. ثم قال: لأن أخلف عشرة آلاف يحاسبني الله عليها، أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس. و في الديوان المنسوب إلى مولانا أميرالمؤمنين سلام الله عليه:

بلوتُ صروفَ الدهر ستينَ حجةً
و جرّبت حاليه من العسر و اليسر
فلم أرَ بَعدَ الدين خيراً[٣] من الغِنى
و لم أرَ بَعْدَ الكفر شرّاً[٤] من الفقر

و لعل المراد تهجين الإحتياج إلى المخلوق؛ لأنه كاحتياج المسجون إلى المسجون. فلقد أصاب الظهوري الشاعر في مدح الدرهم و الدينار بقوله:

---

١. يتحرك: ص. ٢. ان كان: ص. ٣. خيرٌ: ص.
٤. شرٌّ: ص.

ای همایون رخ خجسته لقا
بخت از دیدن تو گیرد فال
نزده سکه از تو بالاتر
هیچ‌کس بر سجلّ جاه و جلال
لقمه از تو لذیذتر هرگز
نچشیده لب و دهانِ سؤال
ای دوای ملال شام فراق
وی نشاط فراق صبح وصال
زیب‌بخش فضایل علما
عیب‌پوش قبایح جهّال
لفظهای مراد را معنی
مشکلات زمانه را حلّال

و من هذا قال المحقق الدواني، و نعم ما قال:

مرا به تجربه معلوم شد در آخر حال
که قدر مرد به علم است و قدر علم به مال

و قال: اطلب في حياتك العلم و المال و العمل الصالح، فإن الخاصة تفضلك بما تحسن، و العامة بما تملك، و الجميع بما تعمل.

و قال: إنّ الصناعة ليست في العدد القليل، و لا في العدد الكثير، و إنما هي في العدد الوسط.

أقول: لعل معناه أنّ قوانين الصناعة لا ينبغي أن تكون[1] في غاية القلة، فتقصر[2] عن الحاجة، و لا في غاية الكثرة، فتفوت[3] حد الضبط.

و سأله أرسطو: بماذا يعرف الحكيم أنه قد صار حكيما؟ فقال: إذا لم يكن بما يصيب من

---

١. يكون: ص. ٢. فيقصر: ص. ٣. فيفوت: ص.

الرأي معجبا، و لا لما يأتي من الأمر متكلّفا، و لم يستفزّه عند الذّم الغضب، و لا تدخله[1] عند المدح النخوة.

و قال: ينبغي للعاقل أن يكون رقيبا لنفسه، فيستعظم خطأه و يستصغر صوابه.

و قال: ينبغي للمرء أن ينظر كل يوم إلى وجهه في المرآة فإن كان حسنا فليس بحسن أن يجعله قبيحا، و إن كان قبيحا فقبيح أن يجمع بين القبيحين.

و قيل له: بم ينتقم الإنسان من عدوه؟ قال: بأن يزداد فضلا في نفسه. و من هذا قال من قال:

اذا ما شئت إرغام الأعادي
بلا سيف تسلّ و لا سنان
فزد في مكرماتك فهي أعدى
على الأعداء من نوب الزّمان

و قال: من جهل الشيء و لم يسأل عنه، جمع على نفسه فضيحتين.

و قال: إنك لن تجد الناس إلّا رجلين، إما مؤخرا في نفسه قدّمه حظّه، و إما مقدّما أخّره دهره، فارض بما أنت فيه اختيارا، و إلا رضيت اضطرارا.

و كان يجلس أفلاطون[2] فيستدعى منه الكلام، فيقول: حتى يحضر الناس، فإذا جاء أرسطاطاليس قال: تكلموا فقد حضر الناس.

و جلس يوما حوله التلاميذ سوى أرسطو، فقال: لو وجدت مستمعا لتكلّمت. فقيل: حولك ألف تلميذ ـ فقال: أريد واحدا كألف. و لذا قال من قال:

و لم ار أمثال الرجال تفاوتا[3]
لدى المجد حتى عد ألف بواحد

و من هذا الباب ما قد قال بعض الأكابر: الواحد يكفيك من الكل، و الكل لا يكفيك من

---

۱. يدخله: ص.   ۲. أفلاطن: ص.   ۳. تفاوتت: ص.

الواحد. و قد ورد في الحديث: انّ المؤمن وحده جماعة.

و سئل منه[١] عند موته عن الدنيا، فقال: أدخلت إليها مضطرّا، و عشت فيها متحيّرا، و ها أنا أخرج منها كارها، و لم أعلم فيها إلا أنني لا أعلم.

و من كلامه في كتاب معاذلة النفس، و هي الصحائف المنسوبة إليه مخاطباً لها[٢] و عاذلاً لها[٣]، و عندي هذا الكتاب بخط الشيخ علاء الدولة السمناني، قال: يا نفس لا تذمي الدنيا و تقولي: هي دار خديعة و مصيدة غرور، فإنها ليست كذلك. إلا عند ذوي العقول الناقصة، و من يعرض له الجهل و النسيان، و لو كانت ذات خديعة بالحقيقة لكان الإنسان منذ يوم ظهوره فيها إلى وقت خروجه منها لا يصيبه إلا نعيم و لذة و سرور[٤] ثم تأتيه[٥] المسارة حينئذ بغتة فتزيله[٦] عن ذلك النعيم و يستحيل به مما كان فيه إلى خلاف ذلك، و ليس الأمر فيها كذلك، بل إنما يرى الإنسان ينشأ[٧] في هذه الدنيا، و يربىّ بأحوال مختلفة لانظام لها، فيوما محروما، و يوما مسرورا. و يوما متلذذا، و يوما متوجعا متألمّا، و الشيء إذا أظهر لك جميع ما في طبعه، فقد أنصفك و نصحك، و إنما المخادع من كان في طبعه الخير و الشر، فأظهر لك الخير، و أبطن لك الشر لوقت الفرصة و المكنة منك، و ليس احد نال من هذه الدنيا فرصة، إلا و أعقبه ذلك غصة و ألما، و ليس هذا شرط المخادعة من قبل الدنيا، و إنما المخادعة من قبل الإنسان لنفسه، و ذلك أن الإنسان الناقص هو المخادع نفسه، و المهلك لها؛ لأنّ الدنيا قد أظهرت له جميع ما في طبعها من نعيم و بؤس، فاغتبط الإنسان الضعيف العقل بنعيمها، و اعتقد أنه دائم[٨] و نسي بؤسها و أهله، ثم يقول: خدعتني الدنيا. و أي خداع خدعته؟! بل هو المخادع نفسه و المهلك لها، و إنّما رتّبت[٩] الدنيا على هذه المعاني المختلفة، التي هي خير و شر، و نعيم و بؤس، و شدّة و رخاء، تنبيهاً للنفس، و إيقاظاً لها، أمثلة[١٠] تعلم عليها فاكتسب[١١] بذلك العقل المضيء النير العلم التام، الذي هو الحكمة و المعرفة بحقائق الأشياء،

---

١. عنه: ص. ٢. مخاطباً بها: ص. ٣. معاذلة لها: ص.
٤. نعماً و لذاتاً و سروراً: ص. ٥. يأتيه: ص. ٦. فيزيله: ص.
٧. ينشوا: في ص. ٨. دائما: ص. ٩. رتب: ص.
١٠. مثالات: ص. ١١. فيكتسب: ص.

فإنما وردت إليها النفس لتعلم و تختبر[1]، و من ورد إلى محل من المحال ليعلمه و يختبر[2] حاله، ثم ترك العلم و البحث و الاختبار، و تشاغل بالنعم و التلذذ، فقد ضيّع مطلبه، و نسي اربه الذي قصده[3]، و خلق لأجله. و إنّما شرحت لك يا نفس هذا الشرح لئلا تكوني في رتبة الذامين للدنيا عند ذمهم لها، و المادحين لها عند رضاهم عنها، و ليس هم بالحقيقة، ذامّين[4] و لا مادحين، بل هم تائهون[5] ضالّون، قد أضاعوا طلبتهم، و نسوا اربهم، غير متحققين لعلم، و لا مكتسبين منها خيرا.

و من هذا الباب ما قد قال باب مدينة العلم مولانا أميرالمومنين سلام الله عليه، عندما ذمّ الدنيا رجل عنده عليه السلام: الدنيا دار صدق لمن صدقها، دار تجارة لمن فهم عنها، دار غنىً لمن تزوّد منها، مهبط وحي الله، و مصلّى ملائكته، و مسجد أنبيائه، و متجر أوليائه، رجوا فيها الرحمة، و اكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا الذي يذمها، و قد آذنت ببينها، و نادت بفراقها، و تعبت نفسها و شبهت بسرورها و ببلائها البلاء ترغيبا و ترهيبا، فيا أيها الذامّ لها، المعلّل نفسه متى خدعتك الدنيا، و متى استدمت، بمصارع آبائك في البلى، أم بمضاجع أمهاتك في الثرى[6]؟

اذا نلت يوما صالحا فانتفع به
فانت ليوم السوء ما عشت واجد

و قال ايضا عليه‌السلام عندما سمع رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا اتغترّ بالدنيا ثم تذمها انت المتجرّم عليها ام هى المتجرمة عليك متى استهوتك ام متى غرتك؟ و المنقول عن

---

۱. ليعلم و يختبر: ص. ۲. يختبره: ص. ۳. قصد له: ص.

٤. لاذامّين: ص. ٥. تائهين: ص.

٦. و ما ورد في نهج‌البلاغة ـ قصار الحكم ـ رقم ۱۳۱ هو: «أيها الذام للدنيا، المغترّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترّ بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟ متىٰ استهوتك؟ أم متىٰ غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البِلي أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرىٰ... ان الدنيا دار صدق لمن صدقها و دار عافية لمن فهم عنها، و دار غنى لمن تزود منها و دار موعظة لمن اتعظ بها. مسجد أحبّاء الله، و مصلى ملائكة الله، و مهبط و حى الله، و متجر أولياء الله. اكتسبوا فيها الرحمة و ربحوا فيها الجنة. فمن ذا يذمها و قد آذنت ببَيْنها، و نادت بفراقها، و نَعَتْ اهلها و نفسها. فمثّلت لهم ببلائها البلاء، و شوقتهم بسرورها الى السرور به راحت بعافية، و ابتكرت بفجيعة، ترغيباً و ترهيباً و تخويفاً و تحذيرا...»

سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، و الآخرة[1] للدنيا و لكن خيركم من أخذ هذه لهذه. و نعم ما قال:

لئن كنت في الدّنيا بصيرا فإنّما
بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء ذنبه
فما فاته منها فليس بضائر
و كلّ امرئ لم يرتحل بتجارة
إلى داره الأخرى فليس بتاجر

و من هذا قال العارف الرومي في المثنوي:

مال را گر بهر دين باشى حمول
نِعْمَ مالٌ صالحٌ خواندش رسول
آب در كشتى وبال كشتى است
آب اندر زير كشتى پشتى است

حكى أنه اجتمع[2] عند رابعة عدّة من الفقهاء و الزّهاد، فذموا الدنيا و هي ساكتة، فلما فرغوا قالت لهم: من أحبّ شيئاً أكثر ذكره إمّا بحمد و إما بذم، فإن كانت الدنيا في قلوبكم لا شيء، فَلِم تذكرون لا شيء؟! و لذا قال بعض الشعراء:

دنيا طلبيست ذمّ دنيا كردن
آيين خريدار بود كسر متاع

و بالجملة إنّ همة الرجل مع قرة عينه، فإن كانت[3] قرة عينه في الدنيا، انصرف لا محالة إليها همه، و أما من كانت الدنيا معه و هو ليس معها، و إنما يصرفها حيث أمره اللّه تعالى، و يستعين بها على طاعة اللّه عزوجل، و يتزوّد منها إلى الآخرة، فلا بأس عليه. و قد ورد:

---

١. للآخرة: في ص.　　٢. اجتمعت: ص.　　٣. كان: ص.

نعم العون على تقوى الله الغنى.

و قال في كتاب معاذلة النفس: يا نفس هذه رتب جماعة ثلاثة فكوني على أشرفها و أجلها؛ و أدناها رتبة عامل غير عالم، كرجل ذي سلاح لا شجاعة له، و ما يصنع الجبان بالسلاح؟ و الرتبة الثانية رجل عالم غير عامل، و هو كرجل شجاع و لا سلاح معه، و كيف يلقى عدوه و لا سلاح معه، غير أن الشجاع على السلاح أقدر من الجبان على الشجاعة. و الرتبة الثالثة هي رجل عالم عامل فهو كرجل ذي[1] شجاعة و سلاح. و هذه ينبغي أن تكون[2] الرتبة الشريفة.

و قال: يا نفس إنّ القليل مع العمل به، خير من كثير من العلم مع قلة العمل.

أقول: و ذلك لأن بمقتضى كلامه السابق العلم كالشجاعة، و العمل كالسلاح، و الظاهر أنّ الرجل الشجاع مع السلاح، و إن كانت[3] شجاعته يسيرة[4] أقدر لدفع العدو من الرجل الكثير الشجاعة بلاسلاح.

قال الشيخ الشبستري في منظومته الموسومة بگلشن:

پدر چون علم و مادر هست[5]، اعمال
بسان قرّة العين است احوال

چون از انضمام علم و عمل احوال معنوی تولد می‌یابد، علم به مثابهٔ پدر، و عمل به منزلهٔ مادرست، تا زمانی که این هر دو با هم جمع نشوند، نتیجه که احوال معنویست حاصل نمی‌گردد، و بموجب آیه کریمه «فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ[6]» احوال جزای اعمالست، و عمل بی‌عمل و بال، چنانچه گفته‌اند:

علم باید با عمل گنجی بود
زانکه بی‌دانش عمل رنجی بود

---

۱. ذا: ص. ۲. یکون: ص. ۳. کان: ص.
٤. یسیر: ص. ٥. هست: ص ٦. سورة السجدة، الاية ١٧.

خـــــندهٔ دیــــوست بـــی‌دانش عـــمل
ســـخرهٔ شـــیطان بـــود مـــرد جــــدل

اما به مذاق طایفهٔ صوفیه، طالب حق را با علم علما کاری، و این متاع گرانمایه را در بازار ایشان رواجی نیست، چنانچه گفته‌اند:

کـــــه گـــفتند[۱] چـــندین ورق را بــــبین
ورق را بگــــــردان و حــــــق را بــــبین

فلهذا جنید بغدادی‌ؒ فرمود: كه المريد الصادق غني عن علم العلماء، «إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانا[۲]».

مشغولِ تو را وسـوسهٔ عـلم و عـمل نـیست
در ســینهٔ مــجنون مــطلب جــز غـم لیـلی

و قال أفلاطون[۳] يا نفس: إنّ القمر تبين بما ورد[٤] إليه من الشمس، فإذا عرض له ظلّ الأرض انخسف و اظلم، فكذلك النفس نيّرة مضيئة، فإذا عدمت العـقل أظـلمت، و إذا توسطت الشهوات عدمت نورها، كما أنه مادامت الأرض في وسط العالم لم يـعدم القـمر الخسوف، فكذلك النفس مادامت ملازمة الطبيعة، لم تعدم[٥] الظلمة، فقد تـبين مـن هـذا الشرح أن راحة النفس في مفارقتها الطبيعة:

اسـیر لذّت تـن مـانده[ای][٦] وگـر نـه تـو را
چه عیشهاست که در ملك جان مهیّا نیست

و قال: لا تكن حكيما بالقول فقط، بل كن حكيما بالعمل، فإن الحكمة التي تكون[۷] بالعمل

---

۱. كه گفتند كه: ص. ۲. ۸ / ۲۹. ۳. أفلاطن: في ص.
٤. وردت: ص. ٥. يعدم: ص. ٦. لا توجد في ص.
۷. يكون: ص.

تنفعك[١] في العالم الباقي. و من هذا سنح لي بالنظم الفارسيّ:

بی عمل را طلبِ نعمت فردوس چه سود

شجر مقصد بی اصل نیابد ثمری

و قال: إنْ تعبت في البر فإنّ التعب يزول، و البر يبقىٰ لك. و إن التذذت بالإثم فإنّ اللذة تزول[٢]، و الإثم يبقى عليك. ترجمه اين كلام به زبان فارسى آنكه اگر در نيكى رنج برى رنج نماند و نيكى بماند و اگر در بدى لذت يابى لذت نماند و بدى بماند.

و مما أملاه لأرسطو تلميذه: اعرف اللّه و حقه، و أدم عنايتك بالعمل الصالح أكثر من عنايتك بغذائك يوما بعد يوم، و لا تسأل اللّه ما لا يدوم لك نفعه أبدا، بل يجب أن تسأل النعمة الباقية معك. و كن متيقّظا أبدا، فإنّ علل الشرور كثيرة، و لا تهوى ما لا ينبغي لك أن تفعله، و لا ينبغي لك أن تهوى حياة صالحة فقط، بل و موتا صالحا.

و قال: ليس الحكيم التام من فرح بشيء من هذا العالم، أو جزع من شيء[٣] من مصائبه او اغتم لذكر[٤] الموت. تعرف كثرة خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه[٥]، و اخباره بما لا يسئل عنه و لا يراد منه.

فكر مرارا ثم تكلم و افعل، فإن الأشياء متغيرة. لا تؤخّر حاجة المحتاج إلى غد، فإنك لا تدري ما يحدث غدا.

و حكى عنه قوم ممّن شاهده و تلمذ له مثل أرسطاطاليس و طيماوس أنه قال: إن للعالم مبدعا محدثا أزليا، واجبا بذاته، عالما بجميع معلولاته على ترتيب الأسباب الكلية، و كان في الأزل، و لم يكن في الوجود رسم و لا ظل[٦] إلا مثال عند الباري تعالى. و ربما يعبر بالهيولي، و ربما يعبر عنه بالعنصر الاول ـ و لعله يشير إلى أن صور المعلومات في علمه تعالى ـ قال: فابدع العقل الاول، و بتوسطه النفس الكلية التي قد انبعثت[٧] عن العقل انبعاث

---

١. يضحك: في ص.
٢. يزول: في ص.
٣. جزع شيئ: ص.
٤. له ذكر: ص
٥. يعنيه: في ص
٦. ظلل: في ص.
٧. تبعث: ص.

الصور في المرآة، و بتوسطهما [أبدع[١]] العالم الجسماني.

و يحكى عنه أن الهيولي التي هي موضوع الصور الجسمية غير ذلك العنصر. و يحكى عنه أنه أدرج الزمان في المبادئ، و هو الدهر، و أثبت لكل موجود مشخص في العالم الحسيّ مثالا موجودا غير مشخص في العالم الحسيّ [و[٢]] مثالا موجوداً غير مشخص في العالم العقلي [و[٣]] تسمّى[٤] تلك المثل «المُثل الأفلاطونية» و هي المثل النوريّة، غير المثل الظلمانية التي أثبتها في عالم المثال البرزخي الخيالي، فالمُثُل الأُوَل بسائط و المثل الثواني[٥] مبسوطات، و الأشخاص مركبّات، فالإنسان المركّب المحسوس جزئي ذلك الانسان المبسوط المعقول، و كذلك كلّ نوع من الحيوان و النبات و المعادن.

و قال: إنّ النفوس المرذولة [تكون[٦]] في افق الطبيعة و ظلها، و النفوس الفاضلة [تكون[٧]] في أفق العقل و ظله.

قال: و الموجود في هذا العالم الحسيّ آثار الموجودات في ذلك العالم العقلي، و لابد لكلّ أثر من مؤثّر يشابهه نوعا من المشابهة.

قال: و لما عقل الإنسان من ذلك العالم العقلي أدرك من المحسوس مثالا منتزعا من المادة معقولا يطابق المثال الذي في عالم العقل بكلّيته، و يطابق الموجود الذي في عالم الحسّ بجزويته، و لولا ذلك لما كان يدركه العقل مطابقا مقابلا من خارج، فما كان مدركا لشيء يوافق إدراكه حقيقة المدرك. فالعقل يدرك عالمين مطابقين متقابلين: عالم العقل، و فيه المثل التي يطابقها[٨] الأشخاص الحسية، و عالم الحس، و فيه المثل الحسّية التي تطابقها المثل العقلية. فأعيان ذلك العالم آثار هذا العالم، و أعيان هذا العالم آثار ذلك. و عليه وضع الفطرة و التقدير.

و مما ذهب إليه أفلاطون[٩]: أن النفوس الإنسانية التي هي متصلة بالأبدان إتصال تدبير

---

١. لا توجد في ص. ٢. لا توجد في ص. ٣. لا توجد في ص.
٤. يسمّى: ص. ٥. الثاني: ص. ٦. لا توجد في ص.
٧. لا توجد في ص. ٨. يطابقه: ص. ٩. أفلاطن: ص.

و تصرف، كانت موجودة قبل وجود الأبدان، و كان لها نحو[١] من أنحاء الوجود العقلي، و يتمايز بعضها من بعض تمايز الصور المجردة عن المواد. و هذا كما ذهب إليه أستاذه سقراط أيضا، و قد ذكرناه في بحث[٢] أحواله، و لما قال أفلاطون[٣] أيضا: إن صور الأبدان تكون[٤] حادثة، لكن الكلام في هيولاها و عنصرها، فأثبت عنصرا قبل وجودها، فظن بعض الفضلاء أنه حكم بأزليتها و القدم، كما ظن بعضهم بأرسطاطاليس الحكيم ذهابه إلى قدم العالم. و لا يخفى أن أفلاطون[٥] إذ أثبت واجب الوجود لذاته و أطلق لفظ الإبداع على العنصر، أخرجه عن الازلية بذاته، بل يكون وجوده بوجود واجب الوجود، كسائر المبادئ التي ليست زمانية و لا وجودها و لا حدوثها زمانيّ، فالبسائط حدوثها إبداعيّ غير زمانيّ، و المركّبات حدوثها بوسائط البسائط حدوث زمانيّ.

قال الشيخ في كتاب الملتقطات[٦] الحكمية: سُئل أفلاطون عن العالم أمحدث هو أم غير محدث؟ فقال: اسم العالم يدل على صفته و حاله، و ذلك أن تفسير العالم باليونانية المقدر المتقن، فلا يكون التقدير إلّا من مقدر، و لا الإتقان إلّا من متقن. ثم اعلم أنّ القديم على قسمين: ذاتيّ و زمانيّ:

فالأول: هو الذي لا يحتاج إلى علة، و هو واجب الوجود، و هذا في مقابلة الحادث الذاتيّ، أعني المحتاج.

و الثاني: هو الذي لا يكون زمان عدمه سابقا على زمان وجوده، و هو في مقابلة الحادث الزمانيّ، أعني الذي يكون زمان عدمه سابقا على زمان وجوده. إذا تقرّر هذا فنقول: الحادث الذي يشمل القديم الزمانيّ و الحادث الزمانيّ، و القديم الزماني يشمل القديم الذاتيّ، فكلّما تحقق القديم الذاتيّ تحقق القديم[٧] الزمانيّ، من غير عكس. فالقديم الذاتيّ أخصّ مطلقا، و كلما صدق الحادث الزماني، صدق الحادث الذاتيّ من غير عكس. فالحادث الزمانيّ أخص مطلقا، و بعض ما صدق عليه الحادث الزمانيّ، صدق عليه

---

١. نحوا: ص. ٢. تحت: ص. ٣. أفلاطن: ص.
٤. يكون: ص. ٥. افلاطن: ص. ٦. ملتطقات: ص.
٧. قديم: ص.

الحادث الذاتي، و بالعكس، فبينهما عموم و خصوص، فهما يصدقان معاً في العقل الاول ـ مثلا ـ على رأي الحكماء، و يصدق الحادث الذاتيّ بدون القديم الزمانيّ في زيد و عمرو، و بالعكس، في الباري عز اسمه.

و في رموز لأفلاطون[١] أنه قال: إنّ النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها، و ما فيه من الروح و البهجة و السرور، فأهبطت إلى هذا العالم حتى يدرك الجزويات، و يستفيد ما ليس لها بذواتها بواسطة القوى الحسية، فسقطت رياشها قبل الهبوط، و أُهبطت حتى يستوي[٢] ريشها، و تطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم. و من هذا قالوا: إنّ علة هبوط النفس سقوط ريشها، فإذا ارتاشت، ارتقت إلى عالمها الأول.

و قال في كتاب النواميس: إنّ أشياء لا ينبغي للإنسان أن يجهلها، منها أن له صانعا، و أنّ صانعه يعلم أفعاله. و ذكر أنّ الله تعالى إنّما يعرف بالسلب، اي لا شبه له و لا مثال، و أنه أبدع العالم من لا نظام، و أن كل مركب إلى الانحلال، و أنه لم يسبق العالم زمان، و لم يبدع عن شيء.

و يحكى أنه قال: الاسطقسات لم تزل متحركة حركه مشوّهة مضطربة غير ذات نظم، و أن الباري تعالى نظّمها و رتّبها، فكان هذا العالم. و ربما عبّروا عن الاسطقسات بالأجزاء. و قيل انه عنى بها الهيولي الأولية العارية عن الصور، حتى اتصلت الصور و الاشكال بها فانتظمت و ترتّبت.

أقول: لا يخفى أنّ المادة الأولى التي هي محل الإمكان الإستعدادي التي[٣] حكموا بسبقها عقلا على الجسم و لزوم الصورة لها، و تسمّى[٤] المادة المطلقة و المادة الكلية.

و اختلفوا فيها، فقال بعضهم: إنّها الوجود، فهو عندهم الهيولى الأولى. و بعضهم: إنها الجوهر. و آخرون: إنها الإمكان. و الإشراقيون يجعلونها الجسمية، و يعبّرون عنها الامتداد في الجهات، و ينكرون وجود هيولي زائدة عليها، و يجعلون الصورة النوعية و الجسمية اعراضا، اي الصورة المخصوصة من حيث الخصوص، و إلا مطلقها عندهم عين للجسم و

---

١. أفلاطن: ص. ٢. استوى: ص. ٣. الذي: ص.
٤. يسمى: ص.

المادة. و قد يعبّرون عن المادة الحقيقيّة بمادة العناصر التي هي شيء واحد عندهم، يختلف بالصور؛ لأنها المادة لجميع المركّبات المادية.

و حكى أرسطاطاليس عنه أنه أثبت المبادئ خمسة أجناس: الجوهر، و الإتفاق، و الإختلاف، و الحركة، و السكون. ثم فسّر كلامه فقال: أما الجوهر فنعني به الوجود، و أما الإتّفاق فإن الأشياء متفقة بأنها من الله تعالى. و أما الإختلاف فلأنّها مختلفة في صورها. و أما الحركة فلأنّ لكل شيء من الأشياء فعلا خاصا، و ذلك نوع من الحركة، لا حركة النقلة. و إذا تحرك نحو الفعل، و فعل فعله سكن بعد ذلك لا محالة.

و وجدت في بعض الكتب المعتمد عليها أن أفلاطون[١] يقول في صلاته هذه الكلمات: يا روحانيتي المتصلة بالروح الاعلى تضرّعي إلى العلة التي أنت معلوله من جهتها، لتتضرع[٢] إلى العقل الفعال، ليحفظ عليّ صحّتي النفسانية مادمت في عالم التركيب و دار التركيب.

[١٤] ـ خاتم الحكماء اليونايين و سيد علمائهم الحكيم ارسطوطاليس

ابن نيقوماخس الفيثاغوري، فيلسوف ذلّت له الرقاب، و خضع له أولو الالباب، و أقرت له الألسن بالعجز عن لطيف ما أتى، و دقيق ما أرى، و بديع ما ألّف، و غريب ما صنّف، حتى صار في الناس علما، و عليهم حكما، و كفى لجلالة قدره تسمية معلمه أفلاطن[٣] [له[٤]] إنسانا أو عقلا كما نقل أن افلاطون[٥] [كان[٦]] يجلس فيستدعى منه الكلام، فيقول: حتى يحضر الإنسان، فإذا جاء أرسطوطاليس قال: تكلموا فقد حضر الإنسان. و ربما قال: حتى يحضر[٧] العقل، فإذا حضر أرسطو قال: تكلموا فقد حضر العقل. و هو أول من خلّص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية، و صوّرها بالأشكال الثلاثة و جعلها آلة العلوم النظرية، حتى لقب بالمعلم الأول، و بصاحب المنطق.

و إنما ولد في أول سنة من ملك أردشير بن دارا، و كان أصله من المدينة التي تسمى اسطاغيرا؛ و اسم امه افسطيا، و نيقوماخس أبو ارسطو طبيب افيطس اب فيلقس، و

---

١. أفلاطن: ص.
٢. ليتضرّع: ص.
٣. أفلاطن: في ص.
٤. لا توجد ص.
٥. أفلاطن: ص.
٦. لا توجد ص.
٧. حضر: ص.

فيلقس هذا أبو اسكندر الملك؛ و كان نيقوماخس يرجع في نسبه إلى اسقلبيوس؛ و كان أصل أمه افسطيا ـ أيضا ـ يرجع في النسبة إلى اسقلبيوس، و هو النسب الشريف العالي في اليونانيين. و تفسير نيقوماخس: قاهر الخصم، و تفسير ارسطوطاليس: تام الفضيلة. و لمّا بلغ أرسطوطاليس ثماني[1] سنين، حمله أبوه إلى الشعراء و البلغاء و النحويين في مدينة اثينة، و هي المعروفة ببلاد الحكماء، فأقام في لوقين منها متعلّما تسع سنين؛ و كان اسم هذا العلم عندهم المحيط، أعني علم اللسان، لحاجة جميع الناس إليه، لأنه الأداة و المراقي إلى كلّ حكمة و فضيلة، و البيان الذي يتحصل به كل علم، و أن قوما من الحكماء أذروا بعلم البلغاء و اللغويين و النحويين، و عنّفوا المتشاغلين به، منهم افيقورس و فونيقورس، و زعموا أنه لا يحتاج إلى علمهم في شيء من الحكمة، لأن النحويّين معلموا الصبيان، و الشعراء أصحاب أباطيل و كذب، و البلغاء أصحاب تمحل و محاباة و مراء. فلمّا بلغ أرسطوطاليس ذلك، أدركته الحفيظة لهم فناضل[2] عن النحويين و الشعراء و البلغاء و احتجّ لهم[3]، و قال: لا غنى للحكمة عن علمهم؛ لأن المنطق أداة إلى العلم. و قال: فضل الإنسان على البهائم بالمنطق، فأحقهم بالإنسية أبلغهم في منطقه، و اوصلهم ذات نفسه، و اوضعهم لمنطقه في موضعه، و أحسنهم اختياراً لأوجزه و أعذبه؛ و لأن الحكمة أشرف الاشياء، فينبغي أن تكون[4] العبارة عنها بأحكم المنطق و أفصح و أوجز اللفظ الأبعد من الدخل و الزلل، و سماجة المنطق و قبح اللّكنة و العيّ[5]، فان ذلك يذهب بنور الحكمة، و يقطع عن الأداء، و يقصر عن الحاجة، و يلتبس على المستمع، و يفسد المعاني، فيورث الشبهة.

فلما استكمل أرسطوطاليس علم الشعراء و البلغاء و النحويين و استوعبه، قصد إلى العلوم الأخلاقية و السياسية و الطبيعية و التعليمية و الإلهية، و انقطع إلى أفلاطون[6]، و صار تلميذا له، و متعلما منه، و له يومئذ سبع عشرة سنة، فإنه لبث في التعليم من أفلاطون[7] عشرين سنة، و لما سافر افلاطون[8] إلى سقلبة كان أرسطوطاليس خليفته على دار التعليم،

---

١. ثمان: ص.
٢. فناصل: ص.
٣. اجنح عنهم: ص.
٤. يكون: ص.
٥. الغيّ: ص.
٦. أفلاطن: ص.
٧. أفلاطن: ص.
٨. أفلاطن: ص.

المسماة أفاديميا، و انه لما قدم افلاطون[1] من سقلبة انتقل ارسطوطاليس إلى لوقين، و اتخذ هناك دارالتعليم المنسوبة إلى الفلاسفة المشائين.

و كان ارسطو كثير التلاميذ من الملوك و أبناء الملوك و غيرهم، منهم الاسكندر الملك، و غيره من الأفاضل المشهورين المبرزين في الحكمة، و لما مات فيلقس و ملك الاسكندر بعده، و شخص عن بلاده لمحاربة الأمم و جاز بلادها، صار أرسطاطاليس إلى التبتل و التخلّي ممّا كان فيه من الاتصال بأمور الملوك الملابسة لهم، و صار إلى اثينة، و أقبل على العناية بمصالح الناس، و رفد الضعفاء و أهل الفاقة، و تزويج الأيامىٰ، و عول اليتامى، و العناية بتربيتهم، و رفد الملتمسين[2] للعلم و التأدب و معونتهم على ذلك، و الصدقات على الفقراء، و إقامة المصالح في المدن.

و جدد بناء مدينة و هي مدينة اسطاغيرا، و لم يزل في الغاية من لين الجانب و التواضع و حسن اللقاء للصغير و الكبير و القوي و الضعيف، و قيامه بأمور أصدقائه ما فوق الوصف، إلى أن توفّي، و لما توفى نقل أهل اسطاغيرا رمّته بعد ما بليت، و جمعوا عظامه و صيّروها في إناء من نحاس، و دفنوها في الموضع المعروف بأرسطوطاليسى، و صيّروه مجمعا لهم يجتمعون فيه للمشاورة في جلائل الأمور، و إذا صعب عليهم شيء من فنون العلم و الحكمة أتوا ذلك الموضع و جلسوا إليه، ثم تناظروا في ما بينهم ختى يستنبطوا[3] ما أشكل عليهم، و يصح لهم ما شجر بينهم. و كانوا يرون أنّ مجيئهم[4] إلى الموضع الذي فيه عظام أرسطو يزكي عقولهم، و يصح فكرهم، و يلطف أذهانهم، و أيضا تعظيما له بعد موته، و أسفا على فراقه، و حزنا لأجل الفجيعة و ما فقدوه من ينابيع حكمته.

أقول: و لعل سر مرامهم[5] أن نفس الزائر و نفس المزور شبيهتان بمرآتين صقيلتين، وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من احداهما إلى الأخرىٰ، فكلما حصل في نفس الزائر الحي من المعارف و العلوم و الأخلاق الفاضلة، من الخضوع لله تعالى و الرضاء[6] بقضائه، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت، و كلما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من

---

١. أفلاطن: ص. ٢. المتلمسين: ص. ٣. تستنبطوا: ص.
٤. مجيهم: ص. ٥. ماراهم: ص. ٦. الرضا: مص.

العلوم المشرقة، و الآثار القوية الكاملة، فإنه ينعكس منها نور إلى روح هذا الزائر الحيّ. و من هذا ورد في الحديث: إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور.

بناء على أن تعلق النفس بالبدن تعلق يشبه العشق الشديد و الحب التام، فإذا مات الانسان و فارقت النفس هذا البدن، فذلك الميل يبق، و ذلك العشق لايزول إلا بعد حين.

سعدى به روزگاران مهرى نشسته در دل
بيرون نمى‌توان كرد الّا به روزگاران

و تبق تلك النفس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، قوية الانجذاب إليه. و لهذا نهي عن كسر عظم الميت و وطئ قبره. و إذا تقرر هذا، فالإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قويّ النفس، كامل الجوهر، شديد التأثير، و وقف هناك ساعة، و تأثرت نفسه من تلك التربة، حصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة. و قد عرفت أن لنفس ذلك[١] الميت أيضا تعلق بتلك التربة، فحينئذ تحصل[٢] بين النفسين ملاقاة روحانية، و بهذا الطريق تصير الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى، و البهجة العظمى لروح الزائر و لروح المزور، فهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة، و لا يبعد أن تكون[٣] فيها أسرار أخرى أدقّ و أحقّ و أحرىٰ بالقبول.

و قام من بعد أرسطاطاليس لتعلم حكمته التي صنفها، و جلس على كرسيه، و ورث مرتبته ابن خالته ثاوفرسطس، و معه رجلان يعينانه[٤] على ذلك و يؤازرانه، يسمى أحدهما ارمنوس، و الآخر اسحولوس، و صنّفوا كتبا كثيرة في المنطق و الحكمة. و خلف من الولد ابنا، يقال له نيقوماخس صغيرا، و ابنة صغيرة أيضا، و خلف مالاً كثيرا، و عبيدا و إماء كثيرة.

و قال حنين بن اسحق: و كان أفلاطون[٥] الحكيم في زمن ذوفسطانيس الملك، و كان اسم ابنه نطافورس، و كان ارسطوطاليس غلاما يتيما قد سمت همته إلى خدمة أفلاطون[٦] الحكيم،

---

١. تلك: ص. ٢. يحصل: ص. ٣. يكون: ص.
٤. يعيناه: ص. ٥. أفلاطن: ص. ٦. أفلاطن: ص.

فاتخذ ذوفسطانيس بيتا للحكمة، و فرشه لابنه نطافورس، و أمر أفلاطون[١] بملازمته و تعليمه، فكان نطافورس غلاما قليل الفهم، بطيء الحفظ، و ارسطوطاليس ذكيا، فهما، حاد الذهن، و كان أفلاطون[٢] يعلّم نطافورس الحكمة و الآداب، فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غدا، و لا يحفظ حرفا واحدا. و كان ارسطاطاليس يتلقف ما يلق إلى نطافورس فيحفظه، و يرسخ في صدره، و يعى[٣] ذلك سرا من أفلاطون[٤] و يحفظه، و أفلاطون[٥] لا يعلم ذلك حتى إذا كان يوم العيد، زين بيت الذهب، و ألبس نطافورس الحلي و الحلل، و حضر الملك ذوفسطانيس و أهل المملكة و أفلاطون[٦] و تلاميذه، فلما انقضت الصلوة صعد أفلاطون[٧] الحكيم و نطافورس إلى مرتبة الشرف و درجة[٨] الحكمة على الأشهاد، فلم يؤدّ نطافورس شيئاً من الحكمة، و لا نطق بحرف من الآداب فأسقط[٩] في يد أفلاطون[١٠] و اعتذر إلى الناس بأنه لم يمتحن علمه، و لا عرف مقدار فهمه، و أنه كان واثقا بحكمته و فطنته، ثم قال: يا معشر التلاميذ من فيكم يصطلح بحفظ شيء من الحكمة ينوب عن نطافورس، فبدر ارسطوطاليس، فقال: أنا يا أيّها الحكيم، فازدراه و لم يأذن له في الكلام، ثم أعاد القول على تلامذته، فبدر بينهم ارسطوطاليس، فقال: أنا يا معلم الحكمه اصطلح بما القيت من الحكمة إلى نطافورس. فقال له: ارق، فرقى ارسطوطاليس الدرج، بغير زينة و لا استعداد في أثوابه الدنية المبلية، فهدركما يهدر الطير، و أتى بأنواع الحكمة و الآداب التي[١١] ألقاها أفلاطون[١٢] إلى نطافورس، و لم يترك منها حرفا واحدا. فقال أفلاطون[١٣]: أيّها الملك: هذه الحكمة التي لقيتها نطافورس قدوعاها ارسطوطاليس سرقة، و حفظها سرا، و ما غادر منها حرفا، فما حيلتي في الرزق و الحرمان.

وكان الملك في مثل ذلك اليوم يرشّح ابنه للملك، و يشرّفه و يعلّي مرتبته، فامر الملك

---

١. أفلاطن: ص. ٢. تعلم: ص. ٣. يعى على: ص.
٤. أفلاطن: ص. ٥. أفلاطن: ص. ٦. أفلاطن: ص.
٧. أفلاطن: ص. ٨. دراسة: ص. ٩. فاسقطة: ص.
١٠. أفلاطن: ص. ١١. الذي: ص. ١٢. أفلاطن: ص.
١٣. أفلاطن: ص.

باصطناع ارسطوطاليس، و لم يرشّح ابنه للملك، و انصرف الجمع في ذلك اليوم عن استحسان ما أتى به ارسطو متعجبين[١] من الرزق و الحرمان.

قال حنين بن اسحق: هذا بعض ما وجدته من حكمة أرسطوطاليس في ذلك اليوم، لبارئنا التقديس و الإعظام و الإجلال و الإكرام، أيها الأشهاد، العلم موهبة الباري، و الحكمة عطية من يعطي و يمنع، و يحط و يرفع، و التفاضل و التفاخر في الدنيا و الآخرة بالحكمة التي هي روح الحياة، و مادة العقل الرباني العلوي. أنا ارسطوطاليس بن نيقوماخس اليتيم، خادم نطافورس بن الملك العظيم، حفظت و وعيت، و التسبيح و التقديس لمعلم الصواب و مسبب الأسباب، أيها الأشهاد، بالعقول تفاضل الناس لا بالصّول، وعيت عن أفلاطون[٢] الحكيم: الحكمة رأس العلوم، و الآداب تلقيح الأفهام، و نتائج الأذهان، و بالفكر الصائب الثاقب يدرك الرأي الغارب، و بالتأني يسهل المطالب، و بلين الكلام تدوم[٣] المودة في الصدور، و بخفض الجناح تتم[٤] الأمور، و بسعة الأخلاق يطيب العيش و يكمل السرور، و بحسن الصمت جلالة الهيبة، و بإصابة المنطق يعظم القدر و يرتقي الشرف، و بالإنصاف يجب التواصل، و بالتواضع تكثر[٥] المحبة، و بالعفاف تزكو[٦] الأعمال، و بالعدل يقهر العدو، و بالحلم يكثر[٧] الأنصار، و بالرفق تستخدم[٨] القلوب، و بالإيثار يستوجب اسم الجود، و بالإنعام يستحق اسم الكرم، و بالوفاء يدوم الإخاء، و بالصدق يتم الفضل، و بحسن الاعتبار تضرب[٩] الامثال، و الأيام تفيد[١٠] الحكم، و من الساعات تتولد[١١] الآفات، و بالعافية يوجد طيب الطعام و الشراب، و بحلول المكاره يتنغّص[١٢] العيش، و تتكدر[١٣] النعم، و بالمنّ يدحض الإحسان، و بالجحد للإنعام يجب الحرمان. صديق الملوك زائل عنه، السيئ الخلق مخاطر صاحبه، البخيل ذليل و إن كان غنيا، و الجواد

---

١. متعجّبا: ص. ٢. أفلاطن: ص. ٣. يدوم: ص.
٤. يتم: ص. ٥. يكثر: ص. ٦. يزكوا: ص.
٧. تكثر: مص. ٨. يستخدم: ص. ٩. تضرب: مص.
١٠. يفيد: ص. ١١. يتولد: ص. ١٢. تينغض: ص.
١٣. يتكدر: ص.

عزيز و إن كان مقلّا. الطمع الفقر الحاضر، اليأس الغنى الظاهر، لا أدرى نصف العلم، السرعة في الجواب يوجب العثار، الأدب يغني عن الحسب، التقوى شعار العالم، الرياء لبوس الجاهل، مقاساة الأحمق عذاب الروح، الاستهتار بالنساء فعل النَّوكئ، الإشتغال بالفائت تضييع الأوقات، المعرّض للبلاء مخاطر بنفسه، التمني سبب الحسرة، الصبر تأييد العزم، و ثمرة الفرح، و تمحيق المحنة، صديق الجاهل مغرور المخاطر، خائب من عرف نفسه لم يضع بين الناس، من زاد علمه على عقله كان علمه وبالا عليه، المجرّب أحكم من الطبيب، اذا فاتك الأدب فالزم الصمت، من لم ينفعه العلم لم يأمن من ضرر الجهل، من عجل تورط، من تفكر سلم، من تروّى[1] غنم، من سأل علم، للعادة على كل أحد سلطان، و كل شئ يستطاع نقله إلا الطباع، و كل شيء يتهيأ فيه حيلة إلا القضاء، من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار، لا يؤتئ الناطق إلا من سوء فهم السامع، الجزع عند مصائب الإخوان أحمد من الصبر، و صبر المرء على مصيبة أحمد من جزعه، ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم، من طلب خدمة السلطان بلا أدب خرج من السلامة إلى العطب، الإرتقاء إلى السؤدد صعب، و الإنحطاط إلى الدناءة سهل.

و قال حنين: و هذا الصنف من الآداب أول ما يعلّمه[2] الحكيم للتلميذ في اول سنة مع الخط اليونانى، ثم يرفعه من ذلك إلى الشعر و النحو، ثم إلى الحساب، ثم إلى الهندسة، ثم إلى النجوم، ثم إلى الطب، ثم إلى الموسيقى، ثم بعد ذلك يرتقي إلى المنطق، ثم الفلسفة، و هي علوم الآثار العلوية. فهذه عشرة علوم يتعلم المتعلم في عشرة سنين.

فلما رأى أفلاطون[3] الحكيم حفظ ارسطوطاليس، لما كان يلقي إلى نطافورس و تأديبه إياه، كما ألقاه سرا، و حفظه و طبعه و رأى الملك قد امر باصطناعه، اصطنعه هو، و أقبل عليه، و علّمه علما علما، حتى وعى العلوم العشرة، و صار فيلسوفا حكيما جامعا.

و كان أرسطاطاليس أبيض، أجلح قليلا، حسن القامة، عظيم العظام، صغير العينين، كثّ اللحية، أشهل العينين، أقنئ [الأنف[4]] صغير الفم، عريض الصدر، يسرع في مشيته إذا

---

۱. روا: ص. ۲. تعلم: ص. ۳. أفلاطن: ص.
٤. الانف: لا توجد ص.

خلا، و يطئ إذا كان مع أصحابه، ناظراً في الكتب دائما، لا يهزأ، و يقف عند كل كلمة، و يُطيل الإطراق عند السؤال، قليل الجواب، يتنقل في أوقات النهار في الفيافي و نحو الانهار، محبّا لاستماع الألحان و الاجتماع بأهل الرياضات و اصحاب الجدل، منصفاً من نفسه إذا خصم، معترفاً بموضع الإصابة و الخطأ، معتدلاً في الملابس و المآكل و المشارب و المناكح، و الحركات و السكنات، بيده آلة النجوم و الساعات.

و من كلامه في الأحكام النجومية: الكواكب كلّها إذا قاربت الشمس كانت ضعيفة، و دلّت على سوء الحال و المنحسة، ما خلا عطارد خاصة، فإنه إذا جامعها ازداد قوة، و دلّ على الخير و السعادة، و لذلك متى اتفق في بعض المواليد أن يكون الطالع أحد بيته، و هو مقارن للشمس كان المولود وزيرا للملك، أو قهرمانا له.

و كان منقوشا على فصّ خاتمه: المنكر لما لا يعلم أعلم من المقر بما يعلم.

و من آدابه و كلماته الحكمية: قال: إعلم أنه ليس شيء أصلح للناس من أولى الأمر إذا صلحوا، و لا أفسد لهم و لأنفسهم منهم إذا فسدوا، فالوالي من الرعية بمنزلة الروح من الجسد، الذي لا حياة له إلا بها.

و قال: إحذر الحرص، و أمّا[1] ما هو مصلحك و مصلح بدنك فالزهد.

و لربّما طلب الحريص زيادة ... فغدت مؤدية إلى النقصان

و قد سنح للمؤلف بالنظم الفارسي:

ناشتا از نعمت الوانِ دنيا چون حريص
چند باشى چند، از خوان قناعت سير باش

و قال: اعلم أنّ الزهد باليقين، و اليقين بالصبر، و الصبر بالفكر، فإذا فكّرت في الدّنيا لم تجدها أهلا لأن تكرمها بهوان الآخرة؛ لأنّ الدنيا دار بلاء و منزل بلغة.

و قال: إذا أردت الغنىٰ[2] فاطلبه بالقناعة، فانه من لم يكن له قناعة فليس المال مغنيه.

---

١. فأما: ص. ٢. الفناء: ص.

و قال: اعلم أنّ من علامة تنقّل[1] الدّنيا و كدر عيشها أنه لا يصلح منها جانب إلا بفساد جانب آخر، و لا سبيل لصاحبها إلى عز إلّا بإذلال، و لا باستغناء إلّا بافتقار. فلقد صدق من قال:

نوش و نيش جهان كه پيش و پس است
در دُم و در دَم يكـــــى مگس است

ثم قال: و اعلم أنها ربما اصبت [حاجتك منها[2]] بغير حزم في الرأي و لا فضل في الدين، و إن اصبت حاجتك منها و أنت مخطئ، و أو أدبرت عنك و أنت مصيب، فلا يستحقك ذلك[3] إلى معاودة الخطأ و مجانبة الصواب.

و قال: لا تبطل لك عمرا في غير نفع، و لا تضع لك مالا في غير حق، و لا تصرف لك قوة في غير غنىً[4]، و لا تعدل لك رأيا في غير رشد، فعليك بالحفظ لما أتيت من ذلك، و الجد فيه، و خاصة في العمر الذي كل شيء مستعار سواء، و إن كان لابد لك من اشغال[5] نفسك بلذة، فليكن في محادثة العلماء و درس كتب الحكمة.

و قال: اعلم أنه ليس من أحد يخلو من عيب و لا من حسنة، فلا يمنعك عيب رجل من الاستعانة به فيما لا نقص به فيه، و لا يحملنك ما في رجل من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة به عنده عليه، و اعلم أن كثرة أعوان السوء أضر عليك من فقدان إخوان الصدق.

و قال: العالم يعرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلا، و الجاهل لا يعرف العالم؛ لأنّه لم يكن عالما.

و قال: ليس طلبي للعلم طمعا في بلوغ قاصية، و لا للإستيلاء على عائبة[6]، و لكن التماسا لما لا يسع جهله، و لا يحسن بالعاقل خلافه.

و قال: اطلب الغنى الذي لا يفنىٰ، و الحياة التي لا تتغير[7]، و الملك الذي لا يزول، و البقاء الذي لا يضمحل.

---

١. تنقّل: ص. ٢. لا توجد في ص. ٣. بذلك: ص.
٤. غناء: ص. ٥. اشتغال: ص. ٦. عايبة: ص.
٧. يتغير: ص.

و قال: أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك.

و قال: افترص على عدوك الفرصة، و اعلم أن الدهر دول.

و قال: لا تصادم من كان على الحق، و لا تُحارب من كان متمسكا بالدين.

و قال: لا فخر فيما يزول، و لا غنى فيما لا يثبت.

و قال: لا تبرح السلامة لنفسك، حتى يسلم[١] الناس من جورك، و لا تعاقب غيرك على أمر ترخص فيه لنفسك.

و قال: الصدق قوام أمر الخلائق.

و قال: من أفرط في اللّوم كره الناس حياته.

[و[٢]] قال: من مات محمودا كان أحسن حالا ممن عاش مذموما.

و قال: من نازع السلطان مات قبل يومه.

و قال: من أسرف في حبّ الدنيا مات فقيرا، و من قنع مات غنيا.

و قال: بذل ماء الوجه إلى الناس هو الموت الأصغر. و من هذا قال بعض الأكارم بالنظم الفارسي:

آبرو یک قطرهٔ آب است چون از چهره ریخت
پایهٔ ایوان دولت را کم از سیلاب نیست

و قال في الأثولوجيا[٣]: النفس ليست في البدن، بل البدن في النفس، لأنها أوسع منه و أبسط، و من أراد أن ينظر إلى صورة نفسه المجردة فليجعل من الحكمة مرآة.

و قال: كن رحيما رؤوفاً و لا تكن رحمتك و رأفتك فسادا لمن يستحق العقوبة، و يصلحه الأدب. و لله درّ من قال:

مرض جهل بدسگالان را — داروی نوشخند زهر جفاست
ای بسا زخم‌ها که بر مردم — مرهم افزود رنج و نشتر کاست

---

١. تسلم: ص.
٢. لا توجد في ص.
٣. أثولوجيا: ص. و هي تسمية يونانية للعلوم الالهية.

و من كلام مولانا أميرالمومنين سلام الله عليه في نهج [1] البلاغه المكرمة: ردّوا الحجر من حيث جاء، فإنّ الشر لا يدفعه إلا الشر [2]. الحجر كناية عن الشر، و ردّه من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله. كما قال من قال:

و في الشر نجـــــاة حـــــيـ ـــــن لا يـــنجيك إحســـــان

و لا يخفى انّ هذا ليس عامّا بل يحمل ذلك على شر لا يندفع إلا بمثله.

حكى أن الحكيم ديوجانس الكلبي رأى امرأة قد حملها الماء، فقال: على هـذا المـعنى جرى المثل: دع الشر يغسله الشر.

و قال: الجاهل عدو لنفسه، فكيف يكون صديقا لغيره!!

و مما كتب أرسطو إلى الاسكندر الملك: ليكن غضبك أمراً بـين المـنزلتين، لا شـديدا قاسيا، و لا فاترا ضعيفا، فان ذاك من أخلاق السباع، و هذا من أخلاق الصبيان.

يحكى أن أنوشيروان [كان [3]] يغضب فيشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف، فأعطى كل صحيفة رجلا؛ و قال للأول: إذا اشتد غضبي فقم إليَّ بهذه الصحيفة. و قال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فاعطنيها؛ و للثالث: إذا ذهب [غضبي [4]] فناولنيها. و كان في الأولى: اقصر ما أنت و هذا الغضب، أنك لست بإله، إنما أنت بشر أوشك أن يأكل بعضك بعضا، فسكن بعض غضبه. و في الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فسكن غضبه. و في الثالثة: خذ الناس بحق الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذاك.

و أيضا مما كتب أرسطو إلى الاسكندر [5]: أما بعد، فإن الدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، و ما كان عليك لم يدفع بقوتك، و إذا أعطاك اللّه ما تحب من الظفر، فافعل ما أحب من العفو.

و في وصاياه له: إن الأردياء [6] ينقادون بالخوف، و الأخيار ينقادون بالحياء، فميِّز بين

---

١. النهج: ص. ٢. النهج: ص. ٣. لا توجد في ص.
٤. لا توجد في ص. ٥. اسكندر: ص. ٦. الأردناء في المعجم الوسيط: مص.

الطبقتين، و استعمل في أولئك الغلظة و البطش، و في هؤلاء الإفضال و الإحسان.

و من مواعظه له: إذا صفت لك السلامة فجدد ذكر العطب، و إذا اطمأنّ بك الأمن فاستشعر الخوف، و إذا بلغت نهاية الأمل فاذكر الموت، و إذا أحببت[١] نفسك فلا تجعل لها في الإساءة نصيبا.

و من آدابه التي كان يعلمها الاسكندر: السعيد مِن الناس مَن العقل أوفر طباعه، و العلم أفضل ذخائره، و لا يغنيه إلا القناعة، و لا يوجب له الزيادة إلا الشكر، و لا يدفع له المكاره إلا الدعاء.

و من كلامه: ليكن ما تكتب من خير ما تقرأ، و ما تحفظ من خير ما تكتب.

و قال: أنا أسأل الخالق أن يسلمني[٢] من الدنيا، و أن يسلم أهلها مني.

و قال: من لم يقدر على فعل فضيلة، فلتكن[٣] همته ترك رذيلة.

و قال: لا ينبغي أن تأخذ نفسك بالعلوم، قبل أن تنفي عنها العيوب، فإن لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلوم.

و قال: حركة الإقبال بطيئة، و حركة الإدبار سريعة، لأنّ المقبل كالصاعد من مرقاة، و المدبر كالمقذوف به من علو إلى سفل.

و قال: اعلموا أنّ اللّئام أصبر أجساما، و الكرام أصبر نفوسا، و ليس الصبر الممدوح أن يكون جلد الرجل وقاحا على الضرب، أو تكون[٤] رجله قوية على المشي، أو يده قوية على العمل، فإنّ هذا من صفات الدّواب. و لكن يكون للنفس غلوبا، و للأمور محتملا، و للحزم مؤثرا، و لِلّهو تاركا، و بالمشقة التي يرجو حسن العاقبة مستحقًا، و على مجاهدة الأمور و الشهوات الحيوانية مواظبا.

و قال: عجبت لمن قال فيه أحد خيراً، و ليس فيه خير، كيف يفرح، و عجبت لمن قال فيه أحد شرّا و ليس فيه شر، كيف يَغضب! و اعجب من ذلك من أحبّ نفسه على اليقين، و أبغض غيره على الشك.

---

١. أحب: ص. ٢. يسلمين: ص. ٣. فليكن: ص.

٤. يكون: ص.

و قال: دفع الشر بالشر رذيلة، و دفعه بالخير فضيلة.

و قال: إذا غابت النفس عن الحكمة عميت عن نفسها و غيرها، كما يعمى البصر عن نفسه، و عن غيره إذا غاب عنه المصباح.

و قال: الجهال مضرة لصاحبه، و منفعة للناظر إليه.

و قيل له: ما الشيء الذي لا ينبغي أن يقال و إن كان حقا؟ فقال: مدح الإنسان نفسه.

و أعاد على تلميذ له مسألة، فقال له: أفهمت؟ قال التلميذ: نعم. قال: لا أرى آثار الفهم عليك. قال: و كيف ذلك؟ قال: لا أراك مسروراً، و الدليل على الفهم السرور.

و قال: خير الأشياء أجدّها إلا المودّات فإنّ خيرها أقدمها.

و قال: كلام العجلة موكل به الزلل.

و مات للاسكندر ولد، فدخل عليه أرسطو، فقال: غم لا مردّ له، خلقٌ من لا عقل له.

أقول: إنّ مولانا علي بن أبي طالب سلام الله عليه قد عزّى رجلاً و قال: إن صبرت جرت عليك المقادير و أنت مأجور، و إن جزعت جرت عليك المقادير و أنت موزور[۱]. و قد عزّى أيضا عليه‌السلام قوما عن ميّت مات لهم، فقال: إن هذا الأمر ليس بكم بدأ و لا إليكم انتهىٰ[۲]، و قد كان صاحبكم هذا يسافر[۳]، فعدّوه في بعض سفراته، فإن وفد عليكم و إلا قدمتم عليه[٤]. فلنعم ما قال:

بــر آن گــروه بــخندد فــلك كــه از بــدنى
چـــو روح دامــن ازو دركشــيد مــى‌گريند
همه مسافر و ايـن بس عـجب كـه طـايفه‌اى
بــر آن كــه زود بــه مـنزل رسـيد مـى‌گريند

و أمر أرسطاطاليس عند موته أن يدفن[٥]، و يبنى عليه بيت مثمن، يكتب على كل ثمن منه كلمة من هذه الكلمات الجامعات لجميع الأمور، التي بها يصلح[٦] الناس: العالم بستان

---

۱. مازود: ص. ۲. انتهاء: ص. ۳. مسافر: ص.
٤. قصار الحكم: ۳۵۷. ٥. يدفنه: ص. ٦. يصلحه: ص.

ساقيه الدولة، الدولة سلطان محجته الشريعة، الشريعة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكفلهم المال، المال رزق يجمعه الرعية، الرعية عبيد يستملكهم العدل، العدل ألفة بها صلاح العالم.

و كان أرسطوطاليس معلم الاسكندر و مؤدبه في عمل سياسة رعيته، و سيرة ملكه، و انقمع به الشرك في بلاد اليونانيين، و ظهر الخير، و فاض العدل.

و حكى أنه لمّا فرغ من تعليم الاسكندر دعا به فسأله عن مسائل في سياسة العامة و الخاصة، فأحسن الجواب عنها، فأناله غاية[1] ما كره من الضرب و الأذى، فسئل عن هذا الفعل. فقال أرسطو: هذا غلام يرشح للملك، فأردت أن أذيقه طعم الظلم؛ ليكون رادعا عن ظلم الناس.

أقول: تكفيك[2] منزلة العدل عند اللّه تعالى، و ارتفاع شأنه افتخار سيد المخلوقات و أشرف الممكنات صلوات الله و تسليماته عليه و آله بولادته في زمان أنوشيروان الملك مع كفره، بقوله عليه و آله أكمل التحيات: ولدت في زمن الملك العادل. و كان كسرى أنوشيروان قد فتح بابه، و رفع حجابه، و بسط إذنه لكل واصل إليه. فقال له رسول ملك الروم: لقد أقدرت على عدوك بفتح بابك، و رفع حجابك. فقال أنوشيروان أتحصّن من عدوي بعدلي، و إنما انتصبت هذا المنصب، و جلست هذا المجلس لقضاء الحاجات و كشف الظلامات، فإذا لم تصل الرعية إليّ فتى أقضي الحاجة، و أكشف الظلامة؟

قال بعض الحكماء: السلطان الجائر الذي يغصب مال رعيّته كمن يأخذ التراب من أساس داره يبني به أعاليها. و نعم ما قال:

لكل ولاية لابد عزل	و صرف الدهر عقد ثم حلٌّ
و أحسن سيرة يبق لوالٍ	على الأيام إحسان و عدلٌ

و لأرسطوطاليس في جميع علوم[3] الفلسفة كتب شريفة، بعضها في التعليمية و بعضها في الطبيعية و الالهية. فأما الكتب التي في العلوم التعليمية فكتابه في المناظر، و في الخطوط، و

---

١. فناله بغاية: ص. ٢. يكفيك: ص. ٣. العلوم: ص.

في الحيل. و أما التي في العلوم الطبيعية، فمنها ما يتعلم منه الأمور التي تعمّ[1] جميع الطبائع، أو الأمور التي تخص[2] كل واحد منها. فالأول هى كتابه المسمى بسمع الكيان، فهذا الكتاب يعرف بعد المبادئ لجميع الأشياء الطبيعية، و بالأشياء التي هي كالمبادئ، و بالأشياء التوالي للمبادئ، و بالأشياء المشاكلة للتوالى. أما المبادئ فالعنصر و الصورة، و أما التي كالمبادئ و ليست مبادئ بالحقيقة بل بالتقريب فالعدم، و أما التوالي فالزمان و المكان، و أما المشاكل للتوالي فالخلاء و الملاء، و ما لا نهاية له. و أما التي يتعلم منها الأمور الخاصّة[3] لكل واحد من الطبائع، فبعضها في الأشياء التي لا يكون لها، و بعضها في المكونة؛ أما الاول فالأشياء التي يتعلم من المقالتين الأوليين من كتاب السماء و العالم، و أما الثاني فبعض علمها عامي، و بعضها خاصي، و العامي بعضه في الاستحالات، و بعضه في الحركات. أما الاستحالات ففي كتاب الكون و الفساد، و أما الحركات ففي المقالتين الأخريين من كتاب السماء و العالم. و أما الخاصي فبعضه في البسائط، و بعضه في المركبات. أما الذي في البسائط ففي كتاب الآثار العلوية، و أما الذي في المركبات فبعضه في وصف كليات الأشياء المركبة، و هذا في كتاب الحيوان و النبات، و أما الذي في وصف أجزاء المركبات ففي كتاب النفس، و كتاب الحس و المحسوس، و كتاب الصحة و السقم، و كتاب الشباب و الهرم. و أما الكتب التي في العلوم الالهية فمقالاته الثلاثة عشر، التي في كتاب ما بعد الطبيعة. و أما الكتب التي في أعمال الفلسفة، فبعضها في إصلاح أخلاق النفس، فكتابه الكبير، الذي كتب به الى ابنه، و كتابه الصغير الذي أيضا كتبه[4] لابنه، و كتابه المسمى اوذيميا. و أما التي في السياسة، فبعضها في سياسة المدن، و بعضها في سياسة المنزل.

و أما الكتب التي في الآلة المستعملة في علوم الفلسفة، فهي كتبه الثمانية المنطقية، لم يسبقه أحد ممن علمناه إلى تأليفها، و لا تقدمه إلى جمعها، و قد ذكر ذلك أرسطوطاليس في آخر الكتاب السادس منها، و هو كتاب سوفسطيقا، فقال: و أما صناعة المنطق فلم نجد لها فيما خلا أصلاً يبنى عليه، لكنّا وفّقنا على ذلك بعد الجهد الشديد، فهذه الصناعة و إن كنا نحن

---

١. يعم: ص. ٢. يخص: ص. ٣. الخاصية: ص.
٤. كتب: ص.

ابتدعناها فقد حصنّا جهتها، و رممّنا أصولها، و لم تفقد[1] شيئاً مما ينبغي أن يكون موجودا فيها، كما فقدت أوائل الصناعات، لكنها كاملة مستحكمة، مثبتة أساسها، مرقومة قواعدها، وثيق بنيانها، معروفة غاياتها، واضحة أعلامها، قد قدمت أمامها أركان ممهّدة، و دعائم موطّدة، فمن عسى أن يرد عليه هذه الصناعة بعدنا فليغتفر خللا إن وجده فيها، و ليعتدّ[2] بما تلقيه[3] الكلفة منا اعتداده بالمنة العظيمة واليد الجليلة، و من بلغ جهده فقد بلغ عذره.

أقول: الإنصاف أنّ مَن أتقن المنطق فهو على مدرجة من سائر العلوم، و من طلب العلوم التي هي غير متسقة، و هي ما لا يؤمن فيها الغلط، و لا يعلم المنطق، فهو كحاطب ليل، و كرامد العين، لا يقدر على النظر إلى الضوء، لا لبخص من الموجد، بل لنقصان الإستعداد، نسبته إلى الرؤية، كنسبة النحو إلى الكلام، و العروض إلى الشعر، إلا أنه قد يستغنى عنهما بالفصاحة و سلامة الذوق، و لا يستغنى عن المنطق في طلب الكمال، إلا أن يكون الإنسان مؤيدا بتأييد سماويّ، و قد صح بشهادة المفسرين لكلام المعلم أنه مدوّنه، شكر الله سعيه و اعلى[4] قدره.

قال العلامة في شرح حكمة الاشراق: و قد يقال للمنطق ميراث ذي القرنين.

أقول: كان المعلم المذكور دوّن المنطق لأجل الاسكندر الملك، و لهذا يقال ميراثه: لأنه لولاه لما دوّنه و هذّبه. ثم قال العلامة: و قد بذل له خمسمائة ألف دينار، و أدرّ عليه كل سنة مائة و عشرين ألف دينار. ثم لا يخفى أن أرسطوطاليس جعل أجزاء المنطق ثمانية، كل جزء منها في كتاب: الأول في قوانين المفردات من مقولات الألفاظ الدالة، و هي في الكتاب الملقب باليونانية القاطيغورياس، و بالعربية المقولات.

الثاني في قوانين الألفاظ المركبة من لفظتين، و هي في كتاب باريمينياس، و بالعربية العبارة.

الثالث فيه الأقاويل التي تميز بها القياسات المشتركة للصنائع الخمس، و هي في كتاب انولوطيقاء الاول، و بالعربية القياس.

---

١. يفقد: ص.　　٢. لنعتمد: في ص.　　٣. يلقيه: ص.

٤. و جهش: ص.

الرابع فيه القوانين التي تمتحن[١] بها الأقاويل البرهانية، و قوانين الأمور التي تلتئم[٢] بها الفلسفة، و كلّما يصير بها صارت[٣] أفعالها أتم و أفضل و أكمل، و هو أنالوطيقاء الثاني، و بالعربية كتاب البرهان.

الخامس فيه القوانين التي تمتحن[٤] بها الأقاويل، و كيفية السؤال الجدلي، و الجواب الجدلي، و بالجملة القوانين للأمور التي تلتئم[٥] بها صناعة الجدل، و تصير[٦] بها أفعالها أكمل و أتم، و هو باليونانية طوبيقا، و بالعربية المواضع الجدلية.

السادس فيه قوانين الأشياء التي من شأنها أن يغلط عن الحق، و أحصى جميع الأمور التي يستعملها من قصد التمويه، و المحرفة في العلوم و الأقاويل، ثم من بعدها أحصى ما ينبغي به الأقاويل المغلطة، التي يستعملها المستمع و المموّه، و كيف يفسخ، و بأي الأشياء يوقع، و كيف يحترز الإنسان و من أين يغلط في مطلوباته. و هذا الكتاب يسمى باليونانية سوفسطيقا، و معناه الحكمة المموّهة.

السابع فيه القوانين التي تمتحن[٧] بها الأقاويل الخطابية[٨]، و أصناف الخطب، و أقاويل البلغاء و الخطباء، و هل هي على مذهب الخطابة أم لا، و يحصى فيه جميع الأمور التي بها تلتئم[٩] صناعة الخطابة، و يعرف كيف صنعة الأقاويل الخطابية[١٠]، و الخطب في [كلّ[١١]] فن من الأمور، و بأي الأشياء يصير أجود و أكمل، و تكون[١٢] أفعالها أنفع و أبلغ. و هذا الكتاب يسمى البريسطورية، و هو بالعربية الخطابة.

الثامن فيه القوانين التي يُشار[١٣] بها [إلى[١٤]] الاشعار و أصناف الأقاويل الشعرية المعمولة، التي تعمل[١٥] في [كلّ] فن من الأمور، و يحصي أيضا جميع الأمور التي يلتئم[١٦] [بها[١٧]] صناعة الشعر، و كم أصنافها و كم أصناف الاشعار، و الأقاويل الشعرية، و كيف

---

١. يمتحن: ص.
٢. يلتام: ص.
٣. صار: ص.
٤. يمتحن: ص.
٥. تلتئم: ص.
٦. يصير: ص.
٧. يمتحن: ص.
٨. المخطبية: ص.
٩. يلتام: ص.
١٠. المخطبية: ص.
١١. لا توجد في ص.
١٢. يكون: ص.
١٣. يشير: ص.
١٤. لا توجد في ص.
١٥. يعمل: ص.
١٦. يلتام: في ص.
١٧. لا توجد في ص.

صنعة كل صنف منها، و من أيّ الأشياء يعمل، و بأيّ الأشياء يلتئم[١] و يصير أجود و أفهم، و بأيّ الأحوال ينبغي أن يكون حتى يصير أبلغ. و هذا الكتاب يسمى فونطيقا، و هو بالعربية كتاب الشعر.

فهذه جملة أجزاء المنطق، و جملة ما يشتمل عليه كل جزء منها، و إنا قد فصلنا و أطلنا و أوردنا ذلك، حتى ظهر طريق تعليمه في اختراع قوانين يشد بها المنطق بالمعاني الذهنية، و وجه تسميته بالمعلم الاول.

و رأيت في بعض الكتب أنه كتب إلى المسيح على نبينا و عليه‌السلام: يا طبيب النفوس المريضة بداء الجهالة، المكتنفة بأكناف الرذالة، المنغمسة في العوائق البدنية، المكدّرة بالكدورات الطبيعية[٢]، و يا موقظ القوم من رقدة الغافلين، و منبّه العباد من مضيق الجاهلين، يا منجي الهلكي، و يا غياث من استغاث، إنّ ذاتا هبطت و أغبرت و تذكرت فنعت، فهل إلى وصول من سبيل؟ فأجاب المسيح سلام الله عليه: يا من شرفك الله تعالى بالاستعدادات العقلية، و الرموزات النقلية، كن طالبا لتنوير النفس بالأنوار الإلهية القدسية، الجاذبة من الدار الفانية إلى الدار الباقية، التي هي محل الأرواح الطاهرة و النفوس الزاكية، فإن مجرد العقل غير كاف في الهداية إلى الصراط المستقيم. و للمؤلف بالنظم الفارسي: ـ

عقل را ره به حريم حرم عرفان نيست
توسن فكر درين باديه سرگردان است

و المنقول أن أستاذه أفلاطون[٣] عذله على ما أظهره من الحكمة، و صنفه من الكتب. فأجابه معتذرا: أما أبناء الحكمة و ورثتها فينبغي أن ينحوها، و أما أعداؤها و الزاهدون فيها، فلن يصلوا إليها لجهلهم فيها، و رغبتهم عنها، و تفاديهم منها لعسرها عليهم، و قد حصّنتُ[٤] الحكمة مع اياحتي إياها تحصينا منيعا لئلّا يُسوّرَها السفهاء، و لا يصل إليها

---

١. يلتام: ص. ٢. الطبيعة: ص. ٣. أفلاطن: ص.
٤. حظت: ص.

الجهلاء، و لا يتناولها الأشقياء، و ينظمها نظما. لا يعبأ بها[١] إلا الأفراد من الحكماء، و لا ينتفع بها الجحدة الكذبة المردة.

و قال الفاضل الشهرزوري في تاريخه: و رأيت في سياسات الملوك التي ترجمها ابن البطريق للمأمون، أن هذا الحكيم الفاضل كثيراً ما يعدّه[٢] علماء اليونان[٣] في عداد الأنبياء.

أقول: و يؤيد هذا القول ما نقلنا في مقدمة الكتاب عن السيد الطاهر رضي الدين علي ابن طاوس في كتاب فرج المهموم[٤] في معرفة الحلال و الحرام من علم النجوم.

و لقد أتى في كثير من تواريخ اليونان[٥]، أن الله سبحانه و تعالى أوحى إليه أني أن أسمّيك ملكا، أقرب منك أن أسمّيك إنسانا. و له حكايات غريبة عظيمة يطول ذكرها، حتى قيل إنه ارتفع إلى السماء، و هو أعلم بأحوال العباد و حقائق الأشياء.

[١٥]ـ الحكيم الملك اسكندر الرومي الملقب بذي القرنين:

هو ابن فيلقس الملك بن افيطس الملك، و هو الذي حارب دارا بن دارا ملك فارس فقتله، و تملك فارس[٦] أيضا، و لذا قال بعضهم: سمي بذي القرنين. و اختلف أهل الأخبار في أمر ذي القرنين المذكور في القرآن، هل هو هذا الاسكندر الرومي ابن فيلقس، أم لا؟ ذكر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل و النحل: أنه ليس هو المذكور في القرآن، و لعل هذا القول أقرب إلى[٧] القبول، و أليق بالتحقيق عند ذوي العقول، لأن تسليمه أبوه إلى أرسطاطاليس الحكيم للتأديب و التعليم ـ كما سننقل عن تواريخ الحكماء ـ غير لائق[٨] بمرتبة النبوة، عند من ذهب إلى أن الاسكندر المذكور في التنزيل العزيز هو أكبر أنبياء المرسلين، معللا بأن الخطاب بياذا القرنين عن الملك[٩] الوهاب يختص بالنفوس الكاملة القدسية، و يعضد قول صاحب الملل و النحل ما في كتاب روضة الصفا: أن ذا القرنين الأكبر المذكور في القرآن، بعث بعد صالح النبي، و قبل إبراهيم الخليل عليه السلام؛ و قال: و الأصح أن هذا

---

١. يعباها: ص. ٢. تعدّه: ص. ٣. اليونانيين: ص.
٤. الهموم: ص. راجع أعيان الشيعة: ٨ / ٣٦٢. ٥. اليونانيين: ص.
٦. الفارس: ص. ٧. بالقبول: ص. ٨. لائقة: ص.
٩. ملك: ص.

غير الاسكندر الرومي، لأن نسب الإسكندر[١] الاول ينتهي بيافث بن نوح، و الاسكندر الصغير الرومي من أعقاب عيص بن إسحاق من أولاد سام بن نوح[٢]. قال: و قد صرح بهذا عماد الدين في كتابه بداية النهاية.

و قال سنان بن ثابت في جامعه: إن محل إقامة ذي[٣] القرنين الأكبر في بلاد الإفرنج، و له مملكة عظيمة وسيعة، و يشتغل دائما بجهاد الكفار، حتى انتهى إلى ديار المغرب، و فيها أصناف من الكفرة، فمكث في تلك الديار سنة لهدايتهم[٤] إلى توحيد الله عز مجده، فلم يهتدوا به، فحاربهم و قتلهم و انقطع نسلهم، و أقام في بلادهم جسماً من الموحدين، الذين من جملة عسكره، فرجع اسكندر الأكبر إلى بيت المقدس، ثم سافر و وصل إلى مدينة عظيمة قريبة بمارن يأجوج و مأجوج، و فيها أمة عظيمة كثيرة، و واليهم رجل حسن الخلق، لطيف الصورة و السيرة، فلما سمع[٥] الوالي بوصول[٦] الاسكندر في ناحية مملكته، قد أهداه بهدايا نفيسة كثيرة، ثم استقبله و لاقاه و أدخله في ملكه، و قبل شريعته و أطاعه. و لما كانت[٧] هذه الأمة في ضيق و شدة من ذراري يأجوج و مأجوج و لا يمكنهم مقاومتهم[٨]، قد اشتكوا شدائدهم بحضرة الاسكندر، و التمسوه رفع ظلامتهم، فتكفل الاسكندر ببناء السد بينهما، حتى لا يصل أذى ذراري يأجوج و مأجوج إليهم[٩]، فبنى السد كما في القرآن العزيز، و صفة السد مذكور في السير و التواريخ.

و ذكر التفتازاني في شرح المشارق: أن يأجوج و مأجوج ـ مهموزين ـ من أولاد يافث، و قيل يأجوج من الترك، و مأجوج من الجيل و الديلم.

قيل كانوا يأكلون الناس، و يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، و يمرون بدجلة[١٠] فيشربونها حتى تصير[١١] يابسة فيمر بها الذين من بعدهم، فيقولون: لقد كان بهذا المكان ماء، مرّة.

---

١. اسكندر: ص. ٢. اسكندر: ص. ٣. ذو: ص.
٤. لاهدائهم: ص. ٥. استمع: ص. ٦. وصول: ص.
٧. كان: ص. ٨. المقاومة معهم: ص. ٩. عليهم: ص.
١٠. بالدجلة: ص. ١١. يصير: ص.

و هم صنفان: طوال مفرطوا الطول، و قصار مفرطوا القصر و روي يأتون البحر فيشربون ماءه، و يأكلون دوابّه ثم يأكلون الشجر، و يظهرون على الأرض، و لا يقدرون أن يأتوا مكة و المدينة و بيت المقدس، ثم يبعث الله دودا فيدخل آذانهم فيموتون.

و روى الصدوق في كتاب كمال الدين و تمام النعمة عن الأصبغ بن نباتة، قال: قام ابن الكوّاء إلى مولانا على بن أبي طالب سلام الله عليه، و هو على المنبر، و قال: يا أمير المومنين: أخبرني عن ذي القرنين، أَنبيّاً كان أم ملكاً؟ و أخبرني عن قرنيه أذهباً كانا أو فضة؟ فقال عليه‌السلام له: لم يكن نبيا و لا ملكا، و لا قرناه من ذهب و لا فضة، و لكنه كان عبداً أحب اللّه فأحبه اللّه، و نصح اللّه فنصحه اللّه، و إنما سمّي ذا القرنين، لأنه دعا قومه فضربوه على قرنه، فغاب عنهم حينا، ثم عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر، و فيكم مثله. و روي في حديث آخر أنه سأل رجل علياعليه‌السلام: أ رأيت ذا القرنين كيف استطاع أن يبلغ المشرق و المغرب؟ قال: سخر له السحاب، و مد له في الأسباب، و بسط له النور، و كان له الليل و النهار سواء.

و في كتاب اعلام الورى، بحذف الإسناد، عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً، جعله اللّه حجة على عباده، فدعا قومه إلى اللّه عزوجل، و أمرهم بتقواه فضربوه على قرنه فغاب عنهم زمانا، حتى قيل مات أو هلك، بايّ واد سلك، ثم ظهر و رجع إلى قومه، فضربوه على[1] قرنه الآخر. و فيكم من هو على سنته، و أن الله مكّن لذي القرنين في الأرض، جعل له من كل شيءٍ سببا، و بلغ المشرق و المغرب، و أن الله سبحانه سيجري سنته في القائم من ولدي، و يبلغه شرق الأرض و غربها حتى لا يبقى موضعا من سهل و لا جبل وطئه ذو القرنين إلا وطئه، و يظهر اللّه له كنوز الأرض و معادنها، و ينصره اللّه بالرعب، و يملأ الأرض به عدلا كما ملئت جورا.

و قال وهب بن منبه: وجدت في بعض كتب اللّه عزوجل: أن ذا القرنين لما فرغ من عمل السد، انطلق على وجهه، فبينا هو يسير و جنوده اذ مرّ على شيخ يصلّي، فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته. فقال له ذو القرنين: كيف لم يروّعك ما حضرك من الجنود؟ قال:

---

۱. إلى: ص.

كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك، و أعز سلطانا، و أشد قوة. و لو صرفت وجهي إليك، لم أدرك حاجتي قبله. فقال ذواالقرنين: هل لك في أن تنطلق[١] معي، و أواسيك بنفسي، و أستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم، إن ضمنت لي أربع خصال: نعيا لا يزول، و صحة لا سقم فيها، و شبابا لا هرم فيه، و حياة لا موت فيها. فقال له ذو القرنين: و أيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال؟! فقال الشيخ: فإني أطلبها[٢] ممّن يقدر عليها و يملكها.

فبينا هو يسير إذ وقع إلى الأمّة العالمة من قوم موسى، الذين يهدون بالحق و به يعدلون. فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم، فإني زرت الأرض شرقها و غربها، برّها و سهلها و جبلها، و نورها و ظلمتها، فلم ألق مثلكم فاخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسى[٣] الموت، و لا يخرج ذكره من قلوبنا. قال فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا لص و لا ضنين[٤]، و ليس فينا إلا أمين. قال: فما بالكم ليس عليكم أمير؟ قالوا: لأنّا لانتظالم. قال: فما بالكم لا تتفاضلون[٥] و لا تتفاوتون[٦]؟ قالوا: من قبل إنا متواسون متراحمون. قال: فما بالكم لا تتنازعون و لا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا و صلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم لا تسبّون[٧] و لا تقتلون؟ قالوا: من قبل إنا غلبنا طبائعنا بالعزم، و سسنا أنفسنا بالحلم. قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، و طريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل إنا لا نتكاذب و لا نتخادع، و لا يغتاب[٨] بعضنا بعضاً. قال: فاخبروني لم ليس فيكم مسكين و لا فقير؟ قالوا: من قبل إنا نقسّم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ و لا غليظ؟ قالوا: من قبل [أن فينا[٩]] الذل و التواضع. قال: فلم جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل إنا نتعاطى[١٠] الحق، و نحكم بالعدل. قال: ما بالكم لا تقحطون؟ قالوا من قبل إنا لا نغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تصيبكم[١١] الآفات؟ قالوا: من قبل إنا لا نتوكل على غير اللّه عزوجل، و لا نستمطر الأنواء و النجوم. قال:

---

١. ينطلق: ص.
٢. يطلب من: ص.
٣. ينسنا: ص.
٤. ظنين: ص.
٥. يتفاضلون: ص.
٦. يتفاوتون: ص.
٧. يسبون: ص.
٨. نغتاب: ص.
٩. لا توجد في ص: مص.
١٠. لا نتعاطى: ص.
١١. يصيبكم: ص.

فحدّثوني أيّها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، و يواسون فقيرهم، و يعفون عمن ظلمهم، و يحسنون إلى من أساء إليهم، و يستغفرون لمسيئهم، و يصلون أرحامهم، و يؤدّون أمانتهم، و يصدقون و لا يكذبون، فأصلح اللّه بذلك أمرهم. فأقام عندهم ذوالقرنين حتى قبض؛ و كان له خمسمائة عام، انتهى مقاله.

و أما هذا الاسكندر الرومي، فالأصلح أنه كان بعد موسى، و قبل عيسى عليه السلام، لأنه ذكر هارون بن غرور الراهب في تاريخه، أن جميع السنين من آدم عليه السلام إلى ملك دارا بن سام، و هو أول ظهور الاسكندر ذي‌القرنين خمسة آلاف و مائة و ثمانون سنة و عشرة أشهر، على موجب التاريخ الذي عند اليونانيين، و هو تاريخ التوراة المنقول[1] إلى اليونانيين، و جميع سِنِيّ العالم من آدم إلى مولد المسيح خمسة آلاف و خمسمائة سنة و أربع سنين، فظهر أن الإسكندر قبل المسيح، و قد سلمه أبوه إلى أرسطاطاليس الحكيم، و وصاه بتعليمه و تأديبه، فأقام عنده خمس سنين، يتعلم منه الحكمة و الأدب، حتى بلغ أحسن المبالغ، و نال من الفلسفة ما لم ينله سائر تلاميذه، و نيقوماخس أبو ارسطو ـ أيضا ـ طبيب أفيطس، الذي هو جد الإسكندر ـ كما سبق ـ. و كان الاسكندر أشقر، أزرق، لطيف الخلقة، و كانت عيناه مختلفتين[2]، احداهما شديدة[3] الزرقة، و الأخرى تميل[4] الى السواد، و احداهما تنظر[5] إلى الفوق، و الأخرى إلى الأسفل، و أسنانه دقيقة حادة الرؤوس، و كان وجهه كوجه الأسد، شجاعا، جريئاً[6] على الحروب منذ صباه، و أبوه تملك الروم مع بلاد يونان في مدة سبع سنين، و كان ملوك فارس قد غلبوهم[7]، و جعلوا على ملوك الروم خراجا يؤدّونه[8] إليهم كل سنة، فلما مات أبو الاسكندر، و جلس الاسكندر مكانه، أتته رسل ملك فارس و هو دارا بن دارا لطلب الخراج، و ذكر أنهم يؤدون كلّ سنة ألف بيضة من ذهب؛ فقال الإسكندر للرسل قولوا للملك: إن الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب ماتت. فلسنا نجد شيئاً من ذلك حتى نرسله[9] إليك: و من هذا قال:

---

۱. المنقولة: ص. ۲. مختلفين: ص. ۳. شديد: ص.
٤. يميل: ص. ٥. ينظر: ص. ٦. جريا: ص.
۷. قد غلب عليهم و جعل: ص. ۸. يؤدّيها: ص. ۹. يرسله: ص.

شد آن مرغ كو بيضه زرين نهاد زمـانه دگـر گـونه آيـين نـهاد

فرد الاسكندر الرسل.

و لما مات فيلقس و قام ولده اسكندر في الناس، قال: أيها الناس إن ملككم قد مات، و ليس لي عليكم ولاية و لا إمرة، و إنما أنا رجل منكم، أرضى بما رضيتم، و أدخل فيما دخلتم، و لا أخالفكم في شيء من أموركم، فاسمعوا قولي و مشورتي و الزلفة لي، و أنا بمنزلة الناصح لكم، الشفيق عليكم، المكلف بأموركم، فقد عرفتم ذلك مني في حياة والدي، و إني آمركم بتقوى الله، و التمسّك بالطاعة، و لزوم الجماعة، فملّكوا عليكم أطوعكم لربه، و أرفقكم بالعامة، و أغناكم بأموركم، و أرحمكم بمساكينكم، و لا تشغله[1] الشهوات و تأمنون شرّه، و ترجون خيره، و يباشر قتال عدوكم... و هي خطبة طويلة. فلما سمعوا قوله، تعجبوا منه و من رأيه و نظره فيما لم ينظر فيه الملوك مثله، فقالوا له: قد سمعنا قولك، و قبلنا مشورتك، و نصحك لعامتنا، و قد قلدنا أمرنا لك، فعش الدهر علينا ملكا مسلطا، لا نرى أحدا من أهل الدنيا أحق بالملك منك، ثم قاموا إليه فبايعوه، و وضعوا التاج على رأسه، و دعوا له بالبركة. فقال الاسكندر: قد سمعت ثناءكم[2] عليّ، و سروركم بتمليككم إيّاي عليكم، و أنا أسأل اللّه الذي وهبنا منكم المحبة، و أثبت في قلوبكم طاعتي، أن يلهمني العمل بطاعته، و لا يشغلني بشيء من شهوات الدنيا و زينتها عن صلاحكم.

أقول: و لعل الحكمة في امتناع الإسكندر الإمرة، و عدم إظهار الرغبة في التسلطن، و ترغيب الناس لإذعان أمره، أن الطبع حريص على ما منع، و سريع النفرة عما سورع إلى الإجابة، و من هذا الباب ما قد قال مولانا أميرالمؤمنين سلام اللّه عليه، لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان: دعوني و التمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم[3] له القلوب، و لا تثبت عليه العقول، و إن الآفاق قد أغامت، و المحجة قد تنكّرت، و اعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، و لم أُصغ[4] إلى قول القائل و عتب العاتب، و إن

---

١. يشغله: ص. ٢. على ثناكم: ص. ٣. يقوم: ص.
٤. أصنع: ص.

تركتموني فأنا كأحدكم، و لعلي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً[١]. ثم كتب الاسكندر إلى عمال مملكته و صاحب كلّ ناحية: من ذي القرنين إلى فلان و فلان، اللّه ربي و ربكم، و خالقي و خالقكم، و خالق السموات و الأرض، و النجوم و الجبال و البحار، و قذف في قلبي معرفته، و أسكنه خشيته، و ألهمني حكمته، و دلّني على عبادته، فله الحمد على ما تقدم إليَّ من إحسانه و حسن صنيعته إليَّ[٢] و الرغبة في تمامه. و قد علمتم ما كان عليه آباؤنا و آباؤكم من عبادة[٣] الأوثان دون اللّه عزوجل، أنها لا تنفع[٤] و لا تضرّ[٥]، و أنه ينبغي لمن عرف و عقل أن يستحي لنفسه من عبادة و ثن، أو صورة يتخذها، فانتبهوا إلى معرفة ربكم و اعبدوه، و وحّدوه فإنه أولى بذلك من الغير.

و جلس يوماً فلم يسأله أحد حاجة، فقال لأصحابه: و اللّه ما أعد هذا اليوم من أيام عمري في ملكي. قيل: وَلِمَ أيّها الملك؟ قال: لأن الملك لا يجد[٦] التلذذ إلّا بالجود على السائل، و إغاثة الملهوف، و مكافأة المحسن، و إنالة الراغب، و إسعاف الطالب.

و قيل له: ماذا بلغ من حبك لأرسطوطاليس؟ فقال: أما أقصاه فلا ترجمة و لا عبارة عندي له، و لكن أخبر عن أدناه، و ليس هو شيء من جنس محبة المال و الرياسة و الأهل، بل هو شيء لا أحيط به عرفاناً و لا أستطيعه عيانا، إلا أنه لو أمرني أن أخرج عن هذا الصدر لفعلت بلا توان و لا مشورة أحد، و إنما صبرت عنه مترفها له و نيابة، و نشر الفلسفة و السفر يمنعه عن ذلك.

و لما أراد الاسكندر المضيّ إلى البلاد، قال لأرسطوطاليس: أوصني قال: عليك بالعلم، فاستنبط منه ما يجلو[٧] بألسنة الناطقين، و يجذب قلوب السامعين، ينقد لك الرعية من غير حرب.

و ذكر صاحب عجائب المخلوقات: أن ذا القرنين لما استولى على الربع المسكون، أراد الإطّلاع على ما في البحار، فأرسل أربعين سفينة مشحونة بأصحاب التجارب و الأبطال،

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩٢.
٢. إليه: ص.
٣. عبدة: ص.
٤. يتمع: ص.
٥. يطمّ: ص.
٦. يوجد: ص.
٧. تهلو: ص.

فذهبوا مدة مديدة، حتى لقوا سفينة فيها قوم سود الوجوه، زرق العيون، و صار الأمر إلى المحاربة بينهم، و غلب أصحاب ذي القرنين، فقتلوا بعضهم، و أسروا الآخرين، و استخبروهم فلم يجيبوا بما يفهمون، فتحيروا في ذلك، فجاؤا بهم إلى ذي القرنين، فانكحهم جواري حتى توالدوا، و تعلم أولادهم لغة الفريقين، فسألوهم عن أحوالهم، فقالوا: نحن أقوام من بلدة كذا، لنا ملك استولى على البلاد كلها، فلما فرغ عن إحاطة البر، أراد الإطلاع على عجائب البحار، فأرسل أقواما شتّى في السفن إلى البحار، و نحن من جملتهم. فلما سمع ذوالقرنين كلامهم تحيّر من عجائب صنع اللّه تعالى.

و من كلماته الحكيمة و آدابه الحكمية قال: سلطان العقل على باطن العاقل، أشد تحكّما من سلطان السيف على ظاهر الأحمق.

و قال: الذي يريد أن ينظر إلى أفعال اللّه عزوجل مجردة، فليعف عن الشهوات.

و قال: إنّ نظم جميع ما في الأرض شبيه بالنظم السماوي؛ لأنها أمثال له.

أقول: و لعل من هذا قول[١] بعض الأعلام: إن كل ما في هذا العالم، فهو ظل مثالي لموجود فلكي.

و سئل عن[٢] أفضل ما سرّه من[٣] مملكته، فقال: اقتداري[٤] على أن أدرّ الإحسان إلى من سبق منه حسنة إليّ.

و قال: ما نلت في ملكي شيئا أحب إليّ من أني قدرت على المكافأة بالإساءة فعفوت و لم أفعل.

و قال: إن كنت تحب الحياة لأجله، فلا تستعظم الموت بسببه.

أقول لعل مراده لو كنت تحب الحياة الدنيوية لاجل نيلك إربك[٥]، و هو اللذات التي تحسبها أنها اللذات، و ليست إلا المتاعب و الغصص بالحقيقة في صورة اللذة، كما قال من قال:

و لذة دنياك مسمومة فلا تأكل الشهد إلّا بسم

فلا تستعظم ـ أي فلا تستثقل ـ الموت، أي الانقطاع من هذه الدار بسببه، أي بسبب انقطاعك من إربك و هو اللذات غير[١] اللذيذة، فإنه إن كان مطلوبك اللذة، فاللذة الحقيقية الصافية غير[٢] الممزوجة بالآلام موجودة في الدار الباقية، لا تنالها إلا بالدخول فيها.

و قال: استقلل كثير ما تعطي[٣]، و استكثر قليل ما تأخذ، فإن قرة عين الكريم فيما يعطي، و مسرة اللئيم فيما يأخذ.

و قال: لا تجعل الشحيح أمينا، و لا الكذاب خزينا، فإنه لا عفة مع شح، و لا أمانة مع كذب.

و قال: الظفر بالحزم، و الحزم بإجالة الرأي، و إجالة الرأي بتحصين الأسرار.

و قيل له: لو استكثرت من النساء ليكثر ولدك، و يدوم بهم ذكرك. فقال: دوام الذكر بتحسين السير و السنن، و لا يحسن لمن غلب الرجال أن تغلبه[٤] النساء.

و قصد موضعا فحاربته النساء فكف عنهن، و قال[٥]: هذا جيش إن غلبناه مالنا من فخر، و إن كنا مغلوبين[٦]، فذلك فضيحة الدهر.

و قيل إنك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك. قال: إنّ أبي كان سبب حياتي الفانية، و مؤدبي هو سبب حياتي الباقية.

و قيل له: بما نلت هذه المملكة العظيمة على حداثة سنك؟ فقال: باستمالة الأعداء، و تعاهد الأصدقاء و بالإحسان إليهم. و تشاور الحكماء في أن يسجدوا له إجلالا و تعظيما. قال: لا سجود لغير بارئ الكل، بل يحق له السجود على من كساه بهجة الفضائل.

و وجد في عضده صحيفة فيها: قلة الاسترسال إلى الدنيا أسلم، و الإتكال على القدر أروح، و عند حسن الظن بالغير يقع الضرر، و لا ينفع لما هو واقع التوقي.

و رأيت في بعض الكتب، أنه وجد في ذخائر الاسكندر صحيفة مكتوبة باليونانية،

---

١. الغير: ص. ٢. الغير: ص. ٣. يعطى: ص.
٤. يغلبه: ص. ٥. فقال: ص. ٦. مغلوبا: ص.

فسّرت بالعربية: الفلك أدور، و الزمان أجور، و أن حركة الأفلاك أدق من أن تبقى على أحد نعمة، أو تديم عليه نقمة، فإذا ولي العاقل النعمة، فلتكن[١] همته انتهاز الفرص، و تقليد المنن أعناق الرجال، و ليصنع[٢] المعروف، و ليغث الملهوف، فإن النعمة تزول عن قريب، إما بثواب جزيل، أو بخزي طويل، و اعلموا أن الأيام صحائف الدهر، فلا يغرّنكم حال المرء، و انقلاب الزمان عليه، فإن الزمان يجبر كما يكسر، و يكسر كما يجبر. و أنشدوا على ذلك بيتين:

و أحسن ما يولى الجميل إذا أتى ... إلى أهله من أهله في أوانه
و ما كل وقت يدرك المرء نعمة ... يقلدها إخوانه في زمانه

و مما وقع بين الاسكندر و دارا ملك فارس و سائر الملوك و الرؤساء، و تسخيره البلاد على ما نقله ابن الجوزي في تاريخه، و عندي بخطّه، أنه لما رد الاسكندر رسل الذين أرسلهم دارا لأخذ الخراج ـ كما ذكرنا ـ كتب إليه دارا يتهدّده و يتوعده، أن يأتيه بالجنود. فكتب إليه الاسكندر: لا تيقن بالشخوص نجاة[٣]، فإني شاخص إليك. ثم إنه جمع العساكر، و سار إليه حتى غلب بلاد الشام و الجزائر، و توجه نحو العراق، و كان دارا يسكن ناحية الأهواز، فلما سمع بمسير الاسكندر إليه غاظه ذلك، و كتب إليه: بلغني أيّها الصبيّ المتلصص، أنك جمعت قوما من اللصوص، فأقدمت على مملكتي، و اجترأت عليَّ، و إني أحذرك و من معك سطوتي، فارجع إلى أرضك بمن معك، قبل أن تجيئك نقمتي[٤]. و بعث رسلا، و أرسل مع الكتاب درة و ياقوتة و كرة و جرابا من سمسم. فلما قرأ الاسكندر كتاب دارا، أمر برسله فعروا من ثيابهم، و أوثقهم. فقالت الرسل: لا تفعل مثل هذا بالرسل. فقال: لا تلوموني و لوموا صاحبكم، إذ سماني لِصًا، فعاملتكم معاملة اللصوص مع الناس، ثم الرسل تضرعوا إليه، فخلّى سبيلهم، و أطلق سراحهم[٥]، و دعا بالغذاء، و تغذى معهم، ثم خلع لهم و صرفهم، و قال لهم: أخبروا صاحبكم بحالي. و كتب جواب كتاب دارا: أما بعد، فقد بلغني

---

١. فليكن: ص. ٢. ليضع: ص. ٣. نجوى: ص.
٤. يحدثك نقصتي: ص. ٥. أطلق عنهم: ص.

كتابك تهددني و توعدني، و اعلم أني لا أخاف أحداً غير اللّه، و اعلم أنّ اللّه يؤتي[١] الملك من يشاء[٢]، و لا حول و لا قوة إلا باللّه العلي العظيم. فأما ما بعثت إليّ فقد تفاءلت به فالاً حسنا لنفسي، أما الدرّة فهي سوط عذاب اللّه بعثه الله عليكم، و أما الياقوتة فهي قوتي عليكم، و أما الكرة فستصير[٣] مملكتكم في يدى مثل الكرة، و أما جراب السمسم فإنك أردت أنك تخبرني بكثرة جنودك، و اعلم أن السمسم طعام يطحن و يؤكل، و سأطحنك و جنودك، ثم آكلهم. و لكنني بعثت[٤] لك بجراب من خردل، لتعلم أن جنودي أكثر من جنودك، و أن طعمهم مُرّ كطعم الخردل.

فرجعت الرسل إلى دارا، و أخبروه بما شاهدوا من أمر ذي القرنين، ثم أنه سار إلى دارا، و قاتل سبعة أيام قتالا شديدا. و نقل الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار، أنه تقدم إلى الاسكندر رجل من عساكره، حين استعرض جنده، على فرس أعرج، فأمر بإسقاطه فضحك الرجل، فاستعظم ضحكه في ذلك المقام، فقال الاسكندر له: ما أضحكك و قد أسقطتك؟ قال: التعجب منك. قال: كيف؟ قال: تحتك آلة الهرب، و تحتي آلة الثبات ، ثم تسقطني، فأعجب الاسكندر بقوله، و أثبته.

و ذكر أن اسكندر خرج ليلة من تلك الليالي مستترا[٥]، و حضر باب دارا، و قال: أنا رسول ذي القرنين، و دخل عليه و كلمه، و جعل يجيب دارا في كل ما يقول. فقال له دارا: إن كنت رسولا فما لك و الجواب من ذات نفسك؟ فقال: صاحبي قد قال لي: إن قيل لك كذا فأجب كذا، فإنما أجيب عنه باذنه. ثم إن بعض من حضر المجلس أحسّ بأنّه ذوالقرنين فسرّ[٦] دارا و أخبره[٧] بذلك، ففهم ذوالقرنين أنهم أحسّوا به، و كان دارا قد قال فضلا من الكلام، فقام ذوالقرنين و قال: إني لا أعلم جواب هذا الفضل، فأذهب إلى صاحبي و أخبره، و أرجع إليكم بالجواب. و خرج مسرعا من الخيمة، و كان على باب الخيمة رجل معه مشعلة فضربه ذو القرنين حتى سقط، و انطفت المشعلة، و ركض هو نحو معسكره، فلم

---

١. توتي: ص. ٢. تشاء: ص. ٣. فسيصير: ص.
٤. بعثتك: ص. ٥. مسكرا: ص. ٦. فسار: ص.
٧. أخبر: ص.

يشعروا لمتوجّهه، لظلمة الليل فنجا سالما. و ركب للغد للقتال، فاقتتلوا[١]. فلما كان اليوم السابع من قتالهم انهزم جنود فارس، ثم اختلفت الرواة فروي أن حاجبا من حجّاب دارا قد نقم عليه بسبب أن دارا قد غصب امرأة جميلة له، فجاء إلى ذي القرنين مختفيا، و وعده أن يقتل دارا غيلة، و سأله أن يجعل له مكافأة، فضمن له ما سأله. فلما اصطفّ الناس للقتال في اليوم[٢] السابع، احتال الحاجب و قتل دارا، و انحاز إلى عسكر ذي القرنين، و لما سقط دارا انهزم عسكره، و لحق ذوالقرنين بآخر رمق و نزل عن دابته، و وضع رأسه في[٣] حجره، و مسح وجهه، و قال له: عنك ما أصابك، و لم أكن لأفعله إن ظفرت بك، و لكن تعلم من فعله، فقال له دارا: نعم، و إني مفارق الدنيا، و موصيك بوصية، و أسئلك أن تمضيها. فقال: أفعل. فقال: أوّلها أن تطلب قاتلي بدمي، و لا تهدر دمي ضياعا، و أن تحسن إلى أهل فارس، و لا تحقد عليهم لقتالهم إياك، و أن تتزوج ابنتي، فإنها كانت عزيزة عليَّ، و إن لم تتزوجها فلا تزوجها[٤] من غير كفو، و أن تحسن إلى والدتي، و كفاها من الحزن مصابها بي، فضمن له ذوالقرنين، ثم قال له: يا ذا القرنين، أعظك أن تعتبرني و تفكر في حالي، فلقد كنت بالأمس ملكا من ملوك الأرض، و اليوم صرت مقهورا مطروحا في التراب، قد زالت[٥] عني نعمتي و ملكي، و هكذا يصير ملوك الدنيا. ثم إنه مات من يومه. فأمر ذوالقرنين بغسله، و طلاه بالمسك من قرنه إلى قدمه، و كفنه بأكفان الملوك، و وضعه في تابوت من ذهب، و مشى أمام التابوت مع رؤساءِ عساكره و رؤساء فارس و ساداتهم، حتى أتاهم إلى قبره عند قبور ملوك فارس فدفنه، و وفى بما ضمن له[٦] من وصاياه. فلما رأى أهل فارس حال ذي القرنين أحبوه، ثم إن ذا القرنين أمر بطلب قاتله، و قد اختفى لما سمع من وصية دارا في بابه، فأمر ذوالقرنين فنودي في الناس: ألا انه ليس أحد آمن عَلَيَّ من رجل قتل دارا، حتى نلت هذه المملكة، فلينظر لي حيث كان لأكائته على فعله، فظهر الحاجب، فأمر ذوالقرنين حتى ألبسوه الخلع[٧]، و بما كان يضمن له كله فأعطاه إياه أمانا حتى سكن. ثم انه جلس يوما

---

١. فاقتلوا: ص. ٢. يوم: ص. ٣. على: ص.
٤. يزوجها: ص. ٥. زال: ص. ٦. منه له: ص.
٧. بالخلع: ص.

للمظالم، و أحضر رؤساء عسكره و رؤساء فارس كلهم، و أحضر الرجل القاتل، و قال هل وفيت لك بما ضمنت لك؟ قال: نعم. قال: فإني اليوم أفي أيضا للملك دارا بما ضمنت له[1] ثم أمر به فأخذ، و نصبت له خشبة، و حمل عليها و نادى في الناس فاجتمعوا، ثم نودي هذا جزاء عبد كفر نعمة سيده و غدر به، و أمر به فقتله. و قال: إن لم أفعل هذا اجترأ الناس على ملوكهم، و فسدت الأمور. فلمّا قتل قاتل دارا و وفى بوصاياه في أمر ابنته و والدته، سكنت إليه قلوب أهل فارس كلهم. هذه رواية واحدة.

و في رواية أخرى: أنّ دارا انهزم اليوم السابع من القتال، و تحصّن بالمدينة[2] التي كان دارا ملكها، و تفرّقت جنوده، ففكّر في نفسه، و قال: لا وجه لي إلّا إظهار الخضوع لهذا الرجل، لأكايده و أصرف عني شرّه؛ فكتب إلى ذي القرنين كتابا لطيفا بارّا، و خضع له فيه، و ضمن له الطاعة و الانقياد، و تسليم الأمر و المملكة إليه. فلما قرأ ذوالقرنين كتابه كفّ عنه، و أجابه بمثل كتابه، و جعل دارا يمكر ذاالقرنين بالكتب و الرسل؛ و كتب إلى ملك الهند يستعين به على ذي القرنين، و يخبره أنّه إن فرغ من أهل فارس قصد ناحية الهند، و قال: إن أعنتني عليه حتى أظفر به، بعثت إليك بشطر ما أغتنم[3] منه. قال: و بلغ ذاالقرنين ما فعله دارا، و علم بمكره، فركب في جنوده و استعدّ لقتاله، فلما رأت جنود فارس ذلك خافوا على أنفسهم، لِما رأوا من قتلهم، و كثرة مَن مع ذي القرنين، فعند ذلك دبّر وزير دارا إهلاك دارا تقرّبا إليه، فأهلكه، و أدركه ذوالقرنين صريعا متشحّطا في دمه ففعل[4] ما ذكرناه من قبل إلى آخر القصة.

ثم إنّ ذا القرنين كتب إلى ملوك فارس و نواحيها، سهلها و جبالها، كتابا بارّا، و وعدهم فيه العدل، و النظر في أمورهم و مصالحهم، و حسن السيرة فيهم، و أظهر التوجّع على دارا، و أنّ ما نزل به على غير رضى منه، و أنّه قتل قاتله و أنفذ؛ و دعاهم إلى السمع و الطاعة، و حذّرهم عواقب المعصية. و كذلك كتب إلى والدة دارا و اسمها زادوخت و عزّاها بدارا، و توّجع عليه في كتابه، و وعدها كل جميل و كذلك وعد أخت دارا، و ذكر في الكتاب أنّ دارا

---

۱. منه: ص.　　۲. بمدينة: ص.　　۳. أغنمتم: ص.

٤. ففعله: ص.

أمره أن يتزوّج بابنته و اسمها رشنق، و إنّي أريدُ التزوج، فينبغي لها أن تجهّزها و تبعث[١] بها إليّ فأجابت[٢] زادوخت عن كتابه أحسن جواب، و جهّزت رشنق و بعثت[٣] بها إلى ذي القرنين، و كتبت إلى جنود فارس و جميع أهل بلادها بالطّاعة لذي القرنين، فقبلوا و خضعوا، و استقام لذي القرنين مملكة فارس، و كتب إلى أمّه و اسمها رُوقيا، بما فتح الله له من مملكة فارس، و بتزوّجه رشنق ابنة دارا، و سأل أمّه أن تبعث[٤] إلى رشنق من الهدايا ما يصلح لها، ففعلت ذلك؛ و دخل ذوالقرنين برشنق و أكرمها غاية الكرامة، و سكن كل واحد منهما إلى صاحبه.

قال: و أقبل ملك الهند في جند عظيم مدداً لدارا، و لم يعلم أنّه قد هلك فلمّا بلغه خبره كرّ راجعاً إلى أرض الهند، و بلغ خبره إلى ذي القرنين، فكتب إليه: من الاسكندر ذي القرنين إلى فور صاحب الهند، أمّا بعد، قد بلغك ما كان من نصرة اللّه لي على من خالفني، و ما كان من أمرى و أمر دارا ملك فارس، و الآن فإنّي أدعوك إلى طاعتي و الانقياد لي، و الدخول في ديني، فإن فعلت كنت قد أصبت حظّك، و لم أقصر حينئذ في صلاحك و صلاح أهل مملكتك، [و] إن أبيت سِرتُ إليك بجنودي، و استعنت بالله عليك، و قد نصحتك إن قبلت، و لا حول و لا قوة إلّا باللّه العلي العظيم.

فلمّا بلغه كتاب ذي القرنين، كتب في جوابه: من فور ملك الهند إلى الاسكندر الرومي، أمّا بعد فقد بلغني كتابك و رسولك، و فهمت ما ذكرت من أمرك و أمر دارا و هلاكه، و إنّما أهلك دارا قومه لا أنت، و اعلم أنّه لم يطمع قط أحد في ملك الهند[٥] و لا غلبهم، فلا تحدثنّ نفسك بما لا يكون، و ارجع إلى بلادك سالما، قبل أن لا تقدر على ذلك، و إن لم تفعل سِرتُ إليك بجنودي و فِيَلي، و دمّرت عليك و على جندك، و أوردتك و إيّاهم حياض الموت، فلما قرأ ذوالقرنين كتاب ملك الهند، ارتحل بعساكره و عساكر فارس حتى ورد بلاد الهند، ثم كتب ثانية إلى ملك الهند، و دعاه إلى الطاعة، و حذّره الخلاف، و أخبره أنّه إن لم يفعل[٦] قصد قتاله فليتهيّأ لذلك، فلمّا قرأ ملك الهند كتابه جمع جنوده و فيلته، و سار إلى ذي القرنين، و لمّا

---

١. يبعث: ص.
٢. فأجاب: ص.
٣. بعث: ص.
٤. يبعث: ص.
٥. هند: ص.
٦. تفعل: في ص.

التقى العسكران، و نظر جنود ذي القرنين إلى الفيلة هابوا ذلك، و خاف ذوالقرنين على عسكره، ففكّر و احتال و أمر الصّناع أن يصنعوا له تماثيل من نحاس و حديد على صورة الرّجل، فصنع منها أربعة آلاف، و جعل فيما بين ذلك يراسل إلى ملك الهند، و يحتال[۱] عليه، و يشغله بالكتب و الرسل، إلى أن فرغ عمّا أراد، و صنع للصور عجلات تحمل عليها و تجرّ؛ وكان في عسكره من أنواع الصنّاع عدد كثير. و آلات كثيرة، ثم إنّه ملأ أجواف تلك التماثيل قيرا و نفطا و كبريتا، و أضرم فيها النار حتى حميت و اتّقدت[۲]، و أمر الرجال حتى جرّوها على عجلاتها، و صفّوا منها صفّا أمامَ العسكر، ثم أمر عساكره بالتهيؤ للقتال[۳]، و بعث إلى ملك الهند، و دعاه إلى الحرب، و أقبلت العساكر من الهند و أمامها الفيلة، و قدّم ذوالقرنين التماثيل أمام صفوفهم، فجعلت الفيلة تحمل على التماثيل تظنّ أنّها الرّجال فتضربها[٤] بخراطيمها، فتحرق و تنهزم مولّية إلى أصحابها، و اقتتل الناس قتالا شديدا، و اشتدّ الأمر حتى خاف أصحاب ذي القرنين على أنفسهم، فتقدّم ذوالقرنين أمام العسكر، و نادى ملك الهند فقال: يا فور، أخرج إليّ أن أكلّمك، فدنا منه فور، فقال له ذوالقرنين: ليس هذا برأي أن يهلك الناس بيننا، فهل لك في أن تبرز لي و أبرز لك، فأيّنا غلب صاحبه كان الملك له، فقال ملك الهند: نعم. و كان رجلا عظيما جسيما، و كان ذو القرنين رجلا قصيرا، فطمع فور أن يغلبه فيأخذ ملكه، فأمرا عساكرهما بالكفّ عن القتال، و خرج كل واحد منهما إلى صاحبه، وكانا قد تواثقا على أن لا يعين أحدهما على صاحبه أحد، بل يتفرّد كل واحد للآخر بنفسه، فلمّا جالا ساعة على مكانهما، و لم يظفرا، قال ذوالقرنين ألسنا قد تواثقنا على أن لا يعين واحدا منّا على صاحبه غيره؟ قال فور: بلى. قال فَمن هذا الذي خلفك؟ فظنّ فور أنّ بعض أصحابه جاءه ليعينه، و لم يكذب ذوالقرنين، فالتفت فور إلى ماوراءه، فشدّ عليه ذوالقرنين فضربه ضربة صرعه عن دابّته، و أسرع عليه حتى قتله، فلمّا رأت الهند صاحبهم مقتولا، حملوا حملة رجل واحد، و جدّوا في القتال، و قاتلوا قتالا لم يسمع بمثله، و كان ذوالقرنين يظنّ أنّهم ينهزمون إذا رأوا ملكهم صريعا، فلما رأى جِدّهم في القتال ناداهم: يا معشر الهند ما

---

۱. يحتاله: ص. ۲. اتقدت: ص. ۳. بالقتال: ص.
٤. فيطعر بها: ص.

لكم تهلكون أنفسكم، و قد قتلت صاحبكم؟ قالوا: لسنا نقاتل له إنّما نقاتل عن آبـائنا و أولادنا و ديارنا. فقال لهم ذوالقرنين: و اعلموا أنّي قد آمنت كل من وضع السلاح، و لَستُ أصنع بكم إلّا ما تريدون، و لا ألوكم إلّا صلاحا و نُصحا، و الله عليّ بذلك شهيد. فلمّا سمعوا ذلك سألوه الوثاقة، فوثق لهم بالمواثيق، حتى سكنوا إليها، و ألقوا السلاح، و تركوا القتال، و دخل ذوالقرنين بلاد الهند، و أمر بملكهم فور حتى كفن و دفن؛ و صالح الهند على السمع و الطاعة له، و أداء الخراج إليه مَن في بلاد الهند، حتى نفذ أمره ـ فيما يقال ـ على سمت قشمير [كشمير] إلى بلاد الترك في نواحي تبّت.

و المروي أنّه لما بلغ ذوالقرنين في بلاد الهند إلى جماعة من أهل العلم و الحكمة و الطب و النجوم و الفلسفة يقال لها يرحماس و قصدهم، كتبوا إليه: أيّها الملك إن كنت تأتينا[1] طمعا في مال أو نفع، فإنّه لا شيء لنا، و إنّما نحن أناس عراة حفاة لا لباس لنا و لا ثياب، فضلا عمّا سوى ذلك، فإن كنت تطلب ما عندنا من الحكمة فها نحن بين يديك، فسار إليهم ذوالقرنين، فلمّا دنا من أرضهم، صرف عسكره و شخص في طائفة من أصحابه إليهم، فرآهم قوما عراة حفاة، مساكنهم الظّلال و الغيران، و لاشيء لهم من الدنيا، فسألهم عن[2] حالهم و قال: كيف تركتم الدنيا؟ قالوا: لأنّها لا بقاء لها، فسأل رجلا منهم: أمَن مات من أهل الدنيا أكثر أم من بقي؟ فقال: لا بل مَن مات، فإنّ ما مضى من الدنيا أكثر ممّا بقي. فسألهم عن جميع العلوم فأجابوا عن سؤاله كما هو حقّ و صواب. ثم قال لهم: سلوني حاجة لجماعتكم تنتفعون بها، قالوا: نسألك الخلود و دفع الموت. قال: كيف أعطيكم ذلك، و أنا عن قريب ميّت؟ قالوا: فما حاجتك إلى قتال الناس و أخذ البلاد؟ قال: إنّ ذلك أمر من اللّه أمرني به.

ثم لمّا سار ذوالقرنين حتى بلغ الصين، و وصل خبره إلى ملك الصين، فأمر بجمع الجنود، و خرج ذوالقرنين بنفسه على هيئة الرسول إلى باب ملك الصين، فأخبر الملك، فأمر فدخل عليه في مجلس مسبّك بصفائح الذهب و الفضة، و هو على سرير من ذهب مرصّع بالجواهر، و حوله كراسيّ مثل ذلك، عليها سادات عسكره و قوّاده. فجلس ذوالقرنين يدعوه إلى طاعته و الانقياد له، و إلّا استعدّ لقتاله. فقال له ملك الصين: إرجع إلى صاحبك، و أخبره أنّا

---

١. يأتينا: ص. ٢. من: ص.

نأتيه يوم كذا مستعدّين لقتاله. فرجع ذوالقرنين و تهيّأ للقتال، فلمّا كان يوم الموعد، جاء ملك الصين في جنود لا يحصون عددا و شوكة لم ير مثلها، فلما اصطفّ العسكران، فرأى ذوالقرنين أبّهة القوم، خرج ملك الصين إلى ما بين الصفّين، و نادى: يا ذاالقرنين، أخرج إليّ أكلّمك، فخرج؛ و يقال لا، بل خرج ملك الصين في الليلة التي تواعد للقتال صبيحتها، حتى أتى ذاالقرنين، فدخل عليه على هيئة الرسل، مستتراً[١] و قال: أخرج عنّي مَن عندك، أبلّغك رسالة صاحبي، ففعل ذوالقرنين ذلك، و وضع بين يديه سيفا مسلولا، فلمّا خلى المجلس عرف[٢] ملك الصين أنّه هو فكلّمه، و قال ذوالقرنين: ألَم تخش على نفسك حتى أتيتني و أنا أعرفك؟ فقال: لا، فإنّي كنت رأيتك و تفرّست فيك أنّك ذوالقرنين حين جئتني، فلم أغدر بك، فعلمت أنّك تكافئني بمثل فعلي، و لا تغدربي[٣]، و إنّي عرفت عقلك و كرمك فوثقت بك، فصدّقه ذوالقرنين، و كلّمه بما أراد، و ضمن له صاحب الصين الطاعة و الخضوع له، و رجع في ليلته، فلما أصبحوا و عند ذي القرنين أنّ هدايا ملك الصين تأتيه[٤] كما ضمن له، و إذا هو بالعساكر التي لا تُحصى[٥]، و بالشوكة التي لم ير مثلها قد ماجته، فخشي الغلبة، و بادر و عبّأ عسكره، فلمّا دنا القوم بعضهم من بعض، خرج ملك الصين ما بين الصفين، و سأل ذاالقرنين أن يخرج إليه ليكلّمه، فخرج إليه. فقال له: لعلّك تقول إنّي قد نقضت العهد، و خالفت، و لم أفعل، لكنّي أردت أن تعلم أنّي لم أخضع لك عجزا، و كيف أعجز و معي هذه الجنود و الأهبة التي ترى، و إنّما أطعتك إيقاء على ناحيتي و رجالي، فإن صاحب الحرب لا يدري ما يكون عاقبة حربه، فأمّا أنا مالك على ما قلت و ضمنت، و رجع عن ذي القرنين بجنده، ثم بعث إليه بما ضمن له من الأموال، و أهدى إليه من حرير الصين، و ما يكون بها من الجواهر الثمينة و البراذين و الغلمان و الجواري، و المسك و العنبر و الكافور و العود، و أنواع الطيب ما لا يعرف قدره، و وعده أن يؤدّي إليه الخراج، فلمّا رأى ذوالقرنين ذلك، قال له: أنت أعقل الناس. و أهدى إليه من عنده بهدايا سنيّة، و قال له: قد سوّغت لك خراج أرضك، فلا حاجة لي فيه، و خرج من أرضه راضيا.

---

١. مسكرا: ص. ٢. يعرف: ص. ٣. تغدرني: ص.
٤. يأتيه: ص. ٥. يحصى: ص.

ثم لمّا ورد الاسكندر ناحية هرات[١] استطابها، و كتب إلى أمّه ـ و كان لا يعمل شيئاً إلّا بمشورتها ـ و استأذنها في المقام بها، فأذنت له سنة، فأمرته أن يبني بها سورا و مدينة، فأخذ في ذلك و عسر عليه حتى مضت سنتان، فجاء كتاب أمّه أنّي أذنت لك سنة، و قد مضت سنتان[٢]، فإنّي أظنّ أن الأمر عسر عليك، فإذا قرأت كتابي فابعث إليّ من تراب تلك الأرض بجراب، ففعل ذو القرنين، فلمّا ورد الرسول بالجراب من التراب إلى أمّه، جمعت أهل بلدها، و قالت: إنّ ذاالقرنين يستنفركم فانفروا إليه، قالوا: سمعا و طاعة. قالت: فارجعوا إليّ غداً، فلمّا كان من الغد أمرت بالتراب ففرش[٣] في ذلك الموضع، الذي يكون فيه الجمع، و أمرت بجمعهم فاجتمعوا، فقالت: إنّ ذاالقرنين يستنفركم فانفروا إليه، فقالوا[٤] حتى تنظر في الأمر، فاختلفوا فأجاب قوم، و أبى قوم، فقالت لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فلا حاجة لذي القرنين فيكم، و كتبت إلى ابنها: يا بنيّ أرى الأرض التي أنت فيها أرض خلاف، فإذا أتاك كتابي هذا فارجع إليّ، و لا تفرح على شيء. فوصل إليه الكتاب، و قد بلغ الباب الذي يقال له باب حسك، و ترك الأمر على ما هو، ثم خرج.

ثم لما بلغ ذو[٥] القرنين بلاد بابل، وصل إليه كتاب معلّمه أرسطاطاليس الحكيم، و كتاب أمّه، و كان مكتوبا في كتاب معلّمه: بلغني مسيرك في الدنيا، و ما لقيت من الأمور العظام، و ما رزقك الله من الظفر على أعدائك، و ما افتتحت من المدائن، و دانت لك الأرض كلها، و ذلك بعون اللّه و قوّته، و تمكينه إيّاك، فاحمد اللّه و اشكره، و اعمل الآن ليوم موتك، و اعلم أنّ الدنيا منقطعة عنك، و أنت تاركها لغيرك، فتهيّأ للموت قبل هجومه عليك، و لا تغفل عنه ساعة و السلام. فلما قرأ ذوالقرنين كتابه قال صدق معلّمي، و بكى، و اعتزل عن الناس و اشتغل بعبادة الله تعالى؛ و أمّا كتاب أمّه فقرأه فإذا فيه: من روقيا أمّ الاسكندر، إلى ابنها الاسكندر الضعيف الذي بقوة الباريْ قَوِي، و بقدرته قهر، و بعزّته استعلى. يا بنيَّ لا تودع العجب قلبك، لأنّ ذلك مُرديك، و لا تدع للعظمة فيك مطمعا، فإنّ ذلك يضيعك. يا بنيّ ذلّل نفسك، إنّك على قليل تتحوّل ما أنت عليه. يا بنيّ إيّاك و الشحّ، فإنّه يزري بك. يا بنيّ أنظر

---

١. الهراة: ص.
٢. سنتين: ص.
٣. ففرشت: ص.
٤. و قالوا: ص.
٥. ذا: ص.

كنوزك التي جمعتها، و الأموال التي كسبتها فعجّل حملها إليّ[1] مع رجل مفرد علی فرس جواد.

فلمّا ورد كتاب أمّه جمع من كان معه من الحكماء، فسألهم عن معنى ما كُتب إليه، فلم يجد ذلك عندهم، و لا عرفوا ما أرادت، فدعا كاتبه[2] و قال: أنظر كلّما جمعناه فأحضر عدّته، و اكتب بمبلغه، و بيّن فيه المواضع التي أودعناه، ثم ختمه، و حمل رجلا على فرس جواد، و قال: إمضِ بهذا الكتاب إلى أمّي.

و نقل ابن الجوزي في تاريخه أنّ المنجّمة و الكهنة قالوا له: إنّك لا تموت حتى ترى السماء فوقك من الصفر، و الأرض تحتك من الحديد. قالوا: فلما وصل أرض بابل لحقته علة أيس من [شفائه[3]]، فلم يتماسك على دابته، فنزل و لم يكن في الوقت عنده فرش و لا خيمة، فأمر فطرحت درع أو جوشن فنام عليها، و أظلّه، من كان معه بتُرسٍ من صفر فوقه، فنام ساعة، ثم إنّه نظر إلى مافوقه فرأى التُرسَ فوقه، و الدرع أو الجوشن تحته، فقال لمن معه: أُدع لي كاتبي حتى تكتب كتاب وصيتي، فقيل له: و ما ذاك أيّها الملك؟ قال: قد عرفت أنّ أجلي قد اقترب. و ما يدريك[4]؟ قال: إنّ المنجّمة قالت لي كذا و كذا، و أنا أعلم أنّ السماء قط لا تصير[5] صفرا و الأرض حديدا. و الآن أرى ما فوقي صفرا، و ما تحتي حديداً، فعلمت أن هذا هو ما قد قيل لي. ثم إنّه أملى كتاباً إلى أمّه: من رفيق أهل الأرض بجسده، و رفيق أهل السماء بروحه، اسكندر إلى أمّه التي لم ينتفع منها في الدنيا بقربها[6]، و ذلك كان بإرادة الحكيم الرحيم و قدرته، أسألك يا أمّاه أن تقرئي كتابي هذا بالتدبّر و التفكّر، و أن لا تتشبّهي بالنساء في الجزع و الضجر، كما لم يرض ابنك في حياته أن يتشبّه[7] بالرجال في قلّة عزمهم و حزمهم، يا أمّاه هل رأيت شيئا في الدنيا لا يتغيّر و لا يفنى؟ ألم تَرَ إلى الشجر المهتزّ أغصانها، الملتفّ ورقها، الطّيب ثمارها، كيف ينهشم عن قريب أغصانها و تيبس[8] ورقها، و تتناثر ثمارها؟ ألم تَرَ إلى النبت يصبح نضرا، و يمسي هشيما؟ ألم تَرَ إلى النهار المضيء كيف

---

١. على: ص.　٢. لكاتبه: ص.　٣. لا توجد في ص: مص.
٤. تدريك: ص.　٥. يصير: ص.　٦. بقربه: ص.
٧. تشبه: ص.　٨. ييسا: ص.

يمحقه[1] الليل المظلم، و إلى القمر المنير كيف يلحقه الخسوف، و إلى الشمس الزاهرة، كيف يخفيها الغروب، و إلى النجوم الثاقبة كيف يغشاها الطموس، و إلى الشهب النيّرات كيف يطفيها الجمود، و إلى الماء العذب كيف يفسده[2] الأجون، و إلى هذا الحيوان الذي يولد فيعيش أيّاما و أعواما ثم يفارقها سريعا؟! و لَعمري إنّ الدنيا ليست للخلق بدار، و لا منزل، فطالما قيل لهم: لدوا للموت و ابنوا للخراب. يا أمّاه هل رأيت مقرضا لا يتقاضى قرضه، أو مستودعا لا يردّ وديعته؟!

دادهٔ خود سپهر بستاند ‌ ‌ ‌ نقش اللّه جاودان ماند

يا أمّاه: إنْ [كان] شيءٌ[3] خليقاً بالبكاء فَلْتبكِ السماء على نجومها الزائلة عنها لا محالة، و الأرض على عمرانها التي يخرب، و البحور على حيتانها التي تهلك[4] و الطير على فراخها التي تفنى[5]، فليس شيء من هذه يبكي، و لكنه يبكي الإنسان على ما يفارقه، و كان أحقّ به البكاء على نفسه التي يفارقها[6] حين يأتي الموت و الفراق، و إنّه و إن كان بكى لم ينفعه البكاء، و لا يبقى الباكي بعد الذي يبكي عليه إلّا يسيرا. يا أمّاه، إنّ الموت مورد لابدّ منه، و قد كنت مستيقنا لوروده، كما ورد من قبلي، يا امّاه: إنّي علمت يقينا أنّ المكان الذي أرتحل إليه خير من المكان الذي أرتحل منه، يا امّاه: إنّي كتبت إليك كتابا و أنا أرجو أن تتعزي بعزاء اللّه عزوجل، و تستعملي كتابي. يا أمّاه: إنْ كنتِ تحبّني فأطيعيني[7] فيما أمرتك به من الصبر و العزاء، فإنّ علامة المحبة أن يطيع المحبّ حبيبه، يا أمّاه: عليك السلام مني في الدنيا القليلة الفانية، و عليك السلام مني في الآخرة الكثيرة الباقية أبدا لأبد و رحمة اللّه و بركاته.

ثم إنّ الكتاب قرئ عليه و هو ثقيل من مرضه، و لم يلبث إلا أيّاما قلائل حتى مات، و له على ما هو المرويّ ستّ و ثلاثون سنة، و كان يقول عند موته: ربّ أنلني رضاك: فكل ملك باطل سواك، حتى مضى. فأودعوه[8] في تابوت من ذهب، و حمل به إلى مدينته التي كانت بها

---

١. تمحقه: ص. ٢. يفسدها: ص. ٣. إن شيئاً: ص.
٤. يهلك: ص. ٥. يفنى: ص. ٦. يفارقه: ص.
٧. تحبني فأطيعني: ص. ٨. فأودعه: ص.

أمّه، و هي الاسكندرية، فلمّا قرب من البلد أمرت[١] أمه أن يتلقّوه بأحسن هيئة، فـفعلوا ذلك. فلمّا دخل التابوت عليها، قالت: العجب يا بنيّ لمن بلغت السماء حـكمته، و أقـطار الأرض ملكه، و دانت[٢] له الملوك عَنوةً، كيف هذا اليوم نائم لا يسـتيقظ، و سـاكت لا يتكلّم[٣]، و لو لا أنّي لا حقة بك ما فعلت، فعليك السلام، فنعم الحيّ أنت، و نعم الهالك أنت. فاجتمع الحكماء و العلماء فانتدب عشرة منهم من رؤسائهم و أكابرهم، فتكلّم كل واحد منهم بكلمة حكمية فيها مواعظ و نصائح تامة كاملة.

فقام الأول و قال: أيها الساعي المتعوب في أمره، المجتهد في جمع أمواله أيّام عمره، جمعت مهيّأةً إلى غيرك، عائد وباله عليك.

فقام الثاني و قال: أرى الاسكندر كان يجمع الذهب و يصونه، و الآن فقد يضمّه الذهب و يصونه.

فقام الثالث و قال: قد أصبح الاسكندر في أكفانه ملفوفا، بعد أن كان بآماله محفوفا، و بغروره مشغوفا.

فقام الرابع و قال: قد اضمحلّ ملك الاسكندر كما يضمحلّ ظلّ السحاب و لمع السراب، و سيضمحلّ جسمه الآئب[٤] في هي التراب.

فقام الخامس و قال: الدهر لا يزال يتردّد بأهله حالاً بعد حال، فإذا صاروا إلى أحبّ أحوالهم، نقلهم إلى الثرى و الاضمحلال، و الهلاك و الزوال.

از آن سـرد آمـد ايـن كـاخ دل‌آويـز
كـه چـون جـا گـرم كـردى گـويدت خيز

فقام السادس و قال: إن اتّعظ الاسكندر في حياته، فقد نفعه، و إن لم يتّعظ صار موعظة لمن تبعه.

فقام السابع و قال: عجباً ممّن رأى الاسكندر في أمسه، و اليوم رآه في رمسه، كيف يميل

---

١. أمر: ص.
٢. و داست: ص.
٣. و سالت و لا تتكلّم: ص.
٤. الآنب: ص.

إلى الحطام الهائد و الملك البائد.

فقام الثامن و قال: هذا لَعمري أمر قد تغيّرت العقول في إدباره، كما تغيّرت في إقباله، و لقد أتى على الاسكندر من ربّه ما ليس له مدفع و لا عنه مرحل.

فقام التاسع و قال: اعتبروا بِمَن مضى، و لا تشتغلوا بما بقي.

فقام العاشر و قال: أنظروا إلى الاسكندر و إلى سبيله، و اعلموا أنّكم لسبيله عن قريب سالِكون، و على أثره ذاهبون.

ثم لمّا أخرج من عندهم إلى دار العامة، فاجتمع[1] عليه أهل العلم و الحكمة، فتقدّم واحد منهم حين رأى تابوته و قال: هذا الاسكندر الذي كان في الأراضي أميرا، قد أصبح في التابوت أسيرا.

فتقدّم آخر و قال: أنظروا إلى حكم المَنايا كيف انقضى، و إلى ظلّ الغمام كيف انجلى.

فتقدّم آخر و قال: كان الاسكندر دائما يعظ الناس، ثم إنّه لم يعظهم قط بقول أبلغ من وعظه إيّاهم بالسكوت. و من هذا سنحَ للمؤلف بالنظم الفارسي:

خاموشی ارباب فنا بانگ رحیل است
گوش شنوا هر که درین قافله دارد

فتقدّم آخر و قال: يا عجبا من الاسكندر، لم يجترئ عليه أحد بالأمس، فصار اليوم لا يخافه أحد في الرمس.

فتقدّم آخر و قال: [كان] الاسكندر لا تسعه[2] الدنيا حيّاً[3] و قد يسعه[4] ذراعان منها ميّتا.

فتقدّم آخر و قال: على قدر ارتفاعك في حياتك اتّضاعك في وفاتك. و من هذا قال العارف الرومي:

هر که بالاتر رود ابله‌تر است   استخوان او بتر خواهد شکست

---

١. فاجتمعوا: ص.   ٢. لايسعه: ص.   ٣. حياتا: ص.
٤. تسعه: ص.

و ورد في الحديث: من تكبّر وضعه اللّه، و من تواضع رفعه اللّه. و في الصحيفة المكرمة السجادية: اللّهمّ لا ترفعني في الناس درجة إلّا حططتني عند نفسي مثلها، و لا تحدث لي عزّا ظاهرا، إلّا أحدثت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها.

فتقدّم آخر و قال: خرجت من عندنا ناطقا، و رجعت إلينا ساكتا.

فتقدّم آخر و قال: طالما سافرت و لم تسافر مثل سفرك هذا.

فتقدّم آخر و قال: رُبّ حريص كان على سكونك، و كنت لا تسكن. و ربّ حريص الآن على حركتك، و لكنّك[1] لا تتحرّك.

فتقدّم آخر و قال: كان الاسكندر يهتمّ[2] لرعيته بالأمس، و تهتمّ له رعيته اليوم.

فتقدّم آخر و قال: يا أهل ودّه[3] و حضوره، شاركوه في يوم حزنه، فقد طالما شاركتموه في يوم سروره.

فتقدّم آخر و قال: قد دخل عليك اليوم بغير إذن من كان لا يحسن[4] على طلب الإذن.

فتقدّم صاحب حرسه و قال: عجباً لحرسك كيف لم يحرسك من الموت.

فتقدّم الشرابيّ و قال: قد نضّدت الموائد، و بسطت النمارق، و لا أرى صدر المجالس.

فتقدّم الخازن و قال: أيّها الملك، إلى من أدفع اليوم ذخائرك، و إلى من أسلّم مفاتيحك؟!

فتقدّمت امرأته، ابنة دارا، و قالت: ما كنت أظنّ أنّ غالبا يغلبك.

فتقدّم الوزير و كان رأس العلماء و الحكماء، و قال: هذا طريق لابدّ من سلوكه، و هذا شراب لابد من شربه.

فتقدّم الكاتب و قال: قد دخلنا الدنيا جاهلين، و عمّرنا فيها غافلين، و سوف نخرج منها كارهين. ثم إنّه حمل إلى مضجعه و دفن فيه، و قام ابنه مقامه.

گمان مبر كه چو تو بگذرى جهان گذرد
هزار شمع بكشتند و انجمن باقيست

---

۱. و كنت: ص. ۲. تهتم: ص. ۳. أوده: ص.
٤. تحسن: ص.

فطوبى لمن تفكّر و تدبّر و اعتبر.

[١٦]ـ الحكيم اسكندر الأفروديسي الدمشقيّ:

الحكيم اسكندر الأفروديسي الدمشقيّ، من كبار الحكماء رأيا و علما، متقناً للعلوم الحكمية، بارعاً في العلم الطبيعيّ. و جميع المشّائين ـ خصوصا الشيخ الرئيس في كتاب الإنصاف ـ يفخّمه و يثني عليه، و كان هذا الاسكندر ـ على ما نقل المؤرّخ الخزرجي في ايام ملوك الطوائف ـ بعد الاسكندر الملك، و رأى جالينوس و اجتمع معه، و كان يلقب جالينوس رأس البغل، لقوّة رأسه حال المناظرة، و له مجلس عامّ يدرس فيه الحكمة. و قد فسّر أكثر كتب أرسطوطاليس، و وافق آراءه، و زاد في الاحتجاج على أنّ الباري تعالى عالم بالأشياء كلها، كليّاتها و جزئيّاتها على نسق واحد، و هو عالم بما كان و بما سيكون، و لا يتغير علمه بتغيّر المعلوم، و لا يتكثّر بتكثّره.

و ممّا انفرد أن قال: كل كوكب ذونفس و طبع و حركة من جهة نفسه و طبعه، لا يقبل التحريك من غيره أصلا، بل إنّما يتحرّك بطبعه و اختياره، إلّا أنّ حركاته لا تختلف[١] لأنّها دوريّة.

و قال: لمّا كان الفلك محيطا بما دونه، و كان الزمان جاريا عليه، لأنّ الزمان هو العادّ للحركات، اذ هو عدد الحركات، و لما لم يكن يحيط[٢] بالفلك شيء آخر، و لا كان الزمان جاريا، لم يجز أن[٣] يفسد الفلك و يتكوّن، فلم يكن قابلا للكون و الفساد، و ما لا يقبل الكون و الفساد كان قديما أزليّا.

و نقل صاحب الملل و النحل عنه أنه قال في كتابه، في النفس: إنّ الصناعة تتقبّل[٤] الطبيعة، و إنّ الطبيعة لا تقبل[٥] الصناعة.

و قال: الطبيعة لها لطف و قوّة، و إنّ أفعالها تفرّق في البراعة و اللطف، كلّ أعجوبة ينطلق فيها بصناعةٍ من الصناعات.

---

١. يختلف: ص. ٢. تحيط: ص. ٣. يجز أن: ص.

٤. يتقبّل: في ص. ٥. يقبل: ص.

و قال في ذلك الكتاب: لا فعل للنفس دون مشاركة البدن، حتى التصور بالعقل، فإنّه مشترك بينهما. و أومىٰ إلى أنّه لايبقى للنفس بعد مفارقتها قوّة أصلا حتى القوّه العقلية، و خالف أستاذه أرسطاطاليس، فإنّه قال: الذي يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى، القوّة العقلية فقط، و لذّاتها في ذلك العالم مقصورة على اللّذات العقلية، إذ لا قوّة لها دون ذلك، فتحسّ و تلتذّ بها.

و المتأخّرون يثبتون بقاءَها على هيئة أخلاقية، استفادها من مشاركة البدن، فيستعدّ بها لقبول هيئة ملكية في ذلك العالم.

و قال بعض الأعلام في التّوفيق بين القولين: إنّ الاسكندر أراد بعدم بقاء القوّة العاقلة، عدمها عند عدم خروجها من القوّة إلى الفعل، و أراد أرسطاطاليس ببقائها عند صيرورتها عقلا بالفعل، فلا تناقض بينهما. و لا يخفى أنّ قول المعلم لا قوّة لها دون ذلك، فيحسّ و يلتذّ بها، مبنيّ على امتناع مفارقة القوة الحيوانية المدركة للمحسوسات الباطنة عن هذا العالم، و قد برهن بعض المحقّقين من المتأخّرين على بقاء حيوانية مدركة للجزئيات بعد البدن، و النشأة المتوسطة بين نشأة العقليات و نشأة الحسّيات معاد النفوس المتوسّطة بين الملائكة و بين الحيوانات اللحمية، فهي مع تجردها عن هذا البدن غير مجردة التعلّق بالأبدان المعلّقة، فتبقى[۱] بحيوانيّتها في دار الجزاء مثابة أو معاقبة. و إليه الإشارة في قوله تعالى: «و إنّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[۲]».

قال الامام الرازي في المحصّل: اتّفقوا على شقاوة النفوس الجاهلة، و اتّفقوا على أنّ تلك الشقاوة مختلفة، فإنّ الشقاوة الحاصلة بسبب الهيئة البدنية منقطعة، و قد بيّنا ضعف قولهم في الفرق.

و قال المحقّق الطوسيّ قدّست نفسه القدّوسيّة[۳] في نقده: أقول إنّهم قالوا: الملكات تنقسم[٤] الى ما لا تكون[٥] الآلآت البدنية شرطا في حصولها، كالإدراكات العقلية، و إلى ما تكون[٦] الآلآت البدنية شرطا في حصولها، كالأمور المتعلقة بالشهوة و الغضب، و النفوس

---

۱. فيبقىٰ: ص. ۲. سورة العنكبوت، الاية ٦٤. ۳. قدس نفس القدوسي: ص.
٤. ينقسم: ص. ٥. يكون: ص. ٦. يكون: ص.

الجاهلة عادمة للكمالات، التي تكون[1] من جنس الملكات الأول، فإذا انقطع منها التعلّق بالأبدان بقيت على الجهل دائما، و أدركت فوات كمالها، الذي كانت الشّواغل البدنية مانعة عنه، فصارت معذبة بتلك الحسرة، و أمّا عادمة للكمالات[2] البدنية، فربّما تزول[3] ملكاتها الرديّة بزوال أسبابها البدنية، فيزول تعذيبها، و هذا القدر كافٍ في الفرق.

و حكى غياث الفضلاء في شرح إثبات الواجب لوالده صدر المحققين: أنّه توجّهت صبيحة يوم إلى خدمته على ما هو دأبي في الحضور إلى حضرته، فوجدته متفكّرا، فقال ـ قدس سره ـ: العَقْد الثابت الجازم بالمعاد الجسماني، كما هو ظاهر النصوص حاصل لي، و نيل اللذّات العقلية على ما قاله الحكماء غير مستنكر، بل هو مستحسن مطبوع، و عندي أمارات مؤكّدة[4] و محققة[5] هذا، إلا أنّ الحكماء أطبقوا على أنّ العلوم تبقى[6]، و الأخلاق تزول[7]، و الفرق بينهما غير ظاهر، مع أنّهم عَدُّوهما من الملكات و الكيفيات الراسخة، و الفرق بينهما بتطبيق كلام الأنبياء عليهم السلام في المعاد الجسماني. على هذا يستلزم زوال عذاب الفسّاق، و جعل الفسق رذائل الملكات. فخطر ببالي في حضرته نكتة، فقلت له: يختلج في و همي فرقٌ. فقال: ما هو؟ قلت: الملكة و إن كانت كيفية راسخة، إلاّ أنّها نجدها منقسمة إلى قسمين: أحدهما ما من شأنه أن يحصل، و ثبت بمزاولة أعمال ملكات الصنائع العملية، و لا يخفى أنّ مثل هذا يضعف بل يبطل بترك أعمالها. و ثانيها أن لا يكون حصوله من مزاولة عمل، و لا يكون هذا شأنه، و يشبه أن تكون[8] العلوم من ثاني القسمين، و الأخلاق من أولهما[9]، فلهذا يزول بعد ترك إعمالها مدّة، ضرورة أنّ بعد المفارقة لا تكون[10] مزاولة. فقال ـ قدّس سره ـ: هذا وجه حسن، إلاّ أنّه يشكل بأنّ من الأخلاق ما هو تابع للمزاج، غير حاصل بمزاولة العمل. قلت: مثل هذا ينبغي زواله بزوال المزاج. انتهت[11] حكاية هذا الفاضل.

---

١. يكون: ص. ٢. لكمالات: ص. ٣. يزول: ص.
٤. مؤكد: ص. ٥. محقق: ص. ٦. يبق: ص.
٧. يزول: ص. ٨. يكون: ص. ٩. اولها: ص.
١٠. يكون: في ص. ١١. انتهى: في ص.

ثم اعلم أنّ ما نقلنا عن صاحب الملل و النحل: أنّ الاسكندر الأفروديسيّ خالف أستاذه أرسطاطاليس، مخالف لما نقلنا عن المؤرّخ الخزرجي، أنّ الاسكندر المذكور في أيّام ملوك الطوائف، إلّا أنّه أراد صاحب الملل و النحل تلمّذه بالوسائط، أو أنه لما كان مذعنا لآرائه في المسائل الفلسفية، فكأنّه تلميذ له، أو أنّه تلميذ صحفه الحكمية. و بهذا نصّ الفاضل الشهرزوري في تاريخه: بأن ثامسطيوس و الاسكندر الأفروديسيّ من تلامذة كتب الحكيم أرسطاطاليس.

[١٧]ـ الحكيم ثاوفرسطس:

الحكيم ثاوفرسطس، أحد تلاميذ أرسطاطاليس، و ابن خالته، و أحد الأوصياء الذين وصّى إليهم أرسطاطاليس، و خلّفه على دار التعليم بعد وفاته. و كان عالما فَهِماً حاذقا، و له تصانيف كثيرة، و شروح لكتب ارسطو. و من مقالاته: النفس تقدر[١] على الطّيران، و الحلول على جميع ما تريد[٢] بالأجنحة الحقيقيّة التي لها، و هي تطير[٣] إلى ما تريد[٤]. و قال: متى طُرحت النفس الشغل عنها من الفكر في هذا العالم، الذي يعوّقها عن حركاتها، إلى الشيء الفاضل، باشرت الحكمة بأيسر كُلفةٍ و أهون سعي، و صارت كالسّراج الذي هو مضيء في نفسه، و مضيء لغيره. فالجاهل إذا لزمها صار عالما، و الفقير إذا تبعها صار غنيّا.

و قال: العقل نحوان: أحدهما مطبوع، و الآخر مسموع. و المطبوع منهما كالأرض، و المسموع كالبذر و الماء، فلا يخلص العقل المطبوع عملاً[٥] دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبّهه من نومه، و يطلقه من وثاقه، و يقلقه من مكانه، كما يستخرج البذر الماءَ من[٦] قعر الأرض.

أقول: و قد ورد أيضا في كلامِ كلام اللّه الناطق مولانا أميرالمومنين ـ سلام اللّه عليه ـ ما يعضد مقال هذا الحكيم حيث قال عليه السلام: العقل عقلان: مطبوع و مسموع، و لا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع، كما لا تنفع[٧] الشمس و ضوء العين ممنوع، و كان العقل المطبوع

---

١. يقدر: ص. ٢. يريد: ص. ٣. تيطير: ص.
٤. يريد: ص. ٥. عمل: ص. ٦. ما في: ص.
٧. ينفع: ص.

عقلاً طباعيّاً[1]، تفرّد اللّه بخلقه، و المسموع ما يستفيده الرجل بأدبه و تجربته، و لا سبيل إلى العقل المستفاد إلّا بصحّة العقل المركّب في الجسد، فإذا اجتمعا قوّى كلّ واحد منها صاحبه تقوية النار في الظلمة نور البصر.

ثم لا يخفى أنّ العقل اسم مشترك، يقال على معنيين: أحدهما ما يشير به الفلاسفة إلى أوّل موجود اخترعه الباري سبحانه، و هو جوهر بسيط روحانيّ، محيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية، و المعنى الأخير ما يشير به جمهور الناس إلى قوّة من قوى النفس الإنسانية، التي فعلها الفكر و الروية و الصنائع. و إلى الأوّل أشار به سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بقوله: ما خلق اللّه خلقا أكرم إليه من العقل. و إلى الثاني أشار بقوله: ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدىً، أو يردّه عن ردى.

أقول: لا يخفى أنّ مراده ـ صلوات اللّه و تسليماته عليه و آله ـ بما كسب، هو القسم المسموع من العقل، وكأنّه في ذكره هذا القسم حثّ و ترغيب للأمّة بالاكتساب الصناعي، و عدم الإكتفاء بالقسم الطباعيّ؛ لأنّه ـ عليه أشرف التسليمات ـ بُعث لإتمام مكارم الأخلاق و مراضي الأفعال. و العقل المقسوم بالقسمين في قول مولانا أمير البررة ـ سلام اللّه عليه ـ و في قول الحكيم، و سبق ذكره، هو القوّة من قوى النفس، و هو الذي يترقّى بالاستفادة و التجارب.

و من كلام الحكيم ثاوفرسطس: ينبغي للعاقل أن يداري الزمان مداراة رجلٍ لا يسبح إذا وقع في الماء الجاري. فلقد صدق مَن قال:

هر چند دست و پا زدم آشفته‌تر شدم
ساكن شدم، ميانهٔ دريا كنار شد

و قال: لا تغبطنّ بسلطان من غير عدل، و لا بِغنيٍّ من غير حسن تدبير، و لا ببلاغة من غير صدق منطق، و لا بجود من غير إصابة موضع.

أقول: لأن الجود في غير موضعه كإدرار السّحاب[2] في الأرض السبخة، و قد يكون

---

١. عقل طباعي: ص. ٢. كإدارة: ص.

مفسدا لما يجود إليه، كما ورد في الحديث القدسيّ: إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر، و لو أغنيته لأفسده. ثم قال: و لا بأدب من غير إصابة رأي، و لا بحسن عمل في غير حسبة.

و قال: المال غنى البدن، و الحكمة غنى النفس، و طلب غنى النفس أولى؛ لأنّها إذا غنيت بقيت، و البدن إذا غني فنى.

و قال: السماء مسكن الكواكب، و الأرض مسكن الناس، على أنّهم مثل و شبيه لما في السماء، فهم الآباء و المدبّرون، و لهم عقول و نفوس مميّزة، و ليس لها أنفس نباتية، فلذلك لا تقبل[1] الزيادة و النقصان.

[١٨] ـ الحكيم ديوجانس الكلبيّ:

الحكيم ديوجانس الكلبيّ، كان زادها متخليّا، لا مسكن له إلّا حيث جنّه الليل، و ليس له إلّا ما يوارى عورته، يأكل قوت يوم بيوم أين وجده ليلا أو نهارا، عند ملك أو زبّال، و قنع بثوبين من الصوف، فلم تزل[2] حاله تلك إلى أن فارق الدنيا. و هو صاحب الشيخ اليوناني و أستاذه، و كان من قدريّة الفلاسفة، لما يوجد في مدارج كلامه من الميل إلى القدر. قال: ليس اللّه تعالى علة للشرور، بل اللّه علة للخيرات و الفضائل و الجود و العقل، جعلها بين خلقه، فمن كسبها و تمسّك بها نالها، لأنّه لا يدرك الخيرات إلّا بها.

أقول: كلام هذا الحكيم مطابق لما ورد في الأدعية المأثورة المروية عن أصحاب العصمة ـ سلام اللّه عليهم ـ : الخير في يديك و الشرّ ليس إليك. و التحقيق أنّ جميع أنواع الشرور لا توجد[3] إلّا في عالم الكون و الفساد، بسبب التضاد الواقع فيه، و هي قليلة بالنسبة إلى الخيرات التي فيه، فإنّه لولا الكون و الفساد الواقع في هذا العالم بسبب التضاد، ما صحّ وجود نفوس و أشخاص، فإنّ النفوس لا تحصل[4] إلّا عند حصول الأبدان، و استعدادها للتعلّق بها، و ذلك لا يحصل إلّا بتفاعل الكيفيات المتضادّة. فالتضادّ الحاصل في هذا العالم بسبب دوام الفيض، فيكون خيرا بالنسبة إلى النظام الكلي، و شرّا بالنسبة إلى

---

١. يقبل: ص.　٢. يزل: ص.　٣. يوجد: ص.
٤. يحصل: ص.

الأشخاص الجزئية، على أنّ التضادّ الذي هو بسبب الكون و الفساد، ليس بفعل فاعل، لأنّ تضادّ الكيفيات المتضادّة، كالحرارة و البرودة، و الرطوبة و اليبوسة، و كذا غيرها، إنّما هو من لوازم الماهيّات. و كما لا يمكن أن يجعل الفاعل الأشكال الكروية متراصة[١] كذلك لا يمكن لفاعل أن يجعل المتضادّات غير متضادّة، بل تضادّ الكيفيات من لوازم ماهيّاتها، فالموجودات الممكنة و إن كانت معلولة للعلة التي منها وجودها و ماهيّاتها و كونها، بحيث يصل منها ترتيب و نظام، إلّا أنّ التضاد إنّما هو لماهيّاتها، و تلك الماهيّات تلزمها لوازم أخرى، لا تنفكّ[٢] عنها، كالعناصر الأربعة التي تلزمها بعد وجودها عن الفاعل كيفيات أخرى، و هي الكيفيّات المتضادّة، التي هي كمالات لها. ثم يلزمها وجود الكون و الفساد، الذي هو منبع الخير و الجود، و يتبع ذلك بعض الشرور القليلة، بالنسبة إلى خيراتها و منافعها. و إذا كانت الموجودات بحالة يحصل من اجتماعها نظام، إنّما هو لماهيّاتها، فلا يرد قول من قال: لِمَ انحصرت الأفلاك في تسعة، و الكواكب السيّارة في سبعة، و لِمَ تعيّنت[٣] نقطتان للقطبيّة دون غيرهما؟ فإنّه لولا الترجيح بالعلية ما أمكن وقوع هذه الأشياء، فإنّ للماهيات و الأعداد العارضة لها خواصّ، و للماهيّات بحسب اعتبار العدد خواصّ أيضا، و الفلك و إن كانت[٤] أوضاعه متساوية، إلّا أنّها تختلف[٥] باختلاف ما تحتهامن الإضافات، و عدم اطّلاعنا على ذلك لا يدل على عدم وثاقة النظام، فإنّ الأشياء ما لم تجب[٦] لعلها لا يمكن وقوعها، فلجميع الأمور الواقعة لجهات وقوعها مخصّصات توجب[٧] ترجّحها[٨]، و لها تغيّرات يكون النظام باعتبار ماهيّاتها دون غيرها، و من هذا قال بعض الأعاظم من علمائنا في بعض مؤلّفاته بالفارسية[٩]:

هر چه در عالم وجود يافته به قضاء و قدر الهيست. خيرات عالم متعلّق اراده، و داخل قضاء بالذات شده است، و شرور بالعرض از آن حيثيت كه لوازم خيرات كثيره و مصالح جليله است. فتفقّه، و لا تكن من الخابطين.

---

١. الكرية متراضــة: ص.
٢. ينفك: ص.
٣. تغيت: في ص.
٤. كان: ص.
٥. يختلف: ص.
٦. يجب: ص.
٧. يوجب: ص.
٨. ترجحها: ص.
٩. بلسـان الفرس: ص.

و وقف الاسكندر على الحكيم ديوجانس يوما، فلم يلتفت إليه، فقال، يا ديوجانس، ما هذا التهاون؟ فقال: و أيّ حاجة تكون[۱] إلى عبد عبدي؟ فقال له الاسكندر: و مَن عبد عبدك؟ فقال: أنت. قال: و كيف ذلك؟ قال: لأنّي ملكت الشهوة فقهرتها و استعبدتها، و ملكتك الشهوة فقهرتك و استعبدتك، فأنت عبد لمن استعبدته أنا.

أقول: إنّ الشهوات مستعبدة للنفس، فتكون[۲] النفس التابعة إلى الأمور البدنية غير حرّة، بل عبد لعبيده[۳]. و الحرّيّة تطلق[٤] على ما يقابل العبوديّة، و هي كون النفس لا تتشوّق[٥] إلى الأمور البدنية، فالنفس كلّما كانت علاقتها البدنية أضعف كانت علاقتها العقلية أقوى، و كانت أكثر حريّة، و تتفاوت[٦] النفوس فيها تفاوتا كثيرا، فالبالغةُ[۷] فيها إلى الدرجة العليا، هي المسماة[۸] بالنفس القدسيّة.

و قال له الاسكندر: لو استسمحتنا[۹] لأغنيناك عن دنياك. فقال له: كيف أستسمحك[۱۰] و أنا أغنى منك؟ قال له: و كيف صرتَ كذلك؟ قال: لأنّي بالقليل الذي عندي أشدّ اكتفاء منك بالكثير الذي عندك. فقال: و من يدفنك إذا متّ؟ قال: من لا يجد بدّا من تنحية الجيفة من قربه.

و سأله الاسكندر يوما: بأيّ شيء تكتسب الثواب؟ قال: بأفاعيل الخيرات، فإنّك لتقدر أيّها الملك أن تكتسب في يوم [ما] لا تقدر الرعية أن تكتسبه في دهرها.

و قيل له: لِمَ لا تبني بيتاً؟ فقال له: لو علمت بيتي و كِبره، لأيقنْتَ أنّ بيوتك و بيوت العالم لا تسعه[۱۱]، يعني أنّ الأرض كلها بيتي، و السماء سقفه. و مِن هذا قال مَن قال:

مرا كه هست زمين بستر و سپهر دواج
سزد اگر نكشم بار منّت لَيلاج

و قيل له: لِمَ سمّيت الكلبيّ؟ قال: لأنّي أُبصبِصُ للأخيار، و أهرّ على الأشرار.

---

۱. يكون: ص. ۲. فيكون: ص. ۳. بل أمَة لإمائها: مص.
٤. يطلق: ص. ٥. يتشوق: ص. ٦. يتفاوت: ص.
۷. فالبالغ: ص. ۸. المسمى: ص. ۹. استمحتنا: ص.
۱۰. استمحتك: ص. ۱۱. يسعه: ص.

قال الشيخ المؤرّخ جمال الدين على بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي المصري، في وجه تسميته بالكلبي: إنّ ديوجانس هذا قد راض نفسه و أصحابه برياضة، فارق فيها اصطلاح أهل المدن، من إطّراح التكليف الذي اقتضاه الإصطلاح، فكان أحدهم يتغوّط غير مستتر عن النّاس، و ينكح في الطريق إذا أراد استنزال الماء الفاسد، و يقبّل الحسناء من النساء قدّام الجمع غير متوقّف، و يقول فيما يأتيه من ذلك لا يخلو إمّا أن يكون ما يفعله قبيحا على الإطلاق، فلا يحسن في موضع، و على صورة دون صورة، فهذا أمر إصطلاحيّ لا ضروريّ، فلا أقف معه، و زادوا على ذلك أنّهم كانوا يحبّون مَن قرب منهم، و يكرهون مَن بعد عنهم[١]. فقال أهل الزمان الذين كانوا فيه: هذه الأفعال تشبه[٢] أفعال الكلاب، فسمّوهم بذلك. و قال: و قد جاءت في زمننا هذا[٣] فرقة من فرق البطالين فعلوا ذلك، و يسمّون[٤] بأصحاب الملامة، أي إنّهم يأتون من الأفعال الخارجة عن الإصطلاح ما يلامون عليه.

أقول: الفرقة التي وصفها الشيخ المؤرّخ كأنّها الفرقة الملاميّة من فرق الصوفية، و لعلّ غرضهم لارتكاب القبائح الإصطلاحيّة أن يلومهم[٥] الناس و يطرحونهم، و لا يصاحبونهم ليأمنوا[٦] عن مخالطة الخلق، و ممازجة أبناء الزمان. كما أشار إليه بعض[٧] أهل العرفان: فِرَّ مِن الناس فرارَك من الأسد. و اختار بعضهم للتجنّب عن المحاقل السكنى في المزابل، و رضي هذه الرذيلة من الرذائل:

بابا رجب آن سالک فرسودۀ خلق	آن در همۀ عمر نیالودۀ خلق
زآلودگی خلق به مبرز بگریخت	کالودۀ مبرز بِه از آلودۀ خلق

و هذا كتلبيس أهل الغيرة من بعض هذه الفرق على الأوقات بإخفائها، و على الكرامات بكتمانها، فإنّهم يغارون على مكاشفاتهم بأن يكتموها عن الأغيار، صيانة لأنفسهم عن الرعونة، و اختيار الخمولة لئلا تتفرّق[٨] جمعيّتهم بمزاحمة الخلق، و إقبال الناس

---

١. منهم: ص. ٢. يشبه: ص. ٣. هذه: ص.
٤. و يسموا: في ص. ٥. يلامونهم: ص. ٦. ليأمنون: ص.
٧. بعض من: ص. ٨. بتفرق: ص.

عليهم، فيشغلونهم[1] عن الحقّ. و حسبك منهم أنّك لو خالصتهم و وافقتهم في أهوائهم أثمت و أفسدت أمر آخرتك، و إن خالفتهم تعبت بأذيّاتهم و جفواتهم، و كدّروا عليك أمر دنياك، ثم لا تأمن من أن يدخلوك[2] إلى معانداتهم فتقع[3] في شرورهم؛ و لأنّهم إن مدحوك و عظّموك، أخاف عليك الفتنة و العجب، و إن ذمّوك و حقّروك أخاف عليك الحزن تارةً، و الغضب لغير اللّه تعالى أخرى، و كلا الأمرين آفة مهلكة، فاهجرهم هجرا جميلا.

و قد ورد عن سيّدنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ أغبط الناس مؤمن خفيف الحال. و كان غامضا لا يشار إليه بالأصابع. و روى الصدوق رحمه الله في كتابه معاني الأخبار، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: طوبى لعبد عرف الناس فصاحبهم ببدنه، و لم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه، فعرفوه في الظاهر و عزلهم في الباطن.

و من الكلمات[4] الحكمية للحكيم[5] ديوجانس، قال: ليس من كفّ عن الشرّ بخير، لكن من عمل خيرا.

أقول: و في زماننا هذا من كفّ عن الشرّ فهو من الأخيار الكبار.

مرا به خير تو اميد نيست شر مرسان.

و قال: زمام العافية بيد البلاء، و رأس السلامة، تحت قباب العطب، و باب الأمن مستور بالخوف، فلا تكوننّ في الحالات الثلاثة[6] غير متوقّع لضدّها.

و قيل له: كيف الذي بينك و بين ريطُس؟ فقال: يختلف جدّا؛ لأنّي بحكمتي صرت أحمق، و هو بحمقه صار حكيا.

و قال ريطس: صدق، أدركت بحمقي ما ضيّع بحكمته.

و قال: إذا أنكرت شيئاً على غيرك فاحذر أن تكون مثله فيك، فإنّه لا شيء أقبح من عار يرجع على معيّره[7]. أقول: و لذا قال بعض الأدباء: عظ نفسك، فإن اتّعظت، فعظ الناس، و إلّا فاستح[8]. و لا يخفى أنّ الإنسان لا يزال حسن الظن ببديهة نفسه، قليل التفحص عن

---

۱. فيشتغلونهم: ص. ۲. يلخوك: ص. ۳. فيقع من: ص.
٤. كلمات: ص. ٥. لحكيم: ص. ٦. حالة الثلاثة: ص.
۷. لمعيرته: ص. ۸. فاستحى: ص.

روية خدشه، لا جرم أنّ العثار سائق إلى قدمه، و الإغترار سائق إلى ندمه، و قد سنح لي [بالفارسية]:

مـرا عـيب دگـر افـزايـد از عـيب كسـان گـفتن
چه رُو با عيب خود جوياى عيب اين و آن باشم

و قيل له: ألكَ بيت تستريح فيه؟ قال: نعم، إنّما يحتاج إلى البيت ليستراح فيه، و حيثما استرحت عن البيت فهو بيت لي.

و قال لزينون الشاعر: أقصر في مديحك فإنّ مدح الرجل بما ليس فيه هجاء.

و دخل عليه الاسكندر فركله برجله، و قال له: قُمْ، قد فتحت مدينتك. فقال: إن فتح المدينة لا ينكر للملوك، و لكن الركل من طبع الحمير.

و كان في أيّامه رجل مصوِّرٌ، فترك التصوير و صار طبيبا. فقال ديوجانس: أحسنت، إنّك لمّا رأيت خطأ التصوير للعين ظاهرا، و خطأ الطب يواريه التراب، تركت التصوير، و دخلت في الطب.

و رأى رجلا شرّيرا، حسن الوجه فقال: نعم البيت و بئس الساكن.

و قال: لا مال أوفر من العقل، و لا فقر أشدّ من الجهل، و لا قرين خير من حسن الخلق، و لا ظهير أوفق من المشاورة، و لا قائد خير من التوفيق، و لا ميراث أنْمى من الأدب.

و قال: المرض حبس البدن، و الغمّ حبس الروح.

و قال [له] رجل: بماذا أرغم عدوّي؟ قال: بأن تكون على غاية الفضيلة. و قد نظم هذا المعنى بعض الشعراء:

إذا مـا شـئتَ إرغـامَ الاعـادي بـلا سَـيفٍ تَسِـلُّ و لا سِـنان
فَـزِدْ في مَكْـرُماتِكَ فـهي أَعْـدَى عـلى الأعـداءِ مـن نُـوَبِ الزّمـانِ

و قال: إذا أردت أن تعظّم محاسنك في أعيُن الناس، فلا تعظمنّ في نفسك.

و سأله عصبة من أهل الجهل: ما غذاؤك؟ قال: ما عِفتم، يعني الحكمة. قالوا: فما عفت؟ قال: ما استطعمتم، يعني الجهل. قالوا: كم عبداً لك؟ قال: أربابكم، يعني الغضب و الشهوة و

الأخلاق الردئية[١] الناشئة منها. قالوا: فما أقبح صورتك؟ قال: لم أملك الخلقة الذميمة فأُلام عليها، و لا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها، و أمّا ما صار في ملكي و أتى عليه تدبيري، فقد استكملت تزيينه و تحسينه بغاية الطوق و قاضية الجهد، و استكملتم تهجين ما في ملككم. قالوا فما الذي في الملك من التزيين و التهجين؟ قال: أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة، و جلاء العقل بالأدب، و قمع الشهوة بالعفاف، و ردع الغضب بالحلم، و قطع الحرص بالقنوع، و إماتة الجسد بالزّهد، و تذليل المرح بالسكون، و رياضة النفس حتى تصير مطيّة قد ارتاضت، فتصرّفت حيث صرفها، فأرساها في طلب العليّات، و هجر الدنيّات. و أمّا التهجين، فتعطيل الذهن من الحكمة، و توسيخ العقل بصباغ الادب، و إثارة الشّهوة باتّباع الهوى، و إضرام الغضب بالانتقام، و إمداد الحرص بالكَلَب.

أقول: الظاهر أن الكلام غير تامّ[٢]؛ لأن التهجينات غير منطبقة على التزيينات[٣]، و ليس في النسخ التي رأيناها غير هذا، و لعلّ الإتمام بهذا الكلام مناسب للمقام: و إحياء الجسد بولوع المشتهيات، و تعظيم التطاول بالحركات، و إرخاء عنان النفس بحيث لا تقدر [على] التماسك عن رغبة الأدناس[٤] و رفض المشتهيات.

و استدعاه الملك الاسكندر إلى مجلسه يوما، فقال للرسول: قل له: إنّ الذي منعك من المصير إلينا هو الذي منعنا من المصير إليك، منعك من المصير إلينا استغناؤك عني لسلطانك، و منعني من المصير إليك استغنائي عنك بقناعتي. و وقف الاسكندر عليه يوماً فقال: أما تخافني[٥]؟ قال: أنت خيّر أم شرّير؟ قال: بل خيّر. قال: فما لي خوف من الخيّر. و كان لأهل مدينته من بلاد اليونان[٦] صاحب جيش جبان، و طبيب لم يعالج أحداً إلاّ قتله، فظهر عليهم عدوّ ففزعوا إليه، فقال ديوجانس: اجعلوا صاحب لقاء العدوّ طبيبكم، و اجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم.

و قال: اعلم بأنّك ميّت لا محالة، فاجهد أن تكون[٧] حيّا بعد موتك لئلّا تكون[٨] لميتتك

---

١. الرديّة: ص. ٢. تمام: ص. ٣. للتزينات: ص.
٤. الدنسات: ص. ٥. ما يخافني: ص. ٦. يونان: ص.
٧. يكون: ص. ٨. يكون: ص.

ميتة ثانية.

أقول: يعضد كلام الحكيم ما ورد في التنزيل الكريم من تقديم خلق الموت على الحياة، كما قال عزَّ من قائل الحمد للّه: «الذي خلق الموت و الحيوة[١]» لأنّ النفس مادامت مشغولة بتدبير البدن، الذي هو بمنزلة القبر لها[٢] ـ كما نطقت[٣] به النصوص ـ و مفتونة بزخرفات النشأة الفانية، كأنّها ميتة ساقطة لا تقدر [على] الطيران[٤]، و الوصول إلى لذّات الجنان، فالحريّ بالإنسان[٥] أن يجتهد لتحليتها بحُلَل الفضائل، حتى تنقطع[٦] علائقها و تصير[٧] حيّة باقيةً، لكيلا تعتري لميتتها ميتة ثانية.

و قال: كما أنّ الأجسام تعظم[٨] في العين يوم الضباب، كذا تعظم[٩] الذنوب عند الإنسان في حال الغضب.

و قيل له: مالك لا تغضب؟ فقال: أمّا غضب الإنسانية فقد أغضبته، و أمّا غضب البهيميّة فإنّي تركته الشهوة البهيميّة.

و سئل عن[١٠] العشق، فقال: سوء الاختيار صادف نفسا فارغة.

و راى غلاما معه سراج، فقال له: تعلم من أين تجيء[١١] هذه النار؟ قال له الغلام: إن أخبرتني إلى أين تذهب[١٢] أخبرتك من أين تجيء[١٣]. فأعياه فأفحمه بعد أن لم يكن يقوى عليه أحد.

[١٩] ـ الشيخ اليوناني:

الشيخ اليوناني صاحب الحكم الكثيرة، و المواعظ الشافية، و الرموز و الأمثال الكافية، و كان معاصر ديوجانس و تلميذه، و أخذ الحكمة عنه.

و من حكمه و مواعظه قال: النفس جوهر شريف كريم، يشبه دائرة قد دارت على

---

١. سورة الملك، الاية ٢.
٢. له: ص.
٣. نطق: ص.
٤. يقدر الطيران: ص.
٥. للإنسان: ص.
٦. انقطعت: ص.
٧. صارت: في ص.
٨. يعظم: ص.
٩. يعظم: ص.
١٠. و سئل: عنه عن: ص.
١١. يجئ: ص.
١٢. يذهب: ص.
١٣. يجئ: ص.

مركزها، غير أنّها دائرة لا بُعد لها، و مركزها هو العقل، و العقل دائرة استدارت على مركزه، و هو الخير الاول المحض، و لكن دائرة النفس متحركة على مركزها، و هو العقل حركة الاستكمال، و دائرة العقل و إن كانت شبيهة بمركزها، لكنّها تتحرّك[1] حركة الاشتياق؛ لأنّها تشتاق إلى مركزها، و هو الخير الأول. و أما دائرة العالم السفلى فإنّها تدور حول النفس، و إليها تشتاق. و إنّما تتحرّك[2] بهذه الحركات الدائمة شوقا إلى النفس، كشوق النفس إلى العقل الفعّال. و شوق العقل الفعّال إلى الخير المحض، الذي هو الباري تعالى. و دائرة هذا العالم جرم، و الجرم يشتاق إلى الشيء الخارج عنه، و يحرص على[3] أن يصير فيعانقه، فلذلك يتحرّك الجرم الأقصى الشريف حركة سريعة مستديرة؛ لأنه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها، فيستريح إليها، و يسكن عندها.

و قال: المبدع الأول الحقّ ليس شيئاً من الأشياء، و هو جميع الأشياء؛ لأنّ الأشياء منه. و قد صدق الأوائل الأفاضل في قولهم: مالك الأشياء هو الأشياء كلها، اذ هو علّة كونها بأنّه فقط، و علّة شوقها إليه، و هو خلاف الأشياء، و ليس فيه شيء ممّا أبدعه، و لا يشبه شيئاً منها[4]، و لو كان ذلك لما كان علة الأشياء بأنّه فقط، و أنّه يعلمها و يحفظها و يدبّرها لا بصفة من الصفات، و إنّما وصفناه بالحسنات و الفضائل؛ لأنّه علتها، و أنّه الذي جعلها في الصور، فهو مبدعها.

و قال: و إنّما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول جلّ و عزّ، فلذلك صارت ذوات مراتب شتّى، فمنها ما هو أوّل في المرتبة، و منها ما هو ثانٍ، و منها ما هو ثالث. فاختلفت[5] الأشياء بالمراتب و الفصول، لا بالمواضع و الأماكن. و كذلك الحواس تختلف[6] بأماكنها، على أنّ القوى معاً[7] لا تقترن[8] بمفارقة الآلة.

و قال: المبدع ليس بمتناهٍ، لا كأنّه جثّة بسيطة، و إنّما عظم جوهره بالقوّة و القدرة، لا بالكمية و المقدار، فليس للأول صورة و لا حلية و لا شكل؛ فلذلك صار محبوبا معشوقا،

---

١. يتحرك: ص. ٢. يتحرك: ص. ٣. إلى: ص.
٤. منه: ص. ٥. فاختلف: ص. ٦. يختلف: ص.
٧. فانّها معاً: ص. ٨. يقترن: ص.

تشتاقه الصور العالية و السافلة، و إنّما اشتاقت إليه صور الأشياء، و كساها من جوده حلية الوجود، و هو قديم دائم على حاله، و لا يتغيّر بتغيّر العاشق الحريص على أن يصير إليه، و يكون معه. و للمعشوق الأول عشّاق كثيرون، و قد يفيض عليهم كلّهم من نوره، من غير أن ينقص من نوره شيء؛ لأنّه ثابت قائم بذاته، لا يتحرّك.

و أمّا المنطق الجزويّ، فلا يعرف الشيء إلّا معرفة جزوية.

أقول: و لعلّ تبيين مرام الشيخ اليوناني أنّ جميع هويّات الموجودات كما لم يكن وجودها من ذاتها، بل من عللها الفيّاضة، فكذلك كمالاتها مستفادة من تلك العلل التي لها، و لمّا لم تكن[1] العلل قاصدة لايجاد شيء من الموجودات، و لا بشيء من الكمالات، وجب في الحكمة الإلهيّة و العناية الربّانية، و حسن التدبير، وجودة النظام، أن يكون في كلّ موجود عشق كليّ؛ ليكون بذلك حافظا لما حصل له من الكمالات اللائقة به، و مشتاقا إلى تحصيلها عند فقدانها؛ فيكون بذلك سببا للنظام الكلّي، و حسن التدبير الجزئي، و هذا العشق الموجود في كل واحد من أعيان الموجودات، غير مفارق لها، إذ لو جاز مفارقتها لافتقرت إلى عشق آخر، يكون حافظا للعشق الأول عند وجوده، و يستردّه عند عدمه، و يصير أحد العشقين معطّلا، و ذلك محال. فعلم أنّ العشق سار في جميع الموجودات و أجزائها، لا يجوز خلوّ شيء منها، منه[2]، فجميع الموجودات بحسب ما لها من الكمالات اللائقة بها طالبة لكمالات الواجب الوجود لذاته، فتشبهها[3] به في تحصيل كمالاتها طالبة لذلك الكمال، فالباري ـ جلّ شأنه و تقدست أسماؤه ـ هو غاية جميع الموجودات، و نهاية مرامها، فالعشق و الشوق سبب وجود[4] الموجودات على كمالاتها الممكنة لها، و سبب دوامها و ثباتها. و لولا العشق و الشوق ما أمكن وجود حادث في العالم الجسماني، و لا يكون متكوّن في عالم الكون و الفساد. فلقد أصاب من قال بالنظم الفارسي:

---

١. يكن: ص.　٢. عنه: ص.　٣. فتشبّهه: ص.

٤. وجودات: ص.

گــر عشــق نــبودی و غــم عشــق نــبودی
چندین سـخن نـغز کـه گـفتی کـه شـنودی؟

و لما تحقّق في مذاق معاشر حكماء الإشراق محبّة المعلول لعلّته، و المجعول لجـاعله، و بالعكس. إلّا أنّ محبّة العلة و الجاعل للمعلول و المجعول على سبيل العـزّ و القـهر، و محـبة المعلول و المجهول على علته و جاعله على سبيل الذلّ و الانقياد. و إنّ بداية المحبّة من طرف العلة و الجاعل، كما قال من قال:

يحـــبّهم و يحـــبّونهُ چـــنين فـرمود　　　　که ابتدای محبت ز جـانب مـا بـود

انكشف للمتدبّر ما دار على[۱] ألسنة العلماء[۲] العـارفين بأسرار الحـقائق، و الكـاشفين لأستار الدقائق، النكاح السّاري في جميع الذراري، و أنّ نسـبة الجـوهر الأول إلى الأول القيوم ـ جلّ ذكره ـ أمّ جميع النسب، فعشقه[۳] و خضوعه[٤] لمعشوقه المفيض للخير و الجود، يسري لا محالة في سلسلة ذرّات عوالم الوجود و الظاهر أنّ المحروم بالكلية من هذا العشق[٥] و الخضوع[٦] لا يكون إلّا وَلَدَ غيّة[۷]، و لا يصير إلّا مستوجب لعنة، كما قيل:

ســـر بـی‌عشق را بـاید بـریدن　　　　به دوش این بـار را نـتوان کشـیدن

فصار الجوهر الاول مصدر الازدواج، و منشأ الإئتلاف في جبلّات عـوالم الوجـود و غرائزهم، فجملة نظام الوجود عبد عاشق مطيع للّه عزوجل، عامِل لأمره، تابع لإرادته. و لقد[۸] بان صدق من قال بالنظم

اگـــر پـــویی ز اســـفل تـــا بـــه عـــالی
نـــــیابی ذرّه‌ای زیـــــن مَـــیل خـــالی

---

۱. في: ص.　۲. علماء: ص.　۳. فاعتشاقه: ص.
٤. اختطاعه: ص.　٥. الاعتشاق: ص.　٦. الاختطاع: ص.
۷. لغية: ص.　۸. فلقد: ص.

همين مَيل است با هر ذرّه رقّاص
رساند ذرّه را تا مقصد خاص
همين ميل آمد و بر كاه پيوست
كه محكم كاه را با كهربا بست
همين ميل است اگر دانى همين ميل
جنبيت در جنبيت خيل در خيل

و قال الشيخ اليوناني: إنّ الفاعل الأول أبدع الأشياء كلها بغاية الحكمة، لا يقدر أحد أن ينال علل كونها، و لِمَ كانت على الحال التي هي الآن عليها، و لا أن يعرف ما كنه معرفتها، و لِمَ صارت الأرض في الوسط، و لِمَ كانت مستديرة، و لَمْ تكن[١] مستطيلة و لا منحرفة، إلّا أن تقول: إنّ الباري تعالى صيّرها كذلك.

و من مرموزاته و أمثاله منها قوله: إنّ أمّك رَومٌ لكنّها فقيرة رعناء، و إنّ أباك حدث[٢] لكنّه جواد مقدر، يعني بالأمّ الهيولي، و بالأب الصورة، و بالرَّوم انقيادها، و بالفقر احتياجها إلى الصورة، و بالرّعونه قلّة ثباتها على ما تحصل[٣] عليه، و أمّا حداثة الصورة أي هي مشرقة لك بملابسة الهيولي، و أمّا جودها أي النقص لا يعتريها من قبل ذاتها، فإنّها جواد لكنه من قبل قبول الهيولي، فإنّها إنّما قبلت[٤] على تقدير.

هذا ما فسر به رمزه و لغزه، و حمل الأمّ على الهيولي صحيح مطابق للهيولي للمعني، و ليس حمل الأب على الصورة بذلك الوضوح، بل حملها على العقل الفعّال الجواد الواهب للصور على قدر استعدادات القوابل أظهر. ثمّ قال: لك نَسَبان: نسب إلى أبيك، و نسب إلى أمّك، أنت بأحدهما أشرف و بالآخر أوضع، فإن انتسبت[٥] في ظاهرك و باطنك إلى مَن انتسابه أشرف، و تبرّأت[٦] في باطنك و ظاهرك ممّن أنت به أوضع شرفت، فإنّ الولد الفصيل يحبّ أمّه أكثر[٧] ممّا يحب أباه، و ذلك دليل على دخل العِرق، و فساد المحتد. قيل أراد

---

١. يكن: ص. ٢. الحدث: في ص. ٣. يحصل: ص.
٤. قبل: ص. ٥. انتسب: ص. ٦. تبرأ: ص.
٧. بأكثر: ص.

بذلك الهيولي و الصورة البدن و النفس، أو الهيولي و العقل الفعّال.

و قال: قد ارتفع إليک خصمان منك، يتنازعان بك، أحدهما محقّ، و الآخر مبطل، فاحذر أن تقضي بينهما بغير الحقّ، فتهلك[1] أنت. و لعلّ الخصمين[2] أحدهما العقل و الثاني الطبيعة.

و قال: كما أنّ البدن الخالي من النفس يفوّح نتن الجيف، كذلك النفس الخالية من الأدب يحسّ نقصها بالكلام و الأفعال.

و قال: الغائب المطلوب في طيّ الشاهد الحاضر.

قال أبو سليمان السنجري: مفهوم هذا الإطلاق أنّ كلّ ما هو عندنا بالحس هنا فهو لنا بالعقل هناك، إلّا أنّ الذي عندنا ظلّ ذلك، و لأنّ شأن الظلّ أنّه كما يريك الشيء الذي هو ظلّه مرّة فاضلا على ما هو عليه، و مرّة قالصا عمّا هو به، و مرّة على قدره، عرض الحسبان، و اليوم صار مزاحماً[3] لليقين و التّحقيق، فينبغي أن تكون[4] عنايتنا بطلب البقاء الأبديّ و الوجود السرمديّ أتمّ و أظهر و أشفى و أبلغ، فالحقّ ما كان الغائب في طيّ الشاهد، و بتصفّح هذا الشاهد يتّضح[5] ذلك الغائب في الشاهد.

[۲۰]ـ الحكيم اوميرس:

الحكيم اوميرس[6] الشاعر، من القدماء الكبار، الذي يخبر عنه[7] أفلاطون[8] و أرسطوطاليس في أعلى المراتب. و كان يجري عندهم مجرى امرئ القيس في شعراء العرب، و كان أرسطو لا يفارق مكانه ديوانه، و يستدلّ هو و من تقدّمه و تأخّر عنه بشعره، لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة، و متانة الحكمة، وجودة الرأي، و وجازة اللفظ. و كان زمانه بعد زمان الكليم عليه شرائف[9] التسليم بخمسمائة و ستّين سنة، و هو أول من بدأ[10] الشعر في اليونان[11].

و حكي أنّ ابرخس، الشاعر اليوناني، فخر على اوميرس[12] بكثرة الشعر، و سرعة عمله

---

۱. فهلك: ص. ۲. المخصمان: ص. ۳. مزاحمين: ص.
٤. يكون: ص. ٥. يطمح: ص. ٦. هوميروس: مص.
۷. به: ص. ۸. أفلاطن: ص. ۹. أشرف: مص.
۱۰. أبدأ: ص. ۱۱. يونان: ص. ۱۲. هوميروس: مص.

و عيّره ببطئ و قلّة شعره. فقال اوميرس[1]: بلغنا أنّ خنزيرة بأنطاكية عيّرت[2] لَبوة بطول زمان الحمل و قلّة الولد، فقالت اللّبوة: لقد صدقتِ إنّي ألد الولد بعيدا، و لكن أسداً. قال شيخ الگنجه ﷺ :

لاف از سخن چو دُر توان زد　　　آن خشت بود که پر توان زد

و هذا الابرخس الشاعر غير ابرخس المهندس.

أقول: الشعر محاكاة صناعيّة، و هو عند القدماء من الحكماء على ما صرّح ابن الجمهور، كلام مخيّل مسجّع، لا كما هو عليه الشعر في زماننا هذا، فإنّ الشعر عند المحدثين كلام موزون بالأوزان العروضيّة، متساوي الأركان مقفّى، و لا يعتبرون التخيّل، و هذا متّفق عليه في اللغة العربية و الفارسية و التركية. و أمّا عند الأمم القديمة السالفة من اليونانيين و السريانيين و العبرانيين فلم ينقل عنهم، و لا عن أحد من قدمائهم شعرا موزونا، بل نقل عنهم ما هو كالأسجاع الشبيهة بالنثر من غير قواف، ثم إنّهم بعد ذلك اختلطوا بالعرب و الفرق، فتعلّموا منهم ذلك الأسلوب، و صنعوا شعرا موزونا يدخل في العروض و القوافي على قوانين أهل زماننا.

و در بعضى از كتب معتبره به نظر رسيده كه اول كسى كه اختراع علم عروض كرد و آن را ميزان شعر ساخت خليل بن احمد البصرى بود چنانچه در كتاب طبقات النحاة از سيرافى نقل نموده، كه خليل در استخراج عروض به اعلى غايت رسيده، و آن را مخصوص به اوزان شعر عرب گردانيده. نقل است كه او در مكهٔ معظمه دعا كرده بود، كه خداى تعالى او را علمى كرامت كند كه كسى سبقت نگرفته باشد، و چون از مكه بيرون آمد و به بصره رسيد، روزى از كوچه گازران مى‌گذشته، از گرفتن ايشان جامه‌ها را آوازهاى مختلف شنيد، و با خود گفت ازينجا اصلى مى‌توان استنباط نمود، كه كسى بر آن سبقت نگرفته باشد، آنگاه علم عروض را بر وجهى كه شايع است وضع نمود.

و از يونس نحوى نقل است كه خليل را ذكاء و فطنت در آن مرتبه بود كه از لغت عرب

---

١. هوميروس: مص.　　٢. عيّر: ص.

سایر لغات استنباط می‌نمود. و سیبویه و أصمعی از تلامذهٔ او بوده‌اند، و أبوعبدالله محمد بن خلکان غوّاص نیشابوری در رسالهٔ فرهنگ آورده، که خلیل در اصل از اولاد ملوك عجم بود، که نوشیروان ایشان‌را به یمن فرستاد با سپهسالاری که نام او اهرن بود، سیبویه نیز از آن نژادست. خلیل زبان[1] عرب و شعر ایشان [را] راست کرد به کتاب العین و کتاب العروض، و سیبویه زبان عرب [را] راست کرد به کتاب نحو، پس من این تالیف کردم و زبان عجم را به آن راست نمودم. و از مختار شعر خلیل این دو بیت است:

لَو كُنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتني … أو كنتُ أعلمُ ما تقولُ عَذَرتُكا
لٰكِن جَهِلتَ مَقالَتي فَعَذَلتَني … و عَلِمتُ أنّك جَاهلٌ فَعذَرتُكا

روي أنّ أباالأسود سأل مولانا أميرالمومنين سلام الله عليه عن أشعر العرب. فقال عليه‌السلام: الذي لم يقل عن رغبة و لا رهبة، و هو الملك الضليل، يريد ـ عليه أشرف التسليمات ـ امرأ القيس، كما صرّح به الفاضل ابن ميثم البحراني. ثم قال صلوات اللّه عليه: إنّهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتى نفاضل بينهم، بل كان لكل منهم حالة خاصّةٌ يجيد[2] فيها. فواحد يُجيد[3] في الرغبة و آخر في الرهبة، و آخر في النشاط و الطرب، و لذلك قيل أشعر العرب امرؤ القيس إذا ركب، و الأعشى إذا رغب و النابغة[4] إذا رهب. و سمّاه ضلّيلا لكثرة ضلاله في وقت فوته. و قيل: لأنّه تنصّر[5] في آخر عمره، و قيل: إنّه كثير التهتّك، و إعلان الفسق كما في أشعاره.

و روي عن سيدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: امرؤ القيس أشعر العرب و قائدهم إلى النار.

قال الفرزدق: كان الشعر جزورا فنحرت[6]، و أخذ سنامها امرؤ القيس، و أخذ طَرَفَةُ ما طاب من لحمها، و أخذ لبيد بأمعائها و أكبادها، و بقيت عظامها و أرواثها فتقاسمناها[7] نحن.

---

۱. بزبان: ص. ۲. يجيد: ص. ۳. يجيد: ص.
٤. البانعة: ص. ٥. ينصر: ص. ٦. فنحر: ص.
٧. فقسمناها: في ص.

و كلام المعلم الأول يدلّ على أنّ الشعر ما كان له وزن في زمانهم، و اصطلاحه بأنّ الشعر يوقع أثرا في النفس، يشبه التصديق انقباضها و انبساطها، و إيثارها و كراهتها، و ميلها و إعراضها، و يسهل الأمور تهويلها و تعظيمها و تحقيرها، كقولك في الخلّ أنّه مرّة مهوّع مقيّء[1] فتنفّر النفس عنه، و في الخمر أنّه ياقوتيّ سيّال، مفرّح[2] فيسهل شربه، و تميل[3] النفس إليه. فالكلام الشّعري قياس مؤلّف من قضايا، يوقع في النفس تخيّلا يشبه التصديق.

و كان اوميرس[4] معتدل القامة، حسن الصّورة، أسمر اللون، عظيم الهامة، ضيق ما بين المنكبين، سريع المشية، بوجهه آثار جُدَريّ.

و نقل الشهرزوري في تاريخه: أنّه أسر فاشتراه بعضهم، فقال له: لأيّ شيء تصلح؟ فقال: للحريّة فأعتقه، و عاش عمرا طويلا. و قال: مبلغ عمره مائة و ثمانون سنة.

و قيل له: متى تمسك عن مدح فلان؟ فقال: إذا أمسك هو عن إحسانه.

و قيل له: تكذب في شعرك. فقال: يراد بالشعر الكلام الحسن، و أمّا الصدق فعند الأنبياء.

و من مذهبه أنّ بهرام واقع الزهرة، فولدت منهما طبيعة هذا العالم، ثم قال: الزُهرة علة التوحد و الإجتماع، و بهرام علة التفرّق و الاختلاف، و التوحّد[5] ضدّ التفرق، و لذلك صارت الطبيعة ضدّا، تركّب و تنقّص و توحّد و تفرّق.

أقول: لعلّ كلامه اللّاحق تعليل لاختلاف طبائع النتائج الحاصلة من مواقعتهما، الذاهب[6] إليها في كلامه الأول، بأن الاختلاف سبب الافتراق، و مراده بالمواقعة الممازجة. و كان رأيه أنّ من ممازجة الزهرة و المرّيخ تولّدت طبيعة هذا العالم؛ لأنّ الأشياء تتبيّن بالأضداد، و مدار هذا العالم بالجمع و التفريق، و هما ناشئان ـ بمقتضى رأيه ـ من طبيعة الزهرة و المرّيخ، فولدت من مواقعتهما طبيعة هذا العالم، و لاختلاف طبيعة الأبوين، اختلفت طبائع المتولدات، و هذا سبب الافتراق.

قال الحكيم بطليموس في الكلمة التاسعة من ثمرته: ليس يصل إلى الحكم على تمريخ

---

١. مهوّته مقيئة: في ص. ٢. ياقوتية، سيّالة، مفردة: ص. ٣. يميل: ص.
٤. هوميروس: مص. ٥. التوحيد: ص. ٦. الذهبة: ص.

الكواكب إلّا عالم بالأخلاق و الامتزاج الطّبيعي، و حاصل كلامه أنّه كما كانت للعناصر كيفيّات متضادّة إذا امتزجت و تفاعلت، حدثت من امتزاجها و تفاعلها كيفية متوسّطة هي المزاج، فكذا يحصل من امتزاجات الكواكب في أوضاعها أثر هو مقتضى امتزاجاتها، و قد تبيّن من كتب الأحكام النجومية أنّ الأخلاق المختلفة للأشخاص تحصل[1] من امتزاجات الكواكب و تأثيراتها؛ مثلا، إذا كانت الزهرة مع المشتري في طالع شخص، فمن عرف تركيب الأخلاق يعرف بأنّه يقتضي شهوته على وجه شرعي بسبب المشتري، فالحكم بامتزاج تأثيرات الكواكب على ما بيّن المحقق الطوسي ـ قدست نفسه القدوسية[2] ـ في شرحه مشروط بمعرفة تركيب الأخلاق، و امتزاج العناصر، و تولّد المركّبات من البسائط على الوجه الطبيعي.

و قال الحكيم اوميرس[3]: من يعلم أنّ الحياة مستبعدة، و الموت متيقّن، آثر الموت على الحياة. كما قال مَن قال:

مردن ما چه عجب؟ زندگی ما عجب است
زانکه ما زنده ز جمعیت چار اضدادیم

و المراد أنّه اختار الموت الإراديّ قبل حلول الموت الطبيعي، و تلك حياة حقّة حقيقيّة، و ههنا كلام ينبغي إيراده في هذا المقام: و هو أنّه قد تكرر جدّا في الكتاب الكريم و السّنّة الشريفة، و في أحاديث أهل بيت الوحي و العصمة سلام الله عليهم، حثّ المؤمن على استكراه الحياة الدنيا، و الإعراض عنها، و الاشتياق إلى الموت تمنّيه، و استحقار دار النضرة[4] البائدة و استعظام دار البهجة الخالدة، و قد ورد أيضا في أحاديثهم ـ صلوات الله و تسليماته عليهم ـ النهي عن طلب قطع الحياة و إدراك الممات. و في أدعيتهم المأثورة ميل طول العمر، و تأخير الأجل، فما وجه التوفيق بين ذا و ذا؟ قال بعض الأعلام: وجه التوفيق و سبيل التحقيق أنّ هذه الحياة الدنيا اعتبارين: اعتبارا لها بما هي هي، و بما أنّها تقلّب في

---

۱. يحصل: ص.   ۲. قدس نفسه القدوسي: ص.   ۳. هوميروس: مص.
٤. النصرة: ص.

أرض الطبيعة الغاسقة، المظلم ليلها، و إقامة في قرية الهيولي السافلة الظالم أهلها، فهي بهذا الاعتبار هي المحثوث على مَقْتها، و على انصراف القلب عن الركون إليها، و إلى نضرتها[١] الذاهبة، و لذّتها الكاذبة، و تبعتها اللازبة، و المحفوفة بتوقان النفس إلى رفضها، و الاشتياق إلى الموت الذي هو سبيل أرض الحياة الفائزة الحقيقيّة، و طريق دار البهجة الحقّة الالٰهية.

و اعتبارا بحسب ما أنّها مزرع الزاد للنفس في سبيل الإستكمال، و متجر الإسترباح للعقل في طريق الكمال، منها يتزوّد أولياء اللّه، و فيها يتأهّب حزب الحق للقاء اللّه، و هي بهذا الإعتبار و لهذا الامتياز لحياة دار القرار، يستحب[٢] استنفارها، و يطلب[٣] طول البقاء فيها، و إليه الإشارة في حديث مولانا أميرالمؤمنين سلام الله عليه: بقيّة[٤] عمر المؤمن لا ثمن لها يدركُ بها مافات، و يُحيي بها ما مات[٥]. و في نهج البلاغة المكرمة: «الدنيا خلقت لغيرها و لم تُخلق[٦] لنفسها[٧]. أراد عليه السلام أنّها خلقت للإستعداد فيها لدرك ثواب اللّه عز مجده في الآخرة، لا ليلتذّ بها الجاهلون.

و من مقطّعات أشعار الحكيم[٨] اوميرس[٩] قال: ينبغي للإنسان أن يفهم الأمور الإنسانية.

و قال إنّ أمور العالم معلّمك. و من هذا قال مَن قال:

چشمی داری و عالمی در نظر است
دیگر چه معلم چه کتابت باید

و قال: إنّ الضحك في غير وقته ابن عمّ البكاء.

خنده که از دل نگشاید گره   گریه از آن خندهٔ بی‌وقت به

و قال: إذا نالتك مضرّة فاعلم أنّك كنت أهلها.

---

١. نصرتها: في ص.   ٢. تسحب: ص.   ٣. تطلب: ص.
٤. بقيته: ص.   ٥. بقيته: ص.   ٦. بقيته: ص.
٧. نهج البلاغة، قصار الحكم، ٤٦٣.   ٨. حكيم: ص.   ٩. هوميروس: مص.

گاه به ما لطف دوست، گاه جفا می‌رسد
صورت اعمال ماست آنچه به ما می‌رسد

و قال: إذا سقطت الشجرة احتطب كل من أراد.
و قال: إذا حضر البخت تمّت[1] الامور.
و قال: إنّ اليد تغسل[2] اليد، و الإصبع الإصبع.
و قال: ليكُن فرحك بما تدّخره لنفسك، دون ما تدّخره لغيرك.
و قال: إذا أراد اللّه خلاصك، عبرت البحر على البارية.
و قال: إن كنت ميّتا فلا تحقر عداوة من لا يموت.

أقول: لعلّ مراده إن كنت ميّتا فاسد الجسم، فلا تحقر عداوة من لا يموت، أي عداوة جوهرك الذي لا يبطل[3] بسبب إعمال قواك[4] البهيميّة و إرخاء عنانها، فيغلب على نفسك هواك، فتفتضح[5] في دار منقلبك و مثواك. كما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغُبار   أفرسٌ تحتكَ أم حِمار

شبّه الناظم النفس الملكية المطمئنة بالفرس، و البهيميّة بالحمار. و لا يخفى وجه الشبه على ذوي الفراسة و الإعتبار؛ و مراده بانجلاء الغبار، قطع علاقة النفس عن ظلمات غبار البدن، و رؤيتك عند إنجلاء الغبار أفرس تحتك أم حمار، استشعارك بعد قطع العلاقة بأنّ نفسك المجرّدة ملكية او بهيمية، فتفرّس و لا ترض بدناءة الحمارية؛ فمنتهى اموره لحياته الحقيقية إماتة قواه البهيمية عن مملكة بدنه بالمجاهدات الرياضية، حتى يحصل[6] لنفسه الخَلاص من[7] ظلمة علاقة البدن، و التوجه إلى صفاته الدّنسة، بحيث يصير بدنه بالنسبة إليها كقميصٍ يلبسه تارة، و يخلعه أخرى. و هذا هو حقيقه الإنسانية، و إلّا فهو كحمار الطّاحون، فإذا انقطع عن الحركة و بلغ بالسكون يستوجب أن يقال في حقّه رجال ربع المسكون.

---

۱. تمّمت: ص.   ۲. يغسل: ص.   ۳. التي لاتبطل: ص.
٤. اعمالك القوى: ص.   ٥. فافتضحت: ص.   ٦. حصل: ص.
۷. عن: ص.

خری زاد و خری زید و خری مرد

و قال تزوّج بالمرأة لا بجهازها. أقول: الجِهاز ـ بكسر الجيم ـ ما يرسل مع العروس إذا زفّت إلى بيت زوجها من المال. و كان مراد الحكيم بالمرأة الدنيا، و بجهازها زخارفها الفانية، أي تزوّج بمرأة الدنيا لاستيفاء لذّات الضرورية الحقيقيّة من اكتساب الكمالات، و ارتكاب المبرّات المنجيات، و سائر ما أبيح الاستمتاع بها، لا بجهازها المفسدة لاربكَ، و الشاغلة لقصدك. و من هذا قال أفصح المتكلمين ابن اليمين بالنظم الفارسي:

عارفی شد به خواب در فکری ‌ ‌ ‌ دید دنیا چو دختری بکری
کرد از وی سؤال کای زن غر ‌ ‌ ‌ بکر چونی به این همه شوهر
گفت دنیا که با تو گویم راست ‌ ‌ ‌ که مرا هر که مرد بود نخواست
آن که نامرد بود خواست مرا ‌ ‌ ‌ زان بکارت همین بجاست مرا

و قال: إنّ الحكماء يتفكرون الأمور في الليل، لعلّ مراده أنّهم يتفكرون و يتهيّأون للأمور[1] المهيّجة المعدّة للبهجة و السرور لعالم النور في دار الظلمة و الغرور. كما أنشد بعض أهالي الشعور:

آنچه زینجا بری نگهدارند ‌ ‌ ‌ در قیامت همانت پیش آرند

و قال: إنّ الله يسمع دعاء الحق.
و قال: من الناس من يبغض المحسن إليه. كما قال من قال:

عجب نبود اگر عاشق ز چشم یار می‌افتد
طبیب مهربان از دیدهٔ بیمار می‌افتد

و قال: لن يكسب الإنسان الجنة إلّا بالتعب. و من هذا الباب ما قد ورد في الحديث: حفّت الجنة بالمكاره، و حفّت النار بالشهوات.

---

١. أمور: ص.

و قال: محبّوا[1] المال ليست لهم حرمة.

و قال: المخطئ في الشيء مرّتين ليس بحكيم.

و قال أعدّ أبدا ما تحتاج[2] إليه لوقت كِبَرِك.

و قال: إن اعطيت صاحب البخت قليلا أخذت منه كثيرا، و إذا عدلتَ أعانك الله.

[٢١]ـ الحكيم سولون الشاعر:

الحكيم سولون الشاعر، كان عند الفلاسفة من الأنبياء بعد هرمس، و قبل سقراط، و أجمعوا على تقديمه و القول بفضائله، و أنّه واضع الشرائع. و له كتب كثيرة ممتلئة من المواعظ، و كان من أهل اثينا من مدينة الحكماء، و سار إلى مصر، و لبث فيها حيناً، و سمع من الكهنة حكما كثيرة جدّا، و تعلّم منهم أشياء غامضة. و أنّه كان لطيف الكلام، ليّنا حتى كنّاه المفرّح، و هو جدّ لأفلاطون[3] الحكيم من جهة أمّه، و كان أبيض اللون، أشقر، أزرق العينين، أقنىٰ الأنف، مستطيل اللحية، ضعيف العارضين، خميص البطن، منحني الأكتاف، حُلو المنطق، قويّ اللسان، على ذراعه الأيمن خال كبير. و كان نقش خاتمه: من دال بشيءٍ زال بزواله. و مات و له سبع و ثمانون سنة.

من كلماته الحكمية قال: تتزوّد من الخير و أنت مقبل، خير لك من أن تتزوّد و أنت مدبر.

و قال: إنّ فعل الجاهل في خَطَأِهِ أن يذمّ غيره، و فعل طالب الأدب أن يذمّ نفسه، و فعل الأديب أن لا يذمّ نفسه و لا غيره.

و سئل[4] أيّما أحمد في الصبيّ، الحياء أم الخوف؟ فقال: الحياء؛ لأنّ الحياء يدل على العقل؛ و الخوف على المقت و الشهوة. و قال لابنه: دع المزاح، فإنّ المزاح لقاء الضغائن.

و قال: إذا أردت أمراً فلا تجنح به [إلى[5]] هواك، و استشر فإنّ المشورة ترشدك[6].

و سئل أيّ شيء يصعب على الإنسان؟ قال: أن يعرف عيب نفسه، و أن يمسك ممّا لا ينبغي أن يتكلّم به.

---

١. محبي: ص. ٢. يحتاج: ص. ٣. أفلاطن: ص.

٤. و سئل له: ص. ٥. ساقطة من ص؛ مص. ٦. يرشدك: ص.

و رأى رجلا عثرا، فقال له: تعثر برِجلك، خير من أن تعثر بلسانك. و قال: النوم موتة خفيفة، و الموت نومة طويلة.

و قال: ينبغي للشابّ أن يستعدّ لشيخوخته، مثل ما يستعدّ الإنسان للشتاء من البرد، الذي يهجم عليه.

و قال: جُوعوا إلى الحكمة، و اعطشوا إلى عبادة اللّه تعالى: قبل أن يأتيكم المانع منهما.

و قال: أخلاق محمودة وجدتها في الناس، إلّا أنها إنما توجد[1] في قليل، صديق يحبّ صديقه غائبا، كمحبّته حاضرا، و كريم يكرم الفقراء كما يكرم الأغنياء، و مقرّ بعيوبه إذا ذكر، و ذاكر يوم نعيمه في يوم بؤسه، و يوم بؤسه في يوم نعيمه، و حافظ لسانه عند غضبه.

و سئل ما فضل علمك على علم غيرك؟ قال: معرفتي بأنّ علمي قليل.

و قال: أنفع العلم ما أصابته الفكرة، و أقلّه نفعا ما قلته بلسانك.

و سُئل ما الكرم؟ قال: النّزاهة عن المساوي. و قيل له: كم عمرك؟ فقال: الوقت الذي أنا فيه.

و قال: تستعمل الكذب عند الضّرورة، كما تستعمل الدواء.

و قال: ليس بين الخالق و المخلوق فضل بالزمان، إنّما هو بالعلة و المعلول، و علة سبب الموت في العالم بقاء الكل.

و قال: كلّ علم آمنك من خوف مكروه، فهو كنز من الكنوز.

و قال: النفس الفاضلة ترتفع [عن[2]] الحزن و الفرح؛ لأنّ الفرح إنّما يعرض إذا نظرت إلى محاسن الشيء دون مساوئه و الحزن بأن ترى[3] مساوئ الشيء دون محاسنه، و النفس الفاضلة تتأمّل[4] كلية الشيء فتتساوى[5] فضائله و رذائله في هذا العالم، فلا يغلب عليها إحدى[6] هاتين الحالتين.

و قال: العالم مصنوع على أن يمدّ بعضه بعضا، و يستمدّ بعضه من بعض. و الغاية المطلوبة في ذلك البقاء الدائم.

---

١. يوجد ص. ٢. ساقطة في ص: مص. ٣. يرى: ص.
٤. يتأمل: ص. ٥. فيتساوى: ص. ٦. أحد: في ص.

و قيل له: إنّ الملك يبغضك. فقال: أيّ ملك يحبّ ملكا أغنىٰ منه؛ غرضه أنّ الغنىٰ[١] ليس بكثرة المال و الجاه بل بالقناعة.

[٢٢]ـ الحكيم زينون الأكبر:

الحكيم زينون الأكبر، تلميذ أرسطوطاليس. كان كامل الأدب شديد العصبية، عظيم الأنفة لأهل خاصته، و له كتاب في علم الطبيعة[٢]، و كتاب مكتوب بلغة أهل افـريقيا في الأمور الالهية. و قال في هذا الكتاب على ما شرحه المعلّم الثاني الشيخ الفارابي: إعلم أنّي سمعت معلّمي أرسطاطاليس، أنّه قال: سمعت معلمي أفلاطون[٣] أنّه قـال: سمـعت مـعلّمي سقراط أنّه قال: ينبغي لمن يتعلّم الحكمة أن يكون شابّا فارغ القلب، غير ملتفت إلى الدنيا، صحيح المزاج، محبّا للعلم، بحيث لا يختار على العلم شيئاً من أسباب الدنيا، و يكون صدوقا لا يتكلّم بغير الصدق، و يكون محبا للإنصاف بالطبع لا بالتكلف، و يكون أمينا مـتديّنا عاملا بالأعمال[٤] الدينية، و الوظائف الشرعية، غير مخلّ بواجب منها، فمن أخلّ بواجب من واجبات أتى نبيّ من أنبياء اللّه تعالى به، ثمّ ادّعى الحكمة، فهو أهل لأن يهجر و يترك، و يحرم على نفسه ما كان حراما في ملّة نبيّه، و يوافق الجمهور في الرسـوم و العـادات التي يستعملها أهل زمانه، و لا يكون فظّا سيّءَ الخلق، فانّ الحكمة تنافي سوء الخلق، و يرحم[٥] من دونه في الرتبة.

و لا يكون أكولا و لا متهتّكا، و لا خائفا من الموت، و لا جمّاعا للمال إلّا بقدر الحاجة ممّا يحتاج إليه، فإنّ الإشتغال بطلب أسباب المعاش مانع من اكتساب العلم، و عائق عن نيل الرتبة في الآخرة، و لا تستنكف من التّعلّم، فإنّ سقراط كثيرا ما يستفيد من تلامذته، و أفلاطون[٦] و كذلك أرسطو، فإنّ العلم كنز مدفون، يفوز به من سهّل اللّه طريقه إليه. فكما أنّك لا تستنكف من أن تستقرض من غلامك و من دونك في الرتبة، و من فوقك أو مثلك، لتصلح[٧] به أسباب المعاش فلا تستنكف من أن تستفيد ممّن هو مثلك أو دونك لتصلح[٨] به

---

١. الغناء: ص.
٢. الطبيعية: ص.
٣. أفلاطن: ص.
٤. بأعمال: ص.
٥. يرحم على: في ص.
٦. أفلاطن: ص.
٧. ليصح: ص.
٨. ليصح: ص.

أسباب المعاد، فانّك أحوج إلى أمور المعاد و نظامها. أن تدع[١] الوقيعة و البأس، فإن أردت تهذيبهم، هذّبهم بنصائح غير مؤلمة، و إن خالطهم ببدنه و خالفهم بخلقه بالسرّ فله ذلك، و عوّد[٢] لسانك قول الخير و الصدق، و تعين الإخوان بما يفضل منك، فمن فعل ذلك فهو حكيم حقيقيّ يتمتّع بالحكمة و أسرارها، و من كان بخلاف ذلك فهو حكيم مُبَهرجٌ، مثله كمثل نُحاس مطلّا بالذّهب، فإذا فارقته نفسه بقيت في حسرة و بلاء. نعوذ باللّه تعالى من عذاب الآخرة.

و كان زينون[٣] الحكيم رجلا معتدل القامة. أخنس الأنف، حسن الصورة، على خدّه خال، أدعج[٤] العينين، عظيم الهامة، معتدل اللحية، سريع الإلتفات، رافعاً رأسه[٥] إلى السماء، كثير الكلام، ذا أدب كثير، حلو المنطق، رزين العقل، بطيء الحركة، يأخذ بيده عصا كصورة المقص، مفضّضة[٦] بعاج و زمرّد. و كان له نواميس حسنة، و سنن شريفة. مات و له ثمان[٧] و سبعون سنة.

و من كلماته الحكمية قال له بعض الملوك: عظني، فتناول شربة ماء، فقال: لو منعت هذه، و عظم عطشك، بما ذا تشتريها[٨]؟ فقال: بنصف ملكي. ثم قال: و لو حبست هذه بما ذا ـ للادرار؟ قال: بنصف آخر من ملكي. قال: فما الفخر في ملك يساوي شربة و بولة.

و قال: لا تخف موت البدن، و خَف موت النفس. فقيل له: لم قلت ذلك، و النفس لا تموت؟ فقال: إذا انتقلت النفس الناطقة من حدّ النطق إلى الحد[٩] البهيميّ، و ان كان[١٠] جوهرها لا يبطل، فإنّها قد ماتت من العيش العقلي.

أقول: و مصداق كلام الحكيم ما روى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسنده عن مولانا أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، أنّه قال: إنّ للجسم ستّة أحوال: الصحة، و المرض، و الموت، و الحياة، و النوم، و اليقظة[١١]، و كذلك للروح فحياتها علمها، و موتها جهلها، و مرضها شكّها،

---

١. يدع: ص.
٢. تعود: ص.
٣. زيتون: ص.
٤. أذبح: ص.
٥. رأسه رافع: ص.
٦. مفضض: ص.
٧. ثمانية: ص.
٨. تشتري: ص.
٩. حد: ص.
١٠. كانت: في ص.
١١. القظة: ص.

و صحتها يقينها، و نومها غفلتها، و يقظتها حفظها. و لا يخفى أنّ في قوله ـ سلام اللّه عليه ـ عدّة من الحقائق الحكيمة، و المسائل الفلسفية.

و قد رأى زينون[۱] الحكيم فتىً على شاطئ البحر ملهوفا محزونا على الدنيا، فقال له: ما تلهفك على الدنيا، لو كنت في غاية الغنيٰ[۲]، و أنت راكب لجّة البحر و قد انكسرت السفينة، و أشرفت على الغرق، هل كانت غاية مطلوبك النجاة بنفسك، و إن كان[۳] يفوت كل ما في يدك؟ قال: نعم. و كذلك لو كنت ملكا على الدنيا، و قد أحاط بك من يريد قتلك، هل كانت نهاية مرادك الخلاص من يده؟ قال: نعم. قال فأنت الغني، و أنت الملك الآن. فتسلّى الفتىٰ.

و قيل له: أيّ الملك أفضل، ملك اليونانيين، أم ملك الفرس؟ قال: من ملك غضبه و شهوته.

و قال: محبة المال وتد الشرّ؛ لأن سائر الآفات تتعلّق[٤] بها، و محبة الشرّ وتد العيوب، لأنّ سائر العيوب متعلّقة بها.

و قال: إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحتهُ، و إذا أدركها الطالب لها قتلته.

و قيل له: لم لا تشرب الخمر؟ قال قبيح لمثلي أن يغلبه الخمر، بعد أن غلبت الملوك. و كان يقول: إنّ المبدع الأول كان في علمه صورة إبداع كل جوهر، و صورة دثور كل جوهر، فإنّ علمه غير متناه، و الصور التي فيه من حدّ الإبداع غيرمتناهية، و كذلك صور الدثور غير متناهية، فالعوالم تتجدّد[٥] في كل حين، و في كل دهر، فما كان منها مشاكلا [لنا] أدركنا حدوده و وجوده و دثوره بالحواس و العقل، و ما كان غير مشاكل لنا، لم ندركه إلّا أنّه ذكر وجه التجدد، فقال: إنّ الموجودات باقية داثرة، أمّا بقاؤها فبتجدّد صورها، و أمّا دثورها فبدثور الصور الأولى عند تجدد الأخرى. و ذكر أنّ الدثور قد يلزم الصورة و الهيولي معاً، ثم هذه الصورة كلها بقاؤها و دثورها في علم الباري تعالى، و العلم يقتضي بقاءها دائماً، و كذلك الحكمة تقتضي[٦] ذلك، و الباري تعالى قادر على أن يفني العوالم يوما إن أراد.

أقول: لا يخفى أنّ العالم عند أهل الكشف و الشهود، بحسب اقتضائه الذاتي، يفنى في كلّ

---

۱. زيتون: ص. ۲. الغناء: ص. ۳. كانت: ص.
٤. يتعلق: ص. ٥. يتجدد: ص. ٦. يقتضي: ص.

لحظة، و بإمداد الجود الإلهيّ المعبّر عنه باصطلاحهم. النفس الرحمانيّة[1]، يوجد في اللحظة الأخرى. بناء على أنّ الجواهر عندهم كالأعراض لا تبقى[2] زمانين، فبمقتضى هذا اللحاظ، في كل لحظة للعارف عيدان[3] حسبما رأى ببصر بصيرته هلالي الوجود و العدم المتتاليين. و من هذا قال العارف الحكيم السنائي:

عاشقان هر دمی دو عید کنند   عنکبوتان مگس قدید کنند

و أما المحجوبون المقيّدون في سجن التعيّنات و التقيّدات، المفسّر في البيت بالعنكبوتات[4]، فلسرعة اقتضاء تجدّد المعدومات تقصر[5] أنظارهم عن استيهال الإستهلال في سماء العرفان، حيث يزعمون أنّ الوجودات[6] الموهومة لها الاستمرار مرّ الدهور و الأزمان، فكان نسائج توهّماتهم كنسج[7] العنكبوت في الوهن و النقصان، و تلك الحالة كتقديد الذّباب عند أولي الألباب.

و تحقيقه عند هذه الفرقة أنّ الذات الإلهية لا تزال[8] متجلّية من حيث أسمائه و صفاته على أعيان العالم، و كما يقتضي بعض الأسماء وجود الاشياء، كذلك يقتضي بعضها عدمها، و ذلك كالمحيي و المميت، و المعزّ و المذلّ، و أمثال ذلك. فالحقّ تارة يتجلّى للأشياء بما يظهرها و يوجدها و يوصلها إلى كمالاتها، و تارة يتجلى بما يعدمها و يخفيها. و لمّا كان الحق كل آن في شأن، و تحصيل الحاصل محال، و كان متجليًا لها دائما، كالأسماء المقتضية للإعدام و الإيجاد، فيعدمها و يوجدها، فيكون متجلّيا في زمان واحد بالإيجاد و الإعدام، و به يتمّ قوله تعالى: «و إليه يرجع الأمر[9]».

قال الميبدي في شرح الديوان: فيض حق مانند آب روان است، و موجودات مانند نهر، هر جزو از اجزای نهر که تعیین کنی آبی که درو باشد غیر آبیست که در آنِ سابق آنجا بود، و غیر آبیست که در آنِ لاحق آنجا خواهد بود، چراغ را نمی‌بینی که شعلهٔ تازه به مدد

---

۱. الرحماني: ص.   ۲. يبق: ص.   ۳. عيدين: ص.
٤. المنكبوتان: ص.   ۵. يقصر: ص.   ٦. وجودات: ص.
۷. كأنسج: ص.   ۸. يزال: في ص.   ۹. سورة يوسف، الاية ۱۲۳.

فتیله و روغن وجود می‌یابد و تو پنداری که شعله به یک حال باقی و ثابت است.

و قال: ما رأينا العقل قطّ إلّا خادما للجهل. و في بعض النسخ إلّا خادما للجسد.

أقول: لمّا كان مبنى تدابير العقل و أفاعيله على الصلاح و السّداد في المعاش و المعاد، و تدابير الجهل، أو دواعي الجسد على البوار و الفساد فيها. كان العقل دائما خادما للجهل، أو الجسد، لإصلاح ما يقتضيه من الفساد و الهوان، و إزالة ما يستدعي من الخلل و النقصان.

و في فصوص الشيخ[1] العارف الكامل العربي[2] ﷺ و شرحه كلام مبسوط في تحقيق الخادم و المخدوم نقلناه بطوله لكثرة نفعه. و اعلم أنّه يقال في الطبيب إنّه خادم الطبيعة فيمن يستعلجه و يعالجه، كذلك يقال في الرسل، و الورثة الذين هم العلماء بالشأن المذكور، إنّهم خادموا الأمر الالهي في العموم، ممّا يتعلق بأنفسهم من الأحكام الخاصة بهم، و ممّا يتعلق بالأمم المتعلقة بهم، ممّا يختصّ بهم، و هم في نفس الأمر خادموا أحوال الممكنات، و خدمتهم من جملة أحوالهم، التي هم عليها في حال ثبوت أعيانهم، و باقي الأعيان هم المخدومون في حال ثبوت أعيانهم، فانظر ما أعجب هذا، حيث وقع أحوال الممكنات مخدومة، و هي خادمة بعينها، و حيث وقع الأشرف خادما، و الأخسّ مخدوما، في أصل القابلية، إلّا أنّ لهذه الخدمة تفصيلا لابدّ من الوقوف عليه، عند الاستطلاع لما يراد من هذا المبحث ههنا، و هو أنّ الخادم المطلوب هنا إنّما هو واقف عند مرسوم مخدومه، إمّا بالحال، أو بالقول، فإنّ الطبيب إنّما يصحّ أن يقال فيه إنّه بالفعل خادم الطبيعة، لو مشي بحكم المساعدة لها، فيما يريده في إصلاحها حالا أو قولا، فإنّ الطبيعة قد أعطت في جسم المريض مزاجا خاصا به، سمّي مريضا، فلو ساعدها الطبيب خدمة في إيقاء ذلك المزاج له لزاد في كمية المرض بها أيضا، و إنّما يردعها طلبا للصّحة، و الصحة من الطبيعة أيضا بإنشاء مزاج آخر، يخالف هذا المزاج الذي هو مبدأ الإنحراف عن نهج الإستقامة و الإعتدال الصحيح. فاذن ليس الطبيب بخادم للطبيعة مطلقا، و إنّما خادم لها من حيث أنّه لا يصلح جسم المريض، و لا يغيّر ذلك المزاج إلّا بالطبيعة أيضا، كما أنّ الخدمة للأعيان الممكنة من أحوال أعيان الرسل، ففي حقّها يشفى من وجه خاص غير عام، و ذلك هو معاونة الطبيعة في إنشاء مزاج

---

١. شيخ: ص.　　٢. الأعرابي: ص.

يقيمه على إصلاحه و اعتداله بالطبيعة، فخدمته مختصة بهذا الوجه؛ لأنّ العموم لا يصلح في مثل هذه المسألة، فالطبيب خادم، لا خادم أعني للطبيعة، فهو أيضا ذو طرفين. كذلك الرسل و الورثة في خدمة الحق، فإنّهم يخدمون الأمر الالهي، لا من جميع الوجوه، بل من جهة الإصلاح و مساعدته للوصول إلى موقف الإسعاد و أمر الحق على وجهين في الحكم، في أحوال المكلفين، فإنّ للأمر الالهي مدرجتين في النزول، احداهما من عرش الذات، نحو تحصيل الأعيان بلا واسطة الرسل، و هو المسمّى بالمشيئة[١]، و الحاصل منه هو الشيء. و الثانية من علم الرسل، نحو تبيين أحكام تلك الأعيان و خواصها، و هو المسمّى بالتشريع، و الحاصل منه هو الشرع، و الكل من المدرجة الأولى، لكن خدمة الأنبياء إنّما تتعلق[٢] بما يعرض أحوال المكلفين منها من الأحكام، و خدمتهم أيضا من تلك المدرجة، و إليه أشار بقوله: فيجري الأمر من العبد بحسب ما تقتضيه[٣] إرادة الحق، و تتعلق[٤] إرادة الحق به بحسب ما يقتضي به علم الحق، و يتعلق علم الحق به على حسب ما أعطاه المعلوم من ذاته، فما ظهر الأمر الحق التابع للعلم إلّا بصورته، أي بصورة المعلوم، فالرسول الوارث خادم الأمر الالهي، ممّا يتعلق منه بأحوال المكلفين بالإرادة التي ظهرت بذلك الرسول و تعلّقت به، لما عرفت من شمول المدرجة الأولى للكل، لا خادم الإرادة حكمها شامل للإسعاد و الإشقاء[٥]، و خدمة الرسل إنما تتوجه[٦] نحو إسعاد العبيد و المكلفين فقط، فهو يرد عليه طلبا لسعادة المكلف، كما يرد الطبيب على الطبيعة بها طلبا لصحة المستعلج، أي يرد على الأمر المراد بذلك أيضا، عند النصيحة بكفّهم عما يتوجّهون إليه بأنفسهم و ذواتهم، فلو خدم الإرادة الالهية ما نصح، و ما نصح إلّا بها، أعني بالإرادة، كما أنّ الطبيب ما ردّ الطبيعة الخارجة عن الإعتدال في أمزجة المرضى إلّا بالطبيعة، فالرسول و الوارث طبيب أُخراويّ للنفوس، منقاد لأمر اللّه حين أمره، فنظر في أمره تعالى، و ينظر في إرادته تعالى، فيراه قد أمره بما يخالف إرادته، و لا يكون إلا ما يريد. و لهذا كان الأمر، أي وقع من الأنبياء أمر أممهم، فأراد الأمر، فوقع و ما أراد وقوع ما أمر به بالمأمور، فلم يقع من المأمور، فسمّي

---

١. المشيّة: ص. ٢. يتعلق: ص. ٣. يقتضيه: ص.
٤. يتعلق: ص. ٥. الاشقياء: ص. ٦. يتوجه: ص.

مخالفة و معصية. فالرسول مبلغ للأمر المحتمل لما يوافق الإرادة و يخالفها، فيسعد به و يشقى. و لهذا قال: شيّبتني هود و أخواتها، لما تحوى[١] من قوله: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ[٢]» من وجوب دعوة الأمم كلّها، و من جملتهم من تعلّقت الإرادة بأن لا يقع منه المأمور فإنّ طلب وقع المأمور به منه مع مخالفته للمراد، يكون تكليفا بالمحال، و طلبا لما يمنع حصوله، فشيّبه «كما أمرت» فإنّه لا يدري هل أمر بما يوافق الإرادة، أو بما يخالف الإرادة، فلا يقع و لا يعرف أحد حكم الإرادة إلّا بعد وقوع المراد، إلّا من كشف اللّه عن[٣] بصيرته، فأدرك أعيان الممكنات في حال ثبوتها، على ما هي عليه، فيحكم عند ذلك بما يراه، و هذا قد يكون لآحاد الناس في أوقات صافية لهم، لا يكون مستصحبا في سائر الأوقات، و ليس ممّا يختص بنيله الأنبياء، فلا يلتفتون إليه كلّ الإلتفات، فإنّه ليس في معرفة الجزئيات، و تصفّح سماتها[٤] من الكمال بما يعتد به.

و لهذا قال النبيﷺ : ما أدري ما يُفعل بي و لا بكم، فصرّح بالحجاب، و ليس المقصود إلّا أن يطّلع في أمر خاص من الكمال الذي لا شركة لأحد فيه، [و] لا غير ذلك من المآرب المتنوّعة لأفراد نوع، و الله اعلم.

[٢٣]ـ الحكيم ثالس الملطي:

الحكيم ثالس[٥] الملطي، حكيم مشهور في زمانه، أقاويله مذكورة، و آراؤه في الفلسفة مشهورة، و هو أول من تفلسف بمالطة[٦] و صحب فيثاغورس، و أُخذ منه الحكمة، و رحل إلى مصر، و أُخذ عن علمائهم علم الطبيعة و غيرها.

و من كلماته: أنّ للعالَم مبدعا لا تدرك[٧] صفته العقول من جهة هويته، و إنّما تدرك[٨] من جهة آثاره و أفاعيله و إبداعه و تكوينه الأشياء، فلسنا ندرك له أسماء من نحو ذاته، بل من نحو ذاتنا. و من هذا الباب ما قد ورد عن مولانا الخامس أبي جعفر محمد بن علي الباقرؑ أنّه قال: كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم. و

---

١. تحوي عليه: ص. ٢. سورة هود، الاية ١١٢. ٣. من: ص.
٤. سماتها: ص. ٥. طالس: مص. ٦. بالملطية: ص.
٧. يدرك: ص. ٨. يدرك: ص.

لعلّ النمل الصغار تتوّهم أنّ للّه تعالى زبانيتين فإنّ ذلك كمالها و إنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما، و هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى. و السرّ في ذلك أنّ التكليف إنّما يتوقّف على معرفة اللّه ـ عزّ مجده ـ بحسب الوسع و الطاقة، و إنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها و شاهدوها فيهم، مع سلب النقائض الناشئة عن انتسابها إليهم و لمّا كان الإنسان واجبا بغيره، عالما قادرا مريدا حيّا متكلّما بصيرا، كلّف بأن يعتقد بتلك[1] الصفات في حقّه تعالى، مع سلب النقائض الناشئة عن انتسابها إلى الإنسان، بأن يعتقد أنّه واجب لذاته لا بغيره، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات، و هكذا في سائر الصفات. و لم نكلّف باعتقاد صفة له ـ تعالى ـ لا يوجد فيه مثالها منّا بوجه، و لو كلّفنا[2] به لما اَمكننا[3] تعقله بالحقيقة. و هذا أحد معاني قول مولانا أميرالمؤمنين سلام الله عليه: من عرف نفسه، فقد عرف ربّه.

ثم قال الحكيم الملطي: إنّ القول الذي لا مردّ له، أنّه تعالى هو المبدع، و لا شيء مبدع، فأبدع الذي اَبدع و لا صورة له عنده في الذات؛ لأنّ قبل الإبداع إنّما هو فقط، و إذ كان هو فقط فليس له تعالى حينئذ جهة و جهة، حتىّ يكون هو و صورة، أو حيث و حيث، حتى يكون هو ذو صورة، إذ الوحدة الخاصة تنافي[4] هذين[5] الوجهين. و الإبداع ما هو بأيش، و ما ليس بأيش، و إذا كان هو مؤيّش الأيشات، و النايش لا من شيء متقادم، فمؤيش الآشاء لا يحتاج إلى أن تكون[6] عنده صورة الأيش بالأيشيّة، و إلّا فقد لزمه صورة الأيش بالأيشيّة، و إلّا فقد لزمه إن كانت الصورة عنده، أن يكون منفردا عن الصورة التي عنده، فيكون هو و صورة، و قد بيّنّا أنّه قبل الإبداع إنّما هو فقط، و أيضاً فلو كانت الصورة عنده إمّا مطابقة للموجود الخارجي، أم غير مطابقة، فإن كانت مطابقة فلتتعدد[7] الصورة بتعدد الموجودات، و لكن كليّاتها مطابقة للكليات، و جزئياتها للجزئيات، و لتتغيّر[8] بتغيّرها كما تكثّرت بتكثّرها، و كل ذلك ينافي الوحدة الخالصة، و ان لم يطابق للموجود الخارجي

---

١. تلك: ص. ٢. كلف: ص. ٣. امكنه: ص.
٤. ينافي: ص. ٥. لهذين: ص. ٦. يكون: ص.
٧. فليتعدد: ص. ٨. ليتغير: ص.

فليست إذن عنها، و إنّما هي شيء آخر.

ثم قال: لكنّه هو أبدع العنصر الذي فيه صور الموجودات و المعلومات كلّها، فانبعث من كل صورة موجود في العالم على المثال الذي في العنصر الاول، فمحلّ الصور و منبع الموجودات هو ذات العنصر، و ما من موجود في العالم العقلي و العالم الحسي إلّا و في ذات العنصر صورة[۱] و مثال عنه.

ثم قال: و من كمال ذات الأول الحق سبحانه، أنّه أبدع مثال هذا العنصر، فما يتصوّره العامة في ذاته تعالى، أنّ فيها الصور، يعني صور المعلومات، فهو في مبدعه، و يتعالى بوحدانيّته و هويّته عن أن يوصف بما يوصف به مبدعه.

و من أسرار ما نقل عنه أنه قال: المبدع الأول هو الماء، فإنّ الماء قابل كلّ صورة، و منه أبدعت[۲] الجواهر كلّها من السماء و الأرض و ما بينهما، و هو علّة كل مبدع، و علة كلّ مركب من العنصر الجسماني. فذكر أنّ من جمود الماء تكوّنت الأرض، و من انحلاله تكوّن الهواء، و من صفوة الماء تكوّنت النار، و من الدخان و الأبخرة تكوّنت السماء، و من الاشتعال الحاصل[۳] من الأثير تكوّنت الكواكب، فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه، للشوق الحاصل فيها إليه.

و لعلّ مراده من أنّ المبدع الأول هو الماء، أن المبدع الاول كما أنّه واسطة لباقي الموجودات، و فيه صورها، و عنه تُفاض[٤] كمالاتها، كذلك بالماء قوام كل حيّ عنصريّ، و بواسطته تكوّن. فلقد صدق من قال: و من الماء كل شيء حيّ. ثم قال: و الماء ذكر، و الأرض انثى، و هما يكونان سفلا. و النار ذكر و الهواء انثى، و هما يكونان علوا.

و كان يقول: إنّ هذا العنصر الذي هو أول و آخر، أي هو المبدأ، و هو الكمال، هو عنصر الجسمانية و الجرمانية، إلّا أنّه عنصر الروحانية البسيطة، ثم إنّ[٥] هذا العنصر له صفوة و كدرة، فما كان من صفوته فإنّه يكون جسما، و ما كان من كدره فإنّه يكون جرما، و الجرم يدثر، و الجسم لا يدثر، و الجرم كثيف ظاهر، و الجسم لطيف باطن. و في النشأة الثانية يظهر

---

۱. سورة: ص. ۲. أبدع: ص. ۳. الحاصلة: ص.
٤. يفاض: ص. ۵. أنّه: ص.

الجسم، و يدثر الجرم، و يكون الجسم اللطيف ظاهرا، و الجرم الكثيف داثرا.

أقول كأنّه أشار الحكيم بهذا الكلام إلى المعاد الجسماني، كما هو الحقّ المطابق للنصوص، و إليه الديانيّون من حكماء الإسلام، و لعلّه عنى بالجسم اللطيف الأجزاء الأصلية، و هي عند المحققين من علمائنا الهيولي الباقية في زمان البرزخ، و بالجرم الداثرة الصور الفاسدة المتواردة عليها، و في النشأة الثانية قد أعاد الحكيم الفعّال المادّة المذكورة المنحفظة بصورة أخرى، مثل الصورة الأولى الفاسدة عند الحشر الجسماني. فسبحانه[1] من قادرٍ يوجد ما يشاء.

و كان يقول: إنّ فوق السماء عوالم مبدعة، لا يقدر المنطق أن يصف تلك الأنوار، و لا يقدر العقل أن يقف على ذلك الحسن و البهاء، و هي مبدعة من عنصر لا يدرك غوره، و لا يبصر نوره، و المنطق و النفس و الطبيعة تحته و دونه، و هو الدّهر من نحو آخره، لا من نحو أوّله، و إليه اتّساق العقول و الأنفس، و هو الذي سمّيناه الدّيمومة و السرمد، و البقاء في النشأة الثانية. ثمّ لا يخفى أنّه ظهر من هذه الإشارات أنّه إنّما أراد بقوله الماء هو المبدع الأول، أي هو مبدأ المركبات الجسمانية، لا المبدأ الأول في الموجودات العلوية، لكنّه لمّا اعتقد أنّ العنصر الأول هو قابل كل صورة، أي منبع الصور كلّها، فأثبت في العالم الجسماني له مثالا يوازيه في قبول الصور كلّها، و لم يجد عنصرا على هذا النهج مثل الماء فجعله المبدع الأول في المركبات، و أنشأ منه الأجسام و الأجرام السماوية و الأرضية.

و نظير هذا المعنى ورد في التوراة، في السفر الاول منها، أنّ مبدأ الخلق جوهر خلقه الله سبحانه، ثم نظر إليه نظر الهيبة، فذابت[2] أجزاؤه، فصارت ماء، ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان، فخلق منه السموات، و ظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض، ثم أرساها بالجبال. فكان ثاليس[3] الملطي إنّما يلقي حكمته هذه من هذه المشكاة النبوية.

و الذي أثبته من العنصر الاول، الذي هو منبع الصور، شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور في الكتب الإلهية، إذ فيه جميع أحكام المعلومات، و صور الموجودات، و الخبر عن الكائنات. و الماء على هذا القول شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش، كما في التنزيل

---

١. فسبحان: ص. ٢. فذابت: ص. ٣. طالس: مص.

الكريم: «و كان عرشه على الماء[1]». و كثيرا ما وقع اسم الماء على العقل القدسي، أي هو حامله. فكان الماء بهذا المعنى قبل تكون المكوّنات من الأرض و السماء و الجن و الإنس و غيرها قبلية بالذات و المرتبة في ترتيب نظام الوجود، فهو علّة كل مبدع، و منه أبدع الجواهر كلّها على ما هو المقرر عند الحكماء في صدور الكثرة، [و] هو أعلم بحقائق الأشياء.

[٢٤]ـ الحكيم انكساغورس:

الحكيم انكساغورس، حكيم مشهور من أرض مالطة[2]، كان قبل أرسطاطاليس. و قد ملأ كتبه من أقواله و آرائه و مذاهبه، و الردّ عليه فيما لم يوافقه. و كان يأخذ نفسه بالتقشف، و يسوقها [إلى] الشدائد من مقاساة البرد و الثلج و الجليد عريانا حافيا على كبره و ضعفه. فقيل له في ذلك، قال: لأنّ نفسي سريعة المرح، أخاف أن تجمح عن عقلي فتثور[3] في أهوائها المذمومة، فما لي لا أجعلها تحتي، دون أن أكون تحتها؟ و لم لا أحملها على الشدائد، دون أن تحملني[4] على الفواحش؟ و كان في مدينته اختلاط لبعض الحوادث، و هو ساكن، فقيل له: ألا تتحرك لهذا الأمر؟ فقال: لو رأيتم مثل هذا في النوم كنتم تتحركون له في اليقظة؟ و لا يقلقني هذا الأمر، لأنّ أمور هذا العالم كلّها كالحلم، و صحة الرأي كاليقظة.

و من هذا قال بعض أرباب الحال:

كلّما في الكون وهمٌ أو خيال أو عكوس في المرايا أو ظِلال

و من كلامه: اللسان قد يحلف كاذبا، و العقل لا يحلف إلّا صادقا، فاجهد تطابقهما. و يقال: إنّ امرأته خاصمته، و مكث زمانا تسمعه المكاره، و هو ساكت محتمل، فاغتاظت غيظا شديدا، و كانت تغسل ثيابا، فقامت و صبّت غسالة الثياب على رأسه، و كان في يده كتاب يطالعه، فوضع الكتاب من يده، ثم رفع رأسه إليها، فقال: أرعدتني و أبرقتني ثم أمطرتني، و لم يزد على ذلك. و مرّ رجل فشتمه و أفحشه، فلم ينقبض عنه، فقيل له: لم لا تنقبض من كلامه؟ فقال: لأنّي لا أتوقّع أن أسمع من الغراب هَدير الحمام. و كان إذا مدحه

---

١. سورة هود، الآية ٧. ٢. ملطيّة: ص. ٣. فثور: ص.
٤. يحملني: ص.

الأشرار جزع.

و حكي عنه أنه وافق سائر الحكماء في المبدأ الأول، أنّه العقل الأول الفعّال، غير أنّه خالفهم في قوله: إنّ الأول الحقّ تعالى ساكن غير متحرك. و قد نقل صاحب الملل و النحل اصطلاحهم في ذلك، و قال: هؤلاء ما عنوا بالحركة و السكون النقلة من مكان، و اللبث في مكان، و لا بالحركة التغير و الإستحالة، و بالسكون ثبات الجوهر و الدوام على حالة واحدة، فإنّ الأزلية و القدم ينافيان[1] هذه المعاني كلها، و من يحترز عن التكثر فكيف يجازف هذه المجازفة في التغير. و أمّا الحركة و السكون في العقل و النفس، فإنّما عنوا به الفعل و الانفعال، و ذلك أنّ العقل لما كان موجودا كاملا بالفعل، قالوا: هو ساكن واحد، مستغن عن حركة يصير بها فاعلا، و النفس لمّا كانت ناقصة متوجّهة إلى الكمال، قالوا: هي متحركة طالبة درجة العقل. ثم قالوا: العقل ساكن بنوع حركة، أي هو في ذاته كامل بالفعل، فاعل مخرج النفس من القوة إلى الفعل، و الفعل نوع حركة في السكون، و الكمال نوع سكون في الحركة، أي هو كامل و مكمل غيره. فعلى هذا المعنى، يجوز ـ على مقتضى مذهبهم ـ إضافة الحركة و السكون إلى الباري تعالى. و من العجب أنّ مثل هذا الإختلاف قد وجد في بعض أرباب الملل، حتى صار بعضهم إلى أنه مستقر في مكان، و مستوٍ على مكان. و ذلك إشارة إلى السكون. و صار بعضهم إلى أنّه يجيء و يذهب، و ينزل و يصعد، و ذلك عبارة عن الحركة، إلّا أن يحمل على معنى صحيح لائق بجناب القدس، حقيق بجلال الحق.

و حكى فرفوريوس عنه أنّه قال: إن أصل الأشياء جسم واحد، موضوع الكل لا نهاية له. و لم يبيّن ما ذلك الجسم، أهو من العناصر، أم خارج من ذلك؟ قال: و منه يخرج جميع الأجسام و القوى الجسمانية، و الأنواع و الأصناف.

و هو أول من قال بالكمون و الظهور، حيث قال: الأشياء كلّها كامنة في الجسم الأول، و إنّما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعا و صنفا و مقدارا و شكلا و تكاثفا و تخلخلا، كما تظهر[2] السنبلة من الحبة الواحدة، و النخلة الباسقة من النواة الصغيرة، و الإنسان الكامل الصورة من النطفة المهينة، و الطير من البيض، و كل ذلك ظهور عن كمون، و فعل عن قوّة، و

---

١. ينافي: ص.   ٢. يظهر: ص.

صورة عن استعداد مادة، و إنّما الإبداع واحد، و لم يكن لشيء آخر سوى ذلك الجسم. و حكى أرسطاطاليس عنه: أن الجسم الذي تكون[1] منه الأشياء غير قابل للكثرة. قال: و أومأ إلى أنّ الكثرة جاءت من قبل الباري تعالى.

[۲۵]ـ الحكيم انكسمايس:

الحكيم انكسمايس، هو أيضا من الحكماء الملطيين المعروفين[2] بالحكمة، المذكورين بالخير عندهم. قال: إنّ الباري تعالى أزليّ لا اوّل له، و لا آخر، هو مبدئ الأشياء لا بدو له، هو المدرك من خلقه، إنّه هو فقط، و إنّه لا هويّة لشبهه، و كل هوية فمبدعه منه، هو الواحد ليس واحد الأعداد؛ لأنّ واحد الأعداد يتكثّر، و هو لا يتكثر.

أقول: كلام هذا الحكيم مطابق لما ذهب إليه فيثاغورس الحكيم، و قد نقلنا ما هو المنقول منه في بحث[3] أحواله، و ما هو المرويّ في هذا الباب، عن باب مدينة العلم سلام اللّه عليه فيه.

ثم قال الحكيم المذكور: إنّ كلّ مبدع ظهرت صورته في حدّ الإبداع، فقد كانت صورته في علم مبدعه الأول، و الصورة عنده بلا نهاية.

و قال: و لا يجوز في الرأي إلّا أحد قولين: إمّا أن نقول: إنّه تعالى أبدع ما في علمه، و إمّا أن نقول أبدع الأشياء بدون العلم المقدم. و هذا من القول المتشنّع، و إنّما قلنا أبدع ما في علمه. فالصورة أزلية، و ليس تكثر[4] ذاته بتكثر المعلومات، و لا تتغيّر[5] بتغيرها. ثم قال: أبدع بوحدانيّته صورة العنصر، ثم صوّر العقل الذي انبعث منها بإبداعه، الباري تعالى، ثم صورة النفس انبعثت[6] فرتّب العنصر في العقل أنواع الصور على قدر ما فيها من طبقات الأنوار، و أصناف الآثار، و صارت تلك الطبقات صورا كثيرة دفعة واحدة، كما تحدث[7] الصور في المرايا الصقيلة بلا زمان، و لا ترتيب بعض على بعض، غير أنّ الهيولي لا يحتمل القبول دفعة واحدة، إلّا بترتيب و زمان، فحدثت تلك الصور فيها على الترتيب، و لم يزل

---

۱. يكون: ص. ۲. الذين معروفين: ص. ۳. تحت: ص.
٤. يتكثر: ص. ٥. يتغير: ص. ٦. انبعث: ص.
۷. يحدث: في ص.

في العالم بعد العالم على قدر طبقات العوالم، حتى قلّت أنوار الصور في الهيولي، و قلّت الهيولي، و صارت فيها هذه الصور الرذلة الكثيفة، التي لم تقبل[١] نفسا روحانية، و لا نفسا حيوانية، و لا نباتية، و كل ما هو على قبول حياة و حس، فهو بعد في تلك الأنوار.

و كان يقول: إنّ هذا العالم يدثر و يدخله الفساد و العدم، من أجل أنّ سفل تلك العوالم، و نسبتها إليه نسبة اللبّ إلى القشر، و القشر يرمى. قال: و إنّما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه من قليل نور ذلك العالم، و إلّا لما ثبت طَرفة عينٍ، و يبقى ثباته إلى أن يصفي العقل جزؤه الممتزج، و يصفي النفس جزؤها المختلط به[٢]. فاذا صفى الجزءان عنه دثرت أجزائه هذا العالم. و فسدت، و بقيت مظلمة، و قد عدمت ذلك القليل من النور فيها، و بقيت الأنفس الدنسة الخبيثة في هذه الظلمة بلا نور، و لا سرور و لا روح و لا راحة و لا سكون و لا سَلوةٍ.

و نقل عنه أيضا: أنّ أول الأوائل من المبدعات هو الهواء، و منه تكوّن جميع ما في العالم من الأجرام العلوية و السفلية. قال ما كوّن من صفوِ الهواء المحض لطيف روحاني، لا يدثر و لا يدخل عليه الفساد، و لا يقبل الدّنس و الخبث، فما فوق الهواء من العالم فهو من صفوه، و ذلك عالم الروحانيّات، و ما دون الهواء من العوالم فهو من كدره، و ذلك عالم الجسمانيات، كثير الأوساخ و الأوزار، يتشبّث من سكن إليه فيمنعه من أن يرتفع علوا، و يتخلّص منه من لم يسكن إليه، فيصعد[٣] إلى عالمٍ كثير اللطافة، دائم السرور[٤].

و لعله جعل الهواء أول أوائل موجودات[٥] العالَم الجسماني، كما جعل العنصر أول اوائل الموجودات الروحانية[٦]، و هو على مذهب ثاليس[٧] الحكيم، إذ أثبت العنصر و الماء في مقابلته، و هو قد أثبت العنصر و الهواء في مقابلته، و نزّل العنصر منزلة العقل الأول، و العقل منزلة الروح القابل لنفس الصور، و رتّب الموجودات على هذا الترتيب، و هو أيضا من مشكاة النبوة قد اقتبس، و بعبارة القوم قد التبس.

[٢٦] ـ الحكيم زرادشت:

الحكيم زرادشت، ظهر في زمان كشتاسف بن لهراسب الملك، و أبوه كان من آذربيجان،

---

١. يقبل: ص. ٢. بها: ص. ٣. فصعد: ص.
٤. الشرور: ص. ٥. الموجودات: ص. ٦. الروحاني: ص.
٧. طالس: مص.

و أمه من الرّي. و زعم أصحابه أنّ اللّه تعالى خلق من ملكوته خلقا روحانيّا من وقت ما في الصحف الأولى و كتبه العُلى، فلمّا مضت ثلاثة آلاف سنة، أنفذ[۱] مشيّته في صورة من نور متلألئٍ على تركيب صورة الإنسان، و أحفّ به تسعين من الملائكة المكرّمين، و خلق الشمس و القمر و الكواكب و الأرض و بني آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة، ثم جعل روح زرادشت في شجرة أنشأها في أعلى عليّين، و غرسها في قلة جبل من جبال آذربيجان. يعرف بـ«آسمونه خر»؛ مازج سنخ زرادشت بلبن بقرة، فشربه أبوزرادشت فصار نطفة، ثم مُضغة في رحم أمّه، فقصدها الشيطان و غيّرها، فسمعت أمّه نداء من السماء، فيه دلالة على برئها فبرأت، ثم لما ولد ضحك ضحكه تبّأها مَن حَضَرَ، و نشأ بعد ذلك إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فبعثة الله سبحانه نبيا و رسولا إلى الخلق، فدعا كشتاسف[۲] الملك فأجابه [الى] دينه، و كان دينه عبادة الله، و الكفر بالشيطان، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و اجتناب الخبائث و يدعي الزّرادشتيون[۳] أنّ له معجزات كثيرة، و له كتاب قد صنّفه، و قيل أنزل ذلك عليه و هو «زند» و «استا» يقسم العالَم فيه قسمين: مينويّ و كيتيّ: يعني الرّوحاني، و الجسماني. و يقول: إنّ ما في العالم ينقسم قسمين: «بختشش و كُنش»، يريد به التقدير و الفعل. ثم يتكلّم في موارد التكليف، و هي حركات الإنسان فيقسمها ثلاثة أقسام: «بينش و گويش و كنش»، يعني بذلك الإعتقاد و القول و العمل. و بالثلاث يتمّ التكليف. فإذا قصر الإنسان فيها خرج عن الدين و الطاعة. و إذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر بالشريعة فاز الفوز الأكبر.

و قال: النور و الظلمة أصلان متضادّان، و كذلك «يزدان و اهرمن»، و هما[٤] مبدأ موجودات العالم، و حصلت التراكيب من امتزاجها، و حدثت الصور من التراكيب، و الباري تعالى خالق النور و الظلمة و مبدعها، و هو واحد لا شريك له، و لا ضدّ و لا ندّ، و لا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، و لكن الخير و الشرّ، و الصلاح و الفساد، و الطهارة و الخبث، إنّما حصلت من امتزاج النور و الظلمة، و لو لم يمتزجا لما كان وجود العالم، و هما

---

۱. أنفد: في مص. ۲. بشتاسف: ص. ۳. و يدعون الزرادشية: ص.
٤. هو: ص.

يتقاومان و يتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة، و الخير الشرّ. ثم يتخلص الخير إلى عالمه، و الشرّ ينحطّ إلى عالمه، و ذلك هو سبب الخلاص، و الباري تعالى مزجهما و خلطهما بحكمة رآها في التركيب، و ربّما جعل النور أصلا.

و قال: وجوده وجود أصل، و أما الظلمة فتبع كالظلّ بالنسبة إلى الشخص، فإنّه يرى أنّه موجود و ليس بموجود حقيقة، و أبدع النور و جعل الظلام تبعا، لأنّ من ضرورة الوجود التّضاد، فوجوده ضروريّ واقع في الخلق، لا بالقصد الأوّل كما في الشخص و الظلّ.

و لعل توضيح كلامه و تبيين مرامه أن الشر المعبّر عنه بالظلمة لا أصل له في الإبداع الأول من جهة المبدع الحق سبحانه، لأن الخير الكلي و الوجود المحض إفاضة الباري سبحانه على العقل الأول، فكان له السبق و التمام و الكمال و التقدم بالوجود على الأشياء، ثم كانت النفس منبعثة منه تالية له، فكان ما بينهما من التفاضل مرتبة منحطّة بالنفس عن اللحوق بالعقل، و نقصان عن درجته، فقصرت عن الكمال، فصار ذلك التقصير عجزا، فحدث من ذلك العجز نقص عن البلوغ إلى العقل الكليّ، ثم حدثت الطبيعة عن النفس، فكانت النفس أفضل منها؛ لكونها أصلا لها، و كان ما بينهما من التفاضل عجز هو أكثر من عجز النفس عن بلوغ مرتبة العقل. ثم كانت الأشياء المركّبات يحدث بعضها عن بعض.

و كان حينئذ وجود التفاضل، و بوجود التفاضل وجود العجز، و بوجود العجز وجود النقص، و بوجود النقص معرفة الفاضل و المفضول، فعند ذلك عطف العقل على النفس، بخيراته و فضائله، ليرقيها إليه و يبلغها إلى درجته، و لم يرض لها بالتخلّف عن بلوغ درجته و اللحوق بمنزلته؛ لأنّه ليس من شأنه الحسد و الكبر، و أنّ أحبّ الأشياء إليه كونها مثله؛ لأنّه خير كونه. و عطفت النفس عند ذلك على الطبيعة، و عطفت الأشياء بعضها على بعض، فالفاضل أبدا مجتهد أن يترقّى المفضول إلى درجته، و يبلّغه إلى منزلته، دائبا في ذلك مجتهدا فيه.

فقد بان بالبرهان و صحّ بالبيان، أنّ الشر لا أصل له في الإبداع، و إنّما سمّي عجز الأشياء بحدوث بعضها عن بعض شرّا، بمعنى التخلف عن اللحوق بدرجة الأفضل المتقدّم عليه، فمتى غفل المفضول عن اللحوق بدرجة الأفضل، و رضي لنفسه بالمكان الأخسّ الأرذل،

فهو الشر المحض البعيد عن السعادة.

فاذاً العالَم إذا قبل الفَيض و الجود، و ارتقى إلى العقل صار خيراً كلّه فزال الشر، و عاد الخلق إلى أوله فصار خيرا كله.

و قال تعالى: «كما بَدَأْنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إنّا كُنّا فَاعِلِينَ[١]»، فإذا ارتفع الشر و خالقه، فليس إلا الخير و خالقه سبحانه فثبت التوحيد، و ذهب التشبيه و الشرك، و صح أنّ الشر لا أصل له في الإبداع.

و مما نص عليه زرادشت أن للعالَم قوة إلهيّة هي المدبّرة لجميع ما في العالم المنتهية مباديها إلى كمالاتها، و هذه القوة تسمّى «مثا سبند»، و هي على لسان الصابيّة « المدبّر الأقرب»، و على لسان الفلاسفة «العقل الفعّال»، و منه الفيض الإلهي و العناية الربانية، و على لسان العرب «الملائكة» و على لسان الشرع و الكتاب الإلهي «الروح».

قال محيي مراسم الإشراق الشيخ السهروردي المقتول: إنّ أول حاصل لنور الأنوار واحد، و هو النور الأقرب العظيم، و هو المسمّى عند بعض الأوائل بالعنصر الأول، لأنه أصل ما عداه من الممكنات؛ لأنّ ما عداه معلول له، و عند المشائين بالعقل[٢] الكل. إمّا لأنّه عقل لجملة العالم، و إمّا لأنه في المشهور هو العلة الفلك[٣] الأقصى، الذي يقال لجرمه جرم الكل، و لحركته حركة الكل؛ لإحاطة جرمه و حركته بجميع الأجرام و الحركات الداخلة تحت جرمه و حركته. و ربّما سمّاه بعض الفهلوية «بَهْمَن».

قال العلامة شارح الإشراق: و زعم الحكيم الفاضل زرادشت أنّ أول ما خلق من الموجودات «بهمن» ثم «أرديبهشت» ثم «شهريور» ثم «اِسفند ارمذ» ثم «خرداد» ثم «مرداد» و خلق بعضهم من بعض، كما يوقد السراج من السراج من غير أن ينقص من الأول شيء ورآهم زرادشت، أي إتصل بهم و استفاد منهم العلوم الحقيقية، و تحقيق الإتصال بالمبادي ـ على ما بيّن بعض الأعاظم من علمائنا ـ أن النفس الإنسانية إذا استكملت ذاتها الملكوتية، و نضت جلبابها الهيولاني، ناسبت[٤] نوريّتها نورية تلك الأنوار،

---

١. سورة الانبياء، الاية ١٠٤.

٢. بعقل: ص.

٣. لفلك: ص.

٤. ناسبت: ص.

و شابهت جوهريتُها جوهريّتَها فاستحقت الإتّصال و الانخراط في زمرتها، و الإستفادة منها، و مشاهدة أضوائها، و مطالعة ما في ذواتها من صور الحقائق المنطبعة فيها. و إلى ذلك الإشارة يقول مولانا ثامن الأئمة الأطهار أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث: أنّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب، حتّى يستبين له ما في الحجب، و الحجب من ضروب الملائكة، جواهر قدسية و أنوار عقلية، هُم حجب أشعّة جمال نور الأنوار، و وسائط النفوس الكاملة في الإتّصال بجناب ربّ الأرباب.

و في الحديث: إنّ للّه سبعاً و سبعين حجاباً من نور، لو كشفت عن وجهه لأحرقت[1] سبحات وجهه كلّما أدركه بصره.

و ممّا أخبر الحكيم زرادشت في كتاب الزند و أستا[2] أن قال: سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه «استدريكا» و معناه الرجل العالِم، يزين العالَم بالدين و العدل، ثم يظهر في زمانه «پتيارة» يوقع[3] الآفة في ملكه، و أمره عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك «استدريكا» على أهل العالَم و يحيي العدل، و يميت الجور، و يرد السنن المغيّرة إلى أوضاعها الأُوَل، و ينقاد له الملوك، و تيّسر له الأمور، و ينصر الدين الحقّ، و يحصل في زمانه الأمن و الدّعة: و سكون الفتن، و زوال المحن.

أقول: كأنه أخبر الحكيم المذكور بوجود مولانا صاحب الأمر سلام اللّه عليه، و خروجه في آخر الزمان، و الصفات التي ذكرها[4] لهذا الرجل هي صفاته التي وردت[5] في الأحاديث و الرّوايات و «الپتيارة» كناية عن الدّجال. و اللّه[6] أعلم بحقيقة الحال.

[٢٧] ـ الحكيم ذيمقراطيس:

الحكيم ذيمقراطيس، فيلسوف يوناني، و كان معاصرا لبقراط، في زمن بهمن بن اسفنديار بن گشتاسب. و هو من قدماء الفلاسفة، قائل بانحلال الأجسام إلى جزء لا يتجزّأ، و أنه كان يقول في المبدع الأوّل: أنه ليس هو العنصر فقط، و لا العقل فقط، بل

---

١. لاحترقت: في ص. ٢. أفستا: ص. ٣. فوقع: ص.
٤. ذكره: ص. ٥. ورد: ص. ٦. هو: ص.

الأخلاط، الأربعة، و هي الأُسطقسات أوائل الموجودات كلّها، و منها أبـدعت الأشـياء البسيطة كلّها دفعة واحدة. فأما المركبة فإنّها كانت دائمة دائرة، إلا أن ديمـومتها بـنوع، و دُثورها بنوع، ثم العالم بجملته باق غير دائر؛ لأنه ذكر أن هذا العالم مـتصل بـذلك العـالم الأعلى، كما أنّ عناصر هذه الأشياء متّصلة بلطيف أرواحها الساكنة فيها.

و العناصر و إن كانت تدثر[۱] في الظاهر، فإنّ صفوها من الروح البسيط الذي فيها، فإذا كان ذلك كذلك، فليس يدثر إلّا من جهة الحواس، فأمّا من نحو العقل فإنّه ليس يدثر، فلا يدثر هذا العالم، إذ كان صفوها فيه، و صفوه متصل بالعوالم البسيطة، و إنما شنع عليه الحكماء من جهة قوله: إن أول مبدع[۲] هي العناصر، و بعدها أبدعت البسائط الروحانية، فهو يرتقي من الأسفل إلى الأعلى، و من الأكدر إلى الأصفى.

و من كلامه: لا تكن حلوا جدّا فتبلع، و لا مُرّا جدّا فتلفظ.

و قال: ليس ينبغي أن تعدّ نفسك من الناس، مادام الغيظ يفسد رأيك و تتبع شهوتك.

و قال: ليس ينبغي أن يمتحن الناس في وقت ذلّتهم، بل في وقت عزّتهم و تملّكهم، و كما أنّ الكير يمتحن به الذّهب، كذلك الغضب يمتحن به الإنسان، فيبين[۳] خيره من شره.

و قال: ينبغي أن تأخذ العلوم بعد أن تنقي[٤] عن نفسك العيوب، و تعوّدها الفضائل، فإنّك إن لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلوم.

و قال: من أعطى أُخاه المال، فقد أُعطاه خزانته، و من أعطاه علمه و نـصيحته، فـقد وهب له نفسه.

و قال: لا ينبغي أن يعدّ النفع الذي فيه الضرر ضرراً، و لا الحياة التي لا تحمد[٥] حياة. و قال: عالم معاند خير من جاهل منصف.

و قال: ذنب الكلب يكسب له الطعمة، و فمه يكسب الضرب.

و كان بأثينة نقّاش حاذق فأتى ذيمقراطيس و قال: جَصّص بيتك فأُصوّره، فقال: صوّره أولا حتى أُجَصّصَه.

---

۱. يدثر: ص. ۲. المبدع: ص. ۳. فتبين: ص.
٤. ينقي: ص. ٥. لا تحمد أن تعد حياة: ص.

و قال: مثل العلم مع من لا يقبل و إن قبل لا يعمل، كمثل دواء مع سقيم و هو لا يداوى به.

و قيل له: لا تنظر، فغمض عينيه. و قيل له: لا تسمع فسدّ أُذنيه. و قيل له: لا تتكلم، فوضع يده على فمه. و قيل له: لا تعلم، قال: لا أقدر.

و لعله أراد به أن البواطن لا تندرج[1] تحت الإختيار، فأشار إلى ضرورة الباطن، و اختيار الظاهر. و لمّا كان الإنسان مضطرًا في صورة مختارٍ ـ على ما ذهب إليه بعض الكبار ـ كان معزول الولاية عن قلبه، و هو بقلبه أكبر منه لسائر جوارحه، فلهذا ما لم يستطع أن يتصرّف في أصله، استحال أن يكون فاعل أصله. و لهذا الكلام على ما بيّن بعض الأعلام شرح آخر، ذكره محمد بن عبدالكريم الشهرستاني في كتاب الملل و النحل، و قد وجدنا في بعض الكتب[2] الطبّيّة قاعدة منسوبة إلى الحكيم ذيمقراطيس في استخراج ميزان الأدوية بالحروف: ـ

---

١. يندرج: ص. ٢. كتب: ص.

و هــذه صــورتهـــا

حروف	ا	هـ	ط	م	ف	ش	ز
حرارة	مرتبة	درجة	دقيقة	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة
حروف	ب	و	ي	ن	ص	ت	ض
برودة	مرتبة	درجة	دقيقة	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة
حروف	ج	ز	ك	س	ق	ث	ظ
يبوسته	مرتبة	درجة	دقيقة	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة
حروف	د	ح	ل	ع	ر	خ	غ
رطوبة	مرتبة	درجة	دقيقة	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة

قال: و متى أردت أن تعلم ما في الشيء من طبائعه، و كم فيه من الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة، و كم فيه من الأجزاء الحارة و الباردة، و اليابسة و الرطبة، رجعت إلى الإسم الذي أوجبه طالعه في وقت الولادة، ثم نظرت ما في حروفه من المراتب و الدرجات[1] و الدقائق و الثواني و الثوالث و الروابع و الخوامس، فإنّك تعلم كم فيه من الأجزاء الحارة و الباردة و اليابسة و الرطوبة، فإن جاءك اسم أكثر من أربعة أحرف أو أقلّ منها، فارجع بالزائد إلى أصل حروفه، فيخرج لك بما فيه. فلنبدأ بعِقار اسمه «فاوانيا» خارج من أربعة أحرف، فأردنا أن نعلم كم فيه من الطبائع؟ فقلنا: «ف» فوجدنا شكلها ثالثة حـرارة، ثم وجدنا الف، فكان شكلها مرتبتين حرارة. لأنّ الألف إذا كانت من الاسم في أول الحرف كانت مرتبة، و إذا كانت في الثاني صارت مرتبتين، و إذا كانت في الثالث كـانت ثـلاث مراتب، و كذلك في الرابع و الخامس، و كل حرف يجري هذا المجرى أين كان[2] من الاسم يضاعف، إلاّ أم في أوّله و ثالثه. لقد كشفت لك ما يتعثر[3] على الفلاسفة أن يصرّح إلى أحد.

و لنرجع إلى «فاوانيا». و قد خرج لنا أِلفاً ثالثة حرارة، و الألف مرتبتين حرارة؛ لأنّها في

---

١. الارج: في ص.　　٢. كانت: ص.　　٣. يعثر: ص.

ثاني الحروف، و الواو في ثالث حروف[١] الاسم، ثالث درجة البرودة، و الألف أربع مراتب حرارة، لأنها رابع الحروف، و النون في خامس الحروف، خمس ثواني البرودة، و الياء في سادس الحروف، ست دقائق برودة، و الألف سابع الحروف سبع مراتب حرارة. فكان في «فاوانيا»: الأجزاء الحارة أكثر من كلّ واحد من الأجزاء الباردة و الرطبة و اليابسة. إذاً كان فيه منها ثلاث[٢] عشرة مرتبة، و ثلاث حرارت[٣] و فيه من البرودة ثلاث درجات[٤]، و ست دقائق، و خمس ثواني برودة.

قال: إذا لم يكن لک في الحروف رطوبة و يبوسة، فاعلم أنّ المنفعلتين و هما اليبوسة و الرطوبة من عمل الفاعلتين، و هما الحرارة و البرودة، لأنّ من شأن النار أن تُيَبِّسَ[٥] كل شيء، و من شأن الماء، أن يُرطِّب[٦] كل شئ، فإذا فقدتهما من الحروف قصر مثل نصف الحرارة يبوسة، و مثل نصف البرودة رطوبة. و إن لم يكن للحروف في الاسم صورة، لأن من شأن الحرارة أن تتبعها[٧] اليبوسة و لا تفارقها[٨] أين كانت، و في أيّ جسم حلّت، و كذلك الرطوبة تتبع[٩] البرودة و لا تفارقها[١٠] على هذا السبيل.

فوجب أن يكون في «الفاوانيا» ثلاث عشرة[١١] مرتبة و ثلاث حرارات[١٢]، و فيه من البرودة ثلاث درجات[١٣] و ست دقائق، و خمس ثواني. فوجب أن يكون فيه من اليبوسة ست مراتب، و خمس درجات و خمس روابع، و فيه من الرطوبة درجة، و ثمان دقائق و ثانيتين و خمس ثوالث.

و انما ابتدأ بهذا الاسم الكثير الحروف ليسهل عليك ما يقلّ حروفه، و أقلّ ما في الاسماء على حرفين، مثل خلّ و شبّ، و ما أشبههما، فيكون في الخل دقيقة و رابعة رطوبة، فوجب أن تكون[١٤] فيه دقيقتان و رابعتان برودة، و لمّا لم نجد فيه حرفا للحرارة، علمنا أنّ البرودة

---

١. حروف: ص.
٢. ثلاثة عشر: ص.
٣. ثالثة حرارة: ص.
٤. ثلاث درج: ص.
٥. يتيبس: ص.
٦. يترطب: ص.
٧. يتبعها: ص.
٨. يفارقها: ص.
٩. يتبع: ص.
١٠. يفارقها: ص.
١١. عشر: ص.
١٢. ثالثة حرارة: ص.
١٣. درج: ص.
١٤. يكون: ص.

غالبة[۱]؛ لأنّ الرطوبة لا تكون[۲] إلا مع البرودة، و لابدّ و أن تكون[۳] فيه من الحرارة دقيقة و رابعة، و وجب أن تكون[٤] اليبوسة مثل نصف الحرارة، فيكون خمس ثوانٍ و خمس خوامس. و هذا أتمّ تعليمك لترى من أين حسبت.

و اعلم أنّ المرتبة عشر درجات[۵]، و الدرجة عشر دقائق، و الدقيقة عشر ثوان، و الثانية عشر ثوالث، و الثالثة عشر روابع، و الرابعة عشر خوامس.

فانظر إلى هذا الحساب بارك الله عليك فضعه في موضعه، فإنْ جاءك اسم العقار من العقاقير المشهورة بنهاية الحرارة، و لم تجد فيه من الحروف الحارّة شيئاً فاعكسه، و صيّر لكل مرتبة من البرودة مرتبتين من الحرارة، و لكلّ مرتبة من الرطوبة مرتبتين من اليبوسة، و كذلک الدرجات[٦] و الدقائق و الثواني و الثوالث و الروابع و الخوامس. و كذلك إذا جاءك اسم لعقار في نهاية البرودة، و ليس فيه من حروف البرودة شيء، فانظر كم فيه من حروف الحرارة و اَضعفها[۷] من البرودة فإنها محتبسة فيها[۸]؛ و إن لم تظهر[۹]، و كذلك الرطوبة تجعلها[۱۰] ضعف اليبوسة، فاعلم أنّ لكل جسد في هذا العالم من المواليد الثلاثة لابدّ فيها من الحرارة و البرودة و اليبوسة و الرطوبة، فمتى كانت الحرارة عليها أغلب، كانت اليبوسة معها أغلب، لأنّها منها، و متى كانت البرودة أغلب عليه كانت الرطوبة معها أغلب، لأنّها معها، و متى جاءك من العقار لا تعلم أباردٌ هو أم حارّ، وجدت فيه حروف البرودة، فاجعل بحذاء البرودة مثلها من الحرارة، و لا تضعها[۱۱]. و كذلك فاجعل بحذاء الرطوبة مثلها[۱۲] من اليبوسة، و إنّما لم أصف لك ذلك؛ لأنّه لا يشتهر[۱۳] بغلبة أحد النوعين عليه، وجب أن يكون حرارته كبرودته، و رطوبته كيبوسته.

و الله العظيم قد علمتك و كشفت[۱٤] لك بغير رمز و لا ستر، و إن كانت قريحتك حادّة،

---

۱. غالب: ص.
۲. يكون: ص.
۳. يكون: ص.
٤. يكون: ص.
۵. درجة: ص.
٦. الدرج: ص.
۷. وضعفها: مص.
۸. فيه: ص.
۹. يظهر: ص.
۱۰. يجعلها: في ص.
۱۱. تضاعفها: مص.
۱۲. منها: ص.
۱۳. يشهر: ص.
۱٤. كشفتك: ص.

فانظر إلى العقارات فترى كل واحدة منها، فإذا وزنته في «روز نامج» يكون بين يديك، فإذا جئت إلى عقار فيه أجزاء من الحرارة، طلبت له عقارا فيه أجزاء من البرودة، فإن لم يمكنك إلّا في عقارين أو ثلاثة أو أربعة إلى مائة، حتى تعتدل[١] الفاعلتان، فصيّر[٢] مراتبها و درجاتها[٣] و دقائقها و ثوانيها و ثوالثها و روابعها و خوامسها بمنزلة واحدة، لا يزيد واحد منها على الآخر، و أنا أشكلّه أشكالا لتعرفه، فافهم ذلك فإنه نكتة لطيفة: ا ا ا ا ب ب ب ب ج ج ج ج د د د د ه ه ه ه و و و و ز ز ز ز ح ح ح ط ط ى ى كـ كـ و كذلك إلى تمام الحروف، و يجوز أن يدخل من السطر الاول في الثاني، و لكن على شريطة أن يكون في واحد منها ما كان في أربعة، ليقع الإعتدال، و إلا فلا اعتدال، و هذه الأشكال[٤] اسم باب الحق.

الميزان	مرتبة	درجة	دقيقة	ثانية	ثالثة	رابعة	خامسة
ميزان الحرارة	ا	هـ	ط	م	ف	ش	ذ
ميزان البرودة	ب	و	ي	ن	ص	ت	ض
ميزان اليبوسة	ج	ز	ك	س	ق	ث	ظ
ميزان الرطوبة	د	ح	ل	ع	ر	خ	غ

فإن أشرفت عليه بلغت الفوز من وقتك بغير كدّ و لا تعب.

قال بعض المتطبّبين: إنّ هذه القاعدة و إن كانت في غاية الدّقة و اللطافة، و فيها نوع من الإعجاز و العجائب إلّا أنّها[٥] موقوفة على العلم بالاسم الذي أوجبه طالعه من وقت تولّده،

---

١. يعتدل: ص. ٢. فصر: ص. ٣. درجتهما: ص.

٤. تم تصحيح ما ورد في هذا الجدول على أساس الجدول الأول. فقد جاء في هذا الجدول: ميزان الحرارة: ا هـ ط م ف س ز ميزان البرودة: ب و ي، ن، ص، ت، ض و ميزان اليبوسة: ج ر ك س و ت ط و ميزان الرطوبة: ر ح ل ع ر خ غ.

٥. أنّه: ص.

ثم النظر ما في حروفه، فلا يخفى عليك أنّه يمكن أن يكون لدواء واحد إسمان، أو أسماء مختلفة متعدّدة بلغات مختلفة، كيف تصحّ[1] هذه القاعدة، فإن كان مكان: «فاوانيا» «عود الصليب» أو «كهبانا» فإنّها مترادفات[2]، كيف تترتّب[3] هذه القاعدة؟ و لو قلت مكان الخلّ و الشبّ «سركه» و «زاغ»[4] كيف تطّرد[5] هذه القاعدة؟ اللّهم إلّا أن يقال: إنّ هذه موضوعة علىٰ الأدوية بلغة اليونان[6]، و فيه نظر إذا تأمّلته عرفته.

أقول: لا يخفى أنّ درجات[7] الأدوية عند الأطباء، اَربع:

الأول: أن يكون فعل الدواء في البدن بكيفيته فعلا غير محسوس، إلّا أن يتكرّر أو يتكثّر من المقدار المعهود.

الثاني: أن يكون الفعل أقوى من ذلك، لكن لا يبلغ أن يضرّ بالأفعال ضررا بيّنا، و لا بغيره عن المجرى الطبيعي، إلّا أن يتكرّر أو يتكثّر.

الثالث: أن يكون فعلها يوجب ضرراً بيّناً[8] لكن لا يبلغ أن يهلك.

الرابع: أن يكون بحيث يبلغ أن يهلك.

و إنّما كانت الدرجات[9] أربعا: لأنّ بدن الإنسان مركب من أربعة أشياء، و هي الروح، و الخلط، و العضو، و الفضاء. و كلما يرد على البدن دواء يسخّن الفضاء مثلا، فهو في الدرجة الأولى، و ما يفعل هذا و يسخّن الروح فهو في الدرجة الثانية، و ما يفعل هذين الفعلين و يسخّن الخلط فهو في الثالثة، و ما يفعل هذه الأفاعيل الثلاثة ثم يسخّن العضو فهو في الرابعة، و يكون بمنزلة السموم. و قس على هذا في الباردة و اليابسة.

ثم اعلم أنّ كلّ حارّ في الأولى البرودة فيه نصف، و كل حار في الثانية البرودة فيه ربع، و في الثالثة البرودة فيه ثمن، و في الرابعة البرودة فيه نصف ثمن. و قس عليه البارد و اليابس و الرطب.

و قالوا: إنّ هذا مختص بالأدوية الحارّة و الباردة فقط، و هو غير شامل للأدوية الرطبة و

---

١. يصح: ص. ٢. مترادفان: ص. ٣. يترتب: ص.
٤. زاج: ص. ٥. يطرد: ص. ٦. يونان: ص.
٧. درج: ص. ٨. البين: ص. ٩. كان الدرج: ص.

اليابسة، لأنّه ليس لنا فيها دواء حارّ رطب، أو حارّ يابس في الرابعة، أو بارد رطب أو بارد يابس في الرابعة؛ لأنّ الرطوبة و اليبوسة كيفيتان انفعاليّتان، و الحرارة و البرودة فعليّتان. فلو كان لنا دواء حار رطب، أو بارد يابس في الرابعة، لزم أن تكون[1] الكيفية الإنفعالية في قوتها و تأثيرها مساوية للكيفية الفعلية، و ذلك محال.

[٢٨] ـ الحكيم أبرقلس الأفلاطوني:

الحكيم أبرقلس الأفلاطوني، من أهل إفريقية، كان عالما بعلوم القوم، و له تصانيف كثيرة في الحكمة. و هو في زمان دقليطانوس القِبطي، و له شبهات في قدم العالم. و ليحيى النحوي في الرد عليه كتاب كبير صنّفه في ذلك.

و قال الشهرستاني في كتاب الملل و النحل: إنّ القول بقدم[2] العالم و أزليّة الحركات بعد إثبات الصانع، و القول بالعلّة الأولى، إنما ظهر بعد أرسطو، فإنّه خالف القدماء صريحا، و أبدع هذه المقالة على قياسات ظنّها حجّة و برهانا، فنسج على منواله مَن كان مِنْ تلامذته.

و صرّح الشيخ الرئيس في كتبه و رسائله بأنصّ البيان: أنّ متمسّكاتهم في الإحتجاج لِأزليّة العالم أقيسة جَدليّة، من مقدمات مشهورية غير برهانية.

و في رسالته المعمولة لقدم العالم قال: إنّ جملة الحجج[3] المأتيّ بها لقدم العالم دلائل جدلية و قياسات مغالطية.

و قال بعض الأعاظم من علمائنا: لأن دلائل القدم كلها مبنية على إمكان الوجود السرمدي للعالم، و إمكان خلق آخر قبل أيّ خلق فرض أول الخلق، لا إلى نهاية في جهة البداية، و هذه مقدمة لا برهان عليها، بل إنّما هي من الأوضاع المسلمة[4] لدى الجماهير، و الذائعات المشهورة عندهم.

و صنّف أبرقلس في هذه المسألة كتابا أورد فيه شبهات، فيها نوع مغالطة، و أكثرها تحكّمات يمكن الانتقاض منها[5]، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

---

١. يكون: ص. ٢. في قدم: ص. ٣. حجَج: ص.
٤. المتسلمة من الجماهير: ص. ٥. فيها: ص.

و ممّا ينقل عنه[۱] في قدم العالم قوله: لن يتوهّم حدوث العالم إلّا بعد أن يتوهّم انّه لم يكن، فأبدعه الباري تعالى في الحالة التي لم يكن لا تخلو[۲] من حالات ثلاث: إمّا أنّ الباري تعالى لم يكن قادرا، و ذلك محال، لأنّه قادر لم يزل. و إمّا أنّه لم يرد ذلك، و ذلك محال أيضا، لأنّه مريد لم يزل. و إمّا أنّه لم تقتضي[۳] الحكمة ذلك. و هذه الجهات الثلاث محال، لأنّ الوجود أشرف من العدم على الإطلاق، فإذا بطلت هذه الجهات الثلاث نشأت[٤] بها الصفة الخاصة و هو القدم على أصل التكلم، إذ كان القدم بالذات له دون غيره، و إن كان معاً في الوجود.

و من المتعصّبين لأبرقلس من مهّد له عذرا في ذكر الشبهات، و قال: إنّه يناطق الناس منطقين: أحدهما روحاني بسيط. و الآخر جسماني مركب. و كان أهل زمانه الذين يناطقون، جسمانيين، و إنّما دعاه إلى ذكر هذه الأقوال مقاومتهم إيّاه، فخرج من طريق الحكمة و الفلسفة من هذه الحجّة؛ لأنّ من الواجب على الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة، يتصرّف فيها كل ناظر بحسب فطرته، و يستفيد منها بحسب فكره و استعداده، فلا يجدوا على قوله مساغاً، و لا يصبّوا مقالاً و لا طعناً؛ لأنّ أبرقلس لمّا كان يقول بِدهرية هذا العالم، و أنّه باق لا يدثر، وضع كتابا في هذا المعنى، فطالعه من لم يعرف طريقته، ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانيته، فتصوّروه على مذهب الدهريّة.

و في هذا الكتاب يقول: كلّما[٥] اتّصلت العوالم بعضها ببعض، و حدثت القوى الواصلة فيها، و حدثت المركبات من العناصر، حدثت قشورا و استبطنت لبوبا، فالقشور داثرة، و اللبوب قائمة دائمة، لا يجوز الفساد عليها؛ لأنّها بسيطة[٦]، فانقسم العالم إلى عالمين: عالم الصفوة و اللبّ، و عالم الكدرة و القشر، فاتّصل بعضها ببعض، فكان آخر هذا العالم من بدوِ هذا العالم. فمن وجه لم يكن بينهما فرق، فلم يكن هذا العالم داثرا، إذ كان متّصلا بما ليس يدثر. و من وجه دثرت القشور و زالت الكدورة. و كيف تكون[۷] القشور غير داثرة و لا مضمحلّة؟ و ما زالت[۸] القشور باقية كانت اللبوب خافية.

---

۱. منه: ص. ۲. يخلو: ص. ۳. يقتضي: ص.
٤. لشا: ص. ٥. كما: ص. ٦. بسيط: ص.
۷. يكون: ص. ۸. لم يزل: ص.

و أيضا فإنّ هذا العالم مركب، و العالم الأعلى بسيط، و كل مركب ينحلّ حتى يرجع إلى البسيط الذي يتركب منه، و كل بسيط باق دائم غير مضمحلّ و لا متغيّر.

قال الذي يذبّ عن أبرقلس: هذا الذي نقل عنه هو المقبول عن مثله، بل الذي أضاف إليه هذا القول الأول لا يخلو عن أحد أمرين: إمّا أن لا يقف على مرامه للعلّة التي ذكرنا فيما سلف، و إمّا لأنّه كان محسودا عند أهل زمانه، لأنّه بسيط الفكر، واسع النظر، سائر القوى. و كانوا أولئك أصحاب أوهام و خيالات، فإنّه يقول في موضع من كتابه: إنّ الأوائل منها كوّنت[١] العوالم، و هي باقية لا تدثر[٢] و لا تضمحلّ[٣]، و هي لازمة الدهر، ما سكة له، إلّا أنّها من أول واحد لا يوصف بصفة، و لا يدرك بنعت و نطق، لأنّ صور الأشياء كلها منه و تحته، و هو الغاية و المنتهى الذي[٤] فوقه[٥] جوهر، و هو أعظم منها، الأول الواحد الذي قوّته أخرجت هذه الاوائل، و قدرته أبدعت هذه المبادي.

و قال أيضا: إنّ الحق لا يحتاج إلى تعرّف ذاته، لأنّه حقّ حقّاً بلا حق، و كل حق حقا فهو تحته، إنّما حق حقا إذ حقّقه الموجب له الحق، فالحق هو الجوهر الممدّ لطباع الحياة و البقاء، و هو أفاد هذا العالم بدواً و بقاء بعد دثور قشوره، و زكّى البسيط الباطن من الدنس الذي كان فيه و قد علق به.

و قال: إنّ هذا العالم إذا اضمحلّت قشوره، و ذهب دنسه، و صار بسيطا روحانيا، بقي بما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حدّ المراتب الروحانية، مثل العوالم العلويّة التي بلا نهاية، و كان هذا واحد منها، و بقي جوهر كل قشر و دنس و خبث، و يكون له أهل تتلبّس[٦] به؛ لأنّه غير جائز أن تكون[٧] الأنفس الطاهرة التي لا تتلبس بالأدناس[٨] و القشور مع الأنفس الكثيرة القشور في عالم واحد، و إنّما يذهب من هذا العالم ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية، و ما كان القشور و الدنس عليه أغلب. فأمّا ما كان من الباري عزّوجل بلا متوسط، أو من متوسط بلا قشر، فإنّه لا يضمحلّ.

---

١. تكونت: ص. ٢. يدثر: ص. ٣. يضمحل: ص.
٤. التي: ص. ٥. فوقه: ص. ٦. تلبسه: ص.
٧. يكون: ص. ٨. يلبس الأوناس: ص.

قال: و إنّما يدخل القشر على الشيء من غير المتوسطات، فيدخل عليه بالعرض لا بالذات، و ذلك إذا كثُرت[1] المتوسطات، و بعد الشيء عن الإبداع الأول، لأنّه حيثما قلّت المتوسطات في الشيء كان أنور و أقلّ دنساً، و كلّما قلّت القشور و الدنس كانت الجواهر أصفى، و الأشياء أبقى.

و ممّا ينقل عن أبرقلس إنّه قال: الباري تعالى عالم بالأشياء كلها، أجناسها و أنواعها و أشخاصها، و خالف بذلك أرسطوطاليس، فإنّه قال: يعلم أجناسها و أنواعها دون أشخاصها الكائنة الفاسدة، فإنّ علمه تعالى يتعلّق بالكليات دون الجزئيات.

قال بعض الأعلام في مبحث القدم و الحدوث: إذا أردت أن تعرف وجه الموافقة بين الشريعة و الحكمة في هذه المسألة المهمّة، فيجب أن تعرف جميع معاني المحدث، فلفظ المحدث يقع بالإشتراك على معان[2] ثلاثة، و كذلك لفظ القديم المقابل له يكون مشتركا بين معان[3] ثلاثة بإزاء معاني[4] المحدث. فالمعني الأول من معاني المحدث ما يقال لكل ما كان زمان وجوده قصيراً، حدثٌ[5]، و يقابله القديم، و هو الذي يقال لكل ما طال زمان وجودهم كما يقال: إن هذه المدينة قديمة، و تلك الأخرى محدثة. قال الله تعالى: «و الْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ[6]» و قال: إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ القَدِيمِ[7]»، فالذي يقول: إنّ العالم قديم غير محدث، و يريد بهما ما ذكرنا من هذا المعنيين فليس ذلك مخالفاً للشرع، و لا مخالفا لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام .

المعنى الثاني من معاني المحدث: هو الذي يقال لكل موجود يسبق على أول وجوده زمانا أنّه محدث، فيكون قبل وجوده لم يكن فيه موجودا، ثم انقضى و وجد ذلك المحدث في زمان آخر بعده، و هذا المحدث يقال له محدث زماني. و أمّا القديم الذي يقابله، فهو الذي لا يسبق وجوده زمان لا يكون فيه موجودا، و يقال [له] قديم زمانيّ. و قد عرفت أنّ الزمان مقدار الحركة الأولى، و هذا المقدار يمتنع وجوده قبل حركة الفلك، و قبل وجود الفلك لا يكون

---

۱. اكثرت: ص. ۲. معاني: ص. ۳. معاني: في ص.
٤. معان: ص. ٥. فحدث: ص. ٦. سورة يس، الاية ۳۹.
۷. سورة يوسف، الاية ۹٥.

زمان، فلا يصحّ أن يقال للزمان الذي هو مقدار الحركة الذي للفلك، و لا للفلك نفسه أنّهما محدثان زمانيان؛ لأنّ المحدث الزماني عبارة عما يسبق أول وجوده زمان لم يكن فيه، و ذلك الحادث موجود، فلو كان الفلك أو مقدار حركته محدثا زمانيا، لزم أن يكون الفلك و حركته سابقين على نفسهما، و ذلك محال. و إذا كان الفلك أو مقدار حركته من جملة أجزاء العالم و لا يصدق عليهما الحدث الزماني، لم يكن كلّ العالم محدثا زمانيا، فلا يصحّ أن يقال للعالم إنّه قديم زمانيّ، إذ عني بالعالم كله، فإنّ المركبات العنصرية كالمعادن و النبات و الحيوان محدثة حدوثا زمانيا.

لا شك أنّ بعض أجزاء الزمان المفروضة كاليوم و الليلة و السنة محدثة حدوثا زمانيا، لأنّه لابد و أن يستقبل ما هو من نوعها من الزمان، و لا يصحّ أن يكون الزمان باعتبار آخر محدثا، بل هو قديم؛ لأنّ الزمان السابق عليه زمان آخر، فذلك الزمان السابق إن كان متناهيا فيكون لتلك النهاية زمانا لا يسبقها زمان آخر، فلا يكون محدثا زمانيا بالتفسير المذكور، و إن كان غير متناه بأن يكون قبل كل زمان يفرض زمان آخر فيكون الزمان السابق الأول لا أولّ له، فلا يكون كل الزمان محدثا زمانيا؛ لأنّه لا زمان قبل وجود كل الزمان؛ لأنّ أيّ زمان فرض فهو من الكل، و ليس قبل الكل شيء. فالزمان بهذا الاعتبار قديم، و ليس بمحدث، فلا يكون ذلك مخالفا للشرائع الحقة، فإنّ الشرائع لا تقول ما يخالف صريح العقل.

المعنى الثالث من معاني الحدث، هو المحدث[1] الذاتي و هو كل ما يتأخّر وجوده عن وجود غيره تأخّرا ذاتيا، و بإزائه القديم الذي يتقدم على غيره بالذات، كما مرّ تقريرهما. فالعالم و هو ما عدا الواجب لذاته محدث بهذا التفسير؛ لأنّه ممكن الوجود، يحتاج إلى العلة الواجبة الوجود، فيكون متأخّرا بالذات عن تلك العلة، فيكون محدثا بالمعنى المذكور. و من قال إنّه قديم بهذا المعنى، فقد خالف الشرائع الإلهية، و لا يكون إلّا واجب الوجود لذاته فقط. و أمّا المحدث[2] الذاتي، فلا يصدق على ما عرفت إلّا على بعض أجزاء الزمان، و بعض المركبات العنصرية، و ما عداها[3] فهو إمّا قديم أو محدث بالمعاني المذكورة، و إذا تقررت هذه المعاني و

---

١. الحدث: ص. ٢. الحدث: ص. ٣. عداه: ص.

اتّضحت سَقَط النزاع بين العقلاء في هذه المسألة.

[٢٩] ـ الحكيم فرفوريوس الصوري:

الحكيم فرفوريوس الصوري، الصور[١] من ساحل الشام. و له نباهة في الفلسفة، و هو على رأي أرسطاطاليس، و الشارح لكلامه. و ذكر المؤرّخ القفطي الشيباني في تاريخه: أنّه كان بعد زمن جالينوس، و أنّه لمّا صعب على أهل زمانه معرفة كلام أرسطو، شكوا إليه ذلك من الأماكن، و ذكروا سبب الخلل الداخل عليهم، ففهم ذلك، و قال: كلام الحكيم يحتاج إلى مقدمة قصر عن فهمه طلبة زماننا، لفساد أذهانهم. و شرع في تصنيف الايساغوجي، و أضيف إلى كتب أرسطاطاليس. و يدعّي أنّ الذي يحكي عن أفلاطون[٢] من القول بحدوث[٣] العالم قَولٌ غيرُ صحيح.

و قال في رسالته إلى ايالُو: و أمّا ما قرب به أفلاطون[٤] عندكم أنّه وضع[٥] للعالم ابـتداء زمانيا، لكن ابتداءً على جهة العلة، و يزعم أنّها[٦] علة لكونه، و قد رأى أنّ المتوهم عليه في قوله: إنّ العالم مخلوق، أنّه حدث لا من شيء و أنّه خرج مِن لا نظام إلى نظام، و قد أخطأ و غلط. و ذلك لا يصحّ دائما، أنّ كل عدم أقدم من الوجود فيما [هو] علة وجود شيء آخر عنده غيره، و لا كل سوء نظام أقدم من النظام، و إنّما يعني[٧] أفلاطون[٨] أنّ الخالق أظهر العالَم من العدم إلى الوجود، إن وجد أنّه لم يكن من ذاته، لكن سبب وجوده من الخالق.

و من كلماته: اجعل نفسك غريبا، و أكرم الغرباء.

و قال إذا طاب سير سفينتك فاحذر الغرق. و من هذا قال من قال:

إذا تمّ شيء[٩] دَنـــا نـــقصه ... تـــــوقّع زوالا إذا قـــيل تم

و قال: من تلبّس بالدنيا أَسرعت إليه في باب الأعداء.

أقول: لعلّ مراده أنّ الدنيا لمّا كانت محبوبة الناس ـ إلّا من عصمه الله ـ و هي موجودة

---

١. رصور: مص. ٢. افلاطن: ص. ٣. بحدث: ص.
٤. افلاطن: ص. ٥. يضع: ص. ٦. أنّ: ص.
٧. نعني: ص. ٨. أفلاطن: ص. ٩. شيئاً: ص.

عند طالبيها و متلبّسيها، و كل واحد منهم[١] رقيب و عدو لآخر، و مائل أنّ مطلوبه و معشوقه ليس عند أحد غيره. و الظاهر أنّ من مال إليها تردّد لوجداتها في باب رقبائه و أعاديه. و قد سنح لي بالنظم الفارسي:

به درِ خلق چه گردی پیِ مَطْلب، مطلب
ز دَرِ خلق که چون ما نشوی در بدری
از در غیب به هر در که درآیی یابی
که دری بر تو چو بندند گشایند دری

و قال: عصا الصديق أفضل من كرامة الشرير.

[٣٠] ـ الحكيم مهادرجيس:

الحكيم مهادرجيس. قال الفاضل الشهرزوري في تاريخه: إنّ مهادرجيس [كان] أسمر اللون، أصهب الشعر، طويل اللحية، كبير الأذنين، عظيم الرأس، صغير العينين، كثير الصمت، حلو المنطق، ناحل الجسم، متأنّيا في كلامه، حسن الثنايا، بيده عصا على رأسها صورة هلال، مات و له ثمانون سنة.

و من كلامه: باسم ولي الحكمة، و منتهى الإنعام و الرحمة، و غاية الطول و الإحسان، الواحد بكلّ مكان، الذي جاد بالخير بفضله، و جعل الشكر سبب الزيادة من عطاياه و مواهبه، و الكفر تمحيقا لِرزقِهِ و مننه.

و قال: أمران يستصلح بهما[٢] المرء دنياه: أدب يقوّم به نفسه، و اجتهاد يحسن به عيشه.

و قال: أمران يحتاج [المرء] لهما[٣] لمعاده: عقل يعرف به حظّه، و نزاهة يقهر بها شرهه.

و قال: ظهور الهيبة من الولاة دواء يوافق الأشرار و البُغاة.

و قال: كرم الحبيب عون علىٰ تثمير الأدب.

و قال: الغنى نزاهة النفس و ملك الهوى.

---

١. منها: ص. ٢. به: ص. ٣. له: ص.

و قال: الصمت مع فقد الخطأ في حينه، أفضل من المنطق المصيب في غير أوانه.

و قال: كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل رشدك من غيّك.

و قال: من حسنت نيّته، فقد أحسنت طريقته، و من لاَنَتْ كلمته، استحقّ من الجميع محبته.

و قال: كم من أدب قد أهمل لسوء صيانته و كان ثاقبا جنب صاحبه.

و قال: استصلح نفسك بعملك، و اجعل أدبك مرآة يدرك بها ما انتشر من أمرك.

و قال: اللطف مسالمة عدوّك، و إن كنت واثقا بأيديك[1] و قهرك.

و قال التماس ما لا يدرك عناءٌ[2] و مشقّة، كذلك تقديم الجاهل توهينٌ للعقل، إتعابٌ له.

و قال: كما أنّ الأدب و العلم من السعادة، كذلك الحلم و التواضع جماع للبرّ[3]، و سبب لدرك حسن المنزلة.

و قال: السعيد من قمع بالصبر شهوته، و دبّر بالحزم أمره.

و قال: من ساءت ظنونه تنغّصت[4] معيشته، و عظمت مصيبته.

و قال: جميع[5] ما في الدنيا من مكاسب المرء اعتقاد أهل الدين و المروّة.

[۳۱] ـ الحكيم ابلينوس النجّار:

الحكيم ابلينوس النجّار، كان من أهل الإسكندرية. و هو أقدم من اقليدس بزمان، و له كتاب المخروطات، المؤلف في علم الخطوط المنحنية، التي ليست بمستقيمة و لا مقوّسة. و لما أُخرجت الكتب من بلاد الروم إلى المأمون، على ما سنذكر قصته في تقدمة أحوال حكماء الإسلام إن شاء الله تعالى ـ أخرج من هذا الكتاب الجزء الأول لا غير، يشتمل على سبع مقالات، و لمّا تُرجم الكتاب، دلت مقدّمته على أنّه ثماني مقالات، و أنّ المقالة الثامنة تشتمل[6] علىٰ معاني المقالات السبع، و اشترط فيها شروطا مفيدة. و هذا الكتاب كان السبب في تصنيف اقليدس كتابه أصول الهندسة، و ذلك أنّ بعض الملوك[7] اليونانيين وجد

---

۱. بأيدك: ص. ۲. عناً: ص. ۳. البرّ: ص.

٤. تنفّصت: مص. ۵. جماع: ص. ٦. يشتمل: ص.

۷. ملوك: ص.

في خزائن الكتب كتابين منسوبين إلى ابلينوس النجار، ذكر فيها صنعة الأجسام الخمسة، التي لاكرة بأكثر منها، فطلب من يفكّ له الكتابين، فلم يجد في أرض اليونان[١] من يعلم ذلك. فسأل القادمين عليه من الأقاليم، فأخبره بعض المسؤولين أنّه رأى رجلا بِصُور، اسمه اقليدس، و صنعته النجارة، يتكلّم في هذا الفن، و يقوم به. فكاتب الملك عندئذ[٢] ملك الساحل، فأرسل إليه نسخة الكتابين، و طلب منه سؤال اقليدس عن فكّهما. ففعل ملك الساحل، و تقدم إلى اقليدس بهما[٣]، فبسط له أمر الكتابين، و شرح له غرض ابلينوس[٤] منهما، ثم وضع له صدراً للوصول إلى معرفة هذه الجسمات الخمس. فقام من ذلك المقالات الثلاث عشرة المنسوبة إلى اقليدس و وصله بعد اقليدس بمقالتين ذكر فيهما ما لم يذكره ابلينوس[٥]، و منهم من ينسب هاتين المقالتين الى غير اقليدس، و أنّهما ألحقتا بالكتاب.

[٣٢] ـ الحكيم اقليدس المهندس النجار الصوري:

الحكيم اقليدس المهندس النجار الصوري، هو ابن نطوفرس، المظهر للهندسة، المبرّز فيها، و يعرف بصاحب حومطريا. و اسم كتابه في الهندسة باليوناني الاسطروسيا، و معناه أصول الهندسة. حكيم قديم العهد، يوناني الجنس، شامي الدار، صوري البلد، نجّار الصنعة، له يد طولى في علم الهندسة، و كتابه المعروف بكتاب الأركان بين حكماء اليونان[٦]، و سمّاه من بعد علماء الروم الاستقصّات، و سمّاه الإسلاميون الأصول، هو كتاب جليل القدر، عظيم النفع، أصل في هذا النوع، لم يكن في اليونان[٧] قبله كتاب جامع في هذا الشأن، و لا جاء بعده إلّا من دار حوله، و قال قوله، و ما في القوم إلّا من سلّم بفضله[٨]، و شهد[٩] بعزيز نبله. و لقد كان حكماء اليونان[١٠] يكتبون على أبواب مدارسهم: لا يدخلنّ مدرستنا من لم يكن مرتاضا. يعنون بذلك لا يدخلنّها من لم يقرأ كتاب اقليدس. و له أيضا في هذا النوع كتاب المفروضات، و كتاب المناظر، و كتاب تأليف اللحون، و غير ذلك.

---

١. يونا: ص. ٢. عند: ص. ٣. به: ص.
٤. ابلونيوس: في ص. ٥. ابلونيوس: ص. ٦. يونان: ص.
٧. يونان: ص. ٨. إلى فضله: ص. ٩. يشهد: ص.
١٠. يونان: ص.

و ذكر بعض أهل العلم بالتاريخ، أنّه كان أقدم من ارشميدس و ارشميدس هذا من الفلاسفة الرياضيين، و كان بمصر، و بها حقّق علمه. و له كتب جليلة في الهندسة، مثل كتاب المسبّع في الدائرة و مساحة الدائرة، و كتاب الكرة و الأسطوانة، و كتاب تربيع الدائرة، و الدوائر المتماسّة، و كتاب المثلثات و الخطوط المتوازية، و كتاب المأخوذات في أصول الهندسة، و كتاب المفروضات، و غيرها.

و ذكر محمد بن اسحاق النديم في كتابه: أنّ الروم أحرقت من كتبه خمسة عشر حملا، و لذلك خبر يطول شرحه.

و أمّا كتاب أصول الهندسة لاقليدس، فقد نقله الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي نقلين: أحدهما يعرف بالهاروني، و هو الاول. و النقل الثاني هو المسمّى بالمأموني، و عليه يعوّل. و نقله اسحاق بن حنين، و أصلحه ثابت بن قرة الحراني.

قال اقليدس في المقالة الأولى في الشكل الرابع و الثلاثين[1] من كتابه: الأضلاع المتقابلة من السطوح المتوازية الأضلاع متساوية، و كذلك الزوايا المقابلة. و أقطار تلك السطوح تنصّفها[2]. و قد سنح للمؤلف في هذا بحث، و هو أنّ اقليدس لم يعرف في مصادرة هذه المقالة، و لا في صدر هذا الشكل قطر السطوح[3] المتوازية الأضلاع، فكيف يجوز أن يقول: و أقطار تلك السطوح تنصّفها[4]؟ و إذا تحقّق ذلك فأقول في تعريفه: إنّ قطر السطوح المتوازية[5] الأضلاع هو الخط الواصل بين الزاويتين المتقابلتين، و إنّما قلنا: و لا في صدر هذا الشكل؛ لأنّ المحقق الطوسي ـ قدست[6] نفسه القدوسية[7] ـ قد ختم مصادرة هذه المقالة في تحريره بقوله: و ستأتي[8] تعريفات و تصديرات أُخر في مواضع تليق[9] بها، [و الله[10]] أعلم بحقائق الأشياء.

و من كلماته و حكمه: الخطّ هندسة روحانية، ظهرت بآلة جسمانية.

---

١. الرابعة و الثلاثون: ص. ٢. ينصّفها: ص. ٣. سطوح: ص.
٤. تنصفها: ص. ٥. سطوح متوازية: في ص. ٦. قدس: ص.
٧. القدوسي: ص. ٨. و سيأتي: ص. ٩. يليق: ص.
١٠. هو: ص.

أقول: لعلّ مراده من هذا، أنّ مبدأ فعل الإنسان إرادة يظهر أثرها أولا في القلب، فَيُرى منه أثر بواسطة الروح[١] الحيواني، و يتصاعد إلى الدماغ، ثم يُرى منه أثـر إلى الأعـصاب الخارجة من الدماغ، و من الأعصاب إلى الأوتار، و الرباطات المتعلّقة بالعضد، فتنجذب[٢] به الأوتار فيتحرّك به الإصبع، فيتحرك بالإصبع القلم، و بالقلم المداد ـ مثلا ـ، و تحدث[٣] منه صورة ما تريد كتابته[٤] على وجه القرطاس، على الوجه المتصور في خزانة التخيل، فإنّه ما لم يتصور في خياله صورة المكتوب أولاً، لا يمكن إحداثه على البياض ثانيا، فظهر سر ما قال الحكيم في توصيف الخط.

بدين خط چشم هركس آشنا نيست

و قال: الخط عند الفقير مال، و عند الغني جمال، و عند الأكابر كمال.

و قال: كلّ أمر تصرّفنا فيه و كانت النفس الناطقة هي المقدرة له، فهو داخل في الأفعال الإنسانية، و ما لم تقدّره[٥] النفس الناطقة فهو داخل في الأفعال البهيمية.

و قال: الأمور جنسان: أحدهما أن يُستطاع خلفه، و المصير إلى غيره، و الآخر توجيه الضرورة، فلا يستطاع الإنتقال عنه، و الإغتمام و الأسف على واحد منهما غير سـائغ في الرأي.

و قال: إن كانت الكائنات من المضطرة، فلماذا[٦] كان الإهتمام بالمضطر؟ إذ لابدّ منه، و إن كانت غير مضطرّة، فلم الهمّ فيما يجوز الانتقال[٧] عنه.

و قال: الصواب إذا كان كليا عاميا كان أفضل، لأن الخاص يقع بالتجزي و تلقاء أمرٍ ما.

و قال: الحزم هو العمل على أن لا يثق بالأمور التي في الإمكان عـسرها و يسرها.

و قال: كل فائت وجدت في الأمور منه عوضا، أو أمكنك اكتـساب مثله، فما الأسفُ على فوته؟ و إن لم يكن منه عوض و لا يصاف مثله، فما الأسف على ما [لا] سبيل إلى مثله، و لا

---

١. روح: ص. ٢. فينجذب: في ص. ٣. يحدث: في ص.
٤. كتبته: ص. ٥. يقدره: ص. ٦. فما: ص.
٧. انتقال: ص.

إمكان في دفعه؟

قال: و لمّا علم العاقل أنّه لا ثقة في[1] الدنيا ألق منها ما لا حاجة فيه[2]، و اقتصر على ما لابدّ منه، و عمل بما يوثق به بِأبلَغِ ما قدر عليه.

و قال: لم أر أحدا إلّا ذامّا للدنيا و أمورها، إذ هي على ما هي من التغير و التنقل، فالمستكثر منها يلحقه أن يكون أشدّ اتّصالا بما يذم، و إنّما يذم الإنسان ما يكره، و المستقل منها مستقل ممّا يكره، و إذا استقلّ ممّا يكره كان ذلك أقرب إلى ما يحبّ. و من هذا قال مَن قال:

دنـيا طـلبيست ذمّ دنـيا كـردن آيـين خـريدار بـود كسـر مـتاع

و قال: أسوء الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنّه، و لا يثق به أحد لسوء فعله.

و قال: لا تُعن أخاك على أخيك في خصومته، فإنّهما يصطلحان عن قليل و تكسب المذمة.

و قال: إذا كان الأمر ممكنا فيه التصريف فوقع بحال ما تحبّ، فأعده ما تكره، فإنّك قد كنت عمل فيه على غير ثقة على ما تحبّ.

[۳۳] ـ الحكيم بطلميوس القلوذي:

الحكيم بطلميوس القلوذي، من علماء اليونان[3] في أيام اندرياسيوس و انطميوس من ملوك الروم. و كان مولده و منشأه بالإسكندرية العظمى من أرض مصر. و رصد فيه بعد ابرخس بمأتين و ثمان و ثمانين سنة. و بنى على ارصاد ابرخس، الذي رصد بروس، و ابرخس هذا من حكماء الكلدانيين، كامل في علم الرياضيات[4] في زمن اليونان[5]، و كان قيّما بعلم الأرصاد و عمل آلاتها، و رصد الرصد الحقيقي، و بحث فيه المباحث الصحيحة، و أقام الحجج و البراهين المحكمة، و عمل آلات جليلة[6] و كان زمانه بعد زمان افيطيمن و منطن الراصدين بقريب من ثلاثمائة سنة، و عليه اعتمد بطلميوس في أرصاده، و كثيرا ما يذكره

---

۱. من: ص. ۲. ما منه: ص. ۳. يونان: ص.
٤. الرياضي: ص. ٥. يونان: ص. ٦. الجليلة: ص.

في كتاب المجسطي. و افيطيمن و منطن اجتمعا على الرصد بمدينة الاسكندرية[١] من الديار المصرية، و رصدا و اثبتا ما تحقّقاه، و تداوله العلماء بعدهما إلى زمن بطلميوس، و كان زمانهما قبل زمانه بخمسمائة و إحدى و سبعين سنة. و عند بطلميوس ما كان متفرقا من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين و الروم، و غيرهم من ساكني أهل الشق الغربي من الأرض، و به انتهى علم حركات النجوم، و معرفة اسرار الفلك، و ما أعلم أحدا بعده تعرض لتأليف في هذا الفن مثل كتابه المعروف بالمِجسطي، و هو بكسر الميم و تخفيف الياء، و يعرف بلسانهم «ما غاسطى»، و معناه العظيم التامّ. و قال أبوريحان: يعرف باليونانية «سونطاكيس»، و معناه الترتيب، و لا تعاطى معارضته أحد، بل تناوله بعضهم بالشرح و التبيين، كالفضل بن الحاتم النيريزي، و بعضهم بالاختصار و التقريب كمحمد بن جابر التباني، و أبي ريحان البيروني الخوارزمي، مصنّف كتاب القانون المسعودي، ألفه لمسعود بن سبكتكين، و حذا فيه حذو بطلميوس، و كذلك كوشيار بن لبان الجيلي في زيجه.

و كتابه المجسطي ثلاث عشرة مقالة و مائة و أحد و أربعون[٢] فصلا، و مائة و ستّة و تسعون[٣] شكلاً، على ما النسخة[٤] التي نقلها اسحاق بن حنين، و أصلحها ثابت بن قرة. و قال بعض الشعراء في وصف كتاب المجسطي:

كتابٌ كبابٍ للسماءِ و لَم يَكُنْ	ليدخُله إلا ذوو[٥] الحسّ و الفهم
نِعمَ سُلَّمٌ أشكالُه دَرجٌ لَها	بما يَصعدُ المرءُ الذّكيُّ إلى النَّجمِ
هُو النجمُ لكنَّ السّداريَ دُرُّهُ	فَناهيكَ من دُرٍّ و نالك من نَجم
فَبعدَ كِتابِ اللهِ لَم يُرَ مِثْلُه	بِذا قائِماً بالقسطِ شَهد أولو العلم

و أول من عنى بتفسيره و إخراجه إلى العرب يحيى بن خالد البرمكي، و فسّر له جماعة فلم يتقنوه، و لم يرض بذلك، فندب لتفسيره أبا حسّان و سلما، صاحبا بيت الحكمة، فأتقناه و اجتهدا في تصحيحه، بعد أن أحضر النقلة المجوّدين فاختبر[٦] نقلهم، و أخذ بأفصحه و

---

١. اسكندرية: ص. ٢. اربعين: ص. ٣. تسعين: ص.
٤. نسخة: ص. ٥. ذو: ص. ٦. فأخبر: ص.

أوضحه.

و قيل إنّ الحجاج بن مطر نقله أيضا. و له مؤلّفات نافعة أُخر سوى المجسطي، كالاربع مقالات في تقدمة المعرفة يعني أحكام النجوم، و كتاب الثمرة، ألّفه[۱] في الأحكام أيضا لتلميذه سورس. و قال في مطلعه: قد قدّمنا لك يا سورس كتبا فيما تؤثره[۲] الكواكب في عالم التركيب، كثير المنفعة في تقدمة، و هذا الكتاب ثمرة ما اشتملت عليه تلك الكتب و ما خلص عن التجربة منها.

و قال المحقّق الطوسي ـ طاب ثراه ـ في شرح كتاب الثمرة بالفارسية[۳]: از سخن او درين موضع و در اربع مقالات معلوم می‌شود که در هر دو کتاب اشارت به سورس کرده است، همچنانکه در مجسطی و خود در اربع مقالات صریح گفته است، که مجسطی ساخته‌ام، و به مجسطی مسائل حوالت کرده، غرض از ایراد این سخن آن است که جماعتی را ظن بوده است که بطلمیوس صاحب مجسطی غیر بطلمیوس صاحب احکام اغست، و آن ظن خطا بوده است.

و كان بطلميوس معتدل القامة، أبيض اللون، تامّ الباع، لطيف القدم، على خدّه الأيسر شامة حمراء، كثّ اللحية، أسودها، مفلج الثنايا، صغير الفم، حسن اللفظ، حلو المنطق، شديد الغضب، بطيء الرضا، كثير السير و الركوب، قليل الأكل، كثير الصيام، طيّب الرائحة، لطيف الثياب. مات و له ثمان[٤] و سبعون سنة.

. و من كلماته الحكمية قال: ما أحسن بالإنسان أن يصبر عمّا يشتهي، و أحسن منه أن لا يشتهي إلّا ما ينبغي.

و قال: لمَن يغني الناس و لا يسأل، أشبه بالملوك ممّن يستغني بغيره و يسأل.

و قال: نعمة الجهال كرياض المزابل.

و قال: ألأمن يذهب وحشة الوحدة، و الخوف يذهب أنس الجماعة. و قال: كما أنّ البدن إذا سقم لم ينفعه الطعام و لا الشراب، كذلك القلب إذا أغفله حبّ الدنيا لم تنفعه[٥] المواعظ.

---

۱. ألفها: ص. ۲. يؤثره: ص. ۳. بلسان الفرس: ص.
٤. ثماني: ص. ٥. ينفعه: ص.

و قال: أعظم الناس قدرا من لم يبال في يد من كانت الدنيا.

و قال: الناس إثنان: بالغٌ لا يكتفي، و طالب لا يجد.

أقول: لعلّ غرضه أن البالغ و الطالب سيّان في الإحتياج، أما احتياج الطالب فظاهر، و أما احتياج البالغ فبسبب الحرص أيضا، كأنه محتاج، فإن الحريض كالمستسقي، الذي كلّما شرب الماء احتاج إلى شرب آخر، بل احتياج البالغ أشدّ و أقبح من احتياج الطالب. و بهذا نبّه مولانا أميرالمؤمنين سلام الله عليه في الأشعار المنسوبة إليه: ـ

النّفسُ تجزع ان تكون فقيرة ... و الفقر خير من غنى يطغيها

و غنى النفوس هو الكفاف و ان ابَتْ ... فجميع ما في الأرض لا يكفيها

و لي بالنظم الفارسي:

ناشتا از نعمت الوان دنيا چون حريص

چند باشى چند؟ از خوان قناعت سير باش

و قال: الحاسد يرى زوال نعمة غيره نعمةً عليه.

و قال: من زاد أدبه على عقله، كان كالراعي الضعيف من كثرة الغنم.

و قال: عبد الشهوات أذلّ من عبد الرقّ.

و قال: الشفيع جناح الطالب.

و قال: النفس الجاهلة أعدى عدوّ أصحابها. أقول: لهذا الكلام محمِلان: الأول: أن النفس إذا كانت جاهلة غير مهذبة لم يقدر لضبط قواها التي هي بمنزلة أصحابها عمّا يدعوهم إلى الخبائث و الرذائل، فألقت حبالهم على غواربهم، حتى اتّبعوا الشهوات الرّديئة[١] و الهوى المردي[٢]، فصاروا أنصارا للشياطين، و استحقوا الحرمان و الخذلان، فبالحقيقة تلك النفس أعدى عدوّ أصحابها.

و الثاني: أن الشخص الجاهل لطرق الانتفاع، إذا أراد أن ينفع أصحابه فلا شك أنه

---

١. الردية: ص. ٢. المردية: ص.

يضرّهم[١] لسوء عقله غاية الإضرار أكثر[٢] من العدوّ العاقل المتأني للعداوة بالإصرار. كما وقع في كلام الأفاضل: عدوّ عاقل[٣]، خير من صديق جاهل.

و قال: النية أساس العمل، و العلم سفير الآخرة. أقول: مراد الحكيم: أنّ النية هي المقصود بالذات من الأعمال، كما [أن] المقصود من الأبدان الأرواح، فالنية روح العمل، كما [أنّ] الإخلاص روح النية، و المعنى روح اللفظ، و الأعمال شرّعت لغرض النية، و صيرورتها شجرة مغروسة في أرض القلب، و ملكة راسخة لجوهر النفس، فالأصل الأصيل و الركن الوثيق في اكتساب السعادة و الشقاوة الأخروية، صحة النية و فسادها. و من هنا[٤] ورد في الحديث مرفوعا عن سيّدنا رسول الله ﷺ، و مُعنعنا عن مولانا أبي عبدالله الصادق عليه السلام: أنّ اللّه تعالى يحشر الناس على نيّاتهم يوم القيمة. و مراده بأنّ العمل سفير الآخرة. أنّ التوجه و الإقبال و الحضور المعنوي بدون الأعمال الصورية الظاهرة بالقوى البدنية غير كافٍ، و لا يخرج عن عهدة التكليف، لأنّ للطاعات و الملكات البدنية تأثيرا بالتنوير في النفس، كما للمعاصي تأثير بالقسوة و الظلمة، و بأنوار الطاعة تستحكم[٥] مناسبة النفس لاستعدادها، لقبول المعارف الإلهية، و مشاهدة الحضرة[٦] الربوبية، كما بالقسوة و الظلمة يستعدّ للبعد و الحجاب عن مشاهدة الجمال الإلهي. فالطاعة مولّدة للّذة المشاهدة، و القرب بواسطة الصفاء و النور الذي يحدث في النفس، فهو السفير، و المصلح لأمور الآخرة. و الخاتمة.

و قال بطلميوس الحكيم: ينبغي للعاقل أن يستحيي من ربه إذا اتّصلت فكرته في غير طاعته.

و قال: العاقل من عقل لسانه إلا عن ذكر اللّه تعالى، و الجاهل من جهل قدر نفسه.

و قال: رضا المرء عن نفسه مقترن بسخط اللّه عزوجل.

و قال: فرحك بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب.

و قال: إذا غضبت فلا تمدّ غضبك إلى الإثم، و اعف إذا لم يكن ترك الانتقام عجزا. و قال:

---

١. ان يضرهم: ص. ٢. زائدة: ص. ٣. العاقل: ص.
٤. هناك: في ص. ٥. يستحكم: في ص. ٦. حضرة: ص.

قلوب الأخيار حصون الأسرار.

و قال: أيدي العقول تمسك أعنّة النفوس.

و قال: الكاتم للعلم غير واثق بالإصابة فيه.

و قال: من قبل عطاءك فقد أعانك على البرّ و الفضل، و لولا من يقبل الجود لم يكن من يجود.

و قال: النفس أغلب عدوك. و لعل المراد النفس الحيوانية المنطبعة في الأجسام البدنية، دون النفس الناطقة المجردة، و هي النفس الأمّارة، لقوله تعالى: «إنّ النَّفْسَ لَأَمّارةٌ بالسّوء[1]» و إليها[2] يشير صلوات الله و تسليماته عليه: أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك.

قال العارف الرومي:

نفست اندر خانهٔ تن نازلو   تو به بيرون مى‌دوى كه كو عدو[3]

و من أحكام الحكيم بطلميوس: دلالة القمر في الأيام أقوى، و دلالة الشمس و الزهرة في الشهور أقوى، و دلالة المشتري و زحل في السنين أقوى.

و لا يخفى أنّه قد ذكر جمال الدين الشيباني في تاريخه: سوى بطلميوس القلوذي صاحب المجسطي الذي ذكرنا أحواله بطلميوسان[4]، الأول: بطلميوس الغريب. و قال: هو فيلسوف بلاد الروم في زمانه، و ليس هو مؤلّف المجسطي، و كان هذا يُوالي أرسطوطاليس، و يحبّه و ينتصر[5] له على من عاداه، و يعيد علومه لمن يطلبها منه، و كان له ذكر في أوانه و اشتهار بهذا الشأن. و من كثرة عنايته بأرسطاطاليس [أنّه] صنّف كتاب أخبار أرسطو و وفاته و مراتب كتبه.

---

١. سورة يوسف، الاية ٥٣.   ٢. بها: ص.

٣. ورد هذا البيت بالشكل الآتي في المثنوي:

او چو فرعون و تنش موسى او   از بيرون مى‌دود كه كو عدو

نفش اندرخانهٔ تن نازنين   بر دگر كس دست مى‌خايد بكين

راجع: مثنوى معنوى، تصحيح نيكلسون، باهتمام د. نصرالله پورجوادى، دفتر ٢، انتشارات اميركبير، طهران، ١٣٧٣ هـ. ش، ص ٢٨٩، البيتان ٧٧٤ و ٧٧٥.   ٤. بطلميوسين: ص.   ٥. ينصر: ص.

و الثاني بطلميوس الملك. و قال: ملك من ملوك اليونان[١] بعد الإسكندر، و هو أحد البطالسة، و كان حريصا على العلم و النظر في النجوم، و تكلم في الهيئة حتى توهّم قوم أنّه صاحب المجسطي، و هو خطأ، و هذا كان كثير البحث عن أمر الملوك و سِيَرهم، فترجموا له التوراة من العبرانية[٢] إلى السريانية[٣] فوجد فيها ذكر النمرود، و هي التي ترجمها حنين بن اسحاق من اليونانية إلى العربيّة. و ملك بطلميوس المذكور ثمان[٤] و ثمانين سنة. و كان معلمه ارسطوس المنجم.

[٣٤]ـ الحكيم يحيى النحوي الاسكندراني المصري:

الحكيم يحيى النحوي الاسكندراني المصري، كان في أول أمره أُسقُفا في كنيسة الاسكندرية بمصر، و يعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، و كان تلميذ ساواري، ثم رجع عمّا يعتقده النّصارى من التثليث، لمّا قرأ كتب الحكمة، و استحال عنده جعل الواحد ثلاثة و الثلاثة واحدا، فلما تحقّقت الأساقفة بمصر رجوعه شقّ عليهم ذلك فاجتمعوا إليه، و ناظروه فغلبهم، و زيّف طريقتهم، فاستعطفوه و آنسوه و سألوه الرجوع عما هو عليه، و ترك إظهار ما تحققه، فأبى و لم يرجع، فأسقطوه عن المنزلة [التي] هو فيها. و عاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر[٥] و الاسكندرية، و دخل إليه، و قد عرف مكانه و موضعه من العلم و اعتقاده، و ما جرى له مع معشر النصارى، فأكرمه و رأى له موضعا. ثم قال له يحيى يوما: إنّك قد أحطت بمواصل الاسكندرية، و ختمت على كلّ الأصناف الموجودة بها، فأمّا ما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، و ما لا يقع لكم به انتفاع فنحن أولى به. فقال عمرو بن العاص: ما الذي تحتاج إليه؟ قال كتب الحكمة[٦] في الخزائن الملوكية، و قد أوقعت الحوطة عليها و نحن محتاجون إليها. فقال له: و من جمع هذه الكتب؟ فقال له يحيى: إن مطلوماوس بن فيلاوليوس من ملوك الاسكندرية، لمّا ملك[٧] حبّب إليه العلم و العلماء، و فحص عن كتب العلم، و أمر بجمعها، و أفرد لها خزائن، فجمعت و ولّى أمرها رجلا يعرف «هوزميرة»، و

---

١. يونان: ص. ٢. العبرناني: ص. ٣. السرياني: ص.
٤. ثمانية: ص. ٥. المصر: ص. ٦. الحكمية: ص.
٧. ملكت: ص.

تقدّم إليه بالإجتهاد في جمعها و تحصيلها، و المبالغة في أثمانها، و ترغيب تجارها في نقلها، ففعل ذلك، فاجتمع من ذلك في مدّة يسيرة أربعة و خمسون ألف كتاب و مائة و عشرون كتاباً، و لما علم الملك باجتماعها و تحقّق عدّتها، قال لهوزميرة: أَبَقي في الأرض من كتب العلوم ما لم يكن عندنا؟ فقال هوزميره: قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند و الهند، و فارس و جرجان، و بابل، و الموصل، و غيرها. فتعجّب الملك من ذلك، و قال له: دُمْ على التحصيل، فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك.

و هذه الكتب لم تزل[1] محروسة محفوظة يرعاها[2] كلّ من يلي الأمر من الملوك و أتباعهم إلى وقتنا هذا. فقال عمرو بن العاص: لا يمكنني أن آمر فيها بأمر إلّابعد استيذان عمر بن الخطاب. و كتب إلى عمر، عرّفه قول يحيى الذي ذكرناه، و استأذنه ما الذي يصنع فيها. فَوَرد عليه كتاب عمر يقول فيه: و أمّا الكتب ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غِنى، و إن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها، فتقدم بإعدامها. فشرع عمرو بن العاص في تفرّقها على حمّامات الاسكندرية، و إحراقها في مواقدها. و ذكروا أنّها استنفدت[3] في مدة ستّة أشهر.

خون شهدا تمام در گردن اوست

پوشیده نماند که تثلیث معتقَد نصاری که مذکور گردید، عبارتست از اتحاد بالذات أقنوم الأب و أقنوم الابن و أقنوم روح القدس، و بطلان تثلیث از اناجیل اربعه، که از مؤلفات یوحنا، و متي، و مرقش و لوقااند ظاهر می‌شود، چه در انجیل مرقش هارونی، که از شاگردان پطرس است واقع است، که مسیح؈ کلمه باریست تعالی شانه، که حلول نموده در جسد آدمی، و بعد از آن انسان شده است، و در انجیل لوقای طبیب انطاکی، که او نیز از شاگردان پطرس است واقع شده، که مسیح و مادرش مریم دو انسان بوده‌اند از گوشت و خون، و بعد از آن روح القدس حلول نموده در ایشان، و باز در آخر فصل بیست و هفتم انجیل متی واقع است، که مسیح پسرانسان است. و در فصل سی و نهم از این انجیل

---

١. يزل: ص.   ٢. يتراعاها: ص.   ٣. استنفدت: ص.

واقع است، که مسیح فرموده که پسر انسان ملائکهٔ خود را خواهد فرستاد، که جمع نمایند گناهان مردم را و در آتش بسوزانند.

و بالجمله واقع است در انجیل: یکبار بودن باری تعالی معزول در حکم چنانچه در بعضی از فصول انجیل یوحناست: و یکبار بودن مسیح غلام پدر. و در اوائل انجیل یوحنا واقع است: یکبار که مسیح خداست، و یکبار حروف خدا، و یکبار در خداست و خدا درو، و یکبار در شاگردان و شاگردان درو. تعالی الله عما یقولون.

و معلوم است از دین نصرانیان به حسب تاریخ ایشان که موسوم به افرنگسیس است، که در زمان مسیح از مردان صد و بیست کس و از زنان یک کس، که زن وکیل هیردوس امیر بود اعتقاد به مسیح داشته‌اند، و با وجود این از کهنه و یهودان پنهان می‌بودند در زمان مسیح، و بعد از آن مردمان را پنهانی دعوت به دین مسیح می‌نمودند، و هر کس که مطلع بر احوال ایشان می‌شده به قتل می‌رسانده‌اند، چنانچه یوسف بن یعقوب نجار را به سنگ کشتند، و اندراوس و شمعون پطرس و شمعون اخایوسف نجار، و فیلبس، و یونس را صلب نمودند، و یعقوب برادر یوحنا، و یهودا بن یوسف نجار، و برثولوماوس، و ثوما را به شمشیر کشتند، و متی و یوحنا را به زهر هلاك كردند. فلهذا انجیل که کتاب آسمانی بود به تدریج از میان ایشان مفقود گردید، مگر بعضی از فصول آن که باری تعالی حفظ فرموده، تا حجت و برهان بوده باشد بر ایشان، مانند وصیّت به فار قلیط، یعنی حضرت سید الرسل صلوات الله و تسلیماته علیه و علی آله، و بقای دین متین او تا آخر زمان، و بعد از آنکه مسیح سلام الله علیه از اقلیم خاك به اوج سماك افلاك عروج نمود، اکثر فصول انجیل مفقود گردید، و بعضی از مردمان که به دین مسیح بودند بعد از رفع آن حضرت به بیست و دو سال چون انجیل را مختل و مفقود دیدند اراده بر گردیدن از دین آن حضرت داشتند، پس متی که از شاگردان آن حضرت بود متوجه تالیف انجیل گردید، و بعد از آن لوقای طبیب انطاکی شاگرد شمعون پطرس، و بعد از آن یوحنای بن سبذای، که از شاگردان آن حضرت بود تالیف انجیل نمود، و ازین جهت است که نصرانیان را چهار انجیل است به ترتیب این اسامی (یعنی یوحنا، و متی، و مرقس، و لوقا).

و قال عبدالله بن جبرئيل في كتاب مناقب الأطباء: إن يحيى النحوي كان قويا في علم النحو و المنطق و الفلسفة، و لقوته في الفلسفة قد عدّوه من الفلاسفة المذكورين في وقته. و سبب قوته في الفلسفة أنّه كان في أول أمره ملّاحا يعبر الناس في سفينته، و كان يحبّ العلم كثيرا، فإذا عبر معه قوم من دار العلم و المدرس الذي كان يدرس العلم بجزيرة الاسكندرية، يتحاورون ما مضى لهم من النظر و يتفاوضونه و يسمعه، فتهشّ[۱] نفسه للعلم، فلما قوي رأيه في طلب العلم، فكّر في أمره و قال: بلغت نيّفا و أربعين[۲] سنة من العمر، و ما ارتضيت بشيء، و ما عرفت غير صناعة الملاحة، فكيف يمكنني أن أتعرّض إلى شيء من العلوم؟ فبينما هو مفكر إذ رأى نملة قد حملت نواة تمرة، و هي تريد[۳] أن تصعد[٤] بها إلى علو، و كلما صعدت بها سقطت، فلم تزل[٥] تجاهد[٦] نفسها في طلوعها. و هو ينظر إليها إلى أن بلغت غرضها، و أطلعتها إلى غايتها. فلمّا رأى[۷] يحيى النحوي أن نملة قد بلغت بالمجاهدة غرضها، قال لنفسه: إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة، فالاحري[۸] أنّ غرضي يحصل[۹] بالمجاهدة. فخرج من وقته و باع سفينته، و لازم دار العلم، فبدأ تعلم النحو و اللغة و المنطق، فبرع في هذه الأمور و برز. و لأنّه[۱۰] أول ما ابتدأ بالنحو في التعلم، نسب إليه و اشتهر بيحيى النحوي. و في بعض تواريخ النصارى: أنّ ليحيى النحوي لقب آخر بالرومي، يقال له فيلونيوس، أي المجتهد.

و قد ذكر الفاضل الشهرزوري في تاريخه أحوال يحيى النحوي الديلمي الملقب بالبطريق، و قال: إنّه غير يحيى[۱۱] النحوي الاسكندراني، الذي هو فيلسوف نصراني من القدماء. و يؤيد ما نقله هذا الفاضل، ما وجدت من تعاليق الشيخ أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، أنّ يحيى النحوي قرأ الحكمة على اومونيس، و هو قرأ على ابرقلس، و ابرقلس من القدماء. و لعلّ[۱۲] يحيى الذي أدرك زمان الإسلام هو يحيى النحوي الديلمي

---

۱. فتهش: ص. ۲. أربعون: ص. ۳. هو يريد: ص.
٤. يصعد: في ص. ٥. يزل: ص. ٦. يجاهد: ص.
۷. رآها: ص. ۸. فبالحرى: ص. ۹. حصل: ص.
۱۰. فلأنه: ص. ۱۱. اليحيى: ص. ۱۲. لعل انّ: ص.

البطريق، لا الاسكندراني. ثم قال الفاضل الشهرزوري: إنّ يحيى البطريق صنّف كتبا ردًّ فيها على أفلاطون[1] و تلميذه ارسطوطاليس. و أكثر ما أورده الغزالي في كتاب «تهافت الفلاسفة» مأخوذ من تلك الكتب و رأيت في تاريخ آخر: أنّ عامل مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام أراد إزعاجه عن فارس، و تخريب ديره، فكتب يحيى قصته إليه سلام الله عليه، و طلب منه الأمان، فكتب محمد بن الحنفية رضي الله عنه له كتاب الأمان بأمر أبيه صلوات الله و تسليماته عليه. و قد وجدت كلمات جليلة من الحكماء الكرام ذوي ـ العقول و الأفهام فاختتمت تلك المقالة بهذه الكلمات التامات النافعات لذي اللب من الأنام:

حكي أنّه كان في قديم الأيام ملك[2] ذونفس كريمة، و مملكة عظيمة من ملوك العرب، إجتمع عنده من أفراد الحكماء أربعة: حكيم الفرس، و يقال له المنجح. و حكيم الهند، و يقال له المصلح. و حكيم الروم، و يقال له المنصح. و حكيم العرب، و يقال له الموضح. فقال الملك: أيّها الحكماء بما السعادة في الدنيا و الآخرة و نجاة النفوس الفاخرة؟

قال الحكيم الفارسي[3]: بالتسليم لأمر اللّه.

قال الحكيم الهندي: بالرضا بقضاء اللّه.

قال الحكيم الرومي: بالتوكل على اللّه.

قال الحكيم العربي: بالخشية من اللّه و الطاعة للّه.

فقال الملك: فبم تزكوا[4] الاعمال و يفوز المرء بعد الإنتقال؟

قال الحكيم الفارسي[5]: بطاعة الربّ، و عصيان الهوى و الهوس.

قال الحكيم الهندي: بكثرة الصيام، و برّ الأيتام.

قال الحكيم الرومي: بإدامة الشكر، و الإنعطاف على من شمله الفقر.

قال الحكيم العربي: بإقامة الصلوات، و إيتاء الزكوات.

فقال الملك: فبم الخلاص و الكون من الخواص؟

قال الحكيم الفارسي[6]: بالإجتهاد في العبادة، و الإعتماد على الزهادة، و الإغتنام للإفادة.

---

۱. أفلاطن: ص. ۲. ملكا: ص. ۳. الفرسي: ص.

٤. يزكوا: ص. ٥. الفرسي: ص. ٦. الفرسي: ص.

قال الحكيم الهندي: بتصحيح اليقين، و إيثار الدين، و تحقيق النبيين.

قال الحكيم الرومي: بطول الرحمة، و اتّباع الحكمة، و الشكر على النعمة.

قال الحكيم العربي: بحسن الصمت، و إزالة المقت، و القيام بواجب الوقت.

فقال الملك: فبم السموّ و الإفتخار؟

قال الحكيم الفارسي[1]: بحكمة زاهرة، و نفس طاهرة، و دولة قاهرة، و عشرة فاخرة.

قال الحكيم الهندي بعلوم مضيئة، و نفس رضيّة، و مملكة هنيئة، و عطية زكية.

قال الحكيم الرومي: بهداية شاملة، و نفس فاضلة، و نعمة كاملة، و مواهب متواصلة.

قال الحكيم العربي: ببصيرة رشيدة، و نفس سعيدة، و ولاية حميدة، و سماحة مفيدة.

فقال الملك: فبم دوام الملك و حراسته من الهلك؟

قال الحكيم الفارسي[2]: ببسط العدل، و كثرة الفضل، و استشارة أهل العدل.

قال الحكيم الهندي: بالقيام بالقسطاس و الإقتناط من الناس، و قهر الأعداء بشدّة الباس.

قال الحكيم الرومي: بحسن السيرة في الرعية، و العدل في البرية، و الحكم بينهم بالسوية، و كثرة البذل و العطية.

قال الحكيم العربي: بجمع الأموال، و حسن الأعمال، و كثرة الإفضال، و الرأفة و الإحتمال.

فقال الملك: فبم زوال النعم و التعرضّ لحلول النقم؟

قال الحكيم الفارسي[3]: بالجراءة على المحارم، و الهجوم على المآثم، و ارتكاب العظائم، و استثقال المكارم.

قال الحكيم الهندي: بإهانة السادات، و ترك الواجبات، و اتّباع الشهوات.

قال الحكيم الرومي: بالكسل الفاضح، و استعمال القبائح، و ترك القبول من الناصح، و الميل من الصالح إلى الطالح.

---

١. الفرسي: ص.   ٢. الفرسي: ص.   ٣. الفرسي: ص.

قال الحكيم العربي: باتّباع الفضول، و مشاورة الجهول، و شرب الخمور و قرع[1] الطبول.

فقال الملك: فبم بقاء الملك و دوامه و علوّه و تمامه؟

قال الحكيم الفارسي[2]: بإغاثة اللهيف، و إعانة الضعيف، و أمن المخيف، و إنصاف الدني من الشريف.

قال الحكيم الهندي: بتدبير الحكم، و إدرار النعم، و إمداد[3] الكرم، و إنفاذ الهمم.

قال الحكيم الرومي: بنفع الأولياء، و قمع الأعداء الأطغياء، و مؤانسة العقلاء، و إبعاد الجهلاء.

قال الحكيم العربي: بكثرة البرّ، و ترك الكبر، و وصل البر، و الصدقة في السرّ.

فقال: الملك: فبم تكمل[4] السعادة، و تستوجب[5] الإفادة؟ قال الحكيم الفارسي[6]: بلين الجانب، و إرفاد الطالب، و الصبر على المصائب، و القيام بحق الصاحب.

قال الحكيم الهندي: ببذل العطايا، و العدل في القضايا، و الصبر على الرزايا، و الإحسان في البرايا.

قال الحكيم الرومي: بطلب المعالي و النجاح، و اصطفاء الثقات من النجاح، و ترك رقدات الصباح، و شرب الراح.

قال الحكيم العربي: بلين الكلام، و إطعام الطعام، و اجتناب الآثام، و إفشاء السلام.

---

۱. عرف: ص، و يمكن ان تكون «عزف»: مص.
۲. الفرسي: ص.
۳. امداء: ص.
٤. يكمل: ص.
٥. يستوجب: ص.
٦. الفرسي: ص.

الفهارس

الأحاديث

الأعــلام

الكتب

الأشعار الفارسية

الأشعار العربية

الحكايات

فهرست آثار منتشر شدهٔ دفتر نشر میراث مکتوب

۱. **آثار احمدی** (تاریخ زندگانی پیامبر اسلام و ائمهٔ اطهار علیهم‌السلام) (فارسی) / احمد بن تاج‌الدین استرابادی (قرن ۱۰ ق.)؛ به کوشش میرهاشم محدّث .ـ تهران: قبله، ۱۳۷۴ .ـ ۵۵۹ ص. بها: ۱۶۰۰۰ ریال

۲. **احیای حکمت** (فارسی) / علیقلی بن قرچغای خان (قرن ۱۱ ق.)؛ تصحیح و تحقیق فاطمه فنا؛ با مقدمهٔ دکتر غلامحسین ابراهیمی دینانی .ـ تهران: احیاء کتاب، ۱۳۷۶ .ـ ۲ ج. بهای دوره: ۵۵۰۰۰ ریال

۳. **انوارالبلاغه** (فارسی) / محمد هادی مازندرانی، مشهور به مترجم (قرن ۱۲ ق.)؛ تصحیح محمدعلی غلامی‌نژاد .ـ تهران: قبله، ۱۳۷۶ .ـ ۴۲۴ ص. بها: ۱۷۰۰۰ ریال

۴. **بخشی از تفسیری کهن به پارسی** / از مؤلفی ناشناخته (حدود قرن چهارم هجری)؛ تصحیح و تحقیق دکتر سید مرتضی آیة‌الله زاده شیرازی .ـ تهران: قبله، ۱۳۷۵ ـ ۴۷۰ ص. بها: ۱۷۰۰۰ ریال

۵. **تاریخ آل سلجوق در آناطولی** (فارسی) / ناشناخته (قرن ۸ ق.)؛ تصحیح نادره جلالی .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۷. (۱۶۰ ص.). بها: ۷۰۰۰ ریال

۶. **تاج‌التراجم فی تفسیرالقرآن للأعاجم** (فارسی) / ابوالمظفّر اسفراینی (قرن ۵ ق.)؛ تصحیح نجیب مایل هروی و علی اکبر الهی خراسانی .ـ تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴. ۳ ج. (۱۴۳۶ ص.). بهای سه جلد: ۴۶۵۰۰ ریال

۷. **تائیهٔ عبدالرحمان جامی** [ترجمهٔ تائیهٔ ابن فارض، به انضمام شرح قیصری بر تائیهٔ ابن فارض] (قرن ۹ ق.)؛ (عربی ـ فارسی)؛ مقدمه، تصحیح و تحقیق دکتر صادق خورشا .ـ تهران: نقطه، ۱۳۷۶ .ـ ۳۴۶ ص. بها: ۱۷۰۰۰ ریال

۸. **تاریخ بخارا، خوقند و کاشغر** / میرزا شمس بخارایی؛ مقدمه تصحیح و تحقیق محمد اکبر عشیق .ـ تهران: دفتر نشر میراث مکتوب، آینهٔ میراث، ۱۳۷۷ .ـ ۳۴۰ ص. بها: ۱۲۰۰۰ ریال

۹. **تحفةالأبرار فی مناقب الائمةالأطهار** / عمادالدین حسن بن علی مازندرانی طبری (زنده در ۷۰۱ هـ. ق)؛ تصحیح و تحقیق مهدی جهرمی .ـ تهران: دفتر نشر میراث مکتوب، آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۳۲۳ ص. بها: ۱۲۰۰۰ ریال

۱۰. **تحفةالمحبّین** (فارسی) / یعقوب بن حسن سراج شیرازی (قرن ۱۰ ق.)؛ به‌اشراف محمد تقی دانش پژوه؛ به‌کوشش کرامت رعنا حسینی و ایرج افشار .ـ تهران: نقطه، ۱۳۷۶ .ـ ۳۷۰ ص. بها: ۱۹۰۰۰ ریال

۱۱. **تذکرةالشعراء** (فارسی) / سلطان محمد مطربی سمرقندی (قرن ۱۰ ـ ۱۱ ق.)؛ به کوشش اصغر جانفدا، مقدمه و تعلیقات علی رفیعی علامرودشتی .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۷ .ـ ۸۰۲ ص. بها: ۳۰۰۰۰ ریال.

۱۲. **تذکرة المعاصرین** (فارسی) / محمدعلی‌بن أبی‌طالب حزین لاهیجی (قرن ۱۲ ق.)؛ مقدمه تصحیح و تعلیقات معصومه سالک .ـ تهران: سایه، ۱۳۷۵، .ـ ۴۳۲ ص. بها: ۱۵۰۰۰ ریال

۱۳. **ترجمهٔ المدخل الیٰ علم احکام‌النجوم** (فارسی) / ابونصر قمی (قرن ۴ ق.)؛ از مترجمی ناشناخته؛ تصحیح جلیل اخوان زنجانی .ـ تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴ .ـ صد و هشت، ۲۸۲ص. بها: ۱۱۵۰۰ ریال

۱۴. **ترجمهٔ اناجیل اربعه** (فارسی) / ترجمه تعلیقات و توضیحات میرمحمد باقر خاتون‌آبادی (۱۰۷۰ ـ ۱۱۲۷ ق.)؛ تصحیح رسول جعفریان.ـ تهران: نقطه، ۱۳۷۵.ـ ۳۵۲ ص. بهای شمیز: ۱۱۰۰۰ ریال. گالینگور: ۱۳۵۰۰ ریال

۱۵. **ترجمهٔ تقویم‌التواریخ** (سالشمار رویدادهای مهم جهان از آغاز آفرینش تا سال ۱۰۸۵ هجری قمری) / حاجی خلیفه (قرن ۱۱ ق.)؛ از مترجمی ناشناخته؛ تصحیح میرهاشم محدّث .ـ تهران: احیاء کتاب، ۱۳۷۵ .ـ ۵۲۴ ص. بها: ۲۲۰۰۰ ریال

۱۶. **تسلیة العباد در ترجمهٔ مسکّن الفؤاد شهید ثانی** (فارسی) / ترجمهٔ مجدالأدباء خراسانی (قرن ۱۳ ق.)؛ به کوشش محمدرضا انصاری .ـ قم: هجرت، ۱۳۷۴ .ـ ۱۹۳ ص. بها: ۴۸۰۰ ریال

۱۷. **التصریف لمن عجز عن‌التألیف** (بخش جراحی و ابزارهای آن) (فارسی) / ابوالقاسم خلف بن عباس زهراوی / ترجمه احمد آرام ـ مهدی محقق .ـ تهران: مؤسسه مطالعات اسلامی، ۱۳۷۴ .ـ ۲۷۸ ص.

۱۸. **التعریف بطبقات الامم** (عربی) / قاضی صاعد اندلسی (قرن ۵ق.)؛ مقدمه، تصحیح و تحقیق دکتر غلامرضا جمشید نژاد اوّل .ـ قم: هجرت، ۱۳۷۶ .ـ ۳۳۶ ص. بها: ۱۳۰۰۰ ریال

۱۹. **تفسیر الشهرستانی المسمی مفاتیح‌الاسرار و مصابیح‌الابرار** (عربی) / الامام محمد بن عبدالکریم الشهرستانی (قرن ۶ ق.)؛ تصحیح دکتر محمدعلی آذرشب .ـ تهران: احیاء کتاب، ۱۳۷۵ (ج. ۱). بها: ۱۲۰۰۰ ریال

۲۰. **تقویم الایمان** (عربی) / المیر محمد باقر الداماد و شرحه کشف الحقائق سید احمد علوی مع تعلیقات ملا علی نوری، حققه و قدم له علی اوجبی .ـ تهران: مؤسسهٔ مطالعات اسلامی دانشگاه تهران، ۱۳۷۶ .ـ ۸۴۹ ص. بها: ۳۰۰۰۰ ریال

۲۱. **جغرافیای حافظ ابرو** (فارسی) / شهاب الدین عبدالله خوافی مشهور به حافظ ابرو (قرن ۹ ق.)؛ تصحیح صادق سجادی .ـ تهران: بنیان، ۱۳۷۵ (ج. ۱). بها: ۱۲۰۰۰ ریال

۲۲. **جغرافیای نیمروز** (فارسی) / ذوالفقار کرمانی (قرن ۱۳ ق.)؛ به کوشش عزیزالله عطاردی .ـ تهران: عطارد، ۱۳۷۴ .ـ ۲۳۰ ص. بها: ۶۰۰۰ ریال

۲۳. **الجماهر فی الجواهر** (عربی) / ابوریحان البیرونی (قرن ۵ ق.)؛ تحقیق یوسف الهادی .ـ تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴ .ـ هفت، ۵۶۲ ص. بها: ۱۱۵۰۰ ریال

۲۴. **حکمت خاقانیه** / فاضل هندی؛ با مقدمهٔ دکتر غلامحسین ابراهیمی دینانی، تصحیح دفتر نشر میراث مکتوب .ـ تهران: دفتر نشر میراث مکتوب، ۱۳۷۷ .ـ ۱۸۷ ص. بها: ۷۰۰۰ ریال

۲۵. **خریدةالقصر و جریدةالعصر فی ذکر فضلاء اهل اصفهان (عربی)** / عمادالدین الاصفهانی (قرن ۶ ق.)؛ تقدیم و تحقیق الدکتور عدنان محمد آل طعمه .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۷.ـ ۳۶۵ ص. بها: ۱۸۰۰۰ ریال.

۲۶. **خرابات (فارسی)** / فقیر شیرازی (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح منوچهر دانش‌پژوه .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۷. (۴۵۸ ص.). بها: ۱۸۰۰۰ ریال

۲۷. **دیوان ابی‌بکر الخوارزمی (عربی)** / ابوبکر الخوارزمی (قرن ۵ ق.)؛ تصحیح دکتر حامد صدقی .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۴۵۰ ص. بها: ۱۵۰۰۰ ریال

۲۸. **دیوان حزین لاهیجی (فارسی)** / حزین لاهیجی (قرن ۱۲ ق.)؛ تصحیح ذبیح‌الله صاحبکار .ـ تهران: نشر سایه، ۱۳۷۴ .ـ ۸۷۲ ص. بها: ۲۰۰۰۰ ریال

۲۹. **دیوان غالب دهلوی** / اسدالله غالب دهلوی (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح و تحقیق دکتر محمدحسن حائری .ـ تهران: احیاء کتاب، ۱۳۷۷ .ـ ۵۱۵ ص. بها: ۲۰۰۰۰ ریال

۳۰. **راحةالارواح و مونس الاشباح** (در شرح زندگانی، فضایل و معجزات رسول اکرم، فاطمهٔ زهرا و ائمهٔ اطهار علیهم‌السّلام) (فارسی) / حسن شیعی سبزواری (قرن ۸ ق.)؛ به کوشش محمد سپهری .ـ تهران: اهل‌قلم، ۱۳۷۵ .ـ ۲۹۸ ص. بها: ۷۵۰۰ ریال

۳۱. **رسائل حزین لاهیجی** / حزین لاهیجی (قرن ۱۲ ق.)؛ تصحیح علی اوجبی، ناصر باقری بید هندی، اسکندر اسفندیاری و عبدالحسین مهدوی .ـ تهران: نشر آینهٔ میراث ۱۳۷۷ .ـ ۳۴۰ ص. بها: ۱۲۰۰۰ ریال

۳۲. **رسائل دهدار** / محمد بن محمود دهدار شیرازی (قرن ۱۰ ق.)؛ به کوشش محمد حسین اکبری ساوی .ـ تهران: نشر نقطه، ۱۳۷۵ .ـ ۳۶۳ ص. بها: ۱۳۵۰۰ ریال

۳۳. **رسائل فارسی** / حسن بن عبدالرزاق لاهیجی (قرن ۱۱ ق.)؛ تصحیح علی صدرائی خوئی .ـ تهران: قبله، ۱۳۷۵ .ـ ۳۴۱ ص. بها: ۱۰۰۰۰ ریال

۳۴. **رسائل فارسی جرجانی** / ضیاءالدین‌بن سدیدالدین جرجانی؛ تصحیح‌و تحقیق دکتر معصومه نور محمدی.ـ تهران: اهل قلم، ۱۳۷۵ .ـ ۲۵۲ ص. بها: ۹۰۰۰ ریال

۳۵. **روضةالأنوار عباسی** / ملامحمّد باقر سبزواری؛ مقدمه، تصحیح و تحقیق اسماعیل چنگیزی اردهایی .ـ تهران: دفتر نشر میراث مکتوب، ۱۳۷۷ .ـ ۹۰۹ ص. بها: ۳۰۰۰۰ ریال

۳۶. **شرح دعای صباح (فارسی)** / مصطفی بن محمد هادی خوئی؛ به کوشش اکبر ایرانی قمی .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۲۳۲ ص. بها: ۹۰۰۰ ریال

۳۷. **شرح القبسات (عربی)** میر سید احمد علوی؛ تحقیق حامد ناجی اصفهانی؛ [با مقدمهٔ فارسی و انگلیسی دکتر مهدی محقق] .ـ تهران: مؤسسهٔ مطالعات اسلامی دانشگاه تهران، ۱۳۷۵ .ـ ۷۴۷ ص. بهای شمیز: ۳۰۰۰۰ ریال

۳۸. **شرح منهاج الکرامه فی اثبات الامامه علامهٔ حلّی (عربی)** / تألیف علیّ الحسینی المیلانی .ـ تهران: هجرت، ۱۳۷۶ .ـ (ج. ۱) بها: ۲۳۰۰۰ ریال

۳۹. **ظفرنامهٔ خسروی** (فارسی) / ناشناخته (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح دکتر منوچهر ستوده .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۷. (۲۶۳ ص.). بها: ۱۰۰۰۰ ریال

۴۰. **عقل و عشق، یا، مناظرات خمس** (فارسی) / صائن الدین علی بن محمّد تُرکهٔ اصفهانی (۷۷۰ ـ ۸۳۵ ق.)؛ تصحیح اکرم جودی نعمتی .ـ تهران: اهل قلم، ۱۳۷۵ .ـ ۲۱۸ ص. بها: ۸۰۰۰ ریال

۴۱. **عیار دانش** (مشتمل بر طبیعیات و الهیات) / علینقی بن احمد بهبهانی؛ به کوشش دکتر سید علی موسوی بهبهانی .ـ تهران: بنیان، ۱۳۷۶ .ـ ۴۶۱ ص. بها: ۱۶۵۰۰ ریال

۴۲. **عین‌الحکمه** / میر قوام‌الدین محمّد رازی تهرانی (قرن ۱۱ ق.)؛ تصحیح علی اوجبی .ـ تهران: انتشارات اهل قلم، ۱۳۷۴ .ـ ۱۷۸ ص. بها: ۵۲۰۰ ریال

۴۳. **فتح‌السبل** (فارسی) / حزین لاهیجی (قرن ۱۲ ق.)؛ به کوشش ناصر باقری بیدهندی .ـ تهران: قبله، ۱۳۷۵ .ـ ۲۱۵ ص. بها: ۵۰۰۰ ریال

۴۴. **فرائد الفوائد در احوال مدارس و مساجد** (فارسی) / محمد زمان بن کلبعلی تبریزی؛ به کوشش رسول جعفریان .ـ تهران: احیاء کتاب، ۱۳۷۳ .ـ ۳۶۲ ص. بها: ۹۸۰۰ ریال

۴۵. **فهرست نسخه‌های خطّی مدرسهٔ خاتم‌الانبیاء (صدر) بابل** / به کوشش علی صدرائی خوئی، محمود طیّار مراغی، ابوالفضل حافظیان بابلی .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۲۸۰ ص. بها: ۷۰۰۰ ریال

۴۶. **فهرست نسخه‌های خطّی مدرسهٔ علمیّهٔ نمازی خوی** / به کوشش علی صدرائی خوئی، تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۵۳۹ ص. بها: ۱۲۰۰۰ ریال

۴۷. **فیض الدموع** (شرح زندگانی و شهادت امام حسین علیه‌السلام با نثر فارسی فصیح و بلیغ) / محمد ابراهیم نوّاب بدایع نگار (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح اکبر ایرانی قمی .ـ قم: هجرت، ۱۳۷۴ .ـ ۲۹۶ ص. بها: ۷۰۰۰ریال

۴۸. **قاموس البحرین** (متن کلامی فارسی تألیف به سال ۸۱۴ ق.) / محمّد ابوالفضل محمّد (مشهور به حمید مفتی)؛ تصحیح علی اوجبی .ـ تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴ .ـ ۳۹۶ ص. بها: ۸۰۰۰ ریال

۴۹. **کیمیای سعادت** :ترجمهٔ طهارةالأعراق ابو علی مسکویه رازی / میرزا ابوطالب زنجانی؛ تصحیح دکتر ابوالقاسم امامی .ـ تهران: نقطه، ۱۳۷۵ .ـ ۲۹۱ ص. بهای شمیز: ۹۰۰۰ ریال. گالینگور: ۱۱۵۰۰ ریال

۵۰. **لطایف الأمثال و طرایف الأقوال** (فارسی) / رشیدالدین وطواط؛ به کوشش حبیبه دانش‌آموز .ـ تهران: اهل قلم، ۱۳۷۶ .ـ ۲۸۸ ص. بها: ۱۱۰۰۰ ریال

۵۱. **مجمل رشوند** (فارسی) / محمد علی خان رشوند (قرن ۱۳ ق.)؛ تصیح دکتر منوچهر ستوده و عنایت الله مجیدی .ـ تهران: آینهٔ میراث، ۱۳۷۵ .ـ ۳۸۷ ص. بها: ۱۵۰۰۰ ریال

۵۲. **مرآت الأکوان** (تحریر شرح هدایهٔ ملّاصدرا شیرازی) / احمد بن محمد حسینی اردکانی (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح عبدالله نورانی .ـ تهران: شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۵ .ـ ۶۷۸ ص. بها: ۱۸۰۰۰ ریال

۵۳. مصابیح‌القلوب (شرح فارسی پنجاه و سه حدیث اخلاقی از پیامبر اکرم ـ ص) / حسن شیعی سبزواری (قرن ۸ ق.)؛ تصحیح محمد سپهری .ـ تهران: بنیان، ۱۳۷۴ .ـ ۶۴۶ ص. بها: ۱۸۰۰۰ ریال

۵۴. منشآت میبدی (فارسی) / قاضی حسین بن معین‌الدین میبدی؛ به کوشش نصرت الله فروهر .ـ تهران: نقطه، ۱۳۷۶ .ـ ۳۲۶ ص. بها: ۱۶۵۰۰ ریال

۵۵. نبراس الضیاء و تسواء السواء فی شرح باب البداء و اثبات جدوی الدعاء (عربی) / المعلم الثالث المیر محمد باقر الداماد (المتوفی ۱۰۴۱ ق.)؛ مع تعلیقات الحکیم الالهی الملّا علی النوری (المتوفی ۱۲۴۶ق.)؛ تحقیق حامد ناجی اصفهانی .ـ قم: هجرت، ۱۳۷۴ .ـ نود و هفت، ۱۵۲ ص. بها: ۵۶۰۰ ریال

۵۶. نزهة‌الزاهد (ادعیهٔ مأثور از امامان معصوم ـ علیهم‌السلام ـ با توضیحات فارسی از سدهٔ ششم) / از مؤلفی ناشناخته؛ تصحیح رسول جعفریان .ـ تهران: اهل قلم، ۱۳۷۵ .ـ ۲۶۳ ص. بها: ۱۴۰۰۰ ریال

۵۷. النظامیّة فی مذهب الامامیّة (متن کلامی فارسی قرن دهم هـ. ق.) / محمد بن احمد خواجگی شیرازی؛ تصحیح و تحقیق علی اوجبی .ـ تهران: قبله، ۱۳۷۵ .ـ ۲۳۹ ص. بها: ۹۵۰۰ ریال

In the Name of God, the Compassionate, the Merciful

Like a very large sea, the rich Islamic culture of Iran has produced countless waves of handwritten works. In truth these manuscripts are the records of scholars and great minds, and the hallmark of us Iranians. Each generation has the duty to protect this valuable heritage, and to strive for its revival and restoration, so that our own historical, cultural, Literary, and scientific background be better known and understood. Despite all the efforts in recent years for recognition of this country's written treasures, the research and study done, and the hundreds of valuable books and treatises that have been published, there is still much work to do. Libraries inside and outside the country preserve thousands of books and treatises in manuscript form which have been neither identified nor published. Moreover, many texts, even though they have been printed many times, have not been edited in accordance with scientific methods and are in need of more research and critical editions. responsibility of The revival and publication of manuscripts is a researchers and cultural institutions. The Ministry of Culture and Islamic Guidance in pursuing its cultural goals has established such a centre in the hope that, through sponsoring the efforts of researchers and editors and with the participation of publishers, it may have a share in the publication of this written heritage, presenting a valuable collection of texts and sources to the friends of Islamic Iranian culture and society.

Centre For Written Heritage Publication

AN ĀYENE-YE MIRĀS̱ BOOK
In Collaboration with the Written Heritage Publication Office

First Published in Iran by Ayene-ye Miras

ISBN 964-6781-04-7 (VOL. 1)
ISBN 964-6781-10-1 (4 VOL. SET)

PRINTED IN IRAN

MAḤBŪB AL-QULŪB

Al-Maqālat al-Ūlā

Quṭb al-Dīn Muḥammad ibn ʻAli al-Īskawarī al-Lāhījī

[1]

Edited by

Dr. Ibrahīm al-Dībājī

&

Dr. Ḥāmid Ṣidqī



Āyene-ye Mirāṣ

Tehran, 1999

MAḤBŪB AL-QULŪB

Al-Maqālat al-Ūlā

Quṭb al-Dīn Muḥammad ibn ʿAli al-Iskawarī al-Lāhījī

[1]

Edited by

Dr. Ibrāhīm al-Dībājī

&

Dr. Ḥāmid Ṣidqī



Āyene-ye Mirāṯ

Tehran, 1999

ISBN 964 - 6781 - 04 - 7 (VOL. 1) شابک ۷-۰۴-۶۷۸۱-۹۶۴ (جلد ۱)

ISBN 964 - 6781 - 10 - 1 (4VOL. SET) شابک ۱-۱۰-۶۷۸۱-۹۶۴ (دورهٔ ۴ جلدی)